

مجلة
كلية الآداب



المجلد الثالث عشر — الجزء الأول

مايو ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها الدكتور زكى محمد حسن بك عميد كلية الآداب بجامعـــة فؤاد الأول بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربى

نشيد الأناشيد الذى لسليمان (١)

بقلم

الدكتور فؤاد حسنين على

هذه مجموعة من الأغانى الشعبية الاسرائيلية بعضها فى الغزل والبعض الآخر فى الزفاف يرى فيها القارىء مناجاة الأحبة وغرام العاشقين كما يلمس الصلة القوية بين الخيال العربى الجاهلى والنشيد الاسرائيلى . وهذه الصلة فى الخيال والتعبير هى التى حدت بى إلى نقل هذا النشيد من أصله العبرى إلى لغتنا العربية كما حرصت على أن التزم الدقة فى الترجمة مع التصرف الذى يتفق ولغة النشيد اولا والأسلوب العربى ثانيا .

سيطلع القارىء على هذه الترجمة وسيرى لونا من ألوان الأدب ليس جديدا كله ، وذلك لأن الصور التى يعرضها لنا النشيد نجدها فى كثير من قصائدنا العربية الجاهلية خاصة تلك التى يعبر عنها امرؤ القيس فى معلقته مثلا بقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

أو

هصرت بفودى رأسها فتمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل

أو

وفرع يزين المتن أسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل

أو قول عمرو بن كلثوم :

وساريتى بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رنينا

وهذا النشيد جمع فى عصر متأخر لن يكون أبعد من القرن الثالث ق.م ولعل السبب فى ضمه الى اسفار الكتاب المقدس نسبته الى سليمان ابن داود ولو انه ليس مؤلفه الحقيقى بدليل هذه الالفاظ وتلك العبارات الواردة به والتى تحتم علينا الرجوع بتاريخ هذه الأغانى الى عصر آخر غير عصر سليمان .

أغنية العروس

قبلنى بقبلات فمك ، فمكامعتك ألذ من الخمر .

لعطورك الطيبة الشذا ، وكالزيت الطيب اسمك .

لذلك أحببنك النساء ، اجذبنى خلفك ، دعنا نهرول ، خذ بيدى يا مليك إلى حجالك .

سمراء أنا وجميلة يا بنات أورشليم [٢].

كخيام قيدر[٣] ، وخمائل سليمان .

نبتهج ونفرح بك . حبك أبقى من الخمر . حقا يحببنك .

لا تحدجنى لكونى سمراء ، الشمس دبستنى .

غضب على مواطنى ، وعينونى لامصة .

أما كرمى فأهملته .

قل لى حبيب روحى أين ترعى ؟

أين تربض فى الظهيرة ؟

حتى لا أصير كالمخبولة بين قطعان أصدقائك .

تبادل الغناء بينهما

إن لم تعرفى يا أجمل النساء ، فاذهبى واقتفى أثر الغنم ، وارع جداءك عند أكواخ الرعاة .

شبهتك حبيبتي بفرس مجنف في مركبات فرعون .
ما أجمل لهزمتيك يتدلى عليهما الحباب ، وجيدك حوله السخاب !
سنصنع لك قلائد الذهب المطعمة بالجذاذات .

* * *

إذا جلس المليك على عرشه فاحت رائحة نردى .
حبيبي لي كباقة المر التي نادت بين ثديي .
ما أشبه حبيبي بالحناء بكرم عين جدى .

* * *

جميلة حبيبتي إنك الغانية عيناك عينا حمامة .

* * *

جميل أنت يا حبيبي وحلو ، سريرنا أخضر .
قوائم بيتنا من الأرز والمطعم منها فبخشب السرو .
أنا نرجسة شارون[٤] وسوسنة الوديان

* * *

سوسنة بين الأشواك حبيبتي بين الفتيات .

* * *

شجرة تفاح في الغابة حبيبي بين الشبان ، ما أشهى الجلوس في جواره وما أحلا فاكهته في حنكي !
أدخلني حانه ، وخفقت علينا راية كانت غراما .
أنعشوني بكعك الزبيب أسعفوني بتفاح إني مريضة حباً .
شماله تحت رأسي ويمينه تضمني .
أحلفكن يا بنات أورشليم بأيائل البرية والظباء ، ألا تيقظن الحب أو تزعجنه حتى يشاء .

الغزل فى الربيع

حبيبي !! آتيا قافزاً الجبال ووانباً التلال .

حبيبي شبيه الظبي وغفر الأروية ؟

ها هو واقف خلف حائطنا يتطلع من النوافذ ويلص .

***

أجابنى حبيبى وقال لى : حبيبتى قومى ، جميلتى تعالى ، الشتاء ولى والمطر احتبس .

احوارت الأرض وحان القضب .

والآن نسمع هديل اليمام فى أرضنا .

أخرجت التينة فجها وأزغب الكرم تفوح منه الحمطة .

قومى حبيبتى ، اذهبى جميلتى تعالى .

حمامتى فى الشقبة وستر المعاقل ، أرينى مرآك فهو جميل ، وأسمعينى صوتك إنه حلو .

***

خذوا لنا الثعالب والكتعان فهى متلفة للكروم ، وكرومنا قد نورت وفاحت الحمطة .

حبيبى الراعى بين السوسن لى ، وأنا له .

ارجع يا حبيبى ، يا شبيه الظبي وغفر الأروية ، على شعب الجبال ، حتى يصبح اليوم روح .

حلم الوالهة

فى الليل على سريرى بحثت عن الذى تحبه نفسى وما وجدته .

أقوم أطوف فى طرق المدينة ورحباتها أبحث عن الذى تحبه نفسى ولا أجده .

وجدنى الحراس الذين يطوفون المدينة فسألتهم .

هل رأيتم حبيب قلبى ؟

وما كدت أتركهم حتى لقيت حبيب الروح ، فجذبته ولم أتركه حتى أدخلته بيت أمى إلى غرفة من حملت بى .

أحلفكن يا بنات أورشليم بأيائل البرية والظباء ، ألا تيقظن الحب ، أو تزعجنه حتى يشاء .

زفاف العروس

من هذه الصاعدة من البرية كعمود بخور المر واللبان ؟ .

هنا عرش سليمان حوله ستون جبارا من جبارة اسرائيل(٥) .

مسلحون بالحراب يجيدون فنون القتال وبجوار كل حربته اتقاء لأهوال الليل .

صنع سليمان لنفسه عرشا من خشب لبنان له أعمدة من الفضة وروافد من الذهب .

ومقعداً من الارجوان .

أما وسطه فمحبة يابنات أورشليم .

أخرجن بنات صهيون(٦) وانظرن الملك سليمان بتاجه الذى توجته به أمه فرحة يوم زفافه .

مدح العروس

ما احلاك حبيبتى ! وما أجملك !

عيناك خلف اللثام كعينى حمامة .

شعرك يتماوج تماوج شعر معز تنحدر من جبل جلعاد[٧] .

أسنانك كقطيع جزائز خارج من الغسل شياهه متئمات وليس بينها المفرد .

شفتاك خيط أحمر وفمك حلو أما خدك ففلقة رمانة تحت لثامك .

عنقك مجدل داود[٨] بنى ليكون حصنا علق به الف مجن كلها أتراس أبطال .

ثدياك خشفان ، غزالان يرعيان السوسن . اذهب اليك الى جبل المر وتل اللبان متى أصبح اليوم روح وفاء الظل .

جميلة ياحبيبتى ولا عيب فيك .

سرقت قلبي

تعالى معى من لبنان[٩] ياعروسى تعالى من لبنان أنظرى من ضهر : أمانا[١٠] : من قمة : سنير[١١] ، و : حرمون[١٢] : من خدور الأسد وجبال النمور .

سبيت فؤادى جرحتنى بلحظك وبقلادة من قلائد عنقك ياأختى ياعروسى ،

ما أجمل حبك يا أختى ان حبك أحلا من الوين ورائحة عطورك تفوق العطور ياعروسى .

عروسى شفتاك تقطران شهدا ، عسلا ولبنا يسيل اسانك ، ولثيابك ريا كشذا لبنان .

عروس جنة

جنة مغلقة أختي ، نبع مختوم وعين بكر عروسي .

غرسك جنة رمان وثمار شهية ، حنة مع ردند ، وردند مع كركم عود وقرفة مع أنفس الأعواد والبخور .

عين في جنة ، ونبع ماء قراح ، وروائح لبنان العطرة .

هبي ياريح الشمال وتعالي ياريح الجنوب .

زفي الى جنتي كي يفرح بشامها ، ليأت حبيبي الى جنته وليأكل الثمر الشهي .

دخلت يا أختي جنتي قطفت ياعروسي مري وبشامي أكلت أربي مع دبسي . شربت خمري مع لبني امتخوا أيها الاصحاب واشربوا أيها الاحباء واثملوا غراما .

حلم العروس

أنا نائمة وقلبي يقظ ، حبيبي يطرق افتحي لي يا اختي يا حبيبتي حمامتي غانيتي كسا الطل هامتي ورش الليل قصصي .

خلعت غلالتي فكيف ألبسها وغسلت قدمي فكيف أوسخهما .

مد حبيبي يده من الكوة فخفق له قلبي قمت أنا لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مراً وأصابعي على المغلاق مراً سائلا .

فتحت لحبيبي فاذ به تحول وعبر وفارقتني نفسي عندما انصرف بحثت عنه وما وجدته وناديته ولم يجبني .

وجدني الحرس الطائف بالمدينة ضربوني جرحوني مزقوا إزاري حراس الأسوار .

أحلفكن يا بنات أورشليم إذا ماوجدتن حبيبي أخبرنه أني مريضة غراما .

ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء .

ماحبيبك من حبيب حتى تحلفيننا !

مدح العروس

حبيبى أصهب وعلم على ربوة .

رأسه نضار قصصه جعدة حالكة كالغراب .

عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان فى محجريهما .

خداه حيضان بشام وأحفاش أدهان ذكية .

شفتاه سوسن وتقطران مراً سائلا .

يداه قضيبان مستديران من ذهب مرصعتان بزبرجد ، بطنه قطعة من عاج مغلف بياقوت أزرق .

ساقاه عمودا رخام أبيض تقومان على قاعدتين من الأبريز ، طلعته كلبنان ، خير الفتيان كشجر الأرز .

فمه حلاوة وكل ما فيه يشتهى ، هذا حبيبى هذا خليلى يا بنات أورشليم .

***

أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء ، أين توجه خالك فنطلبه معك .

حبيبى نزل إلى جنته إلى خمائل البشام ليرعى فى الجنان ويجمع السوسن .

أنا لحبيبى وحبيبى لى ، هو راعى بين السوسن .

جميلة أنت ياصديقتى

حلوة مثل : ترصة (١٣) : ياحبيبتى ، جميلة كأورشليم يا خليلتى قاهرة كجيش عرمرم :

حولى عينيك عنى فقد خبلتانى ، شعرك يتاوج تماوج المعز من فوق جبل جلعاد .

أسنانك مثل قطيع الجزائز الخارج من الغسل ، شياهه متئمات وليس بينها المفرد .

خدك فلقة رمانة تحت لثامك .

ستون ملكة لسليمان والسرارى ثمانون : أما العذارى فلا يحصيهن عد .

وحيدة حمامتى وثانية .

وحيدة لأمها ومخلصة لوالدتها .

ولما العذارى رأينها مدحنها ومدحتها ملكات وسرارى هللن لها .

أغنية رقصة العروس بالسيف

من هى المشرقة مثل السحر ، الجميلة كالقمر .

الطاهرة كالشمس القاهرة كجحافل الجيش . ؟

نزلت الى حديقة الجوز لأنظر خضر الوادى .

وهل أقعل الجفن ونور الرمان . ؟

ولم أشعر إلا وانتقلت الى مركبة : عميندب[١٤] .

ارجعى ارجعى ياشولاميث[١٥] ارجعى ارجعى لنراك

ماذا تريدون من شولاميث أتريدون رقصة السيف ؟

ما أجمل قدميك فى النعل يابنت النبيل .

دوران وركيك كحلية صبها فنان .

مربضك كأس مستديرة لايعوزها شراب ممزوج .

بطنك عرمة حنطة يحيط بها السوسن .

ثدياك خشفا ظبية .

عنقك برج من العاج .

وعيناك برك : حشبون[١٦] : عند باب : بث ربيم[١٧] .

أنفك برج لبنان المطل على دمشق .

رأسك كرملي وشعرك أرجواني ملك أسير الخصل .

ما أجملك وما أحلاك ياحبيبة وقت اللذات .

قامتك نخلة وثدياك كبائس .

قلت تسلق النخلة وأمسك بأعذاقها .

ثدياك عناقيد عنب وريح فمك رائحة تفاح .

فمك يجود بأحسن الخمر ينساب الى فمي سهلا ويجرى الى شفاه النائمين .

ربيع الحب

أنا لحبيبي ويشتاقني .

لنخرج حبيبي إلى الحقول ولنبت فى الكفور .

لنبكرن إلى الكروم ونرى هل أزهر الكرم .

وأقعل الجفن ونور الرمان .

وهناك أقدم لك حبي .

تفاح الحب تفوح رائحته وعند أبوابنا ثمر شهى رطب ويابس حفظته لك ياحبيبى .

ليتك كأخ لى رضع من ثدى أمى .

فألقاك فى الخارج وأقبلك ولن يزلقونى بيصرهم .

أدخلك بيت أمى حيث حملتنى .

أسقك خمرا ممزوجا وعصير رمان .

شماله تحت رأسى ويمينه تضمنى .

أحلفكن يابنات أورشليم .

ألا تيقظن ألا تنبهن الحبيب حتى يشاء .

الحب جبار كالموت

من هذه الطالعة من البرية المستندة على حبيبها ؟

تحت شجرة التفاح أيقظتك .

هناك حملت بك أمك وبالألم ولدتك .

ضعني على قلبك كخاتم أو عضاد .

الحب جبار كالموت والغيرة قاسية كعالم الأموات لهيبها نار الله الموقدة .

المياه الغزيرة ليست بمستطيعة اخماد جذوة الحب والسيول لن تغمرها ولو قدم الانسان كل ما يملك للحب قوبل باحتقار .

العروس قبل الزواج

لنا أخت صغيرة لم ينهد ثدياها فماذا نصنع بها يوم تطلب يدها ؟ .

إن كانت حائطاً وضعنا عليه شرفة من الفضة .

وإن كانت باباً وقيناه بألواح من الأرز .

أنا حامية وثدياى برجان .

وفى عينيه واجدة سلاما .

كرمان

كرم لسليمان فى : بعل همون : أعطاه للنظار حيث يدفع كل واحد منهم الف فضة .

كرمى متاعى خذ الألف لك يا سليمان ومأتين لحراس ثمره .

أيتها الجالسة فى الجنان ، الخلان ينصتون أسمعينى .

أسرع حبيبى كالظبي أو غفر الأيائل على جبال البشام .

(١) ابن داود تولى الملك حوالى عام ٩٥٠ ق . م . كان محبا للسـلام شيد معبد أورشليم ؛ وقد اشتهر بالحـكمة واليه ينسب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة .

(٢) يعتقد ان هذا اللفظ حيثى الأصل وأول ما ذكرت هذه المدينة فى القرن الرابع عشر ق . م . وظلت عاصمة لليهود منذ حكم داود (القرنين الحادى عشر والعاشر) وفى عام٥٨٦ ق.م خربت ثم أعيد بناؤها عام ٥٢٧ ق.م وخربت ثانية عام ٧٠ م وفى عصر هدريان (١١٧ — ١٣٨ م) حرمت على اليهود وأطلق عليها لفظ : ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina) .

ثم جاءت المسيحية فلم تحدث أثراً ما فى حياة المدينة وظلت كذلك حتى جاء الاسلام فرفع مكانتها وهيأها لأن تلعب دوراً هاماً فى تاريخ العقائد السماوية السامية .

(٣) قيدر : قبيلة عربية كانت تقيم فى بادية الشام وقد ورد ذكرها فى العهد القديم والنقوش الاكادية كما ذكرها بلينيوس(Plinius) أيضاً .

(٤) شارون : الجزء الممتد من شاطىء فلسطين فيمابين يافا حتى قيصرية .

(٥) إسرائيل : فى الأصـل اسم آخر ليعقوب ومن ثم أطلق على الشعب اليهودى .

(٦) صهيون : تل باورشليم وعليه شيد برج داود ومن ثم عمم هذا اللفظ فأصبح يدل على سائر أورشليم .

(٧) جلعاد : جبال واقعة شرق الأردن .

(٨) داود : أشهر الملوك الذين ملكوا حوالى القرن العاشر ق . م على يهوذا وإسرائيل وهوالذى انتصر على جوليات وفتح أورشليم ومؤسس أسرة ، يقال إن المسيح من بين أفرادها . وقد كان داود شاعراً وموسيقياً .

(٩) لبنان : جبال في شمال فلسطين وهى مشهورة بغابات الأرز .

(١٠) أمانه : هو نهر — بردى — الحالى الذى يجرى فى دمشق .

(١١) شنير : أو سنير هى جبال سنير التي ذكرها أبو الفداء والبلاذرى وهى واقعة فى شمال شرق فلسطين وجزء من لبنان وتعرف الآن باسم جبل الشيخ وقد أطلق عليها قديماً أيضاً اسم حرمون .

(١٢) حرمون : (انظر ١٢) .

(١٣) ترصا : مدينة فى مملكة إسرائيل وكانت العاصمة فى الفترة الممتدة بين القرنين العاشر والتاسع ق . م

(١٤) عميناداب : ملك العمونيين وهم شعب كان ينزل شرق الأردن وكانت عاصمته : ربت عمون وهى : عمان : الحالية .

(١٥) اسم أنثى .

(١٦) حشبون : عاصمة موآب (شرق الأردن) قديماً .

(١٧) اسم أحد أبواب المدينة .

שִׁיר הַשִּׁירִים

CANTICUM CANTICORUM.

1 1 שִׁיר הַשִּׁירִים אֲשֶׁר לִשְׁלֹמֹה׃
2 יִשָּׁקֵנִי[a] מִנְּשִׁיקוֹת פִּיהוּ[b] כִּי־טוֹבִים דֹּדֶיךָ מִיָּיִן׃
3 [a]לְרֵיחַ שְׁמָנֶיךָ טוֹבִים[a] שֶׁמֶן תּוּרַק[b] שְׁמֶךָ עַל־כֵּן עֲלָמוֹת אֲהֵבוּךָ׃
4 מָשְׁכֵנִי אַחֲרֶיךָ[a] נָּרוּצָה הֱבִיאַנִי[b] הַמֶּלֶךְ חֲדָרָיו[c]
נָגִילָה וְנִשְׂמְחָה בָּךְ נַזְכִּירָה[d] דֹדֶיךָ מִיַּיִן [e]מֵישָׁרִים אֲהֵבוּךָ[e]׃
5 שְׁחוֹרָה אֲנִי וְנָאוָה בְּנוֹת יְרוּשָׁלִָם
כְּאָהֳלֵי קֵדָר כִּירִיעוֹת שְׁלֹמֹה׃
6 אַל־תִּרְאוּנִי שֶׁאֲנִי שְׁחַרְחֹרֶת שֶׁשֱּׁזָפַתְנִי הַשָּׁמֶשׁ
בְּנֵי אִמִּי נִחֲרוּ־בִי שָׂמֻנִי נֹטֵרָה אֶת־הַכְּרָמִים [a]כַּרְמִי שֶׁלִּי
[לֹא נָטָרְתִּי[a]׃
7 הַגִּידָה לִּי שֶׁאָהֲבָה נַפְשִׁי [a]אֵיכָה תִרְעֶה[a] אֵיכָה תַּרְבִּיץ בַּצָּהֳרָיִם
שַׁלָּמָה אֶהְיֶה כְּעֹטְיָה[b] עַל עֶדְרֵי חֲבֵרֶיךָ׃ ס
8 אִם־לֹא תֵדְעִי לָךְ הַיָּפָה בַּנָּשִׁים
צְאִי־לָךְ בְּעִקְבֵי הַצֹּאן וּרְעִי אֶת־גְּדִיֹּתַיִךְ [a]עַל מִשְׁכְּנוֹת הָרֹעִים[a]׃ ס
9 לְסֻסָתִי בְּרִכְבֵי פַרְעֹה דִּמִּיתִיךְ רַעְיָתִי׃
10 נָאווּ לְחָיַיִךְ בַּתֹּרִים צַוָּארֵךְ בַּחֲרוּזִים׃
11 תּוֹרֵי זָהָב נַעֲשֶׂה־לָּךְ עִם נְקֻדּוֹת הַכָּסֶף׃
12 עַד־שֶׁהַמֶּלֶךְ בִּמְסִבּוֹ נִרְדִּי נָתַן רֵיחוֹ׃
13 צְרוֹר הַמֹּר ׀ דּוֹדִי לִי בֵּין שָׁדַי יָלִין׃

Cp 1, 1 sic 𝔐 ‖ 2 [a] l נַשְּׁקֵנִי ‖ [b] l פִּיךָ ‖ 3 [a-a] m cs dl, 𝔊𝔙 וְרֵיחַ שְׁמָנַיִךְ מִכָּל־בְּשָׂמִים cf 4,10 ‖ [b] frt l מוּרָק, 𝔊 ἐκκενωθέν, 𝔙 *effusum;* vel l תַּמְרוּק ‖ 4 [a] 𝔊𝔙 + לְרֵיחַ שְׁמָנֶיךָ ‖ [b] l c 𝔖 הֲבִיאַנִי ‖ [c] l c 𝔖 חֲדָרְךָ, sing etiam 𝔊 ‖ [d] prps נִשְׁכְּרָה ‖ [e-e] add; cf mtr ‖ 5 l שלם (?שְׁלָם) ‖ 6 [a-a] add, cf mtr ‖ 7 [a-a] m cs dl ‖ [b] l כְּעֹטְיָה vel c 𝔖Σ𝔙 כְּטֹעִיָּה ‖ 8 [a-a] add, cf mtr ‖ 9 sic Occ, Or לְסוּסָתִי prps לְסֻסָתִי ‖ 12 l frt נרדו.

14 אֶשְׁכֹּל הַכֹּפֶר ׀ דּוֹדִי לִי בְּכַרְמֵי עֵין גֶּדִי׃ ס
15 הִנָּךְ יָפָה רַעְיָתִי [a]הִנָּךְ יָפָה[a] עֵינַיִךְ יוֹנִים׃
16 הִנְּךָ יָפֶה דוֹדִי [a]אַף נָעִים[a] אַף־עַרְשֵׂנוּ רַעֲנָנָה[b]׃
17 קֹרוֹת בָּתֵּינוּ[a] אֲרָזִים רָחִיטֵנוּ[b] בְּרוֹתִים׃
2 1 אֲנִי חֲבַצֶּלֶת הַשָּׁרוֹן שׁוֹשַׁנַּת הָעֲמָקִים׃
2 כְּשׁוֹשַׁנָּה בֵּין הַחוֹחִים כֵּן רַעְיָתִי בֵּין הַבָּנוֹת׃
3 כְּתַפּוּחַ בַּעֲצֵי הַיַּעַר כֵּן דּוֹדִי בֵּין הַבָּנִים
בְּצִלּוֹ חִמַּדְתִּי וְיָשַׁבְתִּי וּפִרְיוֹ מָתוֹק לְחִכִּי׃
4 הֱבִיאַנִי אֶל־בֵּית הַיָּיִן וְדִגְלוֹ עָלַי אַהֲבָה׃
5 סַמְּכוּנִי[a] בָּאֲשִׁישׁוֹת[b] רַפְּדוּנִי[c] בַּתַּפּוּחִים[d]
[e]כִּי־חוֹלַת אַהֲבָה אָנִי[e]׃
6 שְׂמֹאלוֹ תַּחַת לְרֹאשִׁי וִימִינוֹ תְּחַבְּקֵנִי׃
7 הִשְׁבַּעְתִּי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלַםִ בִּצְבָאוֹת אוֹ בְּאַיְלוֹת הַשָּׂדֶה
אִם־תָּעִירוּ ׀ וְאִם־תְּעוֹרְרוּ אֶת־הָאַהֲבָה עַד שֶׁתֶּחְפָּץ׃ ס
8 קוֹל דּוֹדִי הִנֵּה־זֶה בָּא
מְדַלֵּג עַל־הֶהָרִים מְקַפֵּץ עַל־הַגְּבָעוֹת׃
9 דּוֹמֶה דוֹדִי לִצְבִי [a]אוֹ לְעֹפֶר הָאַיָּלִים[a]
הִנֵּה־זֶה עוֹמֵד[b] אַחַר כָּתְלֵנוּ
מַשְׁגִּיחַ[c] מִן־הַחַלֹּנוֹת מֵצִיץ[d] מִן־הַחֲרַכִּים׃
10 עָנָה דוֹדִי [a]וְאָמַר לִי[a] קוּמִי לָךְ רַעְיָתִי[b] יָפָתִי[c] וּלְכִי־לָךְ׃
11 כִּי־הִנֵּה הַסְּתָו[a] עָבָר הַגֶּשֶׁם חָלַף הָלַךְ[b] לוֹ׃ [בְּאַרְצֵנוּ[b]׃
12 [a]הַנִּצָּנִים נִרְאוּ בָאָרֶץ[a] עֵת הַזָּמִיר הִגִּיעַ וְקוֹל הַתּוֹר נִשְׁמַע
13 הַתְּאֵנָה חָנְטָה פַגֶּיהָ וְהַגְּפָנִים ׀ סְמָדַר[a] נָתְנוּ רֵיחַ
קוּמִי לָכִי[b] רַעְיָתִי[c] יָפָתִי וּלְכִי־לָךְ׃ ס

15 a-a m cs dl? ‖ 16 a-a m cs dl? ‖ b 𝔊 σύσκιος 𝔙 *floridus* 𝔖 רציפא ‖ 17 a l c 𝔖 בֵּיתֵנוּ ‖ b 𝔅 c nonn MSS רחיטנו, l c Q רָהִיטֵנוּ ‖ Cp 2, 3 MS[B] חמדתי ‖ 4 l עָלָיו ‖ 5 a l סַמְּכֻנִי ‖ b sic l, 𝔅 באשישות ‖ c l רַפְּדֻנִי ‖ d l בַּתַּפּוּחִים ‖ e-e add, cf mtr et 5,8 ‖ v 7 m cs frt l
השבעתי אתכם בְנות באילות השדה
אם תעירו את האהבה עד שתחפץ
7 a prps c 𝔙 אַהֲבָה ‖ 9 a-a dl, cf v 17 ‖ b sic Occ, Or עֹמֵד, >𝔊[B] ‖ c prps אֶשְׁנִיחַ ‖ d prps אֵצִיץ ‖ 10 a-a extra mtr (vel dl?) ‖ b 𝔊 + יוֹנָתִי ‖ c 𝔊 + יוֹנָתִי ‖ 11 a Q הַסְּתָיו (pro הסתו) ‖ b mlt MSS והלך ‖ 12 a-a m cs dl ‖ b m cs dl ‖ 13 a m cs dl? ‖ b l c Q לָךְ ‖ c 𝔊 + יוֹנָתִי.

14 יוֹנָתִי בְּחַגְוֵי הַסֶּלַע בְּסֵתֶר הַמַּדְרֵגָה
הַרְאִינִי אֶת־מַרְאַיִךְ הַשְׁמִיעִנִי[a] אֶת־קוֹלֵךְ
כִּי־קוֹלֵךְ עָרֵב וּמַרְאֵיךְ[b] נָאוֶה׃ ס
15 אֶחֱזוּ־לָנוּ שׁוּעָלִים שׁוּעָלִים קְטַנִּים
מְחַבְּלִים כְּרָמִים וּכְרָמֵינוּ סְמָדַר׃
16 דּוֹדִי לִי וַאֲנִי לוֹ הָרֹעֶה בַּשּׁוֹשַׁנִּים׃
17 עַד שֶׁיָּפוּחַ הַיּוֹם וְנָסוּ[a] הַצְּלָלִים
[b]סֹב דְּמֵה־לְךָ דוֹדִי לִצְבִי[b]
אוֹ לְעֹפֶר הָאַיָּלִים עַל־[c]הָרֵי בָתֶר[d]׃ ס
3 1 עַל־מִשְׁכָּבִי בַּלֵּילוֹת בִּקַּשְׁתִּי אֵת שֶׁאָהֲבָה נַפְשִׁי [a]בִּקַּשְׁתִּיו [וְלֹא מְצָאתִיו׃[a]
2 אָקוּמָה נָּא וַאֲסוֹבְבָה בָעִיר בַּשְּׁוָקִים וּבָרְחֹבוֹת
אֲבַקְשָׁה אֵת שֶׁאָהֲבָה נַפְשִׁי בִּקַּשְׁתִּיו וְלֹא מְצָאתִיו׃
3 מְצָאוּנִי הַשֹּׁמְרִים הַסֹּבְבִים בָּעִיר אֵת שֶׁאָהֲבָה נַפְשִׁי רְאִיתֶם׃
4 כִּמְעַט שֶׁעָבַרְתִּי מֵהֶם עַד שֶׁמָּצָאתִי אֵת שֶׁאָהֲבָה נַפְשִׁי
אֲחַזְתִּיו[a] וְלֹא אַרְפֶּנּוּ
[b]עַד־שֶׁהֲבֵיאתִיו אֶל־בֵּית אִמִּי וְאֶל־חֶדֶר הוֹרָתִי[b]׃
5 הִשְׁבַּעְתִּי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלַםִ בִּצְבָאוֹת אוֹ בְּאַיְלוֹת הַשָּׂדֶה
אִם־תָּעִירוּ ׀ וְאִם־תְּעוֹרְרוּ אֶת־הָאַהֲבָה עַד שֶׁתֶּחְפָּץ׃ ס
6 [a]מִי זֹאת[a] עֹלָה מִן־הַמִּדְבָּר כְּתִימֲרוֹת[b] עָשָׁן
מְקֻטֶּרֶת מֹר וּלְבוֹנָה מִכֹּל אַבְקַת רוֹכֵל׃
7 הִנֵּה מִטָּתוֹ [a]שֶׁלִּשְׁלֹמֹה[a] שִׁשִּׁים גִּבֹּרִים סָבִיב לָהּ מִגִּבֹּרֵי יִשְׂרָאֵל׃
8 כֻּלָּם אֲחֻזֵי חֶרֶב מְלֻמְּדֵי מִלְחָמָה
אִישׁ חַרְבּוֹ עַל־יְרֵכוֹ מִפַּחַד בַּלֵּילוֹת׃ ס
9 אַפִּרְיוֹן עָשָׂה לוֹ הַמֶּלֶךְ שְׁלֹמֹה[a] מֵעֲצֵי הַלְּבָנוֹן׃
10 עַמּוּדָיו עָשָׂה כֶסֶף רְפִידָתוֹ זָהָב
[a]מֶרְכָּבוֹ אַרְגָּמָן[a] תּוֹכוֹ רָצוּף אַהֲבָה[b] [c]מִבְּנוֹת יְרוּשָׁלָםִ[c]׃

14 [a] pl MSS הַשְׁמִיעִינִי, Var[G] euam הַשְׁמִעֵנִי ‖ [b] l c K וּמַרְאַיִךְ; Q mlt MSS וּמַרְאֵךְ ‖ 17 [a] l c 𝔊𝔖𝔙 וְנָסוּ ‖ [b-b] frt l כב דודי ודמה לך לצבי cf 8,14 ‖ [c] Var[G] אֶל ‖ [d] prps בְּשָׂמִים ut 8,14 ‖ Cp 3, 1 [a-a] add cf mtr et cf 2 ‖ 2 sic Occ, Or ואסבבה ‖ 3 ex 5,7, frt l מְצָאתִי ‖ 4 [a] frt ins אחזתי את שאהבה נפשי ‖ [b-b] dl, ex 8,2 ‖ v 5 frt dl, ex 2,7 ‖ 6 [a-a] l מַה־זֹּאת ‖ [b] 20MSS כתמרת (sing ? cf Vrs), l בתימ־ות ‖ 7 [a-a] m cs dl ‖ 9 [a] m cs dl aut שלמה aut המלך ‖ 10 [a-a] trsp post אהבה ‖ [b] l הָבְנִים ‖ [c-c] dl, cf ad 11.

¹¹ᵃצְאֶנָהᵇ וּרְאֶינָהᶜ ᵈבְּנוֹת צִיּוֹןᵈ בַּמֶּלֶךְ שְׁלֹמֹהᵉ
בָּעֲטָרָה שֶׁעִטְּרָה־לּוֹ אִמּוֹ ᶠבְּיוֹם חֲתֻנָּתוֹ וּבְיוֹם שִׂמְחַת לִבּוֹᶠ׃ ס

4 ¹ הִנָּךְ יָפָה רַעְיָתִי ᵃהִנָּךְ יָפָהᵃ עֵינַיִךְ יוֹנִים ᵇמִבַּעַד לְצַמָּתֵךְᵇ
שַׂעְרֵךְᶜ כְּעֵדֶר הָעִזִּים שֶׁגָּלְשׁוּ ᵈמֵהַר גִּלְעָדᵈ׃
²שִׁנַּיִךְ כְּעֵדֶר הַקְּצוּבוֹת שֶׁעָלוּ מִן־הָרַחְצָהᵃ
שֶׁכֻּלָּם מַתְאִימוֹת וְשַׁכֻּלָהᵇ אֵין בָּהֶם׃
³כְּחוּט הַשָּׁנִי שִׂפְתֹתַיִךְ וּמִדְבָּרֵךְ נָאוֶה
כְּפֶלַח הָרִמּוֹן רַקָּתֵךְ מִבַּעַד לְצַמָּתֵךְ׃
⁴כְּמִגְדַּל דָּוִיד צַוָּארֵךְ בָּנוּי לְתַלְפִּיּוֹתᵃ
אֶלֶף הַמָּגֵן תָּלוּיᵇ עָלָיו כֹּל שִׁלְטֵי הַגִּבֹּרִים׃
⁵שְׁנֵיᵃ שָׁדַיִךְ כִּשְׁנֵי עֳפָרִיםᵇ תְּאוֹמֵי צְבִיָּה ᶜהָרֹעִים בַּשּׁוֹשַׁנִּיםᶜ׃
⁶ᵃעַד שֶׁיָּפוּחַ הַיּוֹם וְנָסוּ הַצְּלָלִים
אֵלֶךְ לִי אֶל־הַר הַמּוֹר וְאֶל־גִּבְעַת הַלְּבוֹנָהᵃ׃
⁷כֻּלָּךְ יָפָה רַעְיָתִי וּמוּם אֵין בָּךְ׃ ס
⁸אִתִּיᵃ מִלְּבָנוֹן כַּלָּה אִתִּיᵇ מִלְּבָנוֹן תָּבוֹאִי
תָּשׁוּרִי מֵרֹאשׁ אֲמָנָה מֵרֹאשׁ שְׂנִירᶜ וְחֶרְמוֹן
מִמְּעֹנוֹת אֲרָיוֹת מֵהַרְרֵי נְמֵרִים׃ [מִצַּוְּרֹנָיִךְ׃
⁹ᵃלִבַּבְתִּנִי אֲחֹתִי כַלָּהᵃ לִבַּבְתִּנִיᵇ בְּאַחַתᶜ מֵעֵינַיִךְ בְּאַחַד עֲנָקᵈ
¹⁰מַה־יָּפוּ דֹדַיִךְ אֲחֹתִי כַלָּהᵃ מַה־טֹּבוּ דֹדַיִךְ מִיַּיִן
ᵇוְרֵיחַ שְׁמָנַיִךְ מִכָּל־בְּשָׂמִיםᵇ׃
¹¹נֹפֶת תִּטֹּפְנָה שִׂפְתוֹתַיִךְ כַּלָּהᵃ דְּבַשᵇ וְחָלָב תַּחַת לְשׁוֹנֵךְ
וְרֵיחַᶜ שַׂלְמֹתַיִךְ כְּרֵיחַ לְבָנוֹןᵈ׃ ס
¹²ᵃגַּן נָעוּל אֲחֹתִי כַלָּה גַּלᵇ נָעוּלᶜ מַעְיָן חָתוּם׃

11 ᵃ ins e v 10 בנות ירושלם ‖ ᵇ Var[M] c 𝔊 צְאֶינָה ‖ ᶜ Var[B] וּרְאִינָה ‖ ᵈ⁻ᵈ dl c 𝔊 ‖ ᵉ m cs dl; l בנות ירושלם צאנה | וראינה במלך ‖ ᶠ m cs dl aut ביום חתנתו | aut וביום שמחת לבו ‖ Cp 4, 1 ᵃ⁻ᵃ m cs dl ‖ ᵇ⁻ᵇ m cs dl (e v 3) ‖ ᶜ Var[G] שַׂעְרֵךְ ‖ ᵈ⁻ᵈ l c ca 10MSS 𝔊 מִן הַגִּלְעָד ut 6,5 ‖ 2 ᵃ sic B-Asch B-Napht Var[M] הָרְחִצָה ‖ ᵇ Var[M] שַׁכֻּלָּה ‖ 3 Var[M] וּמִדְבָּרַיִךְ ‖ 4 ᵃ l לְתָלִיּוֹת cf תְּלִיְךָ Gn 27,3 ‖ ᵇ frt dl m cs ‖ 5 ᵃ dl ‖ ᵇ MS[Hill] עֲפָרִים ‖ ᶜ⁻ᶜ dl, ex 2,16 ‖ 6 ᵃ⁻ᵃ dl, cf 2,17 ‖ 8 ᵃ l c 𝔊𝔙𝔖 אֵתִי ‖ ᵇ l אֲחֹתִי ‖ ᶜ sic 𝔊; pl MSS Edd שְׂנִיר ‖ 9 ᵃ⁻ᵃ add cf mtr ‖ ᵇ sic Occ, Or לִבַּבְתִּינִי ‖ ᶜ Q בְּאַחַד ‖ ᵈ Var[M] עֲנָק, frt dl ‖ 10 ᵃ m cs dl ‖ ᵇ⁻ᵇ trsp in v 11 ‖ 11 ᵃ dl m cs ‖ ᵇ dl frt m cs ‖ ᶜ dl m cs ‖ ᵈ ins e v 10 וְרֵיחַ שְׁמָנַיִךְ מִכָּל־בְּשָׂמִים ‖ v 12 trsp frt post v 15 ‖ ᵃ mlt MSS ג maj ‖ ᵇ l c mlt MSS 𝔊𝔙𝔖 גַּן ‖ ᶜ dl m cs

13 שְׁלָחַיִךְ פַּרְדֵּס רִמּוֹנִים עִם פְּרִי מְגָדִים כְּפָרִים עִם־נְרָדִים׃
14 נֵרְדְּ׀ וְכַרְכֹּם קָנֶה וְקִנָּמוֹן עִם כָּל־עֲצֵי לְבוֹנָה
מֹר וַאֲהָלוֹת עִם כָּל־רָאשֵׁי בְשָׂמִים׃
15 מַעְיַן גַּנִּים בְּאֵר מַיִם חַיִּים וְנֹזְלִים מִן־לְבָנוֹן׃
16 עוּרִי צָפוֹן וּבוֹאִי תֵימָן
הָפִיחִי גַנִּי יִזְּלוּ בְשָׂמָיו
יָבֹא דוֹדִי לְגַנּוֹ וְיֹאכַל פְּרִי מְגָדָיו׃
5 בָּאתִי לְגַנִּי אֲחֹתִי כַלָּה אָרִיתִי מוֹרִי עִם־בְּשָׂמִי
אָכַלְתִּי יַעְרִי עִם־דִּבְשִׁי שָׁתִיתִי יֵינִי עִם־חֲלָבִי
אִכְלוּ רֵעִים שְׁתוּ וְשִׁכְרוּ דּוֹדִים׃ ס

2 אֲנִי יְשֵׁנָה וְלִבִּי עֵר קוֹל׀ דּוֹדִי דוֹפֵק
פִּתְחִי־לִי אֲחֹתִי רַעְיָתִי יוֹנָתִי תַמָּתִי
שֶׁרֹּאשִׁי נִמְלָא־טָל קְוֻּצּוֹתַי רְסִיסֵי לָיְלָה׃
3 פָּשַׁטְתִּי אֶת־כֻּתָּנְתִּי אֵיכָכָה אֶלְבָּשֶׁנָּה
רָחַצְתִּי אֶת־רַגְלַי אֵיכָכָה אֲטַנְּפֵם׃
4 דּוֹדִי שָׁלַח יָדוֹ מִן־הַחוֹר וּמֵעַי הָמוּ עָלָיו׃
5 קַמְתִּי אֲנִי לִפְתֹּחַ לְדוֹדִי וְיָדַי נָטְפוּ־מוֹר
וְאֶצְבְּעֹתַי מוֹר עֹבֵר עַל כַּפּוֹת הַמַּנְעוּל׃
6 פָּתַחְתִּי אֲנִי לְדוֹדִי וְדוֹדִי חָמַק עָבָר נַפְשִׁי יָצְאָה בְדַבְּרוֹ
בִּקַּשְׁתִּיהוּ וְלֹא מְצָאתִיהוּ קְרָאתִיו וְלֹא עָנָנִי׃
7 מְצָאֻנִי הַשֹּׁמְרִים הַסֹּבְבִים בָּעִיר הִכּוּנִי פְצָעוּנִי
נָשְׂאוּ אֶת־רְדִידִי מֵעָלַי שֹׁמְרֵי הַחֹמוֹת׃
8 הִשְׁבַּעְתִּי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלָםִ אִם־תִּמְצְאוּ אֶת־דּוֹדִי
מַה־תַּגִּידוּ לוֹ שֶׁחוֹלַת אַהֲבָה אָנִי׃
9 מַה־דּוֹדֵךְ מִדּוֹד הַיָּפָה בַּנָּשִׁים

13 a prps לְחָיַיִךְ ‖ b ins כָּל־ ‖ c-c add, cf mtr ‖ 14 a dl ‖ b-b frt dl ‖ c ins וְכַרְכֹּם ‖ 15 a-a frt l גַּן ‖ b VarM ונוזלים ‖ c huc trsp frt v 12 ‖ Cp 5, 1 a prps לְגַנִּי ‖ b dl ‖ c l c 𝔊𝔖𝔙 ושתו ‖ 2 a VarB יְשֵׁנָה ‖ b pl MSS sine Dag ‖ c VarM קְוֻצּוֹתַי sine Dag, l קְוֻצּוֹתַי ‖ d melius רְשִׁישֵׁי ‖ 4 a prps ins בְּדֶלֶת ‖ b sic Hill, l c mlt MSS Edd עָלַי, prps ins e v 6 נַפְשִׁי יָצְאָה בְדַבְּרוֹ et l versum:

דודי שלח ידו מן החור בדלת
ומעי המו עלי נפשי יצאה בדברו

5 a dl m cs, prps ins כַּפּוֹת הַמַּנְעוּל ‖ b-b prps dl cf a ‖ 6 c-c dl, cf v 4 ‖ 7 frt dl m cs ‖ 8 a-a l m cs בְּנוֹת ‖ b l m cs לְדוֹדִי.

מַה־דּוֹדֵךְ מִדּוֹד שֶׁכָּכָה הִשְׁבַּעְתָּנוּ׃
10 דּוֹדִי צַח וְאָדוֹם דָּגוּל מֵרְבָבָה׃ ס
11 רֹאשׁוֹ כֶּתֶם פָּז[a] קְוֻצּוֹתָיו[b] תַּלְתַּלִּים[c] שְׁחֹרוֹת כָּעוֹרֵב׃
12 עֵינָיו כְּיוֹנִים עַל־אֲפִיקֵי מָיִם
רֹחֲצוֹת בֶּחָלָב יֹשְׁבוֹת עַל־מִלֵּאת׃
13 לְחָיָו[a] כַּעֲרוּגַת[b] הַבֹּשֶׂם מִגְדְּלוֹת[c] מֶרְקָחִים[d]
שִׂפְתוֹתָיו שׁוֹשַׁנִּים נֹטְפוֹת מוֹר עֹבֵר׃
14 יָדָיו גְּלִילֵי זָהָב מְמֻלָּאִים בַּתַּרְשִׁישׁ
מֵעָיו עֶשֶׁת שֵׁן מְעֻלֶּפֶת סַפִּירִים׃
15 שׁוֹקָיו עַמּוּדֵי שֵׁשׁ מְיֻסָּדִים עַל־אַדְנֵי־פָז
מַרְאֵהוּ כַּלְּבָנוֹן בָּחוּר כָּאֲרָזִים׃
16 חִכּוֹ מַמְתַקִּים וְכֻלּוֹ מַחֲמַדִּים
זֶה דוֹדִי וְזֶה רֵעִי בְּנוֹת יְרוּשָׁלָ͏ִם׃ ס
6 1 אָנָה הָלַךְ דּוֹדֵךְ הַיָּפָה בַּנָּשִׁים
אָנָה פָּנָה דוֹדֵךְ וּנְבַקְשֶׁנּוּ עִמָּךְ׃
2 דּוֹדִי יָרַד לְגַנּוֹ לַעֲרֻגוֹת[a] הַבֹּשֶׂם
[b]לִרְעוֹת בַּגַּנִּים[b] וְלִלְקֹט שׁוֹשַׁנִּים׃
3 אֲנִי לְדוֹדִי וְדוֹדִי לִי הָרֹעֶה בַּשּׁוֹשַׁנִּים׃ ס
4 יָפָה אַתְּ רַעְיָתִי כְּתִרְצָה[a] נָאוָה כִּירוּשָׁלָ͏ִם [b]אֲיֻמָּה כַּנִּדְגָּלוֹת[b]׃
5 הָסֵבִּי[a] עֵינַיִךְ מִנֶּגְדִּי שֶׁהֵם הִרְהִיבֻנִי
[b]שַׂעְרֵךְ כְּעֵדֶר הָעִזִּים שֶׁגָּלְשׁוּ מִן־הַגִּלְעָד׃
6 שִׁנַּיִךְ כְּעֵדֶר הָרְחֵלִים שֶׁעָלוּ מִן־הָרַחְצָה
שֶׁכֻּלָּם מַתְאִימוֹת וְשַׁכֻּלָה אֵין בָּהֶם׃
7 כְּפֶלַח הָרִמּוֹן רַקָּתֵךְ מִבַּעַד לְצַמָּתֵךְ׃
8 שִׁשִּׁים הֵמָּה[a] מְלָכוֹת וּשְׁמֹנִים פִּילַגְשִׁים [b]וַעֲלָמוֹת אֵין מִסְפָּר[b]׃
9 אַחַת הִיא יוֹנָתִי [a]תַמָּתִי
אַחַת הִיא לְאִמָּהּ בָּרָה הִיא לְיוֹלַדְתָּהּ

9 l השבעתנו ‖ 11 [a] m cs l c 𝔊 ופז ‖ [b] Var[M] קוצותיו sine Dag, l קְוֻצּוֹתָיו, m cs dl ‖ [c] prb l דַּלִּיּוֹתָיו ‖ 13 [a] 𝔊 לְחָיָו ‖ [b] l c pl MSS 𝔊𝔖𝔙 כַּעֲרוּגַת ‖ [c] neohbr = *armaria* ‖ [d] sic B-Asch, B-Naphı מרקחים ‖ 15 prps אַדִּיר ‖ 16 prps חִכּוֹ ‖ Cp 6, 2 [a] 30MSS לַעֲרוּגַת ‖ [b-b] prps לִרְאוֹת בַּגְּפָנִים ‖ 4 [a] prps dl (?) ‖ [b-b] m cs dl, e v 10 ‖ 5 [a] Var[BM] הָסֵבִּי ‖ 5b—7 ex 4,1b. 2. 3b ‖ 8 [a] prps לִשְׁלֹמֹה ‖ [b-b] m cs dl ‖ 9 [a] m cs ins אַחַת הִיא.

רָאוּהָ בָנוֹת וַיְאַשְּׁרוּהָ מְלָכוֹת וּפִילַגְשִׁים[b] וַיְהַלְלוּהָ׃ ס
10 [a]מִי־זֹאת[a] הַנִּשְׁקָפָה כְּמוֹ־שָׁחַר יָפָה כַלְּבָנָה
בָּרָה כַּחַמָּה אֲיֻמָּה כַּנִּדְגָּלוֹת[b]׃
11 אֶל־גִּנַּת אֱגוֹז יָרַדְתִּי לִרְאוֹת בְּאִבֵּי הַנָּחַל
לִרְאוֹת הֲפָרְחָה הַגֶּפֶן הֵנֵצוּ הָרִמֹּנִים׃
12 לֹא יָדַעְתִּי נַפְשִׁי שָׂמַתְנִי [a]מַרְכְּבוֹת עַמִּי[a] נָדִיב[b]׃
7 [a]שׁוּבִי[a] שׁוּבִי הַשּׁוּלַמִּית שׁוּבִי[a] שׁוּבִי וְנֶחֱזֶה־בָּךְ
מַה־תֶּחֱזוּ בַּשּׁוּלַמִּית כִּמְחֹלַת[b] הַמַּחֲנָיִם[c]׃
2 [a]מַה־יָּפוּ פְעָמַיִךְ בַּנְּעָלִים בַּת־נָדִיב
חַמּוּקֵי יְרֵכַיִךְ כְּמוֹ חֲלָאִים מַעֲשֵׂה[b] יְדֵי אָמָּן[c]׃
3 שָׁרְרֵךְ[a] אַגַּן הַסַּהַר[b] אַל־יֶחְסַר הַמָּזֶג
בִּטְנֵךְ עֲרֵמַת חִטִּים סוּגָה בַּשּׁוֹשַׁנִּים׃
4 [a]שְׁנֵי שָׁדַיִךְ כִּשְׁנֵי עֳפָרִים[b] תָּאֳמֵי צְבִיָּה׃
5 צַוָּארֵךְ כְּמִגְדַּל הַשֵּׁן
עֵינַיִךְ בְּרֵכוֹת בְּחֶשְׁבּוֹן עַל־שַׁעַר בַּת־רַבִּים
אַפֵּךְ כְּמִגְדַּל הַלְּבָנוֹן צוֹפֶה פְּנֵי דַמָּשֶׂק׃
6 [a]רֹאשֵׁךְ עָלַיִךְ כַּכַּרְמֶל[a] וְדַלַּת[b] רֹאשֵׁךְ כָּאַרְגָּמָן מֶלֶךְ אָסוּר בָּרְהָטִים׃
7 מַה־יָּפִית וּמַה־נָּעַמְתְּ אַהֲבָה[a] בַּתַּעֲנוּגִים[b]׃
8 זֹאת קוֹמָתֵךְ דָּמְתָה לְתָמָר וְשָׁדַיִךְ לְאַשְׁכֹּלוֹת׃
9 אָמַרְתִּי אֶעֱלֶה בְתָמָר[a] אֹחֲזָה בְּסַנְסִנָּיו
וְיִהְיוּ־נָא שָׁדַיִךְ כְּאֶשְׁכְּלוֹת[b] הַגֶּפֶן [c]וְרֵיחַ אַפֵּךְ כַּתַּפּוּחִים׃
10 וְחִכֵּךְ כְּיֵין הַטּוֹב [a]הוֹלֵךְ לְדוֹדִי[b] לְמֵישָׁרִים[a] דּוֹבֵב שִׂפְתֵי יְשֵׁנִים׃
11 אֲנִי לְדוֹדִי וְעָלַי תְּשׁוּקָתוֹ׃ ס
12 לְכָה דוֹדִי נֵצֵא הַשָּׂדֶה נָלִינָה בַּכְּפָרִים׃
13 נַשְׁכִּימָה לַכְּרָמִים[a] נִרְאֶה אִם־פָּרְחָה הַגֶּפֶן

9 [b] m cs dl? ‖ 10 [a-a] prps dl ‖ [b] prps כְּנֵרְגַל = plan *Mars* ‖ 12 [a-a] prps מַרְהָב בַּת עַמִּי ‖ [b] dl, ex 7,2 (pl MSS et Hill עַמִּינָדִיב, ca 20MSS 𝔊 (עמינדב ‖ Cp 7, 1 [a] prps שְׁבִי, sed recte שׁוּבִי ‖ [b] l c ca 50MSS כִּמְחוֹלַת ‖ [c] prps c 𝔊 הַמַּחֲנִיב; l ? 𝔐 ‖ 2 [a] m cs dl ‖ [b] sic Occ, Or מַעֲשֵׂי ‖ [c] 𝔊 אמן ‖ 3 [a] prps שִׁרְרֵךְ ו ‖ [b] prps הסחר, cf סֹחֶרֶת Est 1,6 ‖ 4 [a] dl ‖ [b] MS[Hill] עֲפָרִים ‖ 5 [a] ins שָׁרֵךְ ו ‖ [b] prps רֹאשֵׁךְ עָלָיו כַּכַּרְמֶל, cf 6 ‖ 6 [a-a] m cs dl cf 5 ‖ [b] dl וְ ‖ 7 [a] l אֲהֻבָה ‖ [b] l c 𝔖 בַּת תַּעֲנוּגִים ‖ 8 m cs dl ‖ 9 [a] l בַּתָּמָר ‖ [b] Var[M] כְּאַשְׁכְּלוֹת ‖ [c] dl m cs ‖ 10 [a-a] m cs dl ‖ [b] prps לְחִכִּי ‖ 12 prps בַּכְּרָמִים cf 13[a] ‖ 13 [a] prps dl.

פִּתַּח הַסְּמָדַר הֵנֵצוּ הָרִמּוֹנִים
[b]שָׁם אֶתֵּן אֶת־דֹּדַי לָךְ[b]׃
14 הַדּוּדָאִים נָתְנוּ־רֵיחַ וְעַל־פְּתָחֵינוּ כָּל־מְגָדִים
חֲדָשִׁים גַּם־יְשָׁנִים דּוֹדִי צָפַנְתִּי לָךְ׃
8 1 מִי יִתֶּנְךָ כְּאָח לִי יוֹנֵק שְׁדֵי אִמִּי
אֶמְצָאֲךָ בַחוּץ אֶשָּׁקְךָ גַּם לֹא־יָבֻזוּ לִי׃
2 אֶנְהָגְךָ[a] אֲבִיאֲךָ[b] אֶל־בֵּית אִמִּי תְּלַמְּדֵנִי[c]
אַשְׁקְךָ מִיַּיִן הָרֶקַח מֵעֲסִיס רִמֹּנִי[d]׃
3 [a]שְׂמֹאלוֹ תַּחַת רֹאשִׁי[a] וִימִינוֹ תְּחַבְּקֵנִי׃
4 [a]הִשְׁבַּעְתִּי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלָםִ
מַה־תָּעִירוּ ׀ וּמַה־תְּעֹרְרוּ[a] אֶת־הָאַהֲבָה[b] עַד שֶׁתֶּחְפָּץ׃ ס

5 מִי זֹאת עֹלָה מִן־הַמִּדְבָּר מִתְרַפֶּקֶת עַל־דּוֹדָהּ
תַּחַת הַתַּפּוּחַ עוֹרַרְתִּיךָ[a] שָׁמָּה חִבְּלַתְךָ[b] אִמֶּךָ[c] [d]שָׁמָּה חִבְּלָה
6 [a]שִׂימֵנִי כַחוֹתָם עַל־לִבֶּךָ כַּחוֹתָם[a] עַל־זְרוֹעֶךָ [יְלָדַתְךָ[e]][d]׃
כִּי־עַזָּה כַמָּוֶת אַהֲבָה קָשָׁה כִשְׁאוֹל קִנְאָה
רְשָׁפֶיהָ רִשְׁפֵּי[b] אֵשׁ שַׁלְהֶבֶתְיָה[c]׃
7 מַיִם רַבִּים[a] לֹא יוּכְלוּ [b]לְכַבּוֹת אֶת־הָאַהֲבָה[b] וּנְהָרוֹת לֹא יִשְׁטְפוּהָ
אִם־יִתֵּן אִישׁ אֶת־כָּל־הוֹן בֵּיתוֹ בָּאַהֲבָה[c] בּוֹז יָבוּזוּ לוֹ׃ ס
8 אָחוֹת לָנוּ קְטַנָּה וְשָׁדַיִם אֵין לָהּ
מַה־נַּעֲשֶׂה לַאֲחֹתֵנוּ[a] בַּיּוֹם[b] שֶׁיְּדֻבַּר־בָּהּ׃
9 אִם־חוֹמָה הִיא נִבְנֶה עָלֶיהָ [a]טִירַת כָּסֶף[a]
וְאִם־דֶּלֶת הִיא נָצוּר[b] עָלֶיהָ לוּחַ אָרֶז[c]׃
10 אֲנִי חוֹמָה וְשָׁדַי כַּמִּגְדָּלוֹת[a]
אָז הָיִיתִי בְעֵינָיו[b] כְּמוֹצְאֵת[c] שָׁלוֹם׃ ס

13 [b-b] dl m cs ‖ 14 l פְּתָחֵנוּ ‖ Cp 8, 1 כ >𝔊𝔙 ‖ 2 [a] sic B-Asch, B-Napht אנהגך ‖ [b] m cs dl ‖ [c] dl, l c 𝔊𝔖 וְאֶל חֶדֶר הוֹרָתִי cf 3,4 ‖ [d] l c mlt MSS רמונים ‖ 3 [a-a] v 3 add ex 2,6 ‖ [a] mlt MSS לְרֹאשִׁי ‖ 4 [a] v 4 add, cf 2,7 ‖ [a] sic B-Napht, B-Asch תעוררו ‖ [b] prps האהבה ‖ 5 [a] l עוררתיך ‖ [b] Edd nonn c 𝔖 חִבְּלַתְךְ, l חבלתך ‖ [c] l אִמֵּךְ ‖ [d-d] m cs dl ‖ [e] Var[B] c 𝔖 ילדתך, l יְלָדַתֶךְ ‖ 6 [a] prps כְּצָמִיד ‖ [b] Var[M] רִשְׁפֵּי sine Dag ‖ [c] sic B-Asch; l c B-Napht et mlt MSS שַׁלְהֶבֶתְיָה, praem שלהבת יָהּ ‖ 7 [a] m cs dl ‖ [b-b] l לכבותה, dl את האהבה ‖ [c] prps dl m cs ‖ 8 [a] nonn MSS לאחתנו ‖ [b] Var[G] בַּיּוֹם ‖ 9 [a-a] frt m cs dl כסף; l מִירָה ‖ [b] prps l נְצוֹר ‖ [c] frt m cs dl ‖ 10 [a] dl c 𝔊[B]𝔖𝔖 כְּ l c 𝔙 מִגְדָּל ‖ [b] l c 𝔊[B] בעיניהם ‖ [c] prps כְּמוֹצֵאת ut Var[BJ].

11 כֶּרֶם הָיָה לִשְׁלֹמֹה בְּבַעַל הָמוֹן נָתַן אֶת־הַכֶּרֶם לַנֹּטְרִים
אִישׁ יָבִא בְּפִרְיוֹ אֶלֶף כָּסֶף׃ [פִּרְיוֹ׃
12 כַּרְמִי שֶׁלִּי לְפָנָי הָאֶלֶף לְךָ שְׁלֹמֹה וּמָאתַיִם לְנֹטְרִים אֶת־
13 הַיּוֹשֶׁבֶת בַּגַּנִּים חֲבֵרִים מַקְשִׁיבִים לְקוֹלֵךְ הַשְׁמִיעִנִי׃
14 בְּרַח דּוֹדִי וּדְמֵה־לְךָ לִצְבִי
אוֹ לְעֹפֶר הָאַיָּלִים עַל הָרֵי בְשָׂמִים׃

مُلْحَمَةُ الراعى

تحقيق ، وضبط ، وشرح ، وتقديم

للأستاذ أحمد الشايب

تقـــديم

(١)

الأكثرون على أن الراعى هو عُبَيد بن حُصَين (بتصغيرهما) بن معاوية من نُمَير بن عامر بن صعصعة [١] . وزاد البغدادى وابن حزم بعد معاوية : ابن جَنْدل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث ، من نمير [٢] .

والراعى : لقب له لكثرة وصفه الإبل والرعاء في شعره ، وقيل : لقب به لبيت قاله ، وكنيته : أبو جَندل بابن له .

وكان قومه — نمير — ينزلون بلاد اليمامة ، وكان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه ، وولده وأهل بيته فى البادية سادة أشراف ، يقال لأبيه فى الجاهلية : الرئيس .

وكان الراعى ، مع ذلك ، بَذِيًّا هجّاء لعشيرته ، قال له جرير :

وقرضُك فى هوازِن شرُّ قَرضٍ ... تُهَجِّيها وتَمتدِحُ الوِطابا [٣]

وهوازن من قيس عيلان ، الأصل الأكبر للراعى .

---

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٧٣ ط مصر ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٥٦ ط مصر ، ومهذب الأغانى ٤ / ٢٢١

(٢) خزانة الأدب ٢ / ٣٠٧ ط المصورة ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٦٣ ط دار المعارف

(٣) ابن سلام ص ١٧٣

(٢)

والراعى شاعر فحل من شعراء الإسلام ، مقدم ، ذكره ابن سلام فى الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين مع الفرزدق ، وجرير ، والأخطل [١] وقال : كان يقال للراعى فى شعره : كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى أنه لا يحتذى شعر شاعر ولا يعارضه ، وكان فحل مضر حتى ضغمه الليث يعنى جريراً . وكان يقضى للفرزدق على جرير ويفضله حتى هجاه جرير بقصيدته البائية :

أَقِلِّى اللومَ عاذِلَ والعِتــابا وقُولى ، إنْ أصبتُ ، لقد أصابا

ففضحه وأسكته ، وصار الراعى من ذلك الحين مغلباً أخزى نفسه وقومه. وللراعي هجاء موجع فى عدى بن الرقاع العاملى [٢] واعتذار من ترك الزيارة حسن [٣] ، كما أن له معانى سبق إليها فأخذها عنه الطرماح ابن حكيم ، وأخرى مستخسنة [٤] والواقع أن للراعى ، فى شعره ، شخصية واضحة فى روعة الأسلوب وقوته وفى حسن التصرف فى المعانى ، وتطويع العبارات للموضوعات والأفكار الاسلاميــة الجديدة ، وسنجد ذلك كله ظاهراً فى لاميته التى نقدمها بهذه الفصول .

(٣)

عاش الراعى فى عصر بنى أمية بين قومه فى اليمــامة سيداً شريفاً معنياً بشئون بنى نمير ، وبخاصة عند عبد الملك بن مروان إذ كان سفيراً لهم فى بلاطه، وكان نشاط الخوارج قوياً فى أيام هذا الخليفة الكبير ، كما كان عبد الله بن الزبير لا يزال معتصما بمكة يبايع له أهل العراق والحجاز ، ذلك غير نشاط الشيعة وتبرم الموالى ، وقد أبلى عبد الملك فى قمع الخارجين وتثبيت قواعد الدولة أيمــا بلاء .

---

(١) نفس المرجع ص ١١٤ — ١٧٩

(٢) ابن سلام ، ص ١٧٤

(٣) ابن قتيبة ، ص ١٥٦

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ١٥٨

وإذا كنا قد ذكرنا أمر عبد الله بن الزبير الذى دام سلطانه من سنة ٦٤هـ إلى سنة ٧٣ هـ حين قتله الحجاج ، فانا نشير إلى فرقة من الخوارج كان نشاطها فى اليمامة : وقد أشار الراعى إلى زعيمها فى لاميته هذه ، تلك هى النجدية أتباع نجدة بن عامر الحنفى الذى خرج على نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة من الخوارج أيضاً [١] .

ويظهر أن الراعى لم يتكسب بشعره كثيراً ، ولم يفد به على الخلفاء وفود معاصريه من الشعراء ، لسيادته ، كان ، فى قومه ، وربما كان مثريا كذلك ، وإن رُويت عنه قصة تدل على عوزه فى إحدى الليالى[٢] وقد مدح بشر بن مروان ، كما مدح عبد الملك وشفع لقومه أمامه ، وقد كانت قيس عيلان زبيرية الهوى ، وكان عبد الملك ثقيل النفس عليه [٣] فأتاه فمدحه بهذه اللامية فى عام أول فلم يحظ منه بشىء فوفد إليه من قابل فقال فى كلمة أخرى:

أمّا الفقيرُ الذى كانت حَلُوبَتُه وَفْقَ العِيالِ فلم يُترك له سَبَدُ[٤]

واختلّ ذو المال والمثرون قد بقيت على التلاتل من أموالهم عُقَدُ[٥]

فإنْ رَفَعْتَ بهم رأساً نَعَشْتَهمُ وإن لَقُوا مثلَها فى قابلٍ فسدوا[٦]

فقال له عبد الملك : أنت العام أعقل منك عام أول . . . فتريد ماذا ؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم ، قال : هذا كثير . قال أنت أكثر منه . قال : قد فعلت ، فسلنى حاجة تخصك ، قال : قد قضيتَ حاجتى ، قال سل حاجة لنفسك . قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة [٧] .

---

(١) تهذيب الكامل ص ١١٧ ج ١
(٢) ابن سلام ص ١٧٧ — ١٧٩
(٣) نفس المصدر ص ١٧٤
(٤) الحلوبة : الناقة التى تحلب وهى وفق العيال أى لبنها يكفيهم فقط . السبد القليل وماله سبد ولا لبد أى لا قليل ولا كثير .
(٥) التلاتل : الشدائد والاقلاق ، والعقد : الولايات والالتزامات .
(٦) مثلها : مثل الحالة التى هم عليها الآن من ضيق وبؤس .
(٧) راجع مهذاب الأغانى ٤/ ٢٢٢ وابن سلام ١٧٤

(٤)

ولبست لدينا من شعر الراعى إلا أبيات متفرقة فى معاجم اللغة وكتب الشواهد والطبقات ، وإلا هذه اللامية على مافى روايتها من نقص ، وتحريف ، وتصحيف ، تعرض لك أثناء الشرح .

وفى خزانة الأدب للبغدادى [1] عن الراعى أنه كان يقول : من لم يرو لى من أولادى هذه اللامية وقصيدتى التى أولها :

بَانَ الأحبّةُ بالعهد الذى عَهِدوا

وهى فى هذا المعنى أيضا ، أى معنى اللامية ، فقد عقنى .

ومعنى هذا أن هناك قصيدتين قصد بهما الراعى إلى عبد الملك بن مروان فى عامين متواليين سفيراً لقومه وشفيعا لهم عنده من جور السعاة الذين يجمعون مال الصدقات ، وشدة إلحاحهم على بنى نمير فى أخذ مال الزكاة حتى أجهدوهم وتركوا عيالهم جياعا ، ونوقهم مهازيل عجافا . وربما كان لموقف قيس عامة ، وبنى نمير من جوار الخوارج خاصة أثر فى ذلك .

وقد تقدم أن اللامية كانت قصيدة العام الأول فلم تنفع شفاعتها وأن الدالية كانت قصيدة العام التالى فنجحت شفاعتها .

ومع ذلك لم نظفر من هذه الدالية إلا بأبيات قليلة — مر بعضها هنا — تدل على قيمتها الفنية : قوة عارضة ، وروعة أسلوب ، وصدق شعور .

وأما اللامية فهى موضوع درسنا هنا : تحقيقا ، وضبطا ، وشرحا . وذلك ما نتقدم به الآن .

(٥)

رجعنا فى متن هذه القصيدة إلى مصادر ثلاثة :

الأول جمهرة أشعار العرب ، تأليف أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، المطبوعة بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

الثانى ديوان جرير ، الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ هـ

---

(١) ج ٣ ص ٣٠٤

الثالث خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : تأليف عبد القادر البغدادى . طبعة دار العصور ، الجزء الثانى ص ٣٠٤ — ٣٠٥

ويُعد المصدر الأول هو (الأصل) ، وقد اتخذناه كذلك ونسبنا اليه سائر المصادر .

أما ديوان جرير فيظهر أن طابعه نقل عن الجمهرة هذه اللامية لأنها فيه توافق ماورد فى الجمهرة ترتيبا ، وعدداً ، وتسمية ، وقد وردت في جزئه الثانى صفحة ٢٠٢ بهذا العنوان : وهذه ملحمة الراعى .

وأما الخزانة فقد أوردت قطعة من هذه القصيدة بمناسبة الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة .

فاذا طبقنا ماورد فى الخزانة على ما ورد فى الأصل — الجمهرة — كانت أرقام أبيات الخزانة كالآتى :

٤٥ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٨٥ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥

ويلاحظ أننا نسمى (مصدراً) ما يحتوى على مادة الدرس كدواوين الشعراء لدراسة الشعر ، والآثار لدراسة النقوش والكتابات الأثرية ، والطبرى وابن الأثير لدراسة الروايات التاريخية ، ولكننا نسمى (مرجعا) تلك الكتب والمطبوعات التى نستمد منها رأيا ، أو نحقق بها نصا ، أو نكمل نقصاً مثل معاجم اللغة ، وكتب الوفيات ، ومصادر التاريخ فى درسنا هنا . وهذا فى رأينا اصطلاح ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، كما يقولون ، وعلى ذلك سرنا فى تحقيق هذه اللامية ، وضبطها ، وشرحها .

(٦)

ولعل أقدم كتاب وردت فيه هذه اللامية هو جمهرة أشعار العرب لمن يدعى أبا زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى الذى لم تعرف بالضبط هويته ولا تاريخ ميلاده ووفاته تبعاً لذلك ، وقد أوردها بين سبع قصائد جمعها

تحت عنوان (الملحات) من غير أن يضبط هذا العنوان ، مما جعل الناس يسألون ، أهو بفتح الميم الأولى أم بضمها ؟

وهذا أول ما يجب أن نقول فيه قبل كل شيء .

والكلمة التي تسبق إلى ذهن القارئ الحديث هي كلمة ملحمة بفتح الميم إذ استعملت منذ ترجم الأستاذ سليمان البستاني إلياذة هوميروس إلى اللغة العربية سنة ١٩٠٤ م وأطلق عليها وعلى أمثالها كلمة ملاحم بفتح الميم جمع ملحمة ، وإلياذة هوميروس شعر قصصي تناول في بضعة عشر ألف بيت بعض أيام من السنة العاشرة لحرب طروادة [١]. وتجمع هذه القصة المنظومة بين أمرين : الطول غير المعروف في القصيد العربي ، ووصف القتال الذي دار بين اليونانيين والطرواديين قبل الميلاد بنحو ١٢٠٠ سنة ، ومن هنا سمح لنفسه ، فيما يبدو ، أن يسميها ملحمة بفتح الميم إذ الملحمة هي الوقعة العظيمة ، أو القتال في الفتنة ، ونبي الملحمة أي نبي القتال ، وهي مأخوذة من التحام القوم واختلاطهم في الحرب كاشتباك لحمة الثوب بالسدى ، ويقال : لهم ملحمة وملاحم [٢] فسمى القصيدة بموضوعها .

ثم تبعه الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لنشر الشاهنامة إذ أطلق عليها هذا اللفظ [٣] ثم سار المعاصرون على ذلك حتى كاد لفظ (ملحمة) يصبح مصطلحاً لغوياً لهذا النوع من القصيد المطول الذي يتناول المعارك الحربية ، فهل يمكن تطبيق ذلك على تلك القصائد السبع التي أوردها صاحب الجمهرة آخر كتابه ؟

أما الطول فليس هناك مجال للمقارنة بين إحدى هذه القصائد — مهما تكن طويلة في نظرنا — وبين الإلياذة والشاهنامة مثلا ، وعدد أبيات هذه القصائد هو الآتي : الفرزدق ١٠٩ وجرير ٤٩ والأخطل ٤٩ والراعي ٨٥ وذو الرمة ١٢٤ والكميت ٥٥ والطرماح ٤٢ [٤] .

---

(١) مقدمة الإلياذة للبستاني ص ٣٢ — ٣٤

(٢) راجع اللسان ، والمحيط ، وأساس البلاغة .

(٣) الشاهنامة ص ٢١ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ م

(٤) راجع الجمهرة ص ٣٣٦ — ٢٨٨

فأين أطولها أو كلها معا من ١٦٠٠٠ بيت أو أربعين ألف بيت ؟

وأما الموضوع فليس فى قصائد الجمهرة هذه قصيدة واحدة فى وصف قتال أو حماسة حربية . وإنما هى فخر ، وهجاء ، ووصف ، ومدح ، ونسيب ، وحكمة ، من تلك الأغراض العادية الأصيلة والملحقة دون أن نجد فيها مقطوعة واحدة تشبه حتى حماسة المتنبى أيام كان فى ظل الحمدانيين .

وإذا كان الأمر كذلك لم يعد هناك وجه لتسمية قصائد الجمهرة ملحمات على هذا الأساس ، وبفتح الميم ، وليس من حقنا أبداً أن نأخذ هذا المصطلح الحديث لنضعه ، بهذا الضبط ، على رأس قصائد الجمهرة .

ومع ذلك فقد وضع أبو زيد القرشى نفسه هذا العنوان — غير مضبوط بشكل — على هذه القصائد ، وزاد على ذلك فذكره فى تقديم قصائد الجمهرة كلها لقبا لهذه السبع ، وعلينا نحن أن نلتمس لهذا المصطلح ضبطا نراه صحيحا ، ولذلك كان من الواجب أن نعيش مع أبى زيد فى جمهرته قليلا لعلنا نظفر منه بالضبط الصحيح — أو الراجح على الأقل — لهذا العنوان .

١ — جمع أبو زيد القرشى فى جمهرته تسعا وأربعين قصيدة من عيون الشعر العربى ووضع لكل طائفة منها عنوانا تندرج تحته ، هى : المعلقات ، وعددها ثمان . ولعله سبق إلى هذا العنوان ، والمجمهرات ، وعددها ست ، والمنتقيات ، وعددها سبع والمذهبات وعددها سبع ، والمراثى وعددها سبع ، والمشوبات وعددها سبع ، والملحمات وعددها سبع .

٢ — فإذا نظرنا فى هذه العنوانات . لاحظنا أنها ذات معان موضوعية ، أو فنية ، أو زمنية ، فالمراثى موضوعها الرثاء ، والمشوبات هى — على تعبير أبى زيد — اللائى شابهن الكفر والاسلام . والمعلقات هى التى علقت على أستار الكعبة أو علقت فى الصدور ، وتسميها العرب السموط فيما يقول المفضل الضبى ، والمنتقيات معناها المختارات وهذا اسم فنى ، وكذلك المذهبات والمجمهرات أى المحكمة النسج والصياغة من قولهم : ناقة مجمهرة أى مداخلة الخلق كأنها جمهور الرمل . فكان من الواجب طردا لهذا السياق فى التسمية أن يطلق على السبع القصائد الأخيرة اسما من هذا الطراز فكان هو (الملحمات) بضم الميم واحدتها ملحمة بضمها أيضا ، ومعناها التامة الحسنة من ألحمَ

الناسج الثوب ، وفى المثل ألحم ما أسديت أى تم ما أبدته من الاحسان [1] والملحم جنس من الثياب ، فكأن أبا زيد شبه هذه القصائد فى إحكام صنعتها بهذا الجنس من الثياب ، أو لاحظ ما فيها من تجويد الصنعة وحسن السبك .

٣ — وإذا رجعنا إلى مقدمة الجمهرة رأينا أبا زيد القرشى ، بعد إيراد أصحاب قصائده كلها ، يقول : فهذه التسعة والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام وأنفس شعر كل رجل منهم ، مما يدل على أن الغالب على مقياسه في الاختيار هو الجانب الفني القائم على جودة مختاراته ثم ينقل عن المفضل الضبي تسمية العرب المعلقات بالسموط [2] ويعلل اسم المشوبات بأنهن اللائى شابهن الكفر والاسلام إذ كان أصحابها أو جلهم من المخضرمين . وهكذا سار فى منهج اختياره وتسميته ، مما يجعلنا نطمئن تماما إلى أن قصيدة الراعى التى أمامنا الآن تدعى عند صاحب الجمهرة (ملحمة) بضم الميم الأولى ، إحدى الملحمات بضمها أيضا . وهى تلك القصائد السبع التى أوردها آخر الجمهرة .

(٧)

وفى خزانة الأدب للبغدادى [3] أن هذه القصيدة عدتها تسعة وثمانون بيتا . ومع ذلك ، لم يورد منها صاحب الجمهرة إلا خمسة وثمانين بيتا . ولقد حاولت العثور على الأربعة الأبيات الباقية فلم أجدها فيما بين يدى من كتب الادب ، والشواهد ، والتراجم ، والمعاجم اللغوية . ومن الواضح أن هناك نقصا آخر القصيدة نبهت عليه فى الشرح عند الابيات ٨٣ — ٨٥ وقد ورد فى لسان العرب [4] بيت من بحر هذه اللامية وقافيتها هو :

وكأنّما انبطَحَتْ على أثباجها فدُرٌ تَشابَهُ ، قَدْ يَمَنَّ ، وعُولا

فلو صح أنه منها كان من أبيات النوق المفقودة . والفادر من الوعول الذى قد أسن بمنزلة القارح من الخيل والبازل من الابل .

---

(١) لسان العرب والمحيط وأساس البلاغة مادة لحم .

(٢) راجع مقدمة الجمهرة ص ٤٥

(٣) ج ٢ ص ٣٠٣

(٤) مادة فدر .

وعلى الرغم من فقد هذه الأبيات الأربعة ، عمدت إلى نشر هذه اللامية وتيسير دراستها حتى لانبقى حبيسة فى المصادر القديمة يتحامل عليها الخطأ فى الكلمات ، وضبطها ، مع تحريف كثير ، وحاجة إلى التفسير ، ونبوعن الدخول فى قاعات الدرس لذلك .

ولعل البحث يسعفنا أو يسعف غيرنا بهذه الأبيات الساقطة من المصادر والمراجع التى لجأنا إليها ، وحينئذ نكون قد ظفرنا بهذه الملحمة تامة نعتزى بها حتى نظفر بشعر الراعي فى ديوان نرقبه لنسد به فراغا فى شعر الفحول من عصر الأمويين .

(٨)

أما موضوع القصيدة فالمقول إنها في مدح عبد الملك بن مروان ، والشكاية من السعاة الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وقد قدمنا هنا أنها كانت قصيدة العام الاول لسفارة الشاعر لدى الخليفة ، ولكنها كانت سفارة فاشلة أعقبتها سفارة بالدالية ناجحة .

ومع أن غرض القصيدة الأول هو هذه الشكاية فان هدفها كان رفع الصدقات أو تخفيفها عن بنى نمير ، وكان المدح من وسائل ذلك وكان الوصف وما إليه من مقوماته الفنية .

فهناك خمسة أبيات فى مستهل القصيدة يبث فيها همومه فى حوار بينه وبين ابنته خليدة ينتهى باعتزامه السفر لتفريج ما أصابه من هموم .

ويلى ذلك أربعة وعشرون بيتا فى وصف النوق : خلقها ، وسيرها ، وحاديها ، وطرقها ، وخمسها ، وقوتها .

ثم يدخل إلى الموضوع فيوثق بيعته ، ويشكو إلى الخليفة السعاة وما نكلوا بالعريف الذى انقطعت به السبيل .

ويذكر بعد ذلك قومه وطاعتهم ، وثقل الصدقات عليهم حتى ساءت حالهم وهزلت إبلهم ، وهموا أن يفدوا على الخليفة فزعين من جور السعاة .

حتى إذا قارب النهاية مدح الخليفة وأباه مروان بن الحكم ، وما أبلى حتى ظفر بالخلافة ثم أسلمها إلى عبد الملك .

(٩)

ومع بعض الاضطراب الذى يبدو فى تكوين هذه القصيدة وتأليف عناصرها الموضوعية والمعنوية فانها من غير شك قصيدة جديدة جيدة .

١ — هى جديدة فى موضوعها ومعانيها الاسلامية المتصلة بنظام الزكاة ، وجبايتها ، وتصرف السعاة ، وقسوتهم على الرعية ، واحتيالهم للغش ، وعدوانهم على العريف ، وفى دلالتها على النظام الحكومى الاسلامى القائم ، والأحزاب السياسية المعارضة ، وتردد المنافقين بين الزعماء ، وفى الاشارة إلى هذه الفتنة التى أعقبت تنازل معاوية الثانى عن الخلافة ، وما كان من اضطراب أمر الحكومة الاسلامية ، واحتيال مروان بن الحكم وحزمه حتى خلصت له الخلافة بعد مؤتمر الجابية ، ووقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ ، فهى قصيدة إسلامية خالصة فى أغراضها ، ومعانيها ، وروحها ، وكثير من عباراتها القرآنية والدينية ، حتى لا تجد لها نظيرا فى هذا الباب .

٢ — وهى جيدة ، تدل على قوة العارضة ، وصدق الشعور ، ودقة الخيال ، والحرية فى الأداء اللغوى ، وحسن التصرف فى التعبير ، وتطويع صاحبها هذه العربية المحافظة لمعان اقتصادية ، واجتماعية ، وخلقية ، فدل بذلك على أنه يملك ناصية الأسلوب ، ويذلله لأغراضه ، حتى بدت فيها شخصيته الجريئة الزعيمة البارعة ، ذلك إلى حسن تقسيم ، وحركة ، وجزالة ، وحسن اختيار البحر والقافية مع طول استوعب كل ما أراد ناظمها ، لذلك كان يعتز الراعى بها ، ويعدها ، مع الدالية ، خير تراث يتركه لبنيه من بعده . وهى ، عندنا ، تدل على منهج صاحبها فى النظم واقتداره على الأداء ، وتبيح له — بناء على أنها مثل لديوانه — أن يعد مع رجال الطبقة الأولى الاسلامية .

(١٠)

أما طريقة نشر هذا المتن ، وعرضه ، فقد كانت كما يلى :

١ — اعتمدت ترتيب الجمهرة ، واعتبرته أصلا ، ونسبت إليه ماعداه من المصادر .

٢ — أبقيت النص كما أورده متى كان صحيحا ، وأوردت بعده ماورد خلافه فى غيره من المصادر أو المراجع .

٣ — أما إذا كان الأصل خطأ ، فانى أعدل عنه إلى الصواب وأثبته بدله ثم أنبه على ما فى الأصل أيضا .

٤ — اعتمدت فى الشرح على فهمى الخاص ، وأوردت ما قد وجدته من إيضاحات فى مثل اللسان ، والكامل ، وسمط اللآلى ، وخزانة الأدب ، ونبهت على كل فى موضعه .

٥ — وكذلك الأمر فى ضبط الكلمات ، فقد اخترت الاصح ، ونبهت على غيره إذا لزم الأمر .

وأعتقد أن ما عملته لا يعدو أن يكون محاولة أولية فى سبيل نشر هذه اللامية نشراً صحيحا كاملا .

قال الراعي :

١ — مَا بالُ دَفِّكَ بِالفِراشِ مَذِيلا
أَقَذًى بِعَينِكَ أم أردتَ رَحيلا

الدف بالفتح الجنب . ومذل على فراشه فهو مذيل لم يستقر عليه من ضعف وغرض . وفى لسان العرب : المذيل المريض الذى لا يتقار وهو ضعيف . واستشهد بهذا البيت . والقذى مايكون فى العين من تبنة ونحوها .

٢ — لَمَّا رَأتْ أرَقِى ، وطُولَ تَلَدُّدِى
ذاتَ العِشاءِ ، ولَيلِىَ المَوصُولا

التلدد : التحير ، والتلفت يمينا وشمالا . الموصول — هنا — الليل الطويل كأنه زيد فيه فوصل بمثله .

وفى سمط اللالى [١] : (تقلبى) بدل (تلددى) .

٣ — قَالَت خُلَيدَةُ : ماعَرَاكَ ؟ ولَم تكُنْ
أبداً إذا عرَتِ الشُّئونُ سَئُولا

ماعراك : ما أصابك واعتراك . الشئون : الخطوب والأمور . وضبط خليدة بالتصغير عن اللسان ، وهى ابنة الشاعر ، وفيه رواية الشطر الثانى هكذا (بعد الرقاد عن الشئون سئولا) [٢] .

٤ — أخُلَيدُ ، إنَّ أباكِ ضافَ وِسادَهُ
هَمَّانِ باتا : جَنْبَةً ودَخيلا

---

(١) ص ٨٩٧

(٢) راجع اللسان مادة عرا وسمط اللآلى ص٨٩٧

ضافه الهم : نزل به والكلام هنا على المجاز فى إسناد الضيافة إلى الوساد . أى بات أحد الهمين جنبه ، وبات الآخر داخل جوفه .

وفى اللسان : باتا جَنْبَةَ وهى الناحية [1] .

٥ — طَرَقَا ، فَتِلكَ هَمَاهِمِى ، أَقْرِيهِما
قُلُصاً لَوَاقِحَ كالقِسِىِّ وَحُولا

الهماهم الهموم . والقلص جمع قلوص وهى من الابل الطويلة القوائم أو التى أول ما يركب من إناثها . والحول جمع حائل وهى الأنثى لاتحمل وضدها اللاقح . وتشبه الناقة بالقوس ، فى تقوس أعلاها عامة ، يعنى أنه يضيف همه — يفرجهما — بهذه النوق يركبها لتحقيق آماله ونفى آلامه ، وذلك من قول طرفة بن العبد : وإنى لأمضى الهم عند احتضاره . . . البيت .

وفى الأصل : فتلك هماهم . وما هنا عن اللسان [2] .

٦ — شُمَّ الحَوارِكِ ، جُنَّحاً أَعْضادها
صُهْباً تُناسِبُ شَدْقَماً وجَدِيلا

شم : مرتفعة ، الحوارك جمع حارك — الكاهل — مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . جنح : مائلات. الأعضاد جمع عضد ، من المرفق إلى الكتف . صهب جمع صهباء مؤنث أصهب : الشعر فيه حمرة أو شقرة . تناسب : تشارك فى النسب أو تشاكل وتشابه . وشدقم — ومثله جديل — فحل للنعمان ابن المنذر تنسب إليه النوق الكريمة. ومن ذلك الشدقميات والجدليات . يصف الابل بالطول ، وانفراج المرافق ليكون أسرع لها ، وبالصهبة من خير ألوان الابل ، وبكرم السلالة .

---

(١) وراجع السمط ص ٨٩٧ واللسان مادة ضيف .

(٢) مادة هم .

٧ — جَوَّابَةً ، طُوِيَتْ على زَفَرَاتِها
طَيَّ القَناطِرِ ، قَدْ بَزَلْنَ بُزُولا

جوابة : معتادة على الأسفار . طويت : بنيت وضمت . وزفرة : كل شيء وسطه والجمع زفرات يريد أن أجزاء جسمها متلاحمة كبناء القناطر وذلك من قول طرفة : كقنطرة الرومى — البيت . وفى اللسان : الزوافر أضلاع الجنبين ، وبعير مزفور شديد تلاحم المفاصل ، بزل البعير انشق نابه وطلع فهو وهى بازل ، وصف النوق بمتانة الخلق ، وكمال النمو ، والقوة على السير .

وفى اللسان [1] روى هذا البيت كالآتى :

حُوزِيَّة طُوِيت على زَفَراتها طَيَّ القناطر قد نَزَلْنَ نُزُولا

والحوزية المنقطعة النظير أو التي عندها سير مذخور من سيرها مصون لا يدرك .

٨ — بُنِيَتْ مَرَافِقُهُنَّ فَوقَ مَزَلَّةٍ
لا يَستطيعُ بِها القُرادُ مَقِيلا

المرافق جمع مرفق : موصل الذراع في العضد ، المزلة موضع الزلل ، ويكون أملس متينا يشبه به كواهل الابل امتلاء واملاسا . والقراد دويبة تتعلق بالابل كقمل الانسان . المقيل المقام . يريد أن النوق ليست هزيلة حتى يجد القراد فى غضون جسمها مستقراً له [2] .

٩ — كانت هِجانُ مُنذِرٍ ومُحَرِّقٍ
أُمَّاتِهِنَّ ، وطَرْقُهُنَّ فَحِيلا [3]

الهجائن جمع هجان ، وهى من الابل البيض الكريمة . ومن كل شيء خياره وخالصه ، ومنذر ومحرق من ألقاب أمراء الحيرة قبل الاسلام . أمات جمع أم لما لا يعقل .

(١) راجع مادة زفر .
(٢) راجع الحيوان للجاحظ ٥ / ٤٣٧
(٣) ورد هذا البيت فى اللسان : ١٢ / ٨٦ و ١٤ / ٣٠ و ١٧ / ٣٦٤

والطرق — هنا — الفحل الطارق — أى ذو الطرق — والفحيل المنجب . وصف النوق بالنجابة من ناحيتى الأم والأب ، وقد ورد فى عدة مواضع من لسان العرب كلمة (نجائب) بدل (هجائن) :

١٠ — فكأنَّ رَيِّضَها إذا باشَرْتَها
كانَتْ مُعاوَدَةَ الرَّحيلِ ذَلُولا

الريض — هنا — ضد الذلول ، والناقة أول ماريضت وهى صعبة بعد . باشرتها : اتخذتها للرحيل . معاودة الرحيل : كان لها عادة . يصف النوق بأصالة استعدادها للأسفار وإن لم يتم تذليلها ومرانتها . وقد ورد فى اللسان : (استقبلتها) بدل (باشرتها) [١] .

١١ — قُذُفَ الغُدُوِّ إذا غَدَوتَ لحاجة
دُلُفَ الرَّواحِ إذا أَرَدتَ قُفُولا

قذف ودلف من صفات الابل ، الأولى للناقة تتقدم من سرعتها وترمى بنفسها أمام الابل ، والثانية الناقة تدالف بحملها أى تنهض به . الغدو السير غدوة . والرواح السير عشية ، والقفول الرجوع . يصف الابل بالقوة على السير بكرة والنهوض بما تحمل عشية . وهى عائدة من رحلتها فى نفس اليوم .

١٢ — قُوداً تُذارِعُ غَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ
ذَرْعَ المُوَشِّحِ مُبْرَماً وسَحِيلا

قود : جمع أقود مذكر قوداء ، الناقة الذلول المنقادة ، الغول بعد المفازة والمشقة . تذارع الفلاة وتذرعها إذا أسرعت فيها كأنها تقيسها . والتنوفة البرية لا ماء فيها ولا أنيس والجمع تنائف . الموشح الذى يجمع بين خيوط الثوب وهو ينسجه فهو يحرك يديه بسرعة حركة مداولة بينهما يمنة ويسرة ،

---

(١) ج ٩ ص ٢٥

المبرم الثوب المفتول الغزل طاقين : والسحيل ثوب لا يبرم غزله : يشبه حركة باعى الناقة وذراعيها وهى تقطع المفازة بحركة يدى النساج فى الشكل والسرعة .

١٣ — فى مَهْمَهٍ قَلِقَتْ به هَاماتُها
قَلَقَ الفُئوسِ إذا أَرَدْنَ نُضُولا

المهمه المفازة البعيدة . الهامات الرءوس . وقلقها اضطرابها وتحركها . والنضول رواية اللسان [١] فاذا صحت هذه الرواية أولا وكان مصدر ناضل كان المعنى قائماً على تشبيه حركة رءوس الابل إلى أعلى وأسفل وهى مسرعة فى السير بحركة رءوس الفئوس حين يتناضل بها حاملوها .

وفى الأصل (فصولا) بالصاد ومعناه الانفصال والخروج ووشك خروج حديدة الفأس من نصابها فهى تقلق حين تحرك . ولعل الرواية الأولى هى الأولى . ومن الجائز — على رواية اللسان — أن يكون النضول راجعاً إلى الابل المتبارية فى السير . وعلى كل فالتعبير بالفعل (أراد) مسنداً إلى الفئوس وارد على نحو قوله تعالى :

(فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) .

١٤ — وإذا تَرَقَّصَتِ المَفَازَةُ غادَرَتْ
رَبِذاً يُبَغِّلُ خَلْفَهَـــا تَبْغِيلا

معنى ترقصت ارتفعت ، وانخفضت وإنما يرفعها ويخفضها السراب . والربذ السريع الخفيف يريد به الحادى . والتبغيل سير البغل وهو شديد ، وهو من مشى الابل ، مشى فيه سعة [٢] يعنى إذا بدا السراب فى المفازة نشطت الابل فى السير وتركت حاديها خلفها يجد ليلحق بها . ولعل نشاط الابل راجع إلى ظنها السراب ماء فهى تسرع لترده .

وفي الأصل :

وإذا تعارضت المفاوز عارضت ربذا تبغـــل خلفها تبغيــلا

(١) فى مادة : رود

(٢) راجع اللسان فى مادتى : رقص وبغل ورغبة الآمل للمرصفى ٢٤/٧

١٥ — زَجِلَ الحُداء كأنَّ فى حَيْزومِهِ
قَصَباً ومُقْنِعةَ الحَنِينَ عَجُولا

الحداء : سوق الابل ؛ وزجرها من خلفها ؛ والغناء لها . وزجل مرتفع الصوت مجلب والحيزوم الصدر، والقصب ما يزمر به ، والمقنع الرافع رأسه ، والعجول الناقدة ولدها ، يصف الحادى بارتفاع صوته ، وقوة شجوه [1] .

١٦ — وإذا تَرَحَّلَت الضُحى قَذَفَتْ به
فَشأَوْنَ غايتَه ، فظَلَّ ذَمِيلا

ترحلت الضحى : حملت فيه على الرحيل . قذفت به سبقت الابل سرعة، شأون غايته : تجاوزت الابل الحد المألوف من السرعة . الذميل السير اللين السريع . يعنى أن هذه الابل إذا حملت على الرحيل ضحوة النهار أسرعت فيها ؛ وبلغت فى سرعتها غاية المألوف عند غيرها ، ولكن هذه الغاية بالنسبة لها تعد سيراً لينا سهلا .

١٧ — يَتْبَعنَ مائرةَ اليَدَينِ شِمِلَّةً
ألقَتْ بِمُنْخَرقِ الرياحِ سَلِيلا

السليل ولد الناقة حين يولد ، ومنخرق الرياح مهبها . مائرة اليدين : سريعة السير ، شملة : خفيفة ، سريعة ، مشمرة ؛ فالابل تتبع فى سيرها ناقة نشيطة سريعة ألقت بجنينها فى عرض المفازة بسبب دأبها فى السير واندفاعها فيه .

١٨ — جاءتْ بِذى رَمَقٍ لِستَّةِ أشْهُرٍ
قَدْ ماتَ أو حَبَّ الحياةَ قَلِيلا

الرمق بقية الحياة ، وذو الرمق — هنا — السقط ، حب بمعنى أحب والثانى أكثر استعمالا .

---

(١) راجع اللسان مادة حدا ورغبة الآمل ٧ / ٢٤

يعني أن هـذا السقط كان ابن ستة أشهر ، وربمـا عاش قليلا عقب سقوطه ثم مات .

١٩ — لا يَتَّخِذْنَ إذَا عَلَوْنَ مَفازَةً
إلاَّ بَيَاضَ الفَرْقَدَيْنِ دَلِيلا

الفرقدان ، كما فى اللسان ، نجمان فى السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب ، وقيل هما كوكبان فى بنات نعش الصغرى ، فالابل تهتدى بهذين النجمين فى السرى لاعتيادها ذلك .

٢٠ — حتَّى وَرَدْنَ لِتِمِّ خِمْسٍ بائصٍ
جُدًّا تَعَاوَرَه الرِّياحُ وَبِيلا

الخمس من أظماء الابل ، ترعى ثلاثا ، وترد المـاء فى اليوم الرابع ، وتصدر عنه الخامس ، وتمه تمـامه ، واللام فيه تسمى لام التاريخ أى بعد تمـام [1] بائص بعيد شاق صفة للخمس : الجد البئر ، تعاوره الرياح : اختلفت عليه وتداولته فمرة تهب جنوبا ، ومرة تهب شمالا ، ومرة قبولا ومرة دبورا . وبيل : وخيم ، اضطرت إليه فى هذه المفازة القاحلة .

وفى الأصل (تفارضه السقاة) مكان (تعاوره الرياح) .

وقد اعتمدنا رواية اللسان التي أوردها فى غير موضع [2] .

٢١ — سُدُماً إذا التَمَسَ الدِلاءُ نِطَافَهُ
صَادَفْنَ مُشْرِفَةَ المِتَانِ زَحُولا

سدم : مندفن أى البئر . النطاف جمع نطافة ، المـاء القليل . مشرفة المتان : عالية الظهر : زحول بعيدة : يقول : إذا التمست الدلاء — جمع دلو — ماء هذا الجد ، صادفت عقبة بعيدة عالية الظهر ، يزيد بناء البئر .

---

(١) راجع اللسان مادة لوم .

(٢) مادة : لوم وبيس وتمم . والسمط ص ٧٥٨

٢٢ — جَمَعُوا قُوًى مِمَّا تَضُمُّ رِحالُهُمْ
شَتَّى النِّجارِ تَرَى بِهِنَّ وُصُولا

القوى جمع قوة وهى — هنا — الطاقة من طاقات الحبل . شتى النجار مختلفة الأصول كالصوف ، والجلد ، والليف . وعبارة السمط [١] . جمعوا قطع حبال مما فى رحالهم مختلفة الألوان موصولات ، فيها عقال ، وعصام قربة ، وبطان رحل لبعد الماء .

والمراد أن السفر لما رأوا أن البئر بعيدة الغور جمعوا هذه القوى ووصلوا بينها ، وعلقوا بها الدلو لتدرك قاع البئر ونطافه .

٢٣ — فَسَقَوْا صَوادِيَ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً
لِلْماءِ فى أَجْوافِهِنَّ صَلِيلا

الصوادى — هنا — الإبل العطاش . وعبارة القالى [٢] : أى تصلُّ أجوافها من العطش ، كما يصل الخزف إذا أصابه الماء .

٢٤ — حَتَّى إذا بَرَدَ السِّجالُ لُهَابَها
وجَعَلْنَ خَلْفَ غُرُوضِهِنَّ ثَمِيلا

برد بمعنى أبرد ، والسجال جمع سجل ، الدلو المملوءة ، والثميلة البقية من الماء تبقى فى جوف البعير . والغروض جمع غرض وهو حزام الرحل . وفى اللسان [٣] لهاثها بدل (لهابها) يقال به لهاث شديد وهو شدة العطش وفي غيره : اللهاث العطش . والثميل بقية العلف فى بطن البهائم .

٢٥ — وَأَفَضْنَ ، بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ
مِن ذِى الأَبارِقِ إذْ رَعَيْنَ حَقِيلا

---

(١) ص ٧٥٨

(٢) الأمالى ج ٢ ص ١٣٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر وارجع إلى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٤١٧ — ٤١٨ ط الحلبى .

(٣) مادة لهث .

كظم البعير جرته ازدردها وكف عن الاجترار. وأفضن بعد كظومهن بجرة، أي دفعت الإبل بجرتها بعد كظومها؛ والجرة ما تخرجه من كروشها فتجتر. ذو الأبارق موضع، وحقيل جزء أو جبل منه، فهما في حيز واحد كما تقول خرج من بغداد فتزود من الخرم؛ والخرم من بغداد كأنه يقول: من ذي الأبارق إذ رعينه [1].

وفي اللسان — مادة حقل — (بحرة) بالحاء المفتوحة بدل (بجرة) بالجيم المكسورة.

وفي معجم البلدان لياقوت — مادة جقل — يرى ثعلب أن حقيلا وذا الأبارق موضع واحد. وفي مادة — أبرق — أبارق حقيل:

ألم تربع على الطلل المحيل ... بذى الأبارق من جقيل

وفيه: حقيل واد في ديار بني عكل.

٢٦ — جَلَسُوا عَلَى أَكْوارِها فَتَرادَفَتْ

صَخِبَ الصَّدَى جَرِعَ الرِّعانِ رَجِيلا

جلسوا: جواب إذا في البيت ٢٤، والأكوار، جمع كور. ترادفت الإبل: تتابعت. صخب الصدى، وصف الطريق بأنه شديد الصوت، وهو—هنا— رجع صوت السفر. جرع الرعان: وعر الجبال، فالرعان جمع رعن، الجبل الطويل أو أنف يتقدم الجبل، والجرع الحزن الصعب. رجيل: وصف للطريق بأنه غليظ وعر في الجبل. فالإبل تتابعت على هذا الطريق. وفي لسان العرب.

قعدوا على أكوارها فتردفت ... صخب الصدى جذع الرعان رجيلا [2]

وفي الأصل رحيلا بالحاء المهملة.

٢٧ — مَلِسَ الحصَى باتت تَوَجَّسُ فَوْقَهُ

لَغَطَ القَطا بالجَلْهتينِ نُزُولا

---

(١) راجع اللسان مواد: فيض، حقل، كظم.

(٢) مادة رجل.

توجس : تتسمع الصوت الخفى ، وتوجست الشيء والصوت إذا سمعته وأنت خائف . واللغط الصوت المبهم أو الجلبة ، والقطا طائر من نوع الحمام كدرى وجونى . الجلهتان من الوادى جانباه ، ومكان يحمى ضربة . بانت الابل فى هذا الطريق الأملس الحصى تتسمع صوت القطا حذرا .

٢٨ — حُدْبَ السَّراةِ ، وأُلْحِقَتْ أعجازُها

رَوَحٌ ، يكونُ وُقوعُها تَحْليلا

يصف الابل بتقوس الأعالى فالأحدب المقوس ، والسراة من كل شيء أعلاه . والروح ما بين الفخذين ، والروحاء الواسعة الخطو لذلك . وقوع الابل أى بروكها أو وقع مناسمها على الأرض قليل هين يسير ، وذلك هو التحليل من قول كعب بن زهير : وقعهن الأرض تحليل ، يصف الابل باحديداب الظهور ، والسرعة والخفة والقوة .

٢٩ — وجَرَى على حُدْبِ الصُّوَى فَطرَدْنَه

طَرْدَ الوَسِيقَةِ بالسَّماوَةِ طُولا

الصوى جمع صوة . حجر يكون علامة فى الطريق ، وفاعل جرى السير وربما كان الأصل جرت أى الابل ، على طريق أحدب المعالم ، فطردنه أى قطعته مسرعة كما يطرد القطيع من الابل ، يطرده الشلال (الوسيقة) . والسماوة موضع بالبادية جهة العواصم .

٣٠ — أَبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رِسالَةً

تَشْكو إليكَ مَضَلَّةً وعَوِيلا

أمير المؤمنين — هنا — عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية . مضلة : يقال فتنة مضلة بالفتح تضل الناس ولعل هذا هو المراد . وأرض مضلة بفتح الضاد وكسرها يضل فيها ولا يهتدى فيها للطريق . والعويل الصياح والبكاء العالى . ويظهر أن الشاعر يريد ضلال السعاة وجورهم وعويل المظلومين والعريف كما يرد فى الأبيات الآتية . وفى اليك التفات .

٣١ ــ طَالَ التقلُّبُ والزَّمانُ ورَابهُ
كَسَلٌ ، وَيكرهُ أن يكونَ كَسُولا

يصف الشاعر نفسه بتغير أحواله ، وكبر سنه ، وما أدهشه من كسل شعر به ، والكسول وصف للجارية المترفة التى لاتكاد تبرح مجلسها فهو يكره لنفسه ذلك .

٣٢ ــ ضافَ الهُمومُ وِسادَهُ وتجنَّبتْ
رَيَّانَ يُصبِحُ فِى المنامِ ثَقِيلا

الريان : المترف المنعم ، يشكو نزول الأحزان به دون المترفين الذين لاتفزعهم الأحداث ، ولا تنزعهم من مهاد النوم .

٣٣ ــ فطَوى البِلادَ على قَضاءِ صَرِيمَةٍ
بِالجِدِّ ، واتَّخذَ الزَّماعَ خَلِيلا

طوى البلاد : اجتازها ، الصريمة العزيمة وإحكام الأمر و إبرامه . الزماع الجد فى الأمر ، قطع البلاد بعزيمة صادقة ، وجد دائب ليبلغ رسالته .

٣٤ ــ وعلاَ المشيبُ لِداتِه ، وخلَتْ لَهُ
حِقَبٌ نَقَضْنَ مَرِيرَهُ المَفْتُولا

لداته : أترابه الذين ولدوا معه ، المفرد لدة ، خلت مضت . الحقب جمع حقبة ، مدة من الزمان قد تكون أربعين أو ثمانين سنة . المرير العزم والشدة ونقض الحبل فكه . كناية عن إضعاف السنين قواه .

٣٥ ــ فكأنَّ أعظُمَهُ مَحَاجِنُ نَبْعَةٍ
عُوجٌ ، قَدُمْنَ ، فَقَدْ أرَدْنَ نُحُولا

المحاجن جمع محجن : العصا المعوجة ، النبعة شجرة تتخذ منها السهام والقسى .

عوج : معوجة . النحول الرقة والذهاب من مرض أو سفر . يصف عظامه بالتقوس والهزال . واستعمال الفعل (أراد) جار على نحو ما سبق فى البيت ١٣

٣٦ — كَحديدَةِ الهِنْدِىِّ أَمْسَى جَفْنُهُ
خَلَقاً ، ولَمْ يَكُ فِى العِظامِ نكُولا

حديدة السيف نصله ، والهندى السيف إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله . وجفنه غمده . نكول : ضعيف غير صارم . يذكر ما أصابه الآن من ضعف بعد ما كان ماضى العزيمة فى شبابه .

٣٧ — تَعْلُو حَدِيدَتَهُ ، وتُنكِرُ لَوْنَهُ
عَينٌ رأَتْهُ فِى الشَّبابِ صَقِيلا

تعلو حديدته تنبو عنها ، والأصل ، كما فى اللسان ، تعلو عن حديدته ، وهذا يلائم الجملة الثانية الدالة على أن العين التى رأته شابا تنكره الآن هرما . وهذا البيت استمرار لسابقه فى التصوير . ولعل فى صدر البيت تحريفا .

٣٨ — إنِّى حَلَفْتُ عَلَى يمِينٍ بَرَّةٍ
لا أَكْذِبُ اليَومَ الخَلِيفَةَ قِيلا

يمين برة : صادقة لا حنث فيها . القيل القول مصدر قال أيضاً . وهنا بدأ الشاعر غرضه الأصيل .

٣٩ — مَا إنْ أَتَيتُ أَبا خُبَيْبٍ وَافِداً
يَوْماً أُرِيدُ لِبَيْعَتِى تَبْدِيلا

أبو خبيب عبد الله بن الزبير كنى بابنه خبيب ، وقد خرج على الأمويين بعد معاوية واعتصم بمكة وبايع لنفسه ، وتم له الأمر بالحجاز والعراق نحو تسع سنين (٦٤ — ٧٣هـ) وقد قتل أيام عبد الملك . والشاعر يقسم أنه لم ينقض بيعة عبد الملك ، أو يستبدل بها بيعته لابن الزبير .

وفى الأصل : ما زرت آل أبى خبيب طائعاً . وقد اعتمدنا رواية اللسان [1] .

٤٠ — وَلَمَّا أتيتُ نُجَيْدَةَ بنَ عُوَيْمِرٍ
أَبْغِي الهُدَى فَيَزِيدُني تَضْلِيلا

هذا نجدة بن عامر الحنفى زعيم فرقة النجدية من الخوارج ، خرج باليمامة موطن الشاعر وقومه بنى نمير . وقد قتل سنة ٧٢ هـ . فالشاعر يتبرأ من قصده خشية أن يضله .

٤١ — مِنْ نِعْمَةِ الرَّحمَن ، لا مِنْ حِيلَتِي
أَنِّي أُعَدُّ لَهُ عَلَيَّ فُضُولا

هنا يتحرج الشاعر فلا يدعى لنفسه قدرة على جلب الخير لنفسه ، وإنما يرد ما به من نعم إلى كرم الله وتفضله عليه . وكأنه يسند بذلك موقفه من الخليفة ، وبغضه الذين يخرجون عليه .

٤٢ — وَشَنِئْتُ كُلَّ مُنافِقٍ مُتَقَلِّبٍ
تَرَكَ الزَّلازِلُ قَلْبَهُ مَدْخُولا

شنئت : أبغضت . الزلازل : البلايا . مدخول : فاسد غير صافى الود والعقيدة ، وكان اضطراب الأحوال ، وتعدد الخارجين، مفسدة لقلوب بعض الناس فى ذلك العهد .

٤٣ — وَاهِي الأمانَةِ لا تَزالُ قَلُوصُهُ
بَيْنَ الخوارِجِ نُهْزَةً وذَمِيلا

وهى الأمانة : ضعيفها . والقلوص الناقة الطويلة القوائم . الخوارج حزب سياسى معروف اشتد نشاطه فى وجه الأمويين . ويمكن أن يراد بهذا اللفظ كل ثائر على الدولة . النهزة اسم لما هو معرض لك كالغنيمة . ويقال فلان

(١) مادة خبب .

نهزة المختلس أى هو صيد لكل أحد . والذميل السير اللين . وهذا تصوير لذلك المنافق الذى يتردد بين الخوارج ويقع فى يدى كل فريق منهم .

٤٤ — مِنْ كُلِّهِمْ أَمْسَى بِهِمْ بِبَيْعَةٍ
مَسْحَ الأَكُفِّ تُعَاوِدُ المِنْدِيلا

المنديل ما يتمسح به . هذا المنافق يحاول بيعة كل خارج ، وحاله معهم حال الأكف يعاود المنديل لتتمسح به غير مكتفية بمرة واحدة ، فهو نهزة لكل ثائر .

٤٥ — أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّا مَعْشَرٌ
حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلا

المعشر : الجماعة وأهل الرجل . حنفاء : مسلمون صدقا . البكرة أول النهار . وضده الأصيل . توكيد لأخذهم بالدين وشعائره .

٤٦ — عَرَبٌ ، نَرَى لِلَّهِ فى أَمْوَالِنَا
حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلا تَنْزِيلا

لعله يريد بكلمة (عرب) البرء من الموالى ، أو الأعراب الذين ينكرون الزكاة . منزل : صادر عن الله تعالى . وهذا تمهيد لما سيقصه من جور السعاة الذين يجبون الزكاة .

٤٧ — إِنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ
وَأَتَوْا دَوَاهِيَ ، لَوْ عَلِمْتَ ، وَغُولا

السعاة : ولاة الصدقة (أى الزكاة) وعمالها يأخذونها من الأغنياء لردها إلى الفقراء . الغول الهلكة والموت .

٤٨ — كَتَبَ الذُّهَيْمُ ، مِنَ العَدَاءِ ، لِمُسْرِفٍ
عَادَ يُرِيدُ خِيَانَةً وَغُلُولا

الدهيم : مثل يضرب فى الشر والداهية ، يقال أشأم من الدهيم . العداء : الشغل يعدوك ويصرفك عن الشيء . والغلول الغش والخيانة . والمسرف من يتجاوز القصد والاعتدال .

ولعل المراد بالدهيم من كتب صك الخراج مزوراً لهذا المسرف الخائن ، وقد شغلت الدهيم شواغل عن كتابة الأموال صحيحة . ورواية البيت هكذا عن اللسان وفيه أصل المثل[1] .

وفى الأصل :

كتبوا الدهيم من العدا بمشرف عاد يريد خيانة وغلولا

٤٩ ــ ذُخْرُ الخَلِيفَةِ ، لو أَحطتَ بِخُبْرِهِ
لَتَرَكْتَ مِنْهُ طابَقاً مَفْصُولا

فى هامش الأصل : أراد ياذخر الخليفة كأنه نداء وليس بلازم فيجوز الرفع على الابتداء . الطابق العضو من أعضاء الانسان كاليد والرجل ونحوها ولعله يريد ذلك المسرف الخائن .

٥٠ ــ أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ
بالأَصْبَحِيَّةِ قائماً مَغْلُولا

العريف القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم ، ويتعرف الأمير منه أحوالهم[2] وهو هنا عريف قوم الشاعر ورسولهم إلى الأمير . الحيزوم الصدر . والأصبحية سياط منسوبة إلى ذى أصبح من ملوك اليمن لأنه مخترعها . مغلول : مقيد بالغل ، طرق من حديد أو جلد يجعل فى اليدين أو العنق .

فعل السعاة ذلك بالعريف ليحملوه على توقيع صك الصدقات كما كتبوه .

---

(١) مادة دهم .

(٢) اللسان ج ١١ ص ١٤٣

٥١ ــ حَتّى إِذَا لَمْ يَتْرُكوا لِعظامِه
لَحْماً ، وَلا لِفُـؤادِهِ مَعْقُـولا

الفؤاد القلب . معقول : عقل مصدر على صيغة اسم المفعول ، مثل : وعلم بيان المرء عند المجرب أى عند التجربة ، وهكذا ألح السعاة على هذا العريف بالتنكيل ، فلم يتركوا له لحماً يغطى عظمه ، ولا عقلا يدرك به ، وهذا مبالغة .

٥٢ ــ جاءوا بِصَكّهِم وأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ
مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَــــــةً إِجْفِيلا

الصك الكتاب ، والذى يكتب للعهدة ، والأحدب ــ هنا ــ العريف الذى أجبروه على توقيع الصك كما زوروه ، وهو من دخل صدره وارتفع ظهره . أسأرت : أبقت ومنه السؤر . اليراعة القصبة سمى بها الضعيف ، والإجفيل الجبان .

٥٣ ــ نَسِيَ الأمانَةَ مِنْ مَخافَةِ لُقَّحٍ
شُمُسٍ تَرَكْنَ بَضِيعَهُ مجْدُولا

لقح : سياط جمع لاقح ، شمس : شداد جمع شموس ، البضيع اللحم . مجدول : مصروع على الجدالة وهى الأرض ، فالعريف نسى الأمانة ووقع للسعاة على صكهم المزور خوف سياطهم القاسية التى مزقت لحمه وطرحته على الأرض .

٥٤ ــ أَخَذوا حَمولَتَه وأَصْبَحَ قاعِداً
لا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيارِ حَوِيلا

الحمولة ما يحمل عليه من الدواب . حويل : تحول وانتقال .

وفى اللسان :

أُخِذَتْ حَمولَتُه فَأصبَح ثَاوِيا لا يَستطيعُ عَنِ الدِّيارِ حَوِيلا[1]

٥٥ — يَدْعو أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ
خَرْقٌ تَجُرُّ بِهِ الرِّياحُ ذُيُولا

الخرق الأرض الواسعة تتخرق (تتردد) فيها الرياح ، وذيل الريح ما انسحب منها على الأرض أو ما تتركه فى الرمال على هيئة الرسن (الحبل) كأن ذلك أثر ذيل جرته على الأرض من خلفها . أو ما جرته على وجه الأرض من التراب والقتام[2] فالعريف يستغيث بأمير المؤمنين وبينهما فلاة واسعة .

٥٦ — كَهُداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَهُ
يَدْعو بِقارِعَةِ الطَّريقِ هَدِيلا

الهداهد الهدهد ، والجمع هداهد بالفتح ، قارعة الطريق أعلاه . والهديل صوت الهدهد[3] شبه العريف فى بلواه وصياحه بهدهد هذه صفته .

٥٧ — وَقَعَ الرَّبيعُ وقد تَقارَبَ خَطْوُهُ
ورأى بِعَقْوَتِهِ أَزَلَّ نَسُولا

وقع الربيع بالأرض أى نزل المطر بساحته ، تقارب خطوه : قرب وقصر . وصف للعريف . وعقوته ساحته . والأزل الذئب الأرسح ، قليل لحم الفخذين ضمورا . والنسول من النسلان وهو ضرب من العدو (سريع)[4] وهو تصوير لمقدار فزع العريف وعجزه .

٥٨ — مُتَوَضِّحَ الأَقْرابِ فيه شُهْلَةٌ
نَهِشَ اليَدَيْنِ تَخالُه مَشْكُولا

---

(١) مادة حول .

(٢) راجع اللسان مادة ذيل .

(٣) راجع الحيوان للجاحظ ٣ / ٢٤٣ واللسان ، مادتى هدل وهدد .

(٤) راجع اللسان مادة نهش والحيوان ٢ / ٣١٠ و ٥ / ٦٥

وصف للذئب بأنه متوضح الأقراب أى أبيض — ليس بالشديد البياض — الأقراب الخواصر جمع قرب بضم فسكون . والشهلة الغبرة فى بياض والذئب الأشهل من ذلك ، نهش اليدين : خفيف اليدين فى المر قليل اللحم عليهما . مشكول : لا يستقيم فى عدوه كأنه قد شكل بشكال .

وفى اللسان — مادة نهش — فيه شكلة بالكاف بدل الهاء وهى سمة من لون آخر . وفيه (مادة شول ووضح) شنج اليدين بدل نهش ، الشَّنج المتقبض .

وفى الحيوان : شهبة بدل شهلة ، والشهبة بياض يصدعه سواد فى خلاله[1] وهى صورة بشعة لهذا الذئب الطارئ المتربص .

٥٩ — كَدُخَانِ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ
غَرْثَانَ ضَرَّمَ عَرْفَجاً مَبْلُولا

استمرار فى وصف لون الذئب . والمرتجل الذى يقع برجل — كثير — من جراد فيشتوى منها أو يطبخ . وقيل المرتجل الذى اقتدح النار بزندة جعلها بين رجليه وفتل الزند بيده حتى يورى . وقيل المرتجل الذى نصب مرجلا يطبخ فيه طعاما . والتلعة من الأضداد : ما ارتفع من الأرض وما انخفض . غرثان : جائع فعله غرث . ضرم : أوقد . العرفج شجر سهلى يشبه لون الذئب بلون دخان ذلك المرتجل .

وعبارة الجاحظ فى الحيوان : المرتجل الذى أصاب رجلا من جراد فهو يشويه وجعله غرثان لكون الغرث لا يختار الحطب اليابس على رطبه فهو يشويه بما حضره ، وأدار هذا الكلام ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل متفقين[2] والطحلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون التراب ، يقال ذئب أطحل وشاة طحلاء .

---

(١) راجع اللسان فى مواد : نهش ، ووضح ، وشهل ، وشنج ، والحيوان ٥ / ٦٦
(٢) راجع الحيوان ج ٥ / ٦٦ واللسان مادة : تلع ورجل

٦٠ ــ أَخَلِيفَةَ الرحمنِ ، إنَّ عَشِيرَتى

أمسى سَوَامُهُمُ عَزِينَ ، فُلُولا

عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون ، وقيل هم القبيلة ؛ وهذا أولى هنا . السوام الماشية والابل الراعية . عزين : صارت عارية من الحمول والرحال فقرا وسوء حال . فلول : منهزمة . متفرقة ، جمع فل : القوم المنهزمون . يذكر ما أصاب سوام قومه من تفرق ، وسوء حال ، وربما كان الأصح : «عزين» بالزاى ، أى متفرقة .

٦١ ــ قَومٌ على الإسلامِ لَمَّا يتركوا

مَاعُونَهمْ ، ويُضَيِّعوا التهليلا

الماعون الزكاة . أو الطاعة والزكاة ، أو أسقاط البيت كالدلو والفأس والقدر والقصعة . والتهليل التوحيد ، قول : لا إله إلا الله ، ورفع الصوت بالشهادة .

وفى اللسان ، أيضاً (١) .

قومى على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ، ويضيعوا التهليلا

أى لما يرجعوا عما هم عليه من الاسلام من قولهم هال عن قرنه ، وكاس أى حمل عليه .

وفيه (٢) أيضاً :

قومٌ على التنزيل لما يمنعوا ما عونهم ويبدّلوا التنزيلا

٦٢ ــ قطَعُوا اليمامةَ يُطرَدونَ كأنّهمْ

قَومٌ أَصَابُوا ، ظَالِمِينَ ، قَتِيلا

اليمامة إقليم من العروض شرقى الجزيرة العربية حيث خرج النجدية ، وهى موطن الشاعر وعشيرته ، ويظهر أن بنى نمير قبيلة الراعى كانوا

(١) مادة هلل .

(٢) مادة معن .

من طريدى الخوارج ، وربمـا أصابهم جدب فى تلك السنة فشردهم عن الإمـامة .

٦٣ — يَحْدُونَ حُدْباً مائلاً أشرافُها
فى كلِّ مَنْزِلَةٍ يَدَعْنَ رَعِيلا

الحدب جمع حدباء الناقة التى بدت حراقفها — رءوس أوراكها — وذلك من الهزال ، وأشرافها أعاليها . الرعيل القطعة من الإبل ، تترك فى الطريق لهلاكها . وفى الأصل واللسان [1] : فى كل مقربة يدعن رعيلا . والمقربة المنزل وأصلها من القرب وهو السير ، وجمعها مقارب .

٦٤ — حَتَّى إذَا احتَبَسَتْ تَبَقَّى طِرْقُهَا
وثَنَى الرُّعاةُ شَكِيرَها المَنْجُولا

الطرق القوة وأصله الشحم فكنى به عنها لأنها أكثر ما تكون عنه . والشكير قضبان غضة تنبت من ساق الشجرة أو ورق صغار تحت ورقها الكبار ، والمنجول المقطوع بالمنجل أو المرمى المطروح . وعلى ذلك يكون المعنى ان هذه النوق لما حُبست عن السير استعادت قوتها، وجمع لها الرعاة ما اعتادت أن تطعمه من شكير الأشجار .

٦٥ — شَهْرَى رَبِيعٍ مَا تَذوقُ لَبُونُهُمْ
إلاَّ حُموضا وَخْمَــــةً وذَبِيـــلا

اللبون من الابل ذات اللبن . الحموض جمع حمض ما ملح وأمرّ من النبات والواحدة حمضة : وخمة : ذات وخم ووباء : ذبيل يابس جاف (للنبات) .

وفى اللسان ورد البيت هكذا :

شهرى ربيع لا تذوق لبونهم إلا حموضا وخمة ودويلا

---

(١) مادة قرب .

والدويل النبت العامى اليابس أو الذى أتت عليه سنتان فهو لا خير فيه [1] :

٦٦ — وأنَاهُمُ يَحْيى فَشَدَّ عليهم
عَقْداً يَرَاه المُسْلِمونَ ثقيلا

لعل يحيي هذا جاب آخر من قبل الخليفة ، شد عليهم عقداً : ألزمهم فرائض من المال ثقيلة الأداء ، أو فيها شطط وغلو ، يشكو جور هذا الجابى .

٦٧ — كُتُباً تَرَكْنَ غَنِيَّهُمْ ذا عَيْلَةٍ
بَعْدَ الغِنَى ، وفَقيرَهُم مَهْزُولا

العيلة الفقر ، مهزول : ضعيف نحيل . والكتب هى الصكوك التى تسجل فيها فروض الزكاة .

٦٨ — وتَرَكْتُ قَوْمِي يَقْسِمُون أمورَهُمْ
أإليكَ أم يتربَّصون قليـــــلا

يقسمون أمورهم : لا يدركون كيف يصنعون فيها ، أو يديرونها ليروا كيف يفعلون فيها . يتربصون ينتظرون . يقول إنه ترك قومه فى حيرة من أمرهم إزاء جور السعاة ، أيتوجهون إليك تواً أم يتمهلون .

٦٩ — أنتَ الخليفَةُ : عَدلُهُ ونَوالُه
وإذا أردتَ لِظالِمٍ تَنكِيلا

يريد أنت الخليفة الكامل عدلا وكرما ، وفى خزانة الأدب [2] حلمه وفعاله التنكيل : أن تعاقب الرجل فى جرم عقوبة تنكل غيره — تمنعه — عن ارتكاب غيره . أى كان تنكيلك رادعاً .

---

(١) راجع اللسان مادة دول .
(٢) ٣/١٢١ ط السلفية .

٧٠ ــ فَارْفَعْ مَظَالِمَ عَيَّلَتْ أبناءَنا
عَنَّا ، وأنْقِذْ شِلْوَنا المأكولا

التعييل سوء الغذاء ، والشلو العضو جمع أشلاء ، وكل مسلوخ أكل منه وبقي شيء ، يدعو الخليفة أن يتدارك حال قومه .

٧١ ــ فَتَرى عَطِيَّةَ ذاكَ إنْ أعطيتَهُ
مِنْ رَبِّنا فَضْلاً ومِنْكَ جَزِيلا

عطية ذاك : إعطاء ذلك . والاشارة إلى العطاء الذى أشار إلى وسيلته في البيت السابق . فضل علينا من الله . والجزيل ــ هنا ــ العطاء الواسع . يقول له : إن كرمك فضل من الله ، وخير منك عميم .

٧٢ ــ إنَّ الذينَ أمَرْتَهُمْ أنْ يَعْدِلوا
لم يَفْعَلُوا مِمَّا أمَرْتَ فَتِيــــلا

الفتيل السحاة فى شق النواة من قوله تعالى : « ولا يظلمون فتيلا » مثل للشيء التافه الحقير القليل ، أى لم يفعلوا مما أمرتهم به من عدل قدرها . وإنما يريد السعاة .

٧٣ ــ أخَذُوا الكِرامَ مِنَ العِشارِ ظُلامَةً
مِنّا ، ويُكتَبُ لِلأميرِ أفِيلا

العشار جمع عشراء : النوق مضى لحملها عشرة أشهر . الأفيل ابن المخاض فما فوقه والفصيل . الجمع إفال وأفائل . وهو هنا منصوب بالفعل يكتب أى ويكتب الساعى للأمير أفيلا بعد احتجاز الكرام لنفسه وصحبه . وعلى البناء للمفعول ــ وهو المشهور ــ يكون التقدير ويكتب أخذنا من فلان أفيلا للأمير .

وفى خزانة الأدب : « أخذوا المخاض من الفصيل غُلُبَّةً : ظلما » . والمخاض النوق الحوامل . والفصيل ابنها ، والغلبة الغلبة . غلبة وظلما

مصدران حالان من فاعل (أخذ) ويجوز نصب الثانى بالأول على أنه مصدر معنوى [١] .

٧٤ — فَلَئِنْ سَلِمْتُ لأَدْعُوَنَّ بِطَعْنَةٍ
تَدَعُ الفَرائِصَ بِالشُّرَيْفِ قَلِيلا

الفرائص جمع فريصة ، اللحمة بين الجنب (أو الثدى) وبين الكتف ترعد عند الفزع . والشريف ماء لبنى نمير ، وجبل تزعم العرب أنه أطول جبل فى الأرض . ومن معانى القليل الليف والشعر المجتمع ، والسيف المفلول فليحرر.

وروى ابن سلام [٢] أن عبد الملك لما سمع هذا البيت قال له : وأين من الله والسلطان لا أم لك ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، من عامل إلى عامل ، ومصدق إلى مصدق .

٧٥ — وَإِذَا قُرَيْشٌ أُوقِدَتْ نِيرانُها
وَبَلَتْ ضَغَائِنَ بَيْنَها وذُحُولا

قريش قبيلة الخليفة ، وداخلها كان التنافس بين أمية وهاشم ، وبين الأمويين والزبيريين ، وبين السفيانيين والمراونيين ونحو ذلك . أوقدت نيرانها : تحاربت من قوله تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » . بلت ضغائن : اختبرتها وجربتها (باشرت آثارها) والذحول جمع ذحل : الثأر . يقول : إذا قامت الفتن فى قريش فتحاربت واستجابت لأحقادها وثاراتها . ويصح أوقدت نيرانَها بالبناء المعلوم .

٧٦ — فَأَبُوكَ أَحْزَمُهُمْ ، وأَنْتَ أَمِيرُهُمْ
وأَشَدُّهُمْ عِنْدَ العَزائِمِ جُـــــولا

الجول الحزم ، والعزم ، والصخرة التى فى الماء يكون عليها الطى (البناء) فإن زالت تلك الصخرة تهور البئر . مدح لعبد الملك وأبيه . والواقع أن مروان

(١) راجع الخزانة ج ٣ ص ١٣٤ ط السلفية .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٧٥ ط القاهرة :

سلك فى سبيل الخلافة مسلكا حازما حتى ظفر بها، وأن عبد الملك عرف بالحزم والصرامة، وكان من عمد الدولة الأموية وساستها المعدودين كمعاوية وهشام.

وما هنا رواية اللسان [1]

وفى الأصل:

فأبوك سيدها وأنت أشدها ومن الزلازل فى البلابل حولا

وهو اضطراب وتحريف كما ترى.

٧٧ — وأَبُوكَ ضَارِبَ فِي المدِينَةِ وَحْدَهُ
ضَرْباً تَرَى مِنه الجُمُوعَ شُلُولا

أبوه هو مروان بن الحكم. شلول جمع شل بمعنى الطرد، أى مطرودين مهزومين. وفى الخزانة ورد الشطر الثانى هكذا: قوماهم جعلوا الجميع شكولا [2] ولعله يناسب مابعده. والشكول جمع شكل، الشبه والمثل. يريد أنهم جعلوا الناس متخالفين بعد أن كانوا متحدين.

٧٨ — قَتَلُوا ابنَ عَفَّانَ إماماً مُحْرِماً
ودَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولا

يعنى عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين. إمام: خليفة. محرم: له ذمة وعهد أو صائم، أو أنهم قتلوه فى آخر ذى الحجة. قال ابن برى: ليس محرما فى بيت الراعى من الاحرام ولا من الدخول فى الشهر الحرام، وإنما هو مثل البيت الذى قبله. وإنما يريد أن عثمان فى حرمة الاسلام وذمته لم يحل من نفسه شيئاً يوقع به، وهذا يفسر الشطر الثانى، فلما استغاث خذل، وكان خذلانه شنيعاً وفى اللسان [3]:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما.. إلى آخر البيت.

---

(١) مادة جول.

(٢) ج ٣، ص ١٣١ ط السلفية.

(٣) مادة حرم.

٧٩ — فَتَصَدَّعَتْ مِن يَوْمَ ذَاكَ عَصَاهُمُ

شِقَقًا ، وأصبَحَ سَيْفُهُم مَفْــــلُولا

تصدعت عصاهم : تفرق أمرهم . شقق جمع شقة : نصف الشيء ، مفلول : مثلوم ، كناية عن الضعف ، وهذا كان شأن المسلمين منذ مقتل عثمان . وفى الخزانة [1] (بعد) بدل (يوم) و(مسلولا) بدل (مفلولا) أى أصبحوا متحاربين .

٨٠ — حَتَّى إذَا نَزَلَتْ عَمَايَةُ فِتْنَةٍ

عَمْيَاءَ كَانَ كِتَابُهَا مَفْعُــــولا

عماية : غواية ولجاج ، عمياء ذات ضلال وجهل لا يهتدى فيها إلى صواب أى حتى إذا قامت الفتنة المظلمة التى كانت قدراً مقدراً ، ولعله يشير إلى تلك الفتنة التى أعقبت ترك معاوية الثانى أمر الخلافة ، وفى الخزانة : حتى إذا قرت عجاجة فتنة [2] أى بعد أن سكنت الأمور وزال غبار الفتنة .

٨١ — وَزَنَتْ أُمَيَّةُ أَمْرَهَا فَدَعَتْ لَهُ

مَنْ لَمْ يكنْ غَمْراً ولا مَجْهُولا

وزنت : أحكمت وقومت . وأمرها سياستها . الغمر الجاهل غير المجرب . يشير إلى ما كان من نشاط الامويين حتى ظفر مروان بن الحكم بالخلافة .

٨٢ — مَرْوانُ أحْزَمُهَا إذَا نَزَلَتْ بِهِ

حُدُبُ الأمُورِ وخَــــيرُها مَأْمُولا

حدب الأمور شواقها ، والواقع أن فترة تنازل معاوية الثانى عن الخلافة كانت حرجة ، وفى الأصل :

مروان أحزمهم إذا حلت به حدب الأمور وخيرها مسئولا [3]

---

(١) ٣ / ١٣٢

(٢) ج ٣ ص ١٣٢

(٣) مادة حدب

٨٣ — أيّامَ رَفّعَ في المَدِينَةِ ذَيْلَهُ
ولَقَدْ يَرَى زَرْعاً بِهَا ونَخِيلا

كناية عن النشاط في النهوض بأمور الخلافة ، والانصراف إلى جد الأمور عن هزلها .

٨٤ — وَدِيارُ قَوْمٍ خَرَّبَتْها فِتْنَةٌ
ومُشَيَّدًا فِيها الحَمَامُ ظَلِيـــــلا

ليست المناسبة واضحة بين شطرى هذا البيت ، وهى ضعيفة بينه وبين سابقه ، كذلك بين شطرى البيت السابق ، وأرجح أن هنالك بيتا أو شطوراً ضائعة بين هذين البيتين ، وكلمة (ظليلا) صفة لمحذوف تقديره (بيتا) مثلا .

٨٥ — أيّامَ قَوْمِى والجَمَاعةُ كالذِى
لَزِمَ الرِّحالَةَ أن تَمِيــــلَ مَمِيلا[1]

قال الأعلم : « وصف ما كان من استواء الزمان واستقامة الامور قبل قتل عثمان وشمول الفتنة ، وأراد التزام قومه الجماعة وتركهم الخروج على السلطان . والمعنى : أزمان قومى والتزامهم الجماعة وتمسكهم بها كالذى تمسك بالرحالة ومنعها من أن تميل وتسقط . والرحالة (بالكسر) الرحل وهى أيضاً السرج ضربها مثلا » .

ويتخذ النحاة هذا البيت شاهداً على حذف (كان) على تقدير : أزمان — أو أيام — كان قومى والجماعة ، فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

(١) راجع فى هذا البيت خزانة الأدب ٣ / ١٠٣ الشاهد ١٨٣ السلفية . أو ج ٢ ص ٣٠٣ ط المصور .

المصادر

١ — جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ م ص ٣٥٣

٢ — ديوان جرير . المطبعة العلمية سنة ١٣١٣ هـ ص ٢٠٢

٣ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي . المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ج ٣ ص ١٣٠ — ١٣٥

المراجع

١ — لسان العرب لابن منظور .

٢ — القاموس المحيط للفيروز ابادي .

٣ — الحيوان للجاحظ .

٤ — الكامل للمبرد .

٥ — أمالي القالي ، والسمط للميمني .

٦ — أساس البلاغة للزمخشري .

٧ — الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني .

٨ — معجم البلدان لياقوت الحموي .

٩ — وفيات الأعيان لابن خلكان .

١٠ — طبقات الشعراء لابن سلام .

١١ — الشعر والشعراء لابن قتيبة .

١٢ — إلياذة هوميروس : تقديم وترجمة سليمان البستاني .

١٣ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي .

١٤ — تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري .

١٥ — الشاهنامة : نشر وتقديم الدكتور عبد الوهاب عزام .

١٦ — الفرق بين الفرق .

١٧ — معجم ما استعجم للبكري .

١٨ — مجمع الامثال للميداني .

١٩ — بعض دواوين الشعراء .

تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعرّبة

والدخيلة فى اللغات الأوربية

للدكتور محمد يوسف

نويت أن أردف مقالي عن العلاقات العلمية بين الهند والعرب (فى عدد مايو سنة ١٩٥٠ من مجلتنا هذه) بآخر عن العلاقات التجارية بين البلدين ، وبما أنني اعتقد أن العلاقات من النوع الأخير راسخة فى القدم تتمثل الآن فى الأسماء الهندية المعربة أكثر مما نعثر عليه من إشارات أو روايات فى بطون المجاميع الأدبية والتاريخية ، أو المؤلفات الجغرافية ، بما أنني اعتقد ذلك بدأت استحضر وأستعرض فى ذهنى عدداً من المفردات المتعلقة بالتجارة وما اليها ثم أتوسمها لعلها قد بقى فيها بعد طول اغترابها ما يمكننا من ردها إلى اصلها الهندى العتيق ، واذا بى قد تجمع لدى ما يصلح أن يكون موضوعا لمقال مستقل ، فها أنا ذا أقدم فيما يلى بعض النتائج التى وصلت اليها بشأن أصل طائفة من الألفاظ المعربة، والتى ربما اعتبر بعضها عربية محضة ، وأرجو أن يكون هذا باكورة ما أنا بصدده من البحث عن العلاقات التجارية بين الهند والعرب .

ويهمنى أن أنوه فى هذا المقام بظاهرة ربما يكفل إبرازها القضاء سلفا على أى استغراب يلحق القارئ فيما بعد ، وهى أن العرب الأول الذين نراهم فى فجر التاريخ يغامرون بحياتهم فى لجج البحر الهندى إنما دأبوا على أن يجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل أسمائها المحلية أيضا كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبيعيا اذا نحن قدرنا أن معظم تلك البضائع هى التى لم يعرفها العرب فى أوطانهم وغير أوطانهم من قبل ، بل إنما عرفوها لأول مرة فى الهند ثم عرفها العالم

الغربي عن طريق العرب فيما بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الأول لبضاعة من البضائع اذا اقترن بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلا قويا ، بل قاطعا ، في كثير من الأحوال ، على أن الاسم هندي الأصل كالبضاعة ذاتها . فمن الأمثلة المتفق عليها من هذا القبيل الموز أصلها بالسنسكرتية (Mocha) والكافور = سنس (Karpura) والقرنفل = (Kanakphal) والصندل = سنس (Chandan) والساج = المرهتية [1] (Sag) سنس (Shaka) والمسك = سنس (Mushka) والليمون = "limu" و "nimbu" والأنبج أو العنبه = "amba" والنارجيل = "Narikila" وأسماء عدد من العقاقير كالأطريفل والهليلج وجميع أصناف التوابل تقريبا كالفلفل = "Pippali" ؛ وسنرى أننا لو سرنا على هذه القاعدة لكان في وسعنا أن نلقي بعض الضوء على أصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من الغموض .

وهنا لا أرى بأسا بأن أستطرد قليلا فأقول ان ما دأب عليه العرب من تسمية الأشياء الطريفة الجديدة بالنسبة اليهم بالأسماء التي عرفت بها في موطنها هو الطريق العملي الواقعي المطرد في الشرق والغرب على السواء ، وهو طريق سليم لاغبار عليه من أية ناحية ، لم يحد — بل لم يفكر في الحيدة — عنه إلا بعض الخاصة منا وأرى أنه لم يكن منهم ذلك إلا بدافع من التعقيدات الذهنية الناشئة من نوع معين من الأوضاع السياسية في عصرنا هذا ، وإلا فما دمنا لم نسمع عن أية محاولة سبقت لترجمة « سنبوسق (سنبوسك) » ما الذي يدعونا الى أن نبحث عن كلمة عربية تقوم مقام « سندوتش » فنضيع مجهودنا ونتعرض للتفكه والتندر ؟ وأعتقد أن المخترعات العصرية كالراديو والتلفزيون والتليفون مثلها كمثل المنتجات الآنفة الذكر سواء بسواء .

---

(١) المرهتية Mehratti ، يجب هنا التنبيه على أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكرتية مباشرة ، ولام اعتنوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل إنما أخذوها من أفواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

وعلى كل حال فالعرب لم يتورعوا فيما مضى من الأخذ بالالفاظ الأعجمية للمصنوعات والمنسوجات والالوان ومختلف المهن، وسيتضح ذلك مما سنورده في الصفحات التالية .

ولا يخفى أن لبحثنا هذا جانباً آخر على درجة كبيرة من الأهمية، وهو أن معظم تلك الكلمات التي يقال عنها إنها عربية دخيلة فى اللغات الأوربية، ولا سيما الاسبانية والفرنسية والانجليزية، هى فى الأصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق أخرى شرقى الهند، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت طريقها الى أوربا عن طريق التجارة على أيدى العرب ولكن العرب لم يكونوا منتجين فى أى من حقلى الزراعة والصناعة لا لشيء إلا لان الطبيعة حرمتهم من الثروة النباتية والمعدنية: إذن فكأن الاقدار حتمت عليهم أن يقوموا بدور الوسيط فى جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى أوربا الى أن قدر الله لاوربا الاتصال مباشرة بالشرق الأقصى فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجرأة وكفاءة فحسب بل بأمانة تركت أطيب الاثر وأعمقه فى نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا، كلما وجدنا فى اللغات الاوربية كلمة تتعلق بالملاحة [2] أو التجارة على أيدى العرب فى المحيط الهندى، أن نواصل البحث عن أصلها الهندى بعد أن نهتدى الى شكلها المعرب فى العربية ولعل فى مقارنة الطرفين الأوربى والهندى ما يكشف لنا بعض ماغمض على المتأخرين من العرب أنفسهم فى بعض الاحيان .

(١) (ALMANAC) لم يشك أحد في أن هذه الكلمة انتقلت إلى أوربا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتداء إلى أصلها فقالوا أنه «المناخ» (محيط المحيط ن و خ) أو أن العرب الاندلسيين استعاروا كلمة

---

(٢) لقد صرح المسعودى، فيما يتعلق بالملاحة، أن العرب حرصوا على الأخذ بالألفاظ المحلية فى مختلف المناطق التى ترددوا عليها، أنظر إلى قوله: «إنما نخبر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم فيما يتعارفونه بينهم» المروج ١/٢٣٢ (أيضاً ص ٣٤٣، إنما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه فى خطابهم).

(ⲡⲁⲇⲓⲭⲓⲁⲃⲏⲩⲇ) من المصريين وبدأوا ينطقونها « المناخ » . . .
(ALMANACK — Hobson-Jobson ×) والحقيقة إن أصلها « رهمانج »
عند ابن ماجد [٣] وهو تحريف البحارين لكلمة « الراهنامج » التي جاء عنها
في التاج ٢/٥١ : « فارسية استعملها العرب وأصلها راه نامه ومعناه (كتاب
الطريق) . . . (وهو الكتاب الذي يسلك به الربابنة) . . . (في سفر البحر
ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها) كالشعب ونحو ذلك »

واللبس مثل الذي نشاهده في أول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق
بالكلمات الأعجمية التي في أولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة
« انجر » (Anchor) مثلا أصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس — نجر)
أضاف العرب عليها الالف واللام [ال لنكر] ثم التبس عليهم الامر فظنوا
أن اللام ليست من الحروف الأصلية [ال نكر] وقالوا « انجر » ، وكذلك
الرصاص من « ارزيز » . (انظر ادى شير) والماس من "Ind-mash" : بتمامه
كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الغليل واللسان
(مأس) عن ابن الأثير .

(ب) الآنك : لقد أصاب أدى شير القول بأنها قريبة من "Raga"
بالسنكرتية إنما أضيف إلى ذلك أن ربابنة البحر الهندي والجغرافيين
من العرب كثيرا ما تكلموا عن « بلاد الرانج » متاخمة لبلاد الذهب [٤]
وقد اضطرب رسم كلمة الرانج على ايدي النساخ حتى أن المستشرقين قرأوها
« الزابج (Zabej) » وذهبوا إلى أنها تقوم مقام « الجاوة » عند العرب القدماء
ولكن أبا الفداء (باريس ١٨٤٠ ص ٣٧٢) قد صرح بما لا يدع مجالا

× Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of Kindred Terms By Col. Henry Yule and Arthur Coke Burnell. London. 1886.

(٣) G. Ferrand : Instructions Nautiques. Tome I. ص ٦٠ « رهمانج » — ٨٨ « رهمانجات » — ٧٦ « رهمانجا » .

(٤) أنظر أبا زيد السيرافي (سلسلة التواريخ ، باريس ١٨١١) ص ٨٩ ، وابن خرداذبه ص ٦٥ والمسعودي ١/٣٤٣ والبيروني : كتاب الهند ص ١٠٣

للشك فى أن وضع الكلمة الصحيح هو الرائج لا غير، وتدل القرائن كلها على أنها ليست علما، بل المراد بها معدن من المعادن كالذهب والفضة، وبما أن الرصاص الأبيض معروف إلى الآن فى الهند باسم "Rang" يتأكد لدينا أن الآنك والرائج هما شيء واحد بل الأولى إن هى إلا تطور يسير للكلمة الثانية، وهناك دليل آخر يؤيد ما ذهبنا إليه هو أن « رائج » جزء من كلمة « الاسرنج » التى أصلها "Shringara" بالسنسكرتية لا « سرخ + آنك » كما أورده أدى شير.

كانت بلاد الرائج وبلاد الذهب واقعة حول مصب أروادى (Irrawady) بجنوب بورما وإياهما عنى بطليموس بـ "Argyra" و "Khryse" (الترجمة العربية لكتاب بطليموس: «الفضية» و«الكراظية») على الترتيب، ولكن أهم مركز لتعدين الآنك أو الرصاص الأبيض، الذى اشتهر فى العالمين العربى والغربى والذى لا يزال مذكوراً فى العربية واللغات الأوربية، كان فى كله. وقد اتجه كثير من العلماء المستشرقين إلى البحث عن كله على الساحل الغربى لشبه جزيرة ملايو إلا إنه يرجح عندى أن كله كان يطلق على ما حوالى مصب نهر كنك بالبنغالة. على كل حال فبفضل وجود هذا المعدن القيم النادر نشأت فى كله «قلعة» أومدينة محصنة (لعل العرب إنما ترجموا الى « القلعة » الكلمة السنسكرتية "Kuta" ولعل "Kalahkota" هى أصل الاسم الجغرافى "Calcutta") التى يقول عنها مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجرى) بعد زيارة شخصية لها:

« إنها (كله) أول بلاد الهند مما يلى الصين وانها منتهى مسير المراكب ولا يتهيأ لها أن تجاوزها وإلا غرقت، وبها قلعة يضرب بها السيوف القلعية وهى الهندية العتيقة لا تكون فى سائر الدنيا إلا فى هذه القلعة . . . وليس فى جميع الدنيا معدن الرصاص القلعى إلا فى هذه القلعة » القزوينى ٦٩ وياقوت « القلعة » و « الصين ».

فالنسبة فى « السيوف القلعية » و « الرصاص القلعى » (الفرنسية : Alkalap) إلى هذه القلعة الواقعة بكله [٥] وقد شهد الادريسى أيضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الأبيض بالنسبة الى العالم أجمع فى زمانه فانه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعى وهو بها كثير صافى الجوهر والتجار يغشونه بعد خروجه عنها ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الأرض » ، دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٣٠

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم فى الاندلس أيضا فيما بعد فبدأ التجار يتحولون عن الهند اليها ، حتى إذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما فى قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد فى أول بلاد الهند من جهة الصين واليه ينسب الرصاص القلعى والسيوف القلعية ، وإقليم القلعة من كورة قلبرة بالاندلس ، وأنا أظن الرصاص القلعي منسوبا اليها أو الى قلعة بالاندلس فانه من هناك يجلب » ، المشترك والمفترق ٣٥٧

ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسى ليست موضع الشك ، وكل ما أفادنا ياقوت هو أن الرصاص الابيض كان فى أيامه يجلب من الاندلس بعد أن كان يجلب من القلعة بكله من ذى قبل . ولعل فى الأخذ باسم « القصدير » — الذى يرادف الآنك إلا أنه معرب عن اليونانية — أيضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق إلى الغرب .

ويلاحظ أن أهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل وهو عمل لا يتأتى إلا بالآنك الذى استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد أورد الادريسى بشأنه ما يلى :

« إن بلاد سفالة (سفالة الزنج أى شرق إفريقيا) يوجد فى جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة وأهل الرانج وغيرهم من ساكنى الجزائر المطيفة لهم يدخلون

---

(٥) أنظر المعرب للجواليقى ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ص ٢٧٦ و

M. Devic : Dictionnaire etymologique des mots francaise d'origine Orientale. Paris. 1876— "ALKALAP"

اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لأن بلاد السند أكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وإن كان الحديد موجودا فى بلاد الهند ومعادنه بها فنى بلاد سفالة هو أكثر وأطيب وأرطب ، لكن الهنديون (كذا) يحسنون صنعته وتركيب أخلاط الادوية التى يسبكون بها الحديد اللين فيعود هنديا منسوبا إلى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعهم يجيدونها فضلا على غيرهم من الأمم، وكذلك الحديد السبتى (كذا وفى نسخة أخرى : السندى) والسرنديبى والبيناني كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة وإحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ولا يوجد شىء من الحديد أمضى من الحديد الهندى ، وهذا شىء مشهور لا يقدر أحد على إنكار فضيلته » . ص ١٠٨ — ١٠٩

هذا وقد كانت البيلمان (البيناني) مركزاً آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليها السيوف البيلمانية وكانت تقع على ملتقى حدود السند والهند كما يتضح مما ورد بشأنها فى فتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٤٠ و ٤٤٢ أما القول بأنه « يشبه أن يكون (البيناني) من أرض اليمن » [أنظر البلدان لياقوت والقاموس « بلم »] فلا يقوم على سند .

فهذه هى قصة السيوف التى لم تزل تحمل نسبتها إلى الهند كشعار لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولننتقل الآن إلى الحديث عن الرماح التى طويت نسبتها إلى الهند على مر الزمان ، إلا أنه يمكننا إذا أمعنا النظر أن نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع أنها كثيراً ما عدت عربية لا لشىء إلا لعدم الاهتداء إلى أصلها .

(ج) يتكون الرمح من جزئين : الأول هو النصل أو السنان ، والثانى هو القناة . وغنى عن البيان أن صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعى أن يغلب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأسنة المصنوعة فى الهند إلا أنه لا يعدمنا من الدليل الايجابى ما يرتفع بهذا الظن إلى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعينون ببعض

الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . أنظر إلى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربية . فالخرص تعنى الجزء الأعلى الذى فيه الحد من السنان وهى بهذا المعنى توازى كلمة (Kirch) بمليالم (Malayalam) — إحدى اللغات الدكنية — والأردوية أيضا . وربما أطلقت الكلمة على القضيب والرمح نفسه كما قال حميد بن ثور : « عض الثقاف الخرص الخطيا » (اللسان ٨/٢٨٧) ولا يخفى أن هذه النسبة إلى الخط هى أقوى ما يؤيد الأصل الهندى للرماح المنسوبة إليها لأن الخط لم تكن إلا مرفأ للسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد (البند التالى) ثم من ناحية أخرى يسنح لى أن هذه الكلمة من الكلمات التى انتقلت من الهند إلى أوربا عن طريق التجار العرب فانها تعنى أيضا الحلقة والدرع وكلمة (Cuirass) بالانجليزية لها نفس هذا المعنى[٦] كما أنها توافق بالضبط كلمة (Kavacha) بالسنسكريتية .

(د) أما الجزء الثانى وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدى الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربى يزخر بأوصافها ونعوتها إلا أن كثرة استعمال العرب للأسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على ألسنتهم مجرى الكلمات العربية فى الاشتقاق وما إلى ذلك جعلا أصل تلك الأسماء نسياً منسياً . هذا مع أنه قد ثبت بصورة قاطعة لا يتطرق إليها أى شك ان منبت القنا الذى كان العرب يعتمدون عليه لسد حاجتهم — وما أكثر تلك الحاجة — لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفا بعد أن نسوق بعض المقدمات ونتعرض لبعض الملابسات التى لا بد منها نظراً إلى غموض الموضوع .

أولا — القنا = قصب السكر . لا يخفى أن إطلاق القنا على هذا المعنى إنما هو على سبيل التبعية والمجاز ، وإن كان ذلك مطابقاً للمألوف فى اللغة

---

(٦) ورد فى Oxford Dictionary بشأن أصل هذه الكلمة :

Cuirass, from Fr. Cuirasse, from Latn Coriacea= leathern (Corium= leahter)

لكن تطورها من العربية من حيث المعنى واللفظ معاً واضح كل الوضوح .

السنسكرتية وبعض اللغات الهندية الأخرى . وعلى كل حال فالمرجح عند العلماء هو أن موطن قصب السكر الأصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (Hobson-Jobson-CANDY) والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت فى العالم بأسمائها الهندية وها كما فيما يلي : —

١ — CANDY = العربية والفارسية « قند » = سنس "Khanda" و مليالم : "Kandi" — (انظر "CANDY" -Hobson-Jobson) .

٢ — العربية : « فانيذ » = الفارسية : « پانيذ » = سنس "Phanita" — قارن "Penidium" .Med. Lat

٣ — SUGAR = العربية : « سكر » = الفارسية : « شكر » = البراكرتية : "Sakkara" / سنس "Sarkara"

ومن الطريف فى هذا الصدد أن الهنود ، وإن كانوا أول من قام بانتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند إلى الصين و إلى مصر (ثم إلى صقلية والأندلس) ، لم يلبثوا أن سبقوا الهنود فى ابتكار وسائل جديدة للتكرير ففاق الصينيون فى صنع السكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة كما أن المصريين اختصوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذينك الصنفين من السكر من الصين ومن مصر إلى مطلع القرن الماضى حتى أنهما يعرفان إلى الآن فى أسواق الهند باسم « صينى » و « مصرى » على الترتيب (٧) .

(٧) Hobson-Jobson— "SUGAR"

. ومما يشهد ببراعة المصريين فى هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو : (Ramusio II, 44)

"And before this city" (a place near Fu-chau) "came under the great Can these people knew not how to make fine sugar; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia" (i. e, of Cairo) "who happened to be at the Court proceeded to this city and taught the peaple to refine the sugar with the ashes of certain trees"— 1298 A. D.

ثانياً — القنا بمعنى الرخ . يلاحظ فى هذا الصدد أن هناك شيئا يشبه السكر كثيراً ما يكون داخل القنا (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعاً جداً فى العصور الوسطى ومن المتفق عليه أن كلمة الطباشير إنما هى منقولة عن سنس : "Trakkshira" أى أنها هندية الأصل (.Hobson-jobson—"Tabasheer") .

ثم أن الخيزران يصفه العرب أنفسهم بأنه شجر هندى وهو عروق القناة (أنظر الصحاح والتاج — خزر) أفلا يكون القنا إذ شجراً هندياً ؟ والخيزران الهندى [8] هو الذى يتمثل به فى شدة اللين ومنه قولهم : الخيزرى والخوزرى والخيزلى ، مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران عند الربابنة والجغرافيين العرب كما سنرى آنفا ومن المسلم به أن القسط أو الكسط هندى بحت [سنس "Kustha"] وإنما نسبوه فى بعض الأحيان إلى ظفار باليمن لأنه كان يجلب إليه من الهند (القاموس « ظفر ») .

ولنبحث الآن عن المواضع التى كان العرب يترددون عليها لجلب القنا منها نجد أنها لا تتجاوز ساحل السند والساحل الغربى والجنوبى لمنطقة الدكن بالهند [X] : فهذا قول ابن خرداذبه ٦٢ : « ومن السند يجىء القسط والقنا والخيزران » ويقول أيضا : « ومن مهران إلى أوتكين وهى أول أرض الهند مسيرة أربعة أيام ، وفى هذه الأرض ينبت القنا فى جبالها والزرع فى أوديتها وأهلها عتاة مردة لصوص » — وهذه هى شهادة مسعر بن مهلهل يقول : « وخرجت إلى سواحل البحر الهندى متياسرا فسرت إلى بلد يعرف بمدورقين منابت

---

(٨) لقد عرف العرب أن بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدى : « بلادهم بلاد الخيزران » (أنظر اللسان — خزر) إلا أنه من المحقق أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندى منه فى شدة اللين . كذا فى محيط المحيط — خزر . وقد أورد القزوينى فى الآثار ص ٣٨ عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل إلى سائر البلاد » .

(X) وقد كان أهل Magan أى عمان يستوردون الأخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح — انظر .Wilson : The Persian Gulf p. 27

غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك أن القنا إذا جف وهبت عليه الريح احتك بعضه ببعض واشتدت فيه الحرارة للحركة فانقدحت منه نار فربما احرقت منه مسافة خمسين فرسخا أو أكثر من ذلك فالطباشير الذى يحمل إلى سائر الدنيا من ذلك القنا. فأما الطباشير الجيد الذى يساوى مثقاله مائة مثقال أو أكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا إذا هزت وهو عزيز جداً . . . » ثم يقول عن مدينة كولم أيضا : « والخيزران والقنا بها كثير جداً » (أنظر ياقوت « الصين ») . كذلك يقول الادريسي : « ومدينة تانة (بالقرب من بومباى) جليلة . . . وبجبالها وأرضها ينبت القنا والطباشير يتخذ فيها من أصول القنا ومنها يحمل إلى سائر البلاد من المشارق والمغارب » — ص ٢٩٧ .

وبعد أن تفقدنا منابت القنا وجب علينا أن نقتفى آثار نواخذة العرب لنرى أين تفرغ سفنهم حمولتها وهاك مايقوله ابن سيده (المخصص ٦/٣٤) عن « الرماح الخطية» أشهر الرماح عند العرب : (الخط مرفأ السفن بالبحرين ينسب اليها الرماح. وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرفأ السفن التى تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين وليس هناك مسك ولكنها مرفأ السفن التى تحمل للمسك من الهند » .

نرى كيف أن القناة المجلوبة من منابتها بالهند والتى ركب عليها خرص أو سنان مصنوع فى مصانع السيوف حول معادن الرصاص القلعى بالهند ، كيف أن هذه القناة هى التى تصبح « رمحا خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

والحديث عن «الخطى» يذكرنا على الفور بـ «السمهري» و« الردينى» . لو رجع أحد إلى اللغويين وأصحاب المعاجم لوجدهم يقولون أن السمهرى نسبة إلى سمهر والردينى إلى ردينة وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط ولكن للمتتبع للشعر العربى والمتأمل فى أقوال اللغويين وأصحاب المعاجم أنفسهم لايلبث أن يتبين أن السمهري يغاير الردينى تماما من حيث الصفات المنسوبة إلى كل منهما فالسمهري يمتاز بصفتين هما (١) الاعتدال و (٢) الصلابة

أما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لأنه هو الذي يهتز دون السمهري. وعلى هذا فيانه من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين — ولعل المفروض إنهما كانا يتخذان محليهما جنبا إلى جنب في سوق الخط — بدون أن يطغى الواحد منهما على الآخر ! و يالها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلبة من حصة الزوج وبيع الرماح اللدنة من نصيب الزوجة ! ! ومما يزيد أقوالهم ارتباكا كما يزيدنا ارتياباً أن أحداً منهم على الأقل وهو الزبير بن بكار ذهب إلي أن سمهر كانت قرية بالحبشة (أنظر التاج حيث جاء أن الصاغاني أنكر هذا القول) كما أن بعضهم قال أن سمهر اسم أمرأة كانت تقوم الرماح ! ! !

أن المهم فى هذا كله هو أن الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفا ، لم تكن إلا مرفأ للسفن الواردة من الهند ، إذاً فمن المؤكد أن السمهريات والردينيات كانت رماحا هندية ، هذا بغض النظر عن من قام بأعمال بيعها أو توزيعها فى الخط . أفيستغرب بعد هذا أن يكون التجار العرب قد أخذوا إسمى الصنفين من الرماح — الصلب واللدن — من أفواه التجار الهنود ؟ إن مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما أنه يصادف حرص العرب عامة على تسمية الأشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . والحقيقة أن الكلمتين (Sama) و (Khara) [المجموع : (Samakhara)] تعنيان فى السنسكريتية « المعتدل » و « الصلب » على الترتيب (٩) . وعلى هذا يكون سمهر اسما هنديا جلبه العرب مع مسماه (أى الرماح الممتازة بالاعتدال و الصلابة) إلى الخط وطبعا خفى أمره على الناس لكونه غير عربى فلذلك لم يفقهوا غير أنه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفأ بالبحرين .

لم اكن لأجترىء على عرض هذا التفسير لكلمة «سمهر» إلا أننى عثرت أثناء بحثى هذا على مثال آخر لهذه الأسطورة بالذات وذلك فيما يتعلق بكلمة

---

(٩) SAMA. even, level. . . . . straight.— M. Williams : Sanskrit-English Dictrinary. Oxford P. 1066.

KHARA. hard, harsh, rough, . . . dense —. Ibid P. 74.

السندرة ومن حسن حظنا أن أحدا من هؤلاء اللغويين أتقسهم وهو القتيبي قد تولى إماطة اللثام عما نسجه خيال أقرانه الخصب حول أصل تلك الكلمة هي الأخيرة . واليك فيما يلي ماجاء عنها في اللسان .

السندر الجرىء المتشبع والسندرة ضرب من الكيل . . . والسندر مكيال معروف . . . قال ابن الاعرابى وغيره هو مكيال كبير ضخم . . . وقيل السندرة امرأة كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . . : قال القتيبي ويحتمل أن يكون مكيا لا اتخذ من السندرة وهى شجرة يعمل منها النبل والقسى ومنه قيل سهم سندرى — ويقال قوس سندرية منسوب الى السندرة أعنى الشجرة التى عمل منها هذا القوس وكذلك السهام المتخذة منها يقال لهما سندرية وسنان سندرى اذا كان أزرق حديداً .

إن ما ذكره القتيبي ، مستنيراً بذوقه السليم ، بأنه محتمل هو لعمرى صحيح إلى حد بعيد لأن كلمة " Chandra " [لا " Sundara " كما أورده أدى شير] بالسنسكرتية تعنى (١) شجرة معينة و (٢) الرجل البارز الشهير و (٣) اللامع البراق — قارن سنان سندرى — (انظر M . Williams,p · 315) الا أن للكلمة معنى رابعا وهو الخيمة أو المظلة من ثوب وهى بهذا المعنى توازى كلمة " Chūdar " بالفارسية والأردوية وتطلق على الريطة أو الملاءة الكبيرة ويرجح عندى أن هذا المعنى هو الذى له صلة بـ (الكيل الضخم) انما يقدر ذلك من اعتاد منظراً عاما فى أسواق الحبوب — و (القمح) على الأخص — بالهند وهو جماعة من الشيالين ومعهم ريط أو ملاء يبسطونها للكيل الضخم ثم يضمون أطرافها ويحملونها على ظهورهم . وذلك معنى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنِي أُمِّى حَيدَرَه
كليث غابات غليظ القَصَرَه
أ كيلكم بالسيف كيل السندَرَة

أى أقتلكم قتلا واسعا كبيرا ذريعاً . انظر نهج البلاغة ٤/٣٦٢ .

على كل حال فقد رأينا أن القتيبي أدرك أن في الكلام عن (امرأة كانت تبيع القمح) مجازمة لجأ إليها الذين وقفوا حيارى أمام كلمة هندية ألفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما أصلها .

لكن انتفاء شخصية سمهر من الوجود نهائيا يستلزم أيضاً عدم بقاء ردينة كأرملة تخير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة إلا أن تلك مسألة لا تستدعي كبير عناء بعد أن حطمنا الأغلال التي كانت تقيد فكرنا . كفانا أن ننظر الي كلمة " Rattan " بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غاية في المتانة والجودة وتمتاز قناته أكثر من أي شيء آخر بالمرونة واللدونة (أنظر "Rattan" — Hobson-Jobson) ومما لا يشك فيه أن هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن " Rotan " ، بلغة ملايو والهند الشرقية . أفهل يستبعد أن تكون (ردينة) الحلقة الوسطى بين " Rotan " من جهة و " Rattan " من جهة أخرى ليس إلا ؟

لقد آن لنا الآن أن ندون بعض الملاحظات عن أصل كلمة « القنا » . إننا رأينا أن العرب ، مع كثرة وصفهم للرماح ، لم يذكروا أي منبت للقنا في ديارهم ، بل بالعكس أجمعت الأدلة كلها على أنهم كانوا يعتمدون على منابت القنا بالهند ، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر ما أورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ١٦/٣) من أن الشعوبية طعنوا في العرب بقولهم : « إنما كانت رماحكم من مرّان وأسنتكم من قرون البقر . . . » لعل مغزى هذا المطعن لا يعدو أن العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكّنهم من صنع الرماح بجزئيها القناة والسنان — وأخيراً يجب علينا أن لا نغفل اعتبار الأحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدراراً ثلاثة أو أربعة أشهر متتالية في السنة . أفيوجد مثل هذه الأحوال في جزيرة العرب أو شرقيها وغربيها إلا في السند والدكن أي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ بلى وفي الحبشة أيضاً ومن هنا يخيّل إليّ أن قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بأن سمهر كانت قرية بالحبشة) يخفي وراءه حقيقة ثابتة وهي أن العرب في وقت من الأوقات اتخذوا من الحبشة بديلا من الهند ، مرجعهم الأول المفضل — وإذاً فسمهر الحبشية

لا تكون إلا قناة صلبة مستوردة من الحبشة ، كما أن سمهر الخطى لا يمثل إلا قناة صلبة مجلوبة من الهند ! ولا ننسى كيف أن ياقوت خلط بين « القامة » بـكلَـه وبين معدن التصدير بالأندلس لأسباب متشابهة .

ولعل القارئ الاريب يتبين فى قول ياقوت الآتى تأييد الجميع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخط إلى الفضل بن العباس بن على الصولى المعروف بابن برد الخيار . . قال حدثنى سليمان المدائنى قال حدثنى الزبير بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت إلى قرية يقال لهـا سمهر بالحبشة . . . قلت أنا وحدثنى بعض من يوثق به أن هذه القرية في جزر من النيل (الآثار للقزوينى ص ٣٠ « جوف النيل ») يأتى من أرض الهند على رأس المـاء كثير من القنا فيجمعه أهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف بأرض الحبشة مشهور — وقول من قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم بعمل الرماح فانه كلف من القول وتخمين » .

ولأذكر بعد ما تقدم أن القنا هو (Kanda) باللغة الـسنسكرتية ، ولكن يجب أن أسجل مرة أخرى ما قد نبهت عليه من قبل من أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية كما هى باللغة السنسكرتية بل أخذوها كما كان الأهلون فى مختلف المناطق الساحلية ينطقونها ولايخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات مختلفة بل لغات مستقلة وكلمة (Kanda) بالذات لهـا فى تلك اللهجات واللغات أشكال هى أقرب بكثير إلى « القنا » إلا أننى لا أتمكن من استخراجها فى الوقت الحاضر لعدم وجود المراجع الضرورية . على كل حال فمن الطريف أننا نجد كلمة (Kanda) كما هى كجزء من كلمة « بخنداة » التى ربمـا استعملها العرب فى الغزل . يقول صاحب اللسان (ومحيط المحيط) : —

« البخنداة والخبنداة من النساء التامة القصب الريّاء — وساق بخنداة غليظة ممتلئة . قال الراجز (العجاج) :

قامت تريك خشية أن تصرما ساقا بخنداة وكعبا أدرما

وكذلك البخندى والخبندى . . . قال العجاج : إلى خبندى قصب ممكور » . هذه الكلمة (بخنداة) أراها مركبة من كلمتين : « با » = الرجل و « خند » أى (Kanda) .

(هـ) الوشيج — إذا كان « الخطّى » هندياً فهل من الغريب أن يكون « الوشيج » — الذى لا ينبت الخطى الا هو — هندياً أيضاً ؟ إن أصل هذه الكلمة هو(Vānsha) والجيم فى الآخر علامة العجمة لا غير . وقد عهدنا العرب دائماً يظهرون ملكة قوية للاحظة الطبيعة بالدقة والاتقان وإن كلمة الوشيج وما اشتق العرب منها إلا دليل على التأثر بالطبيعة واستخلاص المعانى العامة من مظاهرها فإن كل من اتفق له أن يتمتع بنظرة إلى منبت القنا ليقدر تمام التقدير أن أهم ما يروع المرء من أشجاره هو التفاف شيقانها وتعانق أغصانها ومنه قولهم الوشيج بمعنى القرابة ، والوشج بمعنى الاشتباك . وإذا كان أحد فى شك من هذا فلينظر إلى كلمة « البيش »[١٠] لا ريب فى أنها هندية معربة أصلها (Visha/Bisa) استخلص العرب من شجرته معنى الخضرة والنضارة فقالوا « بيّش الله وجهه » ولاحظوا أيضاً أن شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا « أباش الشجرة » .

(و) أما فيما يتعلق بالقسى ، فقد كفانا الجاحظ مؤونة البحث عن أصلها بقوله : وكل قوس بندق فانما جئ بقناتها من بروض ومذح نبرتها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشى :

أنعت قوسا نبعت ذى انتقاء جاء بها جالبُ برْوضاء
بعد اعتيام منه وانتصاء كافية الطُول على انتهاء
مجلوزة الأكعب فى استواء سالمة من أُبن السيساء

البيان والتبيين ٣/٩٣ — ٩٤

(١٠) « البيش وهو نبت لا يوجد إلا بالهند » كذا فى الآثار للقزوينى ص ٨٥

وانظر أيضاً إلى قول آخر للرقاشي في صفة القناة التي تبري منها القسي :

من شقق خضر بَرُوصِيّات صفر اللحاء وخلوقيات
جدلن حتى إضن كالحيات رشائقا غير مؤبّنات
أنّفهن متمطرات عمرو بن عصفور[11] على استثبات

(المصدر نفسه ٣/٧١)

لا يخفى أن بروص (كما وردت الكلمة مضبوطة في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر «بروصاء» — «بروضاء» تحريف من الكاتب ليس إلا — في القطعة الأولى لضرورة الشعر) كانت ميناء هاما على ساحل كجرات فوق بمباي حاول العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند وأبان حكمهم لها ، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري) وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم "Bharoch".

والآن لندع أوس بن حجر يحدثنا عن قناة القسي وأخواتها ويقدم لنا صورة رائعة لمنابتها . يقول أوس وهو المختص بهذا الموضوع :

وصفراء من نبع كأنّ نذيرها إذا لم تخفّضه عن الوحش أفكلُ
تعلّمها في غيلها وهي حظوةٌ بوادٍ به نبع طوالٌ وحثيَلُ
وبانٌ وظيّان ورنفٌ وشوحطٌ ألفّ أثيثٌ ناعم متغبّلُ
فمَظّعها حولين ماء لِحائها تُعالَى على ظهر العريش وتُنزَلُ

---

(١١) لو كان سمهر متقفاً للرماح أو بياعاً لها . لكان من الواجب أن نظفر من شاعر من الشعراء القدماء بإشارة صريحة إلى ذلك مثل ما نجد أمامنا بخصوص عمرو بن عصفور ولكننا بخلاف ذلك نرام ، حسما أعرف ، دائماً يذكرون « السمهرية » و« الردينية » و« رماح ردينة » (الشيخ ، الديوان ٩٨) من غير أن يزيدوا شيئاً ثم يجيء اللغويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم بدون أي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

فمَلّكَ بالّليط الّذى تحت قشرها   كغِرقىء بيض كنّه القيض من عَلُ
وأزعجه ان قيل شتان ما ترى   إليك وعود من سراء معطّلُ
ثلاثة أبراد جياد وجُرْجَةٌ   وأدكنُ من أرْىِ الدّبور معسّلُ
(الديوان — Wien, 1892 — ق ٢٩/١٤ — ٢٠)

لقد استدل البعض من قول أوس هذا على أن النبع الذى ورد ذكره فى الأول ، والسراء الذى جاء ذكره فى الآخر فى معرض الكلام عن قوس واحد بالذات ، هما شيء واحد (اللسان ٩/٢٠١) . على كل حال فالسراء شجر هندى وأصل الكلمة (Saccharum Srara = " Shara ") ولم يأخذ العرب اسم الشجرة فحسب بل عربوا أيضا ما له صلة بهـا : فالسروة أصلها "Sharu" (= السهم القصير) والشريج بمعنى العود يشق منه قوسان (أنظر قول الشماخ : « شرائج النبع براها القواس ») هى إلى الآن " Chari " . ومنه يقال لخطى نيرى البرد شريجان (أنظر كلمة «نير» فى البند زى) .

أما سائر الأشجار التى ورد ذكرها فى الأبيات المتقدمة فمن الواضح أن منبتها هى والسراء كان فى واد واحد . يؤيد ذلك قول المبرد : « النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها لاختلاف منابتها وتكرم على ذلك فمـا كان منها فى قلة الجبل فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشريان وما كان فى الحضيض فهو الشوحط» (اللسان — «النبع») وعلى هذا فتكون هذه الأشجار وأسماؤها هندية أيضا إلا إننى أعتذر عن عدم قيامى بالبحث عن أصلها لعدم الالمـام بموضوع أسماء النبات والفروق الدقيقة بين مسمياتها .

(ز) وصفوة القول أن قضب الهند على العموم هى التى كانت يضرب بها المثل كما يقول الشاعر :

« قضب الهند والقنا أخدانك   والمقادير فى الورى أعوانك »

(النويرى ٢/٥٤ وجاء فى كنايات الجرجانى ٦٣ ان الشاعر هندى)
إنما بقى الكلام عن « البـان » هى أيضا هندية أصلها " Vana " وليس الأمر

مقتصرا على الباذ بل كلمة «الخوط» [سنس : "Kata"] هندية أيضا تستعمل مع البان كما تستعمل الشريج مع النبع وأمثاله .

(ح) وتبعا لصناعة السيوف أيضا اختص أهل الهند بانتاج السكاكين من أنواع مختلفة فالشلطة لعلها مأخوذة من السنسكرتية "Shita" كما أن الشلقاء أصلها "Shalaka" نوع من السكين كان يستعمله الجراحون للبضع وقد جاء فى اللسان أن الكلمة ليست بعربية محضة .

(ط) البهار = شيء يوزن به . الكلمة غير عربية كما أجمع عليه الجميع ما عدا الأزهرى وليست قبطية كما ذهب اليه أبو عبيدة بل هى هندية أصلها (Bhara) [قارن الفارسية «بار»] وهى انما تعنى الحمل ويختلف مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هى عليه والبلد أيضاً (انظر Hobson-Jobson) "Bhara" وهذا هو منشأ البلبلة وتضارب الأقوال بشأن تحديده (انظر المعرب للجواليقى) .

(ى) البهار = أزهار البر . كثيراً ما تكلم ربابنة المحيط الهندى عن « أنواع الطيب والبهار »[١٢] فى بلاد المهراج وقد فات هذا المعنى على عدد من أصحاب المعاجم إلا أن الفيومى أورده فى المصباح المنير والكلمة بهذا المعنى منقولة من "Van-hara" ("Van" أى البر) .

(ا ى) البهار — الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن "Vihara" وهو معبد البوذيين الذى تكلمنا عنه فى معرض البحث عن حقيقة معبد بلخ وأصل البرامكة فى مقالنا السابق (العلاقات العلمية بين الهند والعرب) واستعمال العرب لهذه الكلمة بهذا المعنى يعتبر تأييداً هاما للرأى الذى بسطناه هناك .

ومما يذكر أن عبادة البوذيين لتمثال بوذا (Buddha) سببت رواج كلمتين أخريين في اللغتين العربية والفارسية هما « البد » و « السمنية » فان « البد » هو (Buddha) أو تمثاله ونجد هذه الكلمة نفسها بشكل « بت »

---

(١٢) الدمشقى : نخبة الدهر ١٥٤

بالفارسية أما السمنية فقد كانت معروفة لدى العرب كاسم لجماعة البوديين[١٣] وهى بالفارسية « شمن » أى عابد الأصنام . أنظر إلى قول رودكي :

« اين جهان جون بت است وما شمنيم »

وقول الفردوسى : « برستش كنم جون بتارا شمن » .

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجى فى شفاء الغليل إلى أن « صنم » معربة عن « شمن » إلا أن ذلك خطأ كما جاء بهامش انف التاج بدليل أن شمن يعنى العابد لا الصنم .

(٠ ى) الألوة = العود الذى يتبخر به . قال أبو منصور : أراها هندية (اللسان) أصلها بالسنسكرتية "Elavālu" — الفارسية : "alwā" وقد كان هذا العود يستعمل كدواء أيضا فان عصارته هي الصبر .

ومما يجدر بالذكر أن من عود البخور ما يسمي بالسنسكرتية "Aguru" (الأردوية "Agār") ولما انتقلت هذه الكلمة إلى الانجليزية عن طريق البرتغاليين (Portg.— Aguila, Fr.— bois d'aigle) صارت Eagle-wood للتقارب فى المخرج ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه نسبة هذا العود إلى العقاب فقالوا أن قشرة العود تشبه ريش العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق Hobson) Jobson— "Eagle-Wood") إنما يذكرنا بما فعله العرب بشأن « السمهري » و « السندرة » .

(جى) لم يستورد العرب من الهند أنواع الطيب فقط بل « جونه » العطارين أيضا أصلها "Goni" وهى بالانجليزية "Gunny" (أنظر Hobson Jobson) ولا أملك فى هذا المقام إلا أن أردد قول الأعشى يصف نساء تصدين للرجال حاليات :

إذا هن نازلن أقرانهنْ وكان المصاع بما فى الجُوَنْ

(اللسان — ج و ن) .

(دى) ليس « القرنفل » هنديا فحسب بل أن القلادة من القرنفل

(١٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٥

أى السخاب[١٤] هندية أيضا أصلها بالسنسكرتية "Shekhara" كما أن القلادة من الأزهار والجواهر هى المنية [Mani, Malya] وقد وردت كلمة «المنية» هى الأخيرة فى معرض الكلام عن القلائد فى كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار (Leide, 881-86) ص ١١٣، فترجمها المترجم الفاضل "L'objet de leurs delsirs" إلا إننى أرجح أن تكون الكلمة هندية استعملت على أصلها .

(هى) إن من المعادن التى امتازت الهند بانتاجها وتصديرها الكلس أصلها "Kansa" وهى بالانجليزية "Ganza" (أنظر Hobson Jobson) .

وهل من الغريب ، نظرا إلى وجود المعادن وحذق الهنود فى الصناعة ، أن تكون الهند متجه التجار العرب لاستيراد الأوانى مثل الكأس أصلها "Kansa" والطيسل [السيطل والسطل لغتان فيه [١٥] أنظر اللسان — سطل وطسل] هى إلى الآن "Tasla" بالأردوية واللقن هى "Lagan" . وقد أورد ادى شير أن « فنجان » أيضا مأخوذة من كلمة هندية (أنظر تحت «البنكام») كما أن « باسنة » أصلها « باسن » بالهندية (كذا فى لف القماط) .

(زى) ومما يشهد بسبق أهل الهند فى الصقل وما إليه أن كلمة «سن» (سنس : "Shan" — قارن بالانجليزية Hone) هندية الأصل وهى جزء من كلمة « سنباذج » (Shan-pada) التى تنبىء عن عجمتها بنفسها . كذلك نرى أن كلمة « سفين » أى آلة الفلق أيضا ينتمى أصلها إلى الهند فانها "Chevni" بالأردوية الحالية وهى تنحدر من مادة Cho أى القطع بالسنسكرتية .

ومن المعروف أن « سندان » أعجمية هى بالفارسية « سندان » وبالسنسكرتية "San-dhana" .

(زى) النير بالكسر القصب والخيوط اذا اجتمعت . والاسم النيره وهى الخيوطة والقصبة اذا اجتمعتا فاذا تفرقنا سميت الخيوط خيوطة

---

[١٤] أنظر إلى صاحب التاج يقول : « سمى به لصوت خرزه عند الحركة من السخب وهو اختلاط الأصوات قاله شيخنا » — هذه المحاولات للتعليل (كما نرى بشأن «الشال» أيضاً) إنما تنبىء عن الشعور بغرابة الكلمة لاغير .

[١٥] مثال آخر القلب : « الطيش » من « الشاطة » انظر محيط المحيط .

والقصبة قصبة (كذا بالتاج) أصلها بالسنسكرتية " Nadi " [١٦] ويتبع هذا المعنى معنى آخر وهو (علم الثوب) الذى كرهه عمر لحرم الصحابة من سبب — وما أشونه من سبب — من أسباب الزينة والذى كثيرا ما ساعد المتحابين فى طمس آثارها كما يقول امرؤ القيس :

نقمت بها أمشى تجر ورائنا على أثرينا نير مرط مرحل

كذا (نير) بدل (ذيل) في رواية .

والمعنى الثالث لكلمة (نير) أعنى (الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراثة) أيضا مأخوذ من الهند .

ولا يخفى أن الاقبال كان شديداً جدا على المنسوجات الملونة التى اشتهرت الهند بصناعتها كالشيت أصلها " Chitra " والشال [١٧] .

(حى) النمط أصلها " Namata " الفارسية (نمد) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية الممرات ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

(طى) يقول الجوالبقى : (فى حديث عمر إن معاوية كتب اليه يستأذنه فى غزو البحر ، فكتب اليه : انى لا أحمل المسلمين على أعواد نجرها النجار وجلفطها الجلفاط — أصل هذه الكلمة غير عربى) .

وجاء فى اللسان : (جلفط) التهذيب الجلفاط الذى يسد دروز السفينة الجديدة بالخيوط والخرق يقال جلفطه الجلفاط اذا سواه وقيره . قال ابن دريد هو الذى يجلفط السفن فيدخل بين مسامير الألواح وخروزها مشاقة الكتان ويمسحه بالزفت والقار وفعله الجلفطة .

يتضح من هذا أن الكلمة لها علاقة (١) بسد الدروز بمشاقة الكتان

---

(١٦) قارن ما جاء عن هذه الكلمة بالمعجم السنسكريتى :

" NADI (—C' IRA), a small reed or tube round which the woof is wound. (it is then used as a shuttle). —(Williams p. 476)

(١٧) أصلها " Shavala " وانظر إلى قول صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى يعمل بكشمير ولاهور ويجلب به إلى البلاد ويقال انه من وبر الجمل سمى به لأنه =

وما اليها و (٢) بالمسح بالزفت والقار ، وعلى هذا نجد أن كلمة "Khal" الهندوية تعنى بالضبط مشاقة الكتان وما إليها كما أن كلمة "Pusta" بالسنسكرتية تعنى المسح والتطلية وقد تطورت هذه الكلمة الأخيرة فى اللهجات والاردوية الحالية إلى "put" أى اختفى منها حرف "s" ولعل فى استعمال العرب (الجلفاظ) (بالظاء المعجمة انظر المخصص ١٠ / ٢٥) اشعاراً بوجوده فى بعض الأحيان .

ومما لفت نظرى أن كلمة " Khila " أيضا تعنى الدرز وكل ما يسد الدروز ويمكن أن تكون هى الجزء الأول من جلفط بدل "Khal" . على كل حال فالجزء الثانى أعنى (فط) هو الذى انتقل الى الانجليزية بشكل " Putty " .

ويجدر بالذكر أيضاً أن قلافة السفينة أيضاً بمعنى « خرز ألواحها بالليف وجعل فى خللها القار » (اللسان) وإليه نسب العلماء كلمة (Calfater) الفرنسية (M. Devic P. 78) و «قلف» إن لم يكن مجرد تخفيف لـ «جلفط» فيمكن أن يكون (Khal-lip) وذلك لأن (lip) يرادف (put) تماما وربما استعملت الكلمتان معا .

وأخيراً ننقل فيما يلى عن الأدريسى ما يؤكد لدينا أن جلفطة السفن كانت من اختصاص الهند لأسباب طبيعية . يقول الأدريسى :

« وكل ما يجرى فى بحر الهند والصين من المراكب السفرية صغاراً كانت أو كباراً فانها منشاة (؟) من الخشب المحكم نجره وقد حملت أطرافه بعضها على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفط [بالدقيق] وشحم الذبل (فى الأصل « البابه » والتصحيح عن المسعودى ١/ ٣٢٩) والذبل دابة

= يرفع على الاكتاف إن كانت عربية » لا شك انه تحفظ بقوله « إن كانت عربية » لأن نسبة الشال إلى كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة إلا ان تعليله لهذا الاسم بكونه مرفوعا على الاكتاف يبين لنا طريقة الذوين فى البحث عن الأصول الغامضة لبعض الكلمات .

كبيرة تكون فى بحر الهند والصين منها ما يكون طوله نحواً من مائة ذراع فى عرض عشرين ذراعاً ينبت على سنام ظهرها حجارة صدفية وربما تعرضت المراكب فكسرتها وحكى [أيضاً] الربانيون أنهم يرشقونها بالسهام فتنحي عن طرائقهم وذكر أنهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها وتعود شحماً مذاباً ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن فى عدن وغيرها . . . وهو عمدتهم فى سد خروق المراكب » دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٥٤ ، والزيادة ما بين المعقفين عن نسخة أخرى رقم ٢٦٣

واليك قول لبيد العامرى شاهدا على اشتهار الهند بالبراعة فى هذه الصناعة يقول لبيد فى تشبيه الناقه .

كسفينة الهندىّ طابَقَ دَرْءها بسقائف مشبوحةٍ ودِهانِ

انظر الديوان (الخالدى ، فينا ١٨٨٠) ص ٦٥

(ك) الداذى — نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (أنظر ابن خرداذبه ص ٧١) يقول عنه سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب أبيض ، فاذا شرب ساعة يوخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شراباً ، وإن بقى أياما صار خلا » ، سلسلة التواريخ (ص ١٨) . أصل كلمة الداذى هو (Tari) بالهندية وهى بالانجليزية (Teddy) .

(ا ك) الشتم أى الشرارة أصله (Jhala/ Jhilli) قارن (Chilam) بالأردية كما أن الجهل أى الخشبة التى يحرك بها الجمر هو بالأصل (Shalu) قارن (Jhal) بالأردوية بمعنى التحريك .

(ب ك) السنبة أى الدهر . هذه الكلمة هى فى الواقع دليل على معرفة العرب بالتقويم الهندى فان (Samvat) إنما تعنى « السنة » ولا شك أن العلاقات التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند الهنود ، هى التى أدت العرب إلى تلك المعرفة كما أنهم كانوا يقولون « فلان يسّر بأرض الهند

أى شتا هنالك » (المسعودى : مروج الذهب ١/٣٢٧) من « اليسارة التى تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم فى الصيف ثلثة أشهر تباعاً » (أبو زيد السيرافى فى سلسلة التواريخ ص ١٢٦) .

* * *

وأخيراً لا أجد ما أختتم به هذا المقال أحسن من أبيات لأبى الضلع [كذا فى المعجم للمرزبانى ٥١٣ وفى الفهرست ١٧٤ « أبو الصلع »] السندى أحد الشعراء من الموالى ، فى مدح الهند ، كنت قد قرأتها منذ سنوات عديدة ولكن لم أتذوقها وأتبين حقيقتها إلا بعد ما قمت بهذا البحث . وهى :

لقد أنكر أصحابى ، وما ذلك بالأمثلْ
إذا ما مُدح الهندُ وسهمُ الهند فى المقتلْ
لعمرى إنها أرضٌ إذا القَطر بها ينزلْ
يصير الدرّ والياقوتَ والدرُّ لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتغل
وأنواع الأفاويه وجوز الطيب والسُّنبلْ
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وأن التوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والببغاء والطاءوس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوفٌ مالها مثلٌ قد استغنت عن الصيقل
وأرماحٌ إذا ما هُزتِ اهتزَّ بها الجحفل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل ؟

[الآثار للقزوينى ص ٨٥ وانظر الحيوان ٧/٥٠] .

سكان مديرية البحيرة فى خمسين عاما

(١٨٩٧ - ١٩٤٧)

القسم الأول

بقلم

الدكتور محمد محمود الصياد

مديرية البحيرة

تحتل مديرية البحيرة الجزء الغربى من دلتا النيل وتبلغ مساحتها ١,١٤٢,٠٦٩ فدانا يزرع منها ٦٦٥,٨٣٠ فدانا . أما الباقى وقدره ٤٧٦,٢٣٩ فدانا فمن أراضى البور أو أراضى البحيرات . ولعل البحيرة هى المديرية الوحيدة فى الوجه البحرى التى لم تتغير حدودها كثيرا على مر العصور اللهم إلا حدها الشرقى الذى كان يتسع فى فترات محدودة فيشمل أراضى فى شرق فرع رشيد ثم لا يلبث أن يتركها لتنضم الى قسم آخر . ولكن كثيرا ما تغيرت الأقسام الفرعية للمديرية بانشاء بعض المراكز الجديدة أو بفصل بعض النواحى من مركز وضمها إلى آخر ، أو بالغاء بعض النواحى الغاء تاماً ، أو بفصل بعض النواحى لتنشأ منها نواحى مستقلة . وهذا صعوبة من الصعوبات التى تعترض الدراسة الديموجرافية المقارنة .

وتنقسم المديرية اداريا الى عشرة مراكز ريفية هى : أبو حمص وأبو المطامير وايتاى البارود والدلنجات ودمنهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حمادة والمحمودية . ثم بندر دمنهور . وتعتبر مدينة دمنهور العاصمة الحالية للمديرية (٨٤,٩٨٣ نفساً) من أحسن العواصم

الأقليمية توسطاً لا قليمها حتى أننا لو اتخذناها مركزاً لدائرة نرسمها فان محيطها يمر باطراف المديرية جميعاً . وهذا يفسر لماذا عاشت دمنهور منذ زمن بعيد عاصمة للبحيرة .

والبحيرة مديرية لها شخصيتها الجغرافية المستقلة فهي فضلا عما تمتاز به من حدود ادارية تقوم على أسس جغرافية سليمة : لها من مظاهر السطح والتربة والمناخ : ومن تطور العمران الزراعي ووسائله وأساليبه ما يميزها بدرجات متفاوتة عن غيرها من مديريات الوجه البحري الأخرى . كما أنها مديرية متنوعة في كثير من مظاهرها الجغرافية ومقومات الحياة البشرية فيها . وهي في هذا تختلف عن مديرية كالمنوفية مثلا يظهر الانسجام العام بين جميع جهاتها .

ولقد تناولنا في هذه الدراسة بعض النواحي الديموجرافية لتلك المديرية آخذين بأضيق معاني كلمة ديموجرافية (Demography) ، فاقتصرنا على دراسة السكان من حيث نموهم وكثافتهم وتوزيعهم دون التعرض للنواحي الجنسية أو الاجتماعية أو غيرها من النواحي التي يمكن أن تدخل ضمن الدراسة الديموجرافية . أي أنها دراسة لسكان مديرية البحيرة من ناحية الكم لا من ناحية الكيف .

وسوف يلاحظ في بعض نواحي الدراسة المقارنة أنها تنتهي عند تعداد سنة ١٩٣٧ ، وسبب ذلك أن مصلحة الاحصاء والتعداد لم تفرغ حتى الآن من إعداد كثير من الكشوف النهائية لتعداد سنة ١٩٤٧ ولكن هذا لم يؤثر في دراستنا لحسن الحظ الا بقدر ضئيل .

هذا ويسرني أن أتقدم بخالص الشكر إلى صديقي الأستاذ الدكتور عباس عمار مدير عام مصلحة الفلاح بوزارة الشئون الاجتماعية على توجيهاته القيمة وآرائه السديدة التي افدت منها كثيرا في كتابة هذا البحث . كما أشكر الذين عاونوني في جمع الأرقام والبيانات من الأصدقاء والطلاب .

(١)

مصادر البحث

تعتمد الدراسة الديموجرافية فى مصر على مجموعتين من المصادر هما :

١ — تعدادات السكان التى تجريها مصلحة الاحصاء والتعداد مرة كل عشر سنوات .

٢ — الاحصائيات الصحية المختلفة .

ولابد لنا قبل أن نبدأ دراستنا أن نتناول هذه المصادر بالنقد والتحليل حتى نستطيع أن نفرق بين الأرقام التى هي نتيجة إحصاء دقيق وبين تلك التى تقوم على التخمين والتقدير .

التعدادات

عملت بعض محاولات لتقدير سكان مصر الحديثة أثناء الحملة الفرنسية وفى عهد محمد على كان أولها محاولة « جومار » أحد علماء البعثة التى رافقت نابليون إلى مصر [١] ، غير أن هذه التقديرات كانت قائمة على أساس كشوف الممولين كما حدث فى سنة ١٨٢١ ، أو على أساس تعداد المساكن كما حدث فى سنة ١٨٤٦ [٢] ؛ ولم يكن هناك تعداد بالمعنى العلمى الصحيح لهذه الكلمة .

هذه التقديرات والتعدادات ليس من السهل الحصول على تفصيلاتها الخاصة بالمديريات المختلفة ، وليس لدينا أرقام مفصلة عن مديرية البحيرة قبل سنة ١٨٨٢ ، ففى تلك السنة عد السكان لأول مرة فى يوم واحد معلوم ثم أجرى التعداد التالى فى سنة ١٨٩٧ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التعداد يعمل بدقة ونظام مرة فى كل عشر سنوات (١٩٠٧ — ١٧ — ٢٧ — ٣٧ — ٤٧) ، ولكننا مع الأسف مضطرون إلى الاعتماد على التعدادات السنة الأخيرة

---

(١) محمد عوض محمد (١٩٣٦) راجع فى هذا الكتاب شرح الطريقة التى اتبعها جومار فى تقديره لسكان مصر . ص ص ٢٧٥ — ٢٧٧

(٢) الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ص ١١

دون الأول الذي يجب إعتباره من التقديرات القديمة لا من التعدادات الحديثة المنظمة حيث لا يمكن الأخذ بأرقامه كحقيقة ثابتة [1] ، لأسباب كثيرة منها : أنه لم يعمل على أساس علمى منظم كالتعدادات الأخرى التى تلته ، ثم إنه أجرى فى وقت انتشرت فيه الفوضى واختل النظام ، فقد أجرى في ٣ مايو سنة ١٨٨٢ والثورة العرابية فى عنفوانها ، وإلى هذا يشير المستر « س . لويس » مدير تعداد سنة ١٩٠٧ بقوله : « وربما لا يكون فى الثلاثين سنة الغابرة سنة واحدة كانت أحوالها أقل ملائمة لاقامة تعداد مثل تلك السنة . . . ولا مشاحة في أنه لو جاء تعداد سنة ١٨٨٢ على ما كان في عهده من الانقلاب والاضطراب تعداداً يصح الاستناد عليه لكان للأمر عجب عجاب [2] » .

كذلك لم يطمئن الأهالى الى التعداد خوفاً من أن يكون وسيلة للتجنيد ولذلك وجدت الحكومة كثيرا من الصعوبات واضطرت الى إتخاذ وسائل متعددة من الترغيب والترهيب فى سبيل إجرائه [3] .

وليس هذا فقط هو الذى يحول بيننا وبين الاعتماد على أرقام سنة ١٨٨٢ في هذه الدراسة بل هناك أمر آخر وهو أن كثيراً من جداول ذلك التعداد لم تطبع . فقد جمعت المعلومات ونظمت فى جداول وذكر فى مقدمة الجزء الأول منه أنها ستظهر فى الجزء الثالث ، ولكن الجزء الثالث لم ينشر ، ويذكر الدكتور كليلاند أنه « بالسؤال عنه فى مصلحة الاحصاء قيل أنه لم يطبع . . . ولما سألت : هل من الممكن الحصول على المعلومات الخاصة به ؟ قيل إنها ليست فى المصلحة ولكن من المحتمل (!) أن تكون مدفونه فى القلعة [4] .

---

(١) السيد صبرى (١٩٣٥) ص ٢

(٢) تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٩٠٧ ص ٢٣

(٣) أميتشى ، ف (١٨٨٤) راجع ص ٨٧ وما بعدها .

(٤) كليلاند (١٩٣٦) ص ٩

من كل هذا يتضح أن أرقام تعداد سنة ١٨٨٢ لا يمكن الارتكان عليها في الدراسة المقارنة ولابد من الاكتفاء بالتعدادات الستة الأخرى فهل سلمت هذه التعدادات من عيوب ؟ الواقع لا . . . فالطريقة التي اتبعت في عملها ؛ والأسلوب الذي سير عليه في تنفيذها ، والوقت الذي أختير لهـا ؛ كل أولئك لم يخل من نقص يؤدي دون شك إلى نوع من عدم الدقة في النتائج التي يحصل عليها .

أما عن الطريقة التي عملت وما زالت تعمل التعدادات بها في مصر فهي طريقة De Facto (La Population de Fait) أي طريقة الحالة الراهنة ، وهي ما تثبت حالة السكان يوم التعداد حين وحال عدهم ، أي أن هذه الطريقـــة لا نعرف منها عن محال الاقامة إلا المحال التي وجد بها السكان ليلة التعداد . وهي بهذا تختلف عن طريقة De Jure (La population de Droit) أي طريقة الحالة الثابتة التي توزع السكان بحسب محلات إقامتهم العادية وبذلك يمكن معرفة حالة الهجرة الحقيقية بمقارنة محال الميلاد بمحال الاقامة العادية .

والطريقة الأولى غير مرضية في تحليل نواحي كثيرة مما يشمل التعداد [١]. خصوصاً في منطقة كمديرية البحيرة تتطور الآن في كل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتشهد حركة عمرانية عظيمة قوامها إصلاح الأراضي البور فيها ، ولهذا كان من الضروري معرفة اتجاهات موجات الهجرة الآتية اليها ، وهذا لا يمكن الوقوف عليه بدقة إلا إذا عمل التعداد بطريقة (De Jure) غير أن البعض يرى صعوبة ذلك نظراً لوجوب القيام بعملية إرجاع السكان إلى محال إقامتهم العادية وهي عملية كبيرة من جهة ويتخللها كثير من الصعوبات من جهة أخرى ، فتعريف محل الاقامة العادي ليس من السهل بحيث يتصور الانسان لأول وهلة ، ثم أن هناك حالات يكون للشخص فيها محلان للاقامة العادية

---

(١) نيوزهولم (١٩٢٣) ص ص ٢٩ — ٣٠

كأن يقيم صيفاً فى جهة وشتاء فى جهة أخرى [1]. ولكن هذه الصعوبات ليست من القوة بحيث لا يمكن التغلب عليها فى جهات القطر المصرى جميعا .

أما الأسلوب الذى سير عليه فى تنفيذ التعداد فأهم عيوبه انعدام سلسلة الاتصال بين التعدادات المختلفة ، الأمر الذى يجعل من الصعب بل وأحيانا من المستحيل القيام بدراسة مقارنة ذات قيمة لبعض المظاهر الاجتماعية الرئيسية ، فمثلا مساحة الأطيان المملوكة أو المؤجرة وطريقة استغلال الأراضى لم تظهر إلا فى تعداد سنة ١٩١٧ وحده . ولذا فلا يمكن إطلاقا دراسة تطور الملكية بناء على هذه التعدادات ، كذلك لم يظهر عدد الغرف المسكونة إلا فى تعدادى ١٩١٧ ، ١٩٣٧ مما يجعل من المحال دراسة نظام السكنى وازدحام السكان فى منازلهم [2] . ولم تظهر الجداول التفصيلية للعربان إلا فى تعداد سنة ١٨٩٧، ثم اختفت فى التعدادات التالية ، وعلى هذا الأساس لا يمكن القيام بدراسة مقارنة إلا فى النواحى التى ظهرت فى التعدادات جميعا وهى : العدد والنوع والعمر والتبعية والديانة والحالة العلمية والحرف والصنائع .

يضاف الى هذا أنه قبل تعداد سنة ١٩١٧ كانت كشوف التعداد عبارة عن كشوف فردية [3] ومعنى هذا إهمال كل التفاصيل الخاصة بالعائلة وتكوينها [4] ثم أن كشوف التعداد نفسها لم تخل من غموض فى الاصطلاحات المستعملة فيها مما يؤدى إلى الالتباس فى كثير من الأحيان خصوصاً وأن الجزء الأكبر من السكان من غير المتعلمين ويجب ألا نغفل حاجتهم الى أسئلة مباشرة سهلة ، كما يجب أن نتذكر من ناحية أخرى أن عملية التعداد فى مصر يقوم بها عدد

---

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٥٣

(٢) كايلاند (١٩٣٦) ص ص ١١ — ١٢ وعمار ، (١٩٤٢) ص ٤

(٣) تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٣

(٤) كان ف . أمتشى بك قد نصح باستعمال كشف العائلة سنة ١٨٨٢ ؛ ولكن لم يعمل بهذه النصيحة استسهالا للطريقة الفردية . راجع امتشى (١٨٨٤) ص ٨٨

من أشباه الأميين الذين يقعون بسهولة فى أخطاء شنيعة إذا لم تكن الكشوف المطبوعة واضحة .

أما فيما يختص باختيار الوقت المناسب للتعداد ، فمن الضرورى أن يقع يوم التعداد فى الوقت الذى يكون فيه السكان على حالتهم الطبيعية؛ فلا يقع خلال مدة تكون المهاجرة من البلاد أو اليها أقل أو أكثر من المتوسط بسبب الظروف العادية زراعية كانت أو تجارية أو دينية أو خاصة بالسائحين (١) ، وفى كثير من الحالات اتبعت هذه القاعدة . ولكن فى الحالات الأخرى كان الوقت المختار أقل الأوقات صلاحية لمثل هذه العملية ، فتعداد ١٨٨٢ مثلا عمل فى وقت كانت فيه البلاد مضطربة اضطرابا شاملا ولذا فلا يمكن اعتبار نتائجه صادقة ويؤكد بوانيه بك Boinet Bey المدير المسئول عن هذا التعداد أن الأهالى لم يظهروا عداء نحو هذه العملية بل بالعكس رحبوا بها ولكن من الصعب أن نقبل هذه العبارة وقد كان الوقت غير ملائم إطلاقا لهذه العملية. ففى السنة السابقة للتعداد قامت الثورة العرابية وفى يناير سنة ١٨٨٢ قدمت بريطانيا وفرنسا مذكرتهما المشهورة إلى الخديو ، ولم يأت شهر يولية من تلك السنة حتى ضربت الاسكندرية ثم كانت موقعة التل الكبير فى شهر سبتمبر .

كذلك تعداد سنة ١٩١٧ أجرى فى أيام الحرب الكبرى الأولى . وقد عارض كثيرون فى عمل ذلك التعداد (٢) إذ أن عدداً غير قليل من السكان كان يعمل لحساب السلطة العسكرية فى خارج البلاد . ومهما يكن من البواعث القوية التى دفعت إلى إجراء ذلك التعداد فى حينه (٣) فان نتائجه قابلة للشك .

ويمكن أن نضيف الى الملاحظات السابقة تغير اليوم الذى يجرى فيه التعداد من واحد إلى آخر فاختلاف التاريخ الهجرى عن الميلادى وضرورة تحاشى عمل التعداد فى شهر رمضان أو فى أيام الأعياد يجعل من العسير إجراء التعداد

---

(١) راجع تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢ ، صبرى (١٩٣٥) ص ٥٤

(٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ١ ص ١٠

(٣) راجع كريج فى مجلة مصر المعاصرة ج ٨ ص ص ٢٢٩ — ٢٣٤

فى يوم معين ، فمثلا كان يجب أن يجرى تعداد سنة ١٩٢٧ فى يوم ٧ مارس. ولكن كما جاء فى المذكرة التفسيرية لذلك التعداد : « نظراً لوقوع غرة رمضان المبارك فى اليوم الخامس من ذلك الشهر — مارس — وتعذر إجراء عملية التعداد أثناء شهر الصوم كان من المحتم ترتيب مواعيد عمليات التعداد بحيث تنتهى جميع الاجراءات اللازمة حتى وصول كشوف التعداد للمصلحة قبل اليوم المذكور [١] » .

وهناك ناحيتا نقص ليس التعداد نفسه مسؤلا عنهما : احداهما عامة فى القطر المصري والأخرى خاصة بمديرية البحيرة . أما الناحية العامة فهى أن انتشار الجهل فى مصر يجعل الناس ينظرون الى عملية التعداد بشىء كثير من الحذر والشك فتضطرب أرقام العداد نتيجة لموقفهم هذا . ويعترف تعداد سنة ١٩١٧ بهذه الحقيقة فيشير الى أنه : « لا يزال الفلاح المصرى والطبقة الجاهلة من سكان المدن ينظرون الى عمليات التعداد بعين الشك والريبة — وقد يقع هذا أيضاً فى أغلب البلاد الاخرى إلا أنه أقل مما فى مصر — لأنهم لا ينظرون الى فائدة التعداد إلا من جهة واحدة فقط ، ألا وهى منفعته للحكومة فى أغراضها المالية والحربية والادارية . وهم يغفلون الارتباط بين المصلحتين العامة والخاصة ويجهلون ضرورة تزويد الحكومة بالبيانات الصحيحة » [٢]

أما الناحية الخاصة بمديرية البحيرة فهى أن المديرية وأن تكن حدودها الادارية لم تتغير فى العصر الحديث إلا أن حدود مراكزها دخل عليها التعديل الكثير حتى أن المراكز يختلف عددها بالزيادة أو بالنقص فى كل تعداد عنه فى الآخر .

ويكفى القاء نظرة على الجدول العاشر من الجزء الأول من تعداد سنة ١٩٣٧ [٣] حتى نرى ذلك التطور العظيم الذى طرأ على التقسيم الادارى

(١) تعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ المقدمة.
(٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢
(٣) تعداد سنة ١٩٣٧ ص ٤٧

للمديرية وهذا يجعل الدراسة الديموجرافية التفصيلية المقارنة مستحيلة اللهم إلا فيما يختص بدراسة الكثافة والنمو بصفة عامة إذ وضعت مصلحة الاحصاء جداول للمقارنة كالجدول السابع [1] من تعداد سنة ١٩٣٧ الخاص بالمساحة الحالية لكل مركز وتزاحمه بالسكان وعدد المساكن المأهولة فى الستة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) حسب حدود هذه المساحة . وكالجدول التاسع [2] الخاص بجملة عدد السكان فى كل مركز فى الستة تعدادات حسب حدوده الحالية ؛ مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتها ولولا هذا الجدول لأصبح من الصعب علينا أن ندرس تطور نمو السكان وتطور كثافتهم فى مراكز المديرية المختلفة .

هذه هى أهم نواحى النقد التى يمكن أن توجه الى التعدادات ، المصدر الاول للدراسة الديموجرافية . ولقد تقدمت التعدادات فى مصر فعلا منذ سنة ١٨٨٢ فاستخدمت الآلات الحديثة منذ سنة ١٩١٧ مما أدى الى تقليل الأخطاء كثيراً . كذلك ازدادت العناية باختيار القائمين بعملية التعداد وبمراجعة أعمالهم ولكن هذا التقدم فى حد ذاته قد يكون مصدراً لعدم الدقة فى الدراسة المقارنة . واختبار درجة صحة التعداد أمر صعب لعدم وجود مستوى ثابت نستطيع أن نقارن بينه وبين نتائج التعداد . وقد لا نثق بالتعداد أحيانا لتناقض نتائجه المختلفة أو للتباين الواسع بين أرقامه وأرقام التعدادات السابقة له أو اللاحقة به ولكن عندما نفكر فى تقدير درجة صحة التعداد يصبح من المستحيل وضع تقدير ثابت يمكن من ضبط النتائج التى نحصل عليها فى المراحل المختلفة .

الاحصائيات الصحية

والمصدر الآخر للدراسة الديموجرافية لمديرية البحيرة هو احصائيات المواليد والوفيات والزواج الواردة فى :

١ — النشرات السنوية عن المواليد والوفيات والأمراض المعدية التى تصدرها مصلحة الاحصاء والتعداد منذ سنة ١٩١٤

(١) المصدر السابق ص ص ٢٣ — ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ص ٣٦ — ٣٧

٢ — الاحصائيات الصحية التى تصدرها وزارة الصحة سنويا .

٣ — التقديرات السنوية لوزارة الصحة .

هذه الاحصائيات تتساوى مع التعدادات فى عدم الدقة وذلك لأنها تعتمد على التسجيل المستمر، ومن ثم فتعتمد صحتها فى المكان الأول على تمام ذلك التسجيل واستمراره . ولأسباب واضحة نجد أن نشرات الزواج أكثر صحة من نشرات المواليد والوفيات، إذ أن الزواج فى مصر لا يعتبر شرعياً ولا قانونيا إلا بالتسجيل .

أما تسجيل المواليد فعلى العكس، بعيد جداً عن أن يؤخذ به ولا يستطاع من سجلاته الحصول على نسبة صحيحة لعدد المواليد[1] فبرغم التقدم العظيم الذى أدخل على تسجيل المواليد فما زال أمر التسجيل موكولا فى المناطق التى تخلو من مكاتب الصحة إلى «الدايات» وحلاق الصحة والصيارف وكل هؤلاء ليس لديهم الخبرة الكافية ولا الدقة اللازمة لمثل هذه الأمور[2] . يضاف إلى هذا إهمال الأهالى من جهة واتخاذهم عدم تسجيل مواليدهم وسيلة للهرب من الخدمة العسكرية أو التخلص من دفع بدلها من جهة أخرى . ثم هناك عامل آخر يجب أن ندخله فى حسابنا وهو وجود العرب بكثرة فى مديرية البحيرة وهم أكثر الناس عداوة لتسجيل المواليد[3] .

حقاً أن التسجيل الاجبارى للمواليد والوفيات بدئ به فى سنة ١٩١٢ ولكن العوامل التى ذكرناها وخاصة العامل الأول جعلت احصائيات المواليد غير دقيقة حتى لقد قرر أحد كبار الموظفين فى سنة ١٩٣٣ أن نحو ١٠ ٪ على الأقل من المواليد لا يقيدون فى السجلات[4] ويظهر هذا واضحاً من مقارنة المواليد فى المراكز الحضرية حيث توجد مكاتب الصحة ورجالها

---

(١) راجع نقد تسجيل المواليد فى : كال . ص ص ٣ — ٥

(٢) كليلاند (١٩٣٦) ص ٢١

(٣) احتفال مشايخ عرب الهنادى فى مديرية الشرقية احتجاجاً على جعل التسجيل إجبارياً . راجع عمار (١٩٤٢) ص ٦

(٤) كليلاند (١٩٣٦) ص ٢٠

المسئولين بالمواليد فى المناطق الريفية المحيطة بها حيث يترك الأمر للدايات والصيارف . فبدلا من أن نجد معدل المواليد فى الريف المتجانس السكان أكثر منه فى المدن أو على الأقل لا يقل عنه فى المدن نجد أن العكس هو الواقع فعلا فاحصائية المواليد فى مديرية البحيرة سنة ١٩٣٠ تبين أن معدل المواليد فى الجهات التى بها مكاتب صحة ٤٦,٢ فى الألف فى حين أن معدلهم فى المناطق الريفية المجاورة هو ٣٥,٥ فى الألف .

ولكن لنفرض أن الحالة الراهنة للتسجيل تعطى أساساً يعتمد عليه إلى حد ما فى الدراسة الديموجرافية فهل الاحصائيات المطبوعة التى فى متناول أيدينا تعطى بشكلها الحالى صورة واضحة لقوة الإنتاج الجنسى عند سكان مديرية البحيرة ؟ الجواب على ذلك لا [1]. إذ أن هذه السجلات تغفل عمر الأمهات عند الوضع وهو أمر ضرورى لمعرفة درجة خصوبة المجتمع وقوته الحيوية ، ولا أرى فى الواقع سبباً وجيها لهذا الاغفال ما دام السن يسجل فى التعدادات وفى إحصائيات الزواج والطلاق والوفاة .

أما فيما يختص بتسجيل الوفيات فالمعتقد أنه أكثر دقة من تسجيل المواليد ولذا يرى بعض المسئولين أن أكثر من ٩٠ ٪ من الوفيات تسجل الآن [2] . إذ أصبح الدفن — بمقتضى دكريتو رقم ٢٣ الصادر فى ١١ أغسطس سنة ١٩١٢ — غير جائز إلا بتصريح رسمى يحصل عليه قبل عملية الدفن نفسها . ولا يستثنى من هذا إلا وفيات الأطفال فى الجهات النائية غير أنه مع هذا لا تزال عملية الدفن سراً موجودة فى الريف [3] . وخاصة فى العزب الصغيرة النائية وما أكثرها فى مديرية البحيرة .

وتظهر عدم الدقة أيضاً فى تسجيل الوفيات بمقارنة معدل الوفيات فى منطقة ريفية بمعدلها فى مركز حضرى . مثل هذه المقارنة تظهر أن نسبة

---

(١) راجع فى هذا بالتفصيل : عمار (١٩٤٢) ص ٦ ، ص ١٧

(٢) كليلاند (١٩٣٦) ص ٢٥

(٣) صبرى (١٩٣٥) ص ٤

الوفيات فى المنطقة الأولى أقل منها فى الأخرى مع أن الوفيات فى القرى المصرية دون شك أكثر منها فى المدن نظراً للأحوال الصحية السيئة التى عليها الريف المصرى وجهل الفلاح بالقواعد الصحية . ولذا فمن الغريب أن يكون معدل الوفيات فى مديرية البحيرة فى سنة ١٩٣٠ فى المناطق الريفية ١٦٫٩ فى الألف بينما يصل فى المراكز الحضرية إلى ٢٦٫٣ فى الألف . ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة إلا بأن تسجيل الوفيات فى المراكز الحضرية أكثر دقة لوجود مكاتب الصحة التى تعنى بأمور التسجيل .

ويظهر النقص فى تسجيل الوفيات من مقارنة زيادة السكان فى تعدادين متتاليين بالزيادة الطبيعية (أى بالفرق بين المواليد والوفيات) فى نفس الفترة ، إذ يظهر لنا أن رقم زيادة السكان بين التعدادين أقل من الزيادة الطبيعية فى حين يجب أن يكون العكس . فمثلا زاد سكان مديرية البحيرة فى تعداد سنة ١٩٣٧ عن سكانها فى تعداد سنة ١٩٢٧ بنحو ٩٠ فى الالف بينما كانت الزيادة الطبيعية فى نفس المدة ١٣٧ فى الألف ، ولما كان من الملاحظ أن المديرية تكسب دائماً من حركة تبادل السكان[1] فان الفرق بين رقمى التعداد والزيادة الطبيعية يبعث على الشك فى دقة الاحصائيات[2]. ويميل رجال الاحصاء الى الاعتقاد فى أن هذا الفرق يرجع الى عدم الدقة فى التبليغ عن الوفيات[3].

من هذا العرض لمصادر مادتنا يظهر لنا أن من الصعب الخروج بنتائج نهائية صحيحة إذ أن الكثير من نواحي الدراسة الديموجرافية لا يمكن تحليله عن طريق هذه المصادر ، ولهذا سنكتفى بدراسة النواحى التى يمكن أن نوفيها حقها عن طريق المعلومات التى بين أيدينا .

---

(١) راجع الجدول الثامن الخاص بحركة تبادل السكان فى مديرية البحيرة ص ١١٤

(٢) فى الفترة بين ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ كان الفرق بين رقمى التعدادين ٨٤,٦٣١ نفساً بينما كان الفرق بين عدد المواليد والوفيات أى الزيادة الطبيعية فى نفس الفترة ١٣٥,٤٩٤ نفساً أى بزيادة ٥٠,٨٦٣ نفساً أو نحو ٦٠ ٪.

(٣) صبرى (١٩٣٥) ص ٤

(٢)

نمو السكان فى مديرية البحيرة

تطور عدد السكان فى مديرية البحيرة

إن أقدم تقدير يمكن الحصول عليه لسكان البحيرة هو تقدير سنة ١٨٤٦ الذى أجرى على أساس تعداد المساكن وتظهر أرقامه أن عدد سكان المديرية كان ١٩١,٦٦٥ نفسا [١] وفى النتيجة الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ بلغت جملة سكان البحيرة ١,٢٤٥,٦٤٣ نفسا [٢]، ومعنى هذا أنه فى مدى قرن واحد زاد عدد السكان بمقدار ١,٠٥٣,٩٧٨ نفساً أى نحو ٥٥٠٪ (٥,٥ ٪ فى السنة)

ويبين الجدول الأول الذى وضع على أساسه الرسم البيانى رقم ١ جملة عدد السكان فى كل تقدير أو تعداد فى هذه المدة (١٨٤٦ — ١٩٤٧) مع بيان الزيادة ونسبتها ، تلك الزيادة التى يجب أن نبحث عن أسبابها فى الهجرة من ناحية وفى الزيادة الطبيعية من ناحية أخرى .

أما الهجرة فهجرتان : خارجية وداخلية ونعنى بالأولى مواليد خارج القطر الذين عدوا بداخله ، وبالأخرى المولودين بالقطر وعدوا فى حدوده . ومن الواضح ان الهجرة الخارجية ليست العامل الاساسى فى نمو سكان مديرية البحيرة ، إذ أن عدد الاجانب فى المديرية قليل جداً بالنسبة لمجموع سكانها ، وزيادة هؤلاء الاجانب محدودة للغاية ، ويوضح هذه الحقيقة الجدول الثانى الذى يبين عدد الاجانب ونسبتهم الى جملة السكان فى المديرية .

ومما تجدر ملاحظته فى هذا الجدول اضطراد الزيادة فى عدد هذه العناصر فى نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين . إذا كانت الظروف السائدة حينذاك تساعد على زيادة النشاط الاوربى واستخدام رءوس الاموال

---

(١) أمتشى ، ف (١٨٨٤) ج ١ ص ٧

(٢) الاحصاء السنوى الجيب سنة ١٩٤٧ جدول ٣ص ٥

الجدول الأول

جملة عدد السكان فى مديرية البحيرة فى التعدادات المختلفة بين (١٨٤٦ — ١٩٤٧)[١]
مع بيان زيادتهم ونسبة الزيادة

تاريخ التعداد	عدد السكان	الزيادة		ملاحظات
		الرقم الحقيقى	النسبة	
		—	٪ سنوياً	
١٦ ديسمبر ١٨٤٦	١٩١,٦٦٥	—	—	أرقام مشكوك فيها
١١ مارس ١٨٧٢	٢١١,٥٥٦	٢٩,٨٩١	٠,٦ تقريباً	(تقدير وليس بتعداد)
٣ مايو ١٨٨٢	٣٩٤,٧١٢	١٧٣,١٥٦	٧,٨ »	أرقام مشكوك فيها
١ يونيه ١٨٩٧	٦٢٨,٨٨٤	٢٣٤,١٧٢	٤,٠	
٢٩ أبريل ١٩٠٧	٧٦٥,٠٨٧	١٣٦ ٢٠٣	٢,٢	
٧ مارس ١٩١٧	٨٩٢,٢٤٦	١٢٧,١٥٩	١,٧	
١٩ فبراير ١٩٢٧	٩٧٦,٩٦٥	٨٤,٧١٩	٠,٩	
٢٧ مارس ١٩٣٧	١,٠٦١,٥٩٦	٨٤,٦٣١	٠,٩	
٢٧ مارس ١٩٤٧	١,٢٤٥,٦٤٣	١٨٤,٠٤٧	١,٧	

الأجنبية ولكن بعد سنة ١٩٠٧ أخذ عدد الأجانب فى التناقص لعاملين هما : ضعف النشاط الاقتصادى أولا ، ثم تفضيل عدد كبير من العثمانيين التجنس بالجنسية المصرية ثانيا ، ولذا فقد انخفض عدد العثمانيين من ٣,٤٠٩ نفساً فى سنة ١٩٠٧ الى ٢٨٦ نفساً فى سنة ١٩١٧ . ولم تكن هذه الظاهرة ، ظاهرة نقص عدد الاجانب خاصة بمديرية البحيرة بل كانت ظاهرة عامة فى مصر كلها . ولكنها كانت أكثر ظهورا فى البحيرة عنها فى المديريات الاخرى .

---

(١) عدد سكان ١٨٤٦ و١٨٧٢ نقلا عن أمتشى ج ١ ص ص ٧ — ٨ ولكن معدل الزيادة لسنة ١٨٧٢ ، ١٨٨٢ فمن حساب الباحث . . . أما بقية الأرقام فمن كتاب تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٩٣٧ ج ٢ ص ٣٦ ما عدا أرقام سنة ١٩٤٧ فمن الاحصاء السنوى للجيب سنة ١٩٤٧ ص ٥

الجدول الثانى

عدد الأجانب فى مديرية البحيرة فى التعدادات المختلفة

بين (١٨٨٢ — ١٩٣٧) [1]

تاريخ التعداد	عدد الأجانب	٪ من مجموع السكان	الزيادة أو النقص: الرقم الحقيقى	الزيادة أو النقص: ٪ من مجموع عددهم	ملاحظات
١٨٨٢	١,٧٠٤	٠,٤٣			تعداد ٨٢ ص (ى — ك)
١٨٩٧	٢,٢٥٥	٠,٥٠			» ٩٧ ج ١ ص ٥٥
١٩٠٧	١٣,٨٧١	١,٨٠			عدد العثمانيين ٣٤٠٩
١٩١٧	٢,٠٩١	٠,٢٣	— ١١,٧٨٠	— ٨٤,٩	» » ٢٨٦
١٩٢٧	٢,٧٧٠	٠,٢٨	+ ٦٧٩	+ ٣٢,٥	
١٩٣٧	١,٥٣٩	٠,١٤	— ١٢٣١	— ٤٤,٤	

وهذا يرجع الى صعوبة استيطان الأجانب فيها نظراً لموقعها المتطرف مما يجعل الامن فى نواحيها أقل استتبابا منه فى المديريات الاخرى .

أما فيما يختص بالهجرة الداخلية فلا يمكن ان نقطع برأى فى مدى تأثيرها على نمو السكان فى المديرية حيث لا توجد احصائيات عنها قبل سنة ١٩٠٧ وليس من شك فى أن مجال أصلاح الأراضى البور في الجزء الاكبر من المديرية كجهات أبو المطامير وكفر الدوار ورشيد اجتذاب كثيراً من العائلات من جهات القطر الأخرى المزدحمة بسكانها ، كما يدل ذلك الجدول الثالث وان كان يظهر أن العدد الأكبر من المهاجرين إنما جاء من المراكز الأكثر

---

(١) عدد الأجانب لسنة ١٩١٧ من كتاب تعداد القطر المصرى لسنة ١٩١٧ ج ٢ ص ٤٩٩ ، وعددهم سنة ١٩٢٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٢٧ ج ١ ص ٢٨ ، وعددهم فى سنة ١٩٣٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ ص ٢٢١

أما عدد الأجانب فى سنة ١٩٠٧ فمن حساب الباحث (تعداد سنة ١٩٠٧ جدول ١٧ ص ١٦٣) وكذلك بقية الأرقام .

الجدول الثالث

حركة تبادل السكان فى مديرية البحيرة (١٩١٧ — ١٩٣٧) [١]

سنة التعداد	المتنقلون إلى المديرية Immigrants	المتنقلون من المديرية Emigrants	صافى الربح أو الخسارة
١٩١٧	٧٠ر٠٧٧	٤٠ر٣٣٥	+ ٢٩ر٧٤٢
١٩٢٧	٦١ر٥٧٠	٣٨ر٩٧٠	+ ٢٢ر٦٠٠
١٩٢٧	٦٣ر٠٥٢	٥٠ر٥٧١	+ ١٢ر٤٨١

إزدحاما بالسكان فى المديرية نفسها [٢]. ومما يؤسف له أن التعدادات بعد سنة ١٩٠٧ لا تظهر حركة تبادل السكان بين المراكز بعضها وبعض بل تكتفى بذكر حركات تبادلهم بين المديريات المختلفة .

من الواضح إذن أن السبب فى ذلك النمو السريع لسكان مديرية البحيرة الذى وصل إلى ٥٥٠ ٪ فى قرن واحد لا بد أن نبحث عنه إما فى الخصوبة الشديدة لسكان المديرية . وإما فى أخطاء فنية فى طريقة التعداد نفسها ، وإما فى الأمرين معاً .

أما عن الأمر الأول فالأدلة كافية على أن التقدم الاقتصادى لمصر الحديثة وما تبعة من تقدم اجتماعى . ثم الجهود العظيمة التى بذلت لتحسين الأحوال الصحية فى البلاد قد رفعت نسبة المواليد وخفضت نسبة الوفيات ولكن الاحصائيات التى فى متناول أيدينا لا يمكن أن توضح إلى أى حد أثر ذلك فى نمو سكان مديرية البحيرة . فهى على حداثة عهدنا بها لم تخل من عدم الدقة

(١) الأرقام مأخوذة من تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ جدول ١٨ وتعداد ١٩٢٧ ج ١ جدول ١٠ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ جدول ١٣

ويلاحظ أن كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ يذكر أن عدد المتنقلين إلى المديرية فى سنة ١٩٢٧ هو ٥٩ر٣٢٨ نفساً بدلا من العدد ٦١ر٥٧٠ الذى جاء فى إحصاء سنة ١٩٢٧

(٢) تعداد سنة ١٩٠٧ الجدول السابع ص ص ٢٤ — ١١٠

الذى قد يؤدى إلى نتائج خاطئة . وإذن فلابد لنا من أن نتناول التعدادات أولا وأن نناقش أرقامها لعل فى هذه المناقشة ما يفسر لنا تلك النسبة العالية لنمو السكان .

أقدم الأرقام التى لدينا هى أرقام سنة ١٨٤٦ ولكنها أرقام مشكوك فيها ويشابهها فى ذلك أرقام سنة ١٨٧٢ فكلاهما لم يكن نتيجة احصاء حقيقى ، وليس هناك جداول تفصيلية لهذه التقديرات وليس لدينا معلومات عن الطريقة التى عمل بها التعداد، ولذا فنحن مضطرون الى أن نقتصر على الأرقام التى وردت فى التعدادات المختلفة ابتداء من سنة ١٨٨٢ .

تظهر أرقام الجدول الأول أن أعظم معدل لزيادة السكان كان فى الخمس عشرة سنة التى تلت احصاء سنة ١٨٨٢ إذ بلغت الزيادة السنوية ٤ ٪ ثم أخذ معدل الزيادة بعد ذلك فى التناقص التدريجى ويظهر النقص بصفة خاصة فى الفترة بين ١٩١٧ و ١٩٢٧، إذ انخفض المعدل من ١,٧ ٪ سنويا إلى ٠,٩ ٪ سنويا أى بمقدار النصف تقريباً ، ثم ثبت معدل الزيادة فى الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ على حاله . وعاد فارتفع إلى الضعف فى الفترة بين ١٩٣٧ — ١٩٤٧

وهنا يجب أن نتساءل عن الاسباب التى أدت إلى هذا التناقص المضطرد فى معدل الزيادة السنوية بعد سنة ١٨٩٧ باستثناء تعداد سنه ١٩٤٧ الذى ترجع الزيادة فيه إلى مبالغة الجمهور فى اعطاء البيانات ظناً منه أن التعداد إنما أجرى لأغراض التموين . وقد سأل مثل هذا السؤال المستر « س . لويس » المدير العام لاحصاء سنة ١٩٠٧ ، حينما تكلم على حركة السكان فى القطر المصرى . ويجيب على هذا السؤال بقوله : « ان مصر قد توفرات أسباب ثرائها وعمرانها توافراً متجاوزاً فى غضون العشر سنين السالفة ولكنها فى الخمس عشرة سنة التى تقدمتها كان تدرجها فى سلم الاستصلاح أسرع وأعجل ، ولا مشاحة فى ان الزيادة المتجاوزة التى وقعت فى السنين الأولى كانت ناشئة عن الأحوال غير الاعتيادية التى كانت البلاد يومئذ عليها عقيب الاحتلال ، فكان لابد من تباطؤ فى الازدياد » [1] .

---

(١) تعداد سنة ١٩٠٧ (الطبعة العربية) ص ٢٣

ولقد يكون هذا مساعداً على تفسير انخفاض معدل زيادة السكان في مديرية البحيرة بعد سنة ١٩٠٧، ولكنه لا يفيد فيما قبل ذلك التاريخ فالانخفاض الملموس في نسبة الاراضي البور في المديرية وازدياد عدد الأجانب المستمر حتى سنة ١٩٠٧ يظهر أنه حتى ذلك التاريخ كان التقدم الاقتصادي لمديرية البحيرة يزداد باستمرار وإذن فمن الأفضل أن نكون حذرين في تطبيق رأى « مستر لويس » على مديرية البحيرة وإن كنا نتفق معه في قوله : « ولا يبعد أن يكون التزايد المفرط فيما بين سنتي ١٨٨٢ — ١٨٩٧ في الظاهر لا في الحقيقة »[1]. فالظروف التي أجرى فيها تعداد سنة ١٨٨٢ والتي ناقشناها من قبل تجعل نتائجه مختلة باتفاق الجميع . ولم تحدث هناك ظروف طيبة غير عادية في السنوات السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧، بل بالعكس انتشرت الكوليرا في مصر في سنتي ١٨٩٥، ١٨٩٦ . ولا يمكن أن نغفل أثر مثل هذا الوباء على نسبة الوفيات[2] خصوصاً في وقت لم تكن فيه وسائل العلاج أو طرق الوقاية متوفرة .

ولما كانت الهيئات المشرفة على التعداد تعتبر أن معدل الزيادة البالغ ٢,٩٠٪ سنويا لكل سكان القطر المصري ، في المدة بين ١٨٨٢ — ١٨٩٧ أكثر من قوة الانتاج الجنسي للشعب المصري فمن الحق لنا أن نشك في صحة معدل عال مثل ٤ ٪ في السنة بمديرية البحيرة في نفس المدة .

ثم هناك أمر آخر يجب أن ندخله في حسابنا وهو عدد « العرب » في المديرية فهذه العناصر التي تكثر في شمال غرب المديرية كانت شديدة النفور من تعداد سنة ١٨٨٢ مما أدى إلى عد العرب منفصلين حتى في المناطق التي يعيشون فيها مع الفلاحين . وليس من شك في أن موقف العرب قد تغير كثيراً منذ التعداد الأول ، خصوصاً وقد تحول عدد كبير منهم الى فلاحين . وقد أثر هذا العامل المحلي دون شك في نتائج تعداد سنة ١٨٩٧ في مديرية البحيرة حتى ليمكن أن نرجع الى حد ما بمعدل الزيادة المرتفع في هذا التعداد

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) راجع في ذلك صبري ص ص ٢ — ٣ وعمار ص ١٢

الى ذلك العامل . ويؤيد هذه الحقيقة مقارنة متوسط معدل الزيادة فى هذه المدة في مختلف مراكز المديرية كما يوضحه الجدول الرابع . ففى أبو المطامير حيث تزداد نسبة العرب وحيث استقر عدد كبير من البدو أخيراً نجد أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان فى مراكز المديرية (١٧,٥ ٪ سنويا) بل أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان فى أى مركز من مراكز القطر المصرى جميعا . ويشبهه فى ذلك مركز كفر الدوار (١٠,٦ ٪ سنويا) وهو مركز على حدود الصحراء ثم مركز أبو حمص (٧,٧ ٪ سنويا) . وكلما ابتعدنا عن غرب المديرية وجنوبها ، أى ابتعدنا عن المناطق الصحراوية حيث تعيش العناصر العربية كلما أخذت هذه النسبة في القلة : فمثلا مركز دمنهور الذى يتوسط المديرية تقريبا تبلغ النسبة المئوية لمعدل زيادته ٥,١ ٪ سنويا . فاذا ما توغلنا شرقا أوشمالا تقل النسبة فتصبح فى مركز المحمودية ٢ ٪ سنويا وفى شبراخيت ١,٢ ٪ ثم فى رشيد فى أقصى الشمال الشرقى ٠,٩ ٪ سنويا .

وإذا كان لا بد لنا من معرفة الرقم الحقيقى لتعداد سكان مديرية البحيرة فى سنة ١٨٨٢ فلنأخذ تعداد سنة ١٩٠٧ ، ولنفحص ارقامه لنتبين منها النهاية العظمى لمعدل الزيادة فى الفترة ١٨٩٧ — ١٩٠٧ ثم نطبقها تطبيقا عكسيا من ١٨٩٧ الى ١٨٨٢

الجدول الرابع

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (فى السنة) فى مراكز مديرية البحيرة فى المدة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ [1]

المدة	أبو حمص	أبو المطامير	ايتاى البارود	الدلنجات	بندر دمنهور	مركز دمنهور	رشيد	شبراخيت	كفر الدوار	كوم حمادة	المحمودية	مديرية البحيرة
١٨٨٢ — ١٨٩٧	٧ر٧	١٧ر٥	٣ر٥	٦ر٨	٢ر٤	٥ر١	٠ر٩	١ر٢	١٠ر٦	٣ر٥	٢ر٠	٤ر٠

(١) تعداد سكان القطر المصرى لسنة ١٩٣٧ ج ٢ جدول ٩ ص ص ٣٦ — ٣٧

من الجدول الأول يظهر أن المعدل السنوي للنمو كان ٢,٢ ٪ في الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٧، و ١,٧ ٪ في الفترة بين ١٩٠٧، ١٩١٧ و ٩ ر ٠ ٪ بين ١٩١٧، ١٩٢٧، و ٩ ر ٠ ٪ بين ١٩٢٧، ١٩٣٧ وبذلك يكون متوسط نقص نسبة النمو لكل عشر سنوات هو ٤٣ ر ٠ ٪[1]. وعلى هذا يكون معدل الزيادة السنوي المدة قبل ١٨٩٧ أكبر من معدل الزيادة في المدة بين ١٨٩٧، ١٩٠٧ بنحو ٤٣ ر ٠ ٪ أي أن النسبة المئوية للزيادة السنوية في الفترة السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧ هي ٦٣ ر ٢ ٪ (٢ر٢ + ٤٣ و ٠). فإذا ما رجعنا إلى الوراء من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٨٨٢ أي مدة خمس عشرة سنة بهذا المعدل نحصل على عدد السكان لسنة ١٨٨٢ على وجه التقريب. وهو ٦٧٥ ر ٤٥٠ نفساً وهذا العدد تزيد على الرقم المذكور في التعداد المطبوع (٧١٢ ر ٣٩٤) بمقدار ٢٦٣ ر ٥٦ نفساً أو نحو ١٢ ٪ من جملته.

وربما يطرق إلى الذهن بعد هذا التفسير أننا نعني وجوب إغفال الزيادة الطبيعية للسكان بين ١٨٨٢، ١٨٩٧ ولكن هذا غير صحيح فكل ما أردنا تأكيده هو استحالة أرجاع تلك النسبة العالية لزيادة النمو (٠ر ٤ ٪ سنويا). إلى الزيادة السنوية لعدد المواليد عن عدد الوفيات دون غيرها من العوامل. ولعل من سوء الحظ أن تسجيل المواليد والوفيات لم يكن معروفاً في تلك الفترة غير أن دراسة الأحصائيات الصحية في السنين التالية تجعل زيادة طبيعية مقدارها ٤٠ في الألف سنويا أمراً غير معقول. وإذن فمن الأسلم ألا نعتبر تعداد سنة ١٨٨٢ صالحاً لمقارنته بتعدادات السنوات الأخرى وأن نبدأ بتعداد سنة ١٨٩٧ في دراستنا الديموجرافية المقارنة.

---

(١) $\frac{(١,٧ - ٢,٢) + (٠,٩ - ١,٧)}{٣} = ٠,٤٣$

الجدول الخامس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنويا) فى مديرية البحيرة
وفى القطر المصرى فى المدة من ١٨٨٢ إلى ١٩٤٧ [1]

المنطقة / المدة	١٨٨٢ إلى ١٨٩٧	١٨٩٧ إلى ١٩٠٧	١٩٠٧ إلى ١٩١٧	١٩١٧ إلى ١٩٢٧	١٩٢٧ إلى ١٩٣٧	١٩٣٧ إلى ١٩٤٧	الزيادة (٪) ١٨٩٧ — ١٩٤٧
مديرية البحيرة . .	٠ر٤٠	٢ر٢	١ر٧	٠ر٩	٠ر٩	١ر٧	٩٨ر٠
القطر المصرى . .	٢ر٩	١ر٦	١ر٤	١ر١	١ر٢	٢ر٠	٩٦ر٤

نمو السكان فى المديرية (دراسة مقارنة) :

لدراسة تغاير السكان فى مديرية البحيرة ومقارنته بتغاير عدد السكان فى مصر وضع الجدول الخامس . وبدراسة أرقامه نجد أن المظهر العام له هو الزيادة العظيمة فى تلك الفترة الوجيزة . ويرى الفرق واضحاً فى الفترة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ ولكن دلالة مثل هذا الفرق مشكوك فيها . أما زيادة السكان فى مدى الخمسين سنة بين ١٨٩٧ ، ١٩٤٧ فهى أكبر نسبياً فى مديرية البحيرة عنها فى مجموع القطر . هذه الحقيقة يمكن تعليلها بسهولة إذا رجعنا إلى ما ذكرناه عن استقرار البدو الكثيرين فى المديرية وحينما نعرف أنها كانت وما زالت إحدى مديريات القطر القليلة التى يوجد فيها مساحات واسعة من الأراضى التى تحت الاصلاح .

ويلاحظ أنه منذ سنة ١٩٠٧ أخذ معدل زيادة السكان فى المديرية يقترب من معدل زيادتهم فى القطر بصفة عامة واستمر فى التناقص حتي أصبح منذ سنة ١٩١٧ دون معدل زيادة القطر وان يكن الفرق بينهما بسيطاً . هذا التغير يمكن أن يتخذ دليلا علي أن التقدم الاقتصادى للمديرية بصفة عامة أخذ يتأخر عن معدل تقدم القطر إذ كانت الأراضى التى تحت الاصلاح

(١) تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع .

فى المديريات الأخرى أوفر ربحاً ، وأكثر اجتذاباً للسكان . ثم أن اتساع المساحة التى أصبحت تروى ريا دائماً فى الوجه القبلى أثرت دون شك فى هجرة أهل الصعيد إلى مديريات الوجه البحرى ، ومنها مديرية البحيرة .

ويبين الجدول السادس النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان سنوياً فى مديريات الوجه البحرى ، ويظهر منه أن الزيادة مضطردة فى كل المديريات إلا أن نسبتها كانت تقل بالتدريج حتى تعداد سنة ١٩٣٧ ، ثم إزدادت مرة أخرى فى تعداد سنة ١٩٤٧ ، وقد سبق لنا تعليل هذه الظاهرة . وتعتبر مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى نمواً فى السكان فى الخمسين سنة الأخيرة إذ تبلغ نسبة الزيادة فيها ٩٨ ٪ كما يتضح من الجدول بينما تبلغ نسبة الزيادة فى نفس المدة فى المديرية التى تليها مباشرة وهى الدقهلية ٩٢ ٪

الجدول السادس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنويا) فى مديريات الوجه البحرى (١٨٩٧ — ١٩٤٧) [1]

المدة / المديرية	١٨٩٧ إلى ١٩٠٧	١٩٠٧ إلى ١٩١٧	١٩١٧ إلى ١٩٢٧	١٩٢٧ إلى ١٩٣٧	١٩٣٧ إلى ١٩٤٧	الزيادة (٪) ١٨٩٧ — ١٩٤٧
البحيرة . .	٢ر٢	١ر٧	٠ر٩	٠ر٩	١ر٧	٩٨
الدقهلية . .	١ر٨	١ر٣	١ر٠	١ر٣	١ر٤	٩٢
الشرقية . .	١ر٨	١ر٢	٠ر٦	١ر٠	١ر٧	٨١
الغربية . .	١ر٥	١ر٢	٠ر٨	١ر٠	١ر١	٨٠
القليوبية . .	١ر٧	١ر٤	٠ر٦	٠ر٩	١ر٠	٨٠
المنوفية . .	١ر٣	١ر١	٠ر٢	١ر٥	٠ر٨	٣٦

(١) نسب هذا الجدول من حساب الباحث إعتماداً على أرقام التعدادات المختلفة .

وإذا نظرنا إلى تفاصيل الجدول نجد أن البحيرة ظل ترتيبها الأولى بين مديريات الوجه البحرى جميعاً حتى سنة ١٩١٧ ، ثم تترك محلها لمديرية الدقهلية فى الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٢٧ حتى اذا كانت السنوات العشر التالية نجد أن نسبة الزيادة السنوية فى البحيرة تثبت على حالها بينما تزداد نسبة النمو فى الدقهلية والشرقية والغربية وتصبح البحيرة فى المرتبة الرابعة فيما يختص بنمو سكانها فى تلك الفترة . ثم تعود المديرية إلى أولويتها فى التعداد الأخير وان يكن يشاركها فى ذلك مديرية الشرقية . وهنا نتساءل عن الأسباب التى جعلت مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى نمواً فى نصف القرن الأخير .

تثبت الاحصائيات التى فى متناول أيدينا وجود علاقة وثيقة بين نسبة نمو السكان فى مديريات الوجه البحرى . وبين ما تشتمل عليه تلك المديريات من الاراضى البور التى تحت الاصلاح [1] . فكلما زادت مساحة هذه الاراضى كلما كانت المديرية اكثر اجتذابا لسكان المناطق الأقل بوراً والمتكاثفة تبعا لذلك بسكانها الذين استنفدوا كل ما حبتها به الطبيعة من خيرات حتى لم تعد فى مواردها الطبيعية زيادة لمستزيد . . . هذه المناطق البور الميسورة الاستصلاح تجتذب اليها السكان حيث يتيسر العمل للجميع . ويؤدى هذا بطبيعة الحال الى نمو عدد السكان وزيادة الزمام المزروع بها . ويساعد على الهجرة الى هذه المناطق تدخل الحكومة منظمة لوسائل الرى والصرف ، وقيام الشركات العقارية وكبار الملاك باصلاح الاراضى . ولما كانت مديرية البحيرة اكثر مديريات الوجه البحرى اشتمالا على الاراضى البور القابلة للاصلاح اذ تبلغ نسبة البور الى جملة مساحة زمام المديرية ٤١٫٧٪ [2] فقد اجتذبت أكبر عدد من المهاجرين وكانت بذلك اكثر مديريات مصر السفلى نمواً فى السكان .

---

(١) راجع صبرى (١٩٣٥) ص ص ١٨ — ١٩

(٢) راجع الجدول الثالث عشر .

سبق أن أشرنا الى ان احصائيات المواليد والوفيات التي في متناول أيدينا رغم ما بها من عيوب لا ترجع الى أكثر من سنة ١٩١٢ كذلك لم تثبت احصائيات الهجرة قبل سنة ١٩٠٧، ولذا فنحن مضطرون الى قصر الدراسة على الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٣٧ ولم نمتد بها الى سنة ١٩٤٧ لتعذر الحصول على النتائج التفصيلية للتعداد الأخير إذ لم تفرغ مصلحة الاحصاء والتعداد من اعدادها بعد .

أما عن الزيادة الطبيعية ومعدل المواليد والوفيات فقد وضع لهما الجدولان السابع والسابع ا وأن كانت ارقامهما في الواقع «كما برهنت الابحاث الديموجرافية الاخيرة محدودة القيمة في قياس مدى خصوبة السكان » . (١) وأهم ما نلاحظه على أرقام الجدولين ارتفاع نسبة المواليد ونسبة الوفيات من جهة ، وارتباط هاتين النسبتين احداهما بالأخرى من جهة ثانية، وأن يكن مدى هذا الارتباط غير تام الوضوح .

ويتبين من أرقام الجدولين ومن الرسم البياني رقم ٢ الخاص بالمعدل السنوي لنسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان في مديرية البحيرة ، أن معدل المواليد بصفة عامة أكثر ثباتاً من معدل الوفيات في المديرية إذ يتراوح بين ٣٢ ، ٣٨ في الألف وأن كان يلاحظ أن المعدل الشائع هو حوالى ٣٦ ، ٣٧ في حين أن معدل الوفيات قد يرتفع الى ٣٢ في الألف وقد ينخفض الى ١٩ في الألف وتوجد أكبر نسبة للمواليد بصفة عامة في دمنهور والسبب في ذلك راجع دون شك الى أن تسجيل المواليد في عاصمة المديرية أكثر دقة منه في الجهات الريفية المحيطة بها .

---

(١) عمار (١٩٤٢) ص ١٧

الجدول السابع (١)

نسبة المواليد والوفيات فى مديرية البحيرة لكل ألف نفس من السكان فى المدة بين ١٩١٧ — ١٩٤٥ (١)

السنة	المواليد	متوسط معدل المواليد لكل ٥ سنوات	الوفيات	متوسط معدل الوفيات لكل ٥ سنوات	زيادة المواليد عن الوفيات	متوسط الزيادة فى كل ٥ سنوات
١٩١٧	٣٦ر٠		٢٤ر٨		١١ر٢	
١٩١٨	٣٦ر٩		٣٢ر٣		٤ر٦	
١٩١٩	٣٤ر٣	٣٦ر١	٢٦ر٤	٢٧	٧ر٩	٩ر١
١٩٢٠	٣٦ر٨		٢٦ر٥		١٠ر٣	
١٩٢١	٣٦ر٦		٢٥ر٠		١١ر٦	
١٩٢٢	٣٧ر٥		٢٣ر١		١٤ر٤	
١٩٢٣	٣٦ر٥		٢٢ر٧		١٣ر٨	
١٩٢٤	٣٧ر٤	٣٧ر٢	٢١ر٦	٢٢ر٣	١٥ر٨	١٤ر٩
١٩٢٥	٣٧ر٠		٢٢ر٠		١٥ر٠	
١٩٢٦	٣٧ر٨		٢٢ر١		١٥ر٧	
١٩٢٧	٣٦ر٠		٢٠ر١		١٥ر٩	
١٩٢٨	٣٦ر٧		١٩ر١		١٧ر٦	
١٩٢٩	٣٧ر٨	٣٦ر٩	٢٠ر٠	٢٠ر٠	١٧ر٥	١٦ر٩
١٩٣٠	٣٧ر٣		١٩ر٢		١٨ر١	
١٩٣١	٣٦ر٦		٢١ر٣		١٥ر٣	
١٩٣٢	٣٤ر٢		٢٣ر٥		١٠ر٧	
١٩٣٣	٣٤ر٨		٢٤ر٦		١٠ر٢	
١٩٣٤	٣٣ر٤	٣٤ر١	٢٣ر٦	٢٥ر٦	٩ر٨	١٠ر٥
١٩٣٥	٣٢ر٣		٢٢ر٦		٩ر٧	
١٩٣٦	٣٥ر٦		٢٣ر٦		١٢ر٠	
١٩٣٧	٣٦ر٥		٢٣ر٦		١٢ر٩	
١٩٣٨	٣٨ر٩		٢٢ر٦		١٦ر٣	
١٩٣٩	٣٧ر٩	٣٧ر٦	٢٢ر٥	٢٣ر٦	١٥ر٤	١٤ر٦
١٩٤٠	٣٦ر٩		٢٣ر٦		١٣ر٣	
١٩٤١	٣٧ر٩		٢٥ر٥		١٢ر٤	
١٩٤٢	٣٥ر٦		٢٥ر٠		١٠ر٦	
١٩٤٣	٣٥ر٩		٢٢ر٧		١٧ر٢	
١٩٤٤	٣٧ر٨		٢٢ر٥		١٩ر٣	

(١) وضع هذا الجدول على أساس النشرات السنوية للمواليد والوفيات فى المدة من ١٩١٧ إلى ١٩٤٦ أما الفرق السنوى ومتوسطات ذلك الفرق فمن حساب الباحث .

الجدول السابع (ب)

معدل المواليد والوفيات في مراكز مديرية البحيرة (لكل ألف من السكان) في سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ [١]

المراكز	١٩٢٠			١٩٣٠			١٩٤٠		
	المواليد	الوفيات	زيادة المواليد	المواليد	الوفيات	زيادة المواليد	المواليد	الوفيات	زيادة المواليد
أبو حمص . . .	٣٦ر٣	١٧ر٩	١٨ر٤	٣١ر٥	١٣ر٩	١٧ر٦	٣٠ر٨	٢٠ر٩	٩ر٩
أبو المطامير .	—	—	—	—	—	—	٢٨ر٩	١٥ر٥	١٣ر٤
إيتاى البارود	٣٩ر٩	٢٥ر٥	١٤ر٤	٤٣ر١	٢٥ر٢	١٧ر٩	٣٩ر٧	٢٥ر٢	١٤ر٥
الدلنجات . .	٣٢ر٠	٢٤ر٥	٧ر٦	٣٤ر٧	١٩ر٤	١٦ر٣	٣٣ر٦	٢٤ر٥	٩ر١
بندر دمنهور .	٤٨ر٧	٤١ر١	٧ر٦	٤٩ر٢	٢٧ر١	٢٢ر١	٥١ر٩	٣٠ر٣	٢١ر٦
مركز دمنهور	٣٨ر١	٢٥ر٠	١٣ر١	٣١ر٥	١٤ر٨	١٦ر٧	٣٥ر٩	٢٣ر٦	١٢ر٣
رشيد . . .	٤٣ر٦	٣٠ر٦	١٣	٣٣ر٣	١٤ر٥	١٨ر٨	٤٢ر٩	٢٥ر٨	١٧ر١
شبراخيت .	٣٨ر٨	٣٠ر٦	٨ر٢	٣٩ر٣	٢٢ر١	١٧ر٢	٣٧ر٣	٢٣ر٩	١٣ر٤
كفر الدوار .	٣١ر٣	٢٣ر٢	٨ر١	٣٩ر٥	١٦ر٦	٢٢ر٩	٣٨ر٣	٢١ر٣	١٧ر٠
كوم حمادة .	٣٧ر٧	٢٧ر٢	١٠ر٥	٣٨ر٧	٢٠ر١	١٨ر٦	٣٥ر٠	٢٣ر٢	١١ر٨
المحمودية . .	—	—	—	٤٤ر٢	٢٧ر١	١٧ر١	٣٩ر٣	٢٧ر٧	١١ر٦
البحيرة . . .	٣٦ر٨	٢٧ر٥	١٠ر٣	٣٧ر٣	١٩ر٢	١٨ر١	٣٦ر٩	٢٣ر٦	١٣ر٢

أما الوفيات فقد ارتفعت نسبتها جدا فى سنتى ١٩١٨ و ١٩١٩ نظراً لانتشار الحمى الاسبانية فى الوجه البحرى فى هاتين السنتين كذلك عادت فارتفعت فى سنتى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ لانتشار حمى الملاريا . ويلاحظ وجود ارتفاع نسبي فى معدل الوفيات منذ سنة ١٩٣٠ رغم تقدم الأحوال الصحية فى السنين الأخيرة ، ولعل سبب ذلك زيادة الدقة فى تسجيل الوفيات . ويؤيد

(١) هذا الجدول موضوع على أساس الأرقام الواردة فى النشرات السنوية للمواليد والوفيات فى مراكز المديرية المختلفة .

هذه الحقيقة الدراسة المحلية لمعدل الوفيات . فبندر دمنهور تزيد فيه نسبة الوفيات عنها فى أى مركز آخر فى المديرية مع أن الأحوال الصحية فيه أرقى دون شك منها فى أى جهة أخرى . ولكن وجود تفتيش الصحة يؤدى الى ضبط تسجيل الوفيات .

أما عن الهجرة فتدل الارقام الواردة فى جداول تعداد سنة ١٩٣٧ للفترات المختلفة[1] على أن مديرية البحيرة هى أولى مديريات مصر جميعاً ربحاً من حركة الانتقال المتبادلة بين مختلف جهات القطر . ولا يفوقها فى ذلك الا المحافظات نظراً لما لها من ظروف خاصة تجتذب السكان اليها . ويبين الجدول الثامن حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحرى الأخرى فى الفترة بين ١٩٠٧ ، ١٩٣٧ ومنه يظهر أن مديرية البحيرة تكسب دائماً من تلك الحركة وأن أكثر المهاجرين اليها من مديريتى المنوفية والغربية . ولا شك أن ربح المديرية كان يزداد لولا موقعها قريبا من الاسكندرية الأمر الذى يؤدى الى فقدها عدداً كبيراً من سكانها الذين تجذبهم هذه المدينة اليها كما يوضح ذلك الجدول التاسع .

هذه الهجرة ترجع الى زيادة الأراضى المستصلحة ولذا كانت المراكز المتطرفة فى الشمال والغرب أكثر نمواً من المراكز الأخرى . فاذا رجعنا الى تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن المراكز التى زادت نسبة نمو سكانها عن متوسط نسبة نمو القطر فى ذلك التعداد (١٢ ٪) هى المراكز المتطرفة حيث الأراضى الميسورة الاصلاح وتشمل مراكز أبو حمص (١٤ ٪) وأبو المطامير (١٥ ٪) ورشيد (٢١ ٪) والمحموديه (٢٣ ٪) . هذه الظاهرة لا تؤيدها أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ فحسب بل تؤيدها أرقام كل التعدادات الأخرى السابقة له . كما تؤيدها النتائج الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ باستثناء مركز أبو حمص الذى انخفض متوسط نسبة النمو فيه (٧ ٪) عن متوسط نسبة نمو المملكة المصرية (٢٠ ٪) .

---

(١) الجزء الثانى الجدول الثالث عشر .

الجـــدول الثامن

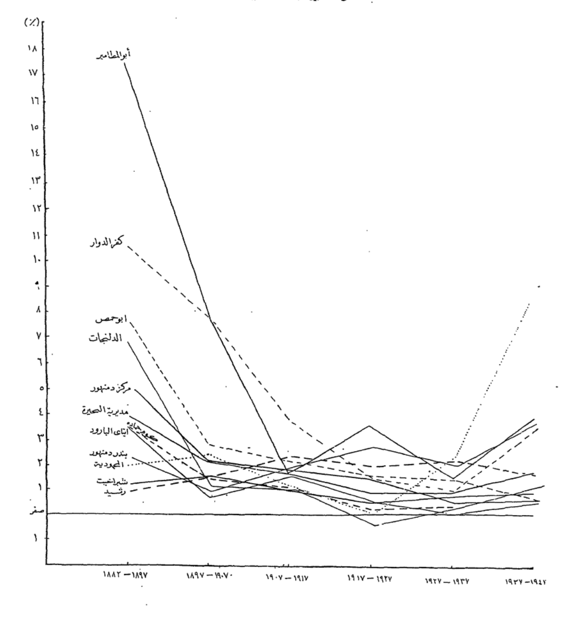
حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحرى الأخرى (١) (١٩٠٧ — ١٩٣٧) (٢)

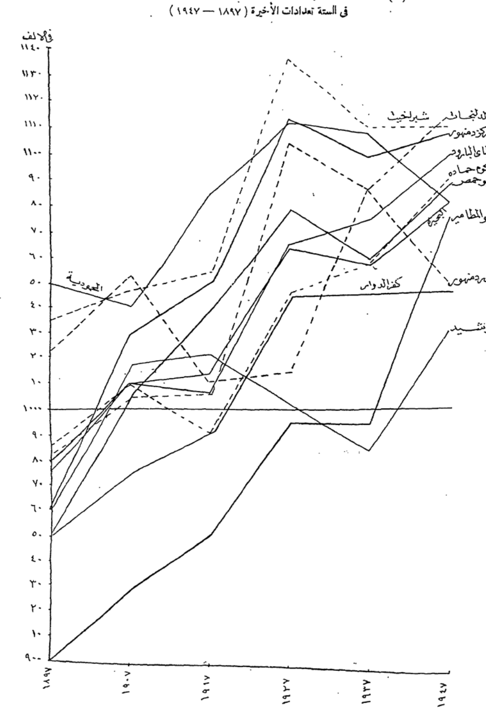
المدة	١٩٠٧ — ١٩١٧			١٩١٧ — ١٩٢٧			١٩٢٧ — ١٩٣٧			فى الثلاثين سنة ١٩٠٧ — ١٩٣٧		
المنطقة	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكسب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكسب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكسب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكسب
الدقهلية . .	٢٠٢٣	٩٢٨	١١٠٥	٢٠٤٩	٧٨١	١٢٦٨	٥٩٣٥	٧٧٦	٥١٥٩	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٥٣٢
الشرقية . .	١٣١٣	١١٢٠	١٩٣	١٤٧١	٧٨٧	٦٨٤	١٧٧٦	٩٠١	٨٧٥	٤٥٦٠	٢٨٠٨	١٧٥٢
الغربية . .	٢٠٥٦٩	٩٦٠١	١ ٩٦٨	١٧١٧١	٥٧٧٠	١١٤٠١	١٤٤٧٤	١١١١٦	٣٣٥٨	٥٢٢١٤	٢٦٤٨٧	٢٥٧٢٧
القليوبية . .	١٠١٣	٦٦٢	٣٥١	٧٩١	٦٣٩	١٥٢	٨٠٨	٨٠٨	١٠	٢٦٣٢	٢١٠٩	٥١٣
المنوفية . .	١٠١٦٦	٢٨٢٢	٧٣٤٤	١٣٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	١١١٣٤	١٥٠٨	٩٦٢٦	٣٤٧٦٠	٦٢٢١	٢٨٥٣٩
الجملة . . .	٣٥٠٩٤	١٥١٣٣	١٩٩٦١	٣٤٩٤٣	٩٨٦٨	٢٥٠٧٤	٣٤١٣٧	١٥١٠٩	١٩٠٢٨	١٠٤١٧٣	٤٠١١٠	٦٤٠٦٣

(١) اقتصر على مديريات الوجه البحرى لأن الهجرة من مديريات الوجه القبلى محدودة .

(٢) هذا الجدول من وضع الباحث اعتماداً على ما ورد فى تعداد ١٩١٧ ج ٢ ص ص ٥٧٤ — ٥٧٥ وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ ص ٤٤ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ ص ص ٦٢ — ٦٣

(٣) المعدل السنوى لزيادة السكان أو نقصهم لكل مركز (٪)
في المدة بين ١٨٨٢ — ١٩٣٧





(٥) نسبة الإناث لكل ألف من الذكور في مراكز المديرية المختلفة
في الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)

الجدول التاسع

حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة والاسكندرية

(١٩١٧ — ١٩٣٧) [1]

سنة التعداد	المتنقلون من البحيرة إلى الاسكندرية	المتنقلون من الاسكندرية إلى البحيرة	خسارة المديرية
١٩١٧	١٤,٥٦٩	١٠,١٧٨	٤,٣٩١
١٩٢٧	١٦,٧٠١	٧,٢٦٤	٩,٤٣٧
١٩٣٧	٢٠,٢٩٩	٥,٤٤٥	١٤,٨٥٤
الجملة فى عشرين سنة	٥١,٥٦٩	٢٢,٨٨٧	٢٨,٦٨٢

نمو السكان فى مراكز مديرية البحيرة

يبين الجدول العاشر جملة عدد سكان كل مركز فى مديرية البحيرة فى السبعة تعدادات الاخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) حسب حدوده الحالية مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتهما . وعلى أساسه وضع الرسم البيانى رقم ٣ الخاص بالمعدل السنوى لزيادة السكان أو نقصهم (٪) فى المدة بين ١٨٨٢ ، ١٩٤٧ ومن الجدول والرسم البيانى نتبين ماياتى :

١ — أن الزيادة الكلية بين كل تعدادين تتوزع على جميع مراكز المديرية . ويمكن أن نلاحظ بسهولة أن كل مركز يشترك فى هذه الزيادة العامة وأن كان مقدار الزيادة يختلف اختلافا بينا من مركز لآخر كما يوضح ذلك الجدول الحادى عشر .

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على ما ورد فى تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ الجدول ١٨ ص ٥٧٤ — ٥٧٥ ، وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ الجدول ١٠ ص ٥٤٤ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ الجدول ١٢ص ص ٦٢ص ٦٣

الجـــــــدول

جملة عدد سكـــان كل مركز فى مديرية البحيرة

حسب حدوده الحالية مع بيان

مركز	١٨٨٢	١٨٩٧			١٩٠٧			
	عدد السكان	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان	الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان
			الرقم الحقيقى	٪ سنويا		الرقم الحقيقى	٪ سنويا	
أبو حمص . .	٢٥,٢٧٥	٥٤,٤٥١	٢٩,٠٧٦	٧,٧	٦٩,٨٢٢	١٥,٣٧١	٢,٨	٨٤,٢٩٥
أبو المطامير .	٥,٨٠٤	٩٠,٩٨٧	١٥,١٨٣	١٧,٥	٢٧,٥٣٩	١٦,٥٥٢	٧,٩	٤٤,٠٩٧
إيتاى البارود	٦٢,٩٥٠	٩٦,٠٨١	٣٣,١٣١	٣,٥	١٠٢,٨٤٤	٦,٧٦٣	٠,٧	١١٨,٠٨٦
الدلنجات . .	٣٠,٧٠٩	٦١,٩٧٨	٣١,٢٦٩	٦,٨	٦٩,٢٠٦	٧,٢٢٨	١,٢	٧٦,٣٩١
بندر دمنهور	٢٢,٧٠٢	٣٠,٩٨١	٨,٢٧٩	٢,٤	٣٤,١٤٢	٣,١٦١	١,٠	٤٠,٦٦١
مركز دمنهور	٣٥,٠٥٦	٦١,٦٣٦	٢٦,٥٨٠	٥,١	٧٤,٩١٨	١٣,٢٨٢	٢,٢	٨٨,٢٦٩
رشيد . . .	٣٢,٦٦١	٣٦,٩١٨	٤,٢٥٧	٠,٩	٤٢,٣٣٩	٥,٤٢١	١,٥	٥١,٩٩٢
شبراخيت . .	٥٩,٦٨٦	٧٠,٥٦٥	١٠,٨٧٩	١,٢	٨٠,٩٨٦	١٠,٤٢١	١,٥	٨٨,٣٨٩
كفر الدوار .	١٦,٦١٤	٤٣,٠٥٠	٢٦,٤٣٦	١٠,٦	٧٦,٥٢٩	٣٣,٤٧٩	٧,٨	١٠٤,٩١٩
كوم حماده .	٨٢,٨٣٤	١٢٥,٨٤٧	٤٣,٠١٣	٣,٥	١٤٤,٠٢٤	١٨,١٧٧	١,٤	١٥٨,٧٦٦
المحمودية . .	٢٠,٣٢١	٢٦,٣٩٠	٦,٠٦٩	٢,٠	٣٢,٧٣٨	٦,٣٤٨	٢,٤	٣٦,٢٧٢
مديرية البحيرة	٣٩٤,٧١٢	٦٢٨,٨٨٤	٢٣٤,١٧٢	٤,٠	٧٦٥,٠٨٧	١٣٦,٢٠٣	٢,٢	١٩٢,٢٤٦

(١) راجع تعداد سنة ١٩٣٢ ج ٢ جدول ٩ ص ص ٣٦ — ٣٧

العـــــــاشر

في السبعة تعدادات الأخيرة[1] ١٨٨٢ — ١٩٤٧)

الزيادة أو النقص ونسبتهما

١٩١٧		١٩٢٧			١٩٣٧			١٩٤٧		
الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان	الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان	الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان	الزيادة أو النقص (—)	
الرقم الحقيقي	٪ سنويا		الرقم الحقيقي	٪ سنويا		الرقم الحقيقي	٪ سنويا		الرقم الحقيقي	٪ سنويا
١٤,٤٧٣	٢,١	٦٩,٦٣٠	١٢,٣٣٥	١,٥	١١٠,٤٦٥	١٣,٨٣٥	١,٤	١١٨,٠٥١	٧,٥٨٦	٠,٧
٦,٥٥٨	١,٧	٥٩,٦٨٨	١٥,٥٩١	٣,٥	٦٨,٨٩٠	٩,٢٠٢	١,٥	٩٥,١٥١	٢٦,٢٦١	٣,٨
١١٥,٢٤٢	١,٥	١٢٤, ٣٤	٥,٩٤٨	٠,٥	١٢٤,٤٨٢	٤٤٨	—	١٣٠,٦٧٩	٦,١٩٧	٠,٥
٧,١٨٥	١,٠	٧٣,٥٧٩	٢,٨١٢—	٠,٤	٧٥,١٩١	٦١٢	٠,٢	٨٣,٢٤٧	٨,٠٥٦	١,١
٦ ٥١٩	١,٩	٥١,٧٠٩	١١,٠٤٨	٢,٧	٦١,٩٦٢	١٠,٢٥٣	٢,٠	٨٤,٩٨٣	٢٣,٠٢١	٣,٧
١٣,٣٥١	١,٨	١٠٠ ٤٩٢	١٢,٢٢٣	١,٤	١٠٥,٧٩٥	٥,٣٠٥	٠,٥	١١٢,١٤٦	٦ ٣٥١	٠,٦
٩,٦٥٣	٢,٣	٦١,٦٢٨	٩,٦٣٦	١,٩	٧٤,٥٠١	١٢,٨٧٣	٢,١	٨٦,٢٩٨	١١,٧٩٧	١,٦
٧,٤١٢	٠,٩	٩١,٨٧٥	١,٤٧٧	٠,٤	٩٨,٦٦٧	٦,٧٩٣	٠,٧	١٠٧,٨٠٥	٩,١٢٧	٠,٩
٢٨,٣٩٠	٣,٧	١١٩,٨٢٠	١٤,٩٠١	١,٤	١٣١,٢٥٣	١١,٤٣٣	١,٠	١٧٥,٦٦٨	٤٤,٤١٥	٣,٤
١٤,٧٤٢	١,٠	١٦١,٢٢٣	٢,٤٦٧	٠,٢	١٦٥,٧٤٠	٤,٥ ٧	٠,٣	١٦٩,٢١٠	٣٠,٤٧٠	٢.١
٣,٦٣٤	١,١	٣٦,٢٧٧	٩٥—	—	٤٤,٦٤٧	٨,٣٧٠	٢,٣	٨٢,٧٠٥	٣٨,٠٥٨	٨,٥
١٢٧,١٥٩	١,٧	٩٧٦,٩٦٥	٨٤,٧١٩	٠,٩	١,٠٦١,٥٩٦	٨٤,٦٣١	٠,٩	١,٢٤٥,٦٤٣	١٨٤,٠٤٧	١,٧

الجدول الحادى عشر

نمو السكان فى مختلف مراكز مديرية البحيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)

المركز	عدد السكان ١٨٩٧	عدد السكان ١٩٤٧	مقدار الزيادة	النسبة المئوية للزيادة
أبو حمص . .	٥٤ر٤٥١	١١٨ر٠٥١	٦٣ر٦	١١٦ر٠٨
أبو المطامير .	٢٠ر٩٨٧	٩٥ر١٥١	٧٤ر١٦٤	٣٥٣ر٣٨
إيتاى البارود	٩٦ر٠٨١	١٣٠ر٦٧٩	٣٤ر٥٩٨	٣٦ر٠٠
الدلنجات . .	٦١ر٩٧٨	٨٣ر٤٧	٢١ر٤٩٢	٣٤ر٦٠
بندر دمنهور	٣٠ر٩٨١	٨٤ر٩٨٣	٥٤ر٠٠٢	١٧٤ر٣١
مركز دمنهور	٦١ر٦٣٦	١١٢ر١٤٦	٥٠و٥١	٨١ر٦٦
رشيد . . .	٣٦ر٩١٨	٨٦ر٢٩٨	٤٩ر٣٨	١٣٤ر٧٦
شبراخيت . .	٧٠ر٥٦٥	١٠٧ر٨٠٥	٣٧ر٢٤	٥٢ر٨٠
كفر الدوار	٤٣ر٠٥٠	١٧٥ر٦٦٨	١٣٢ر٦١٨	٣٣٨ر١٠
كوم حماده .	١٢٥ر٨٤٧	١٦٩ر٢١٠	٤٣ر٣٦٣	٣٤ر٤٨
المحمودية . .	٢٦ر٣٩٠	٨٢ر٧٠٥	٥٦ر٣١٥	٢١٣ر٩٤
البحيرة . .	٦٢٨ر٨٨٤	١ر٢٤٥ر٦٤٣	٦١٦ر٧٥٩	٩٨ر١٥

٢ — اتجاه نمو السكان فى كل المراكز بصفة عامة يشابه اتجاه نمو السكان فى المديرية جملة . ولا يشذ عن هذا الاتجاه العام إلا مركزا المحمودية والدلنجات إذ يظهر تعداد سنة ١٩٢٧ أن هناك نقصاً فى مركز المحمودية مقداره ٩٥ نفساً ونقصاً فى مركز الدلنجات مقدار ٢٨١٢ نفساً (—٤,٠ ٪ سنويا)[1] . ويمكن أن نهمل النقص فى مركز المحمودية لضآلته أما نقص مركز الدلنجات الذى أصبح تعداده فى سنة ١٩٢٧ (٧٣,٥٧٩ نسمة)

---

(١) حاولنا تعليل هذا النقص بافتراض أن هذين المركزين كانا أكثر تأثراً من المراكز الأخرى بالحمى الأسبانية التى انتشرت سنة ١٩١٨ ولكن لم نجد احصائيات الوفيات خاصة بمركز المحمودية إذ لم ينشأ هذا المركز إلا فى سنة ١٩٢٩ . كما أن احصائيات الوفيات فى مركز الدلنجات فى تلك السنة لم تحقق ما ذهبنا إليه من افتراض .

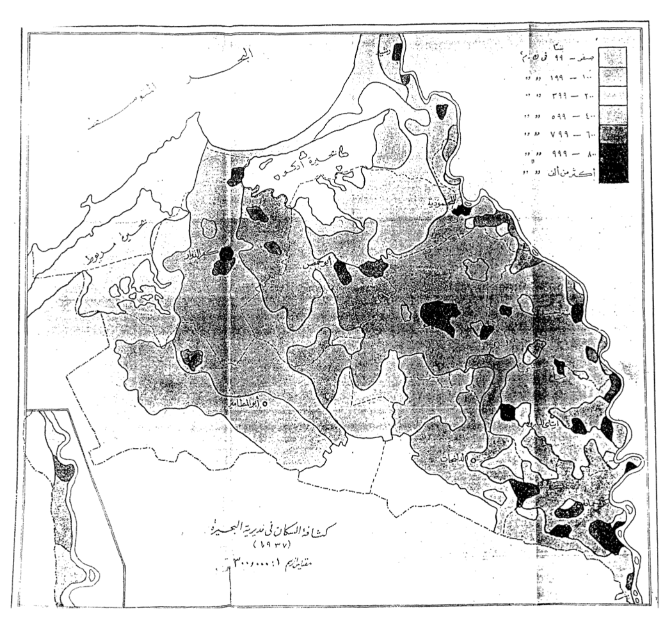
بعد أن كان ٧٦,٣٩١ نسمة فى سنة ١٩١٧ فانه لا يمكن تعليله فى الواقع ولكن ينبغى أن نلاحظ أن هذا النقص لم يمس طبقة الزراع بل بالعكس زاد عددهم من ٢٠,٧٠٣ نسمة فى سنة ١٩١٧ الى ٢٥,٥٥٤ نسمة فى سنة ١٩٢٧ أى بزيادة سنوية مقدارها ٢,٥ ٪ ومعنى هذا أن النقص كان فى عدد المشتغلين بالمهن الأخرى . ولقد أخذ المركزان فى الازدياد مرة أخرى فى الفترة التالية (١٩٢٧ — ١٩٣٧) : المحمودية بزيادة سنوية مقدارها ٢,٣ ٪ والدلنجات بزيادة سنوية مقدارها ٢,٠ ٪ واستمر الازدياد فى الفترة الأخيرة فى المركزين حتى أصبح مركز المحمودية أكثر المراكز فى نسبة الزيادة السنوية . ولم يعد مركز الدلنجات أقل مراكز المديرية نمواً كما كان فى الفترة السابقة .

٣— أكثر المراكز نمواً هى المراكز المتطرفة فى المديرية . ولكن ترتيبها من ناحية النمو يختلف من تعداد الى آخر فبينما نجد الأولية لمركزى أبو المطامير وكفر الدوار في تعداد سنة ١٩٠٧ نجدها لمركزى رشيد والمحمودية في تعداد سنة ١٩٣٧ . ويرجع هذا لأسباب محلية تتعلق بتوفر ماء الرى وتحسين نظام الصرف . ففى بداية القرن الحالى توفرت مياه الرى فى الجهات النائية فى غرب المديرية واتسع نطاق الاراضى المستصلحة . وفى السنوات الأخيرة زادت العناية بشئون الصرف وتجفيف الأراضى الغدقة فى شمال المديرية فيما جاور بحيرة إدكو .

٤ — ان نسب الزيادة فى هذه المراكز المتطرفة فى تعداد سنة ١٩٠٧ كانت أعلى منها فى التعدادات التالية جميعاً ، ولا يستثنى من ذلك إلا مركز المحمودية فى تعداد سنة ١٩٤٩ . ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة هى أن هذا التعداد عمل بعد قيام الشركات العقارية الخاصة باصلاح الأراضي كالشركة الصناعية الزراعية فى أبو المطامير ، والشركة الفرنساوية فى الكوم الاخضر ، وشركة البحيرة المساهمة ، ثم اتجاه كثير من أصحاب رءوس الاموال كالمغازى باشا والوكيل باشا وهم أصلا من التجار الى استثمار الكثير من أموالهم فى الزراعة واستصلاح الاراضى .

هذه الاراضى المستصلحة والوسائل المختلفة التى اتبعتها الشركات وكبار الملاك ساعدت على هجرة كثير من الفلاحين من المراكز الجنوبية فى المديرية ومن مراكز مديرية الغربية المزدحمة بسكانها كمراكز كفر الزيات وطنطا والسنطة وزفتى وغيرها . ثم من مراكز مديرية المنوفية . وقد أدت هذه الهجرة دون شك الى زيادة السكان زيادة كبيرة فى تلك الفترة . ثم هبط معدل الزيادة بعد ذلك إذ أخذت حركة اصلاح الأراضى تسير ببطء وخاب أمل الكثيرين ممن انتقلوا الى هذه الجهات فرجعوا الى قراهم الاصلية ، كما بدأت المناطق الاخرى فى شمال الدلتا تستهوى المهاجرين . ولا يمكن تعليل هبوط معدل الزيادة بأحد هذه الأسباب دون الباقى بل أنها كلها مجتمعة مسئولة عن هذا الهبوط .

٥ — كانت أكثر الجهات نمواً فى الفترة بين ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ هى مراكز المحمودية (٨٥ ٪) وأبو المطامير (٣٨ ٪) وكفر الدوار (٣٤ ٪) ثم بندر دمنهور (٣٧ ٪) وقد خص هذه المراكز مجتمعة أكثر من ٧٠ ٪ من جملة زيادة السكان فى مديرية البحيرة فى العشر سنوات الأخيرة . وترجع الزيادة فى بندر دمنهور الى ظروف الحرب العالمية الثانية واجتذاب المدينة لعدد غير قليل من الأيدى العاملة . كذلك ترجع الزيادة فى مركز كفر الدوار إلى التوسع فى صناعات النسيج التى يشتغل فيها آلاف من العمال . أما الزيادة فى مركزى أبو المطامير والمحمودية فمترتبة على التوسع فى اصلاح الأراضى البور واستغلالها ولكنا نشك كثيراً فى صحة الارقام الخاصة بمركز المحمودية الذى وصلت الزيادة السنوية فيه إلى ٨,٥ ٪ مع أنها لم ترق فى أى تعداد سابق إلى ٢,٥ ٪ سنويا . ولا بد من وجود عامل خارجى ترك أثره فى رقم التعداد كأن يكون فى المركز فى يوم التعداد مشروع انشائى يشتغل فيه آلاف من العمال حسبوا ضمن سكان المركز مع أن اقامتهم فيه إقامة مؤقتة . وهذا عيب من عيوب التعدادات على أساس « الحالة الراهنة » كما سبقت الاشارة .



البحر
المتوسط
بحيرة ادكو
بحيرة مريوط
رشيد
المحمودية
كفر الدوار
أبو حمص
أبو المطامير
الدلنجات
ايتاي البارود
نسمة
صفر — ٩٩ في ك.م٢
١٠٠ — ١٩٩ ״ ״
٢٠٠ — ٣٩٩ ״ ״
٤٠٠ — ٥٩٩ ״ ״
٦٠٠ — ٧٩٩ ״ ״
٨٠٠ — ٩٩٩ ״ ״
أكثر من ألف ״ ״
كثافة السكان في مديرية البحيرة
(١٩٣٧)
مقياس الرسم ١ : ٣٠٠,٠٠٠

وبمقارنة عدد سكان كل مركز فى تعداد سنة ١٨٩٧ بسكانه فى تعداد سنة ١٩٤٧ أى فى مدة خمسين سنة يمكن أن نقسم مراكز مديرية البحيرة إلى المجموعات الآتية :

١ — مراكز تصل الزيادة فيها الى اكثر من ٢٠٠ ٪ وتشمل الجهات الغربية والشمالية (أبو المطامير وكفر الدوار والمحمودية) وأول هذه المراكز أبو المطامير إذ بلغت نسبة الزيادة فيه ٣٥٣ ٪.

٢ — مراكز تتروح فيها الزيادة بين ١٠٠ ٪، ٢٠٠ ٪ من مجموع سكان سنة ١٨٩٧ وتشمل مركزى رشيد وأبو حمص ثم بندر دمنهور ويلاحظ أن نمو هذا البندر لا تظهر فيه أى زيادة سريعة غير عادية فى السكان فى الفترة بين أى تعدادين (يستثنى من ذلك الفترة الأخيرة ١٩٣٧ — ١٩٤٧) إذ أن أهمية هذه المدينة كمركز تجارى أو صناعى محدودة ثم ان الاسكندرية القريبة منها أكثر اجتذابا للمهاجرين .

٣— مراكز تتراوح فيها الزيادة بين ٥٠ ٪، ١٠٠ ٪ وتشمل مركزى دمنهور وشبراخيت .

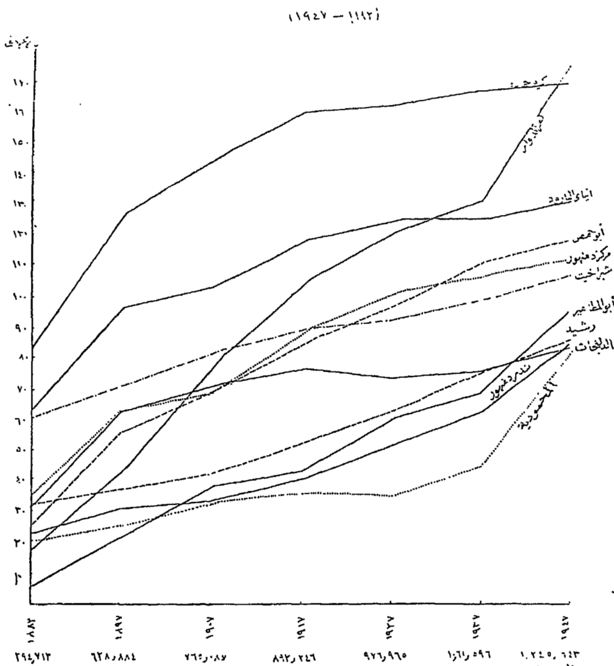
٤ — مراكز تقل نسبة الزيادة فيها عن ٥٠ ٪ من عدد السكان فى سنة ١٨٩٧ وتشمل مراكز ايتاى البارود والدلنجات وكوم حمادة ويلاحظ أن هذه المراكز ومراكز المجموعة السابقة تقع كلها فى شرق وجنوب شرق المديرية حيث يصبح مجال زيادة الاراضى الزراعية محدوداً .

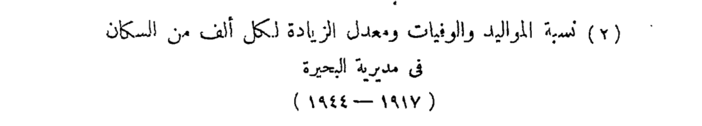
[للبحث بقية]

(١) جملة عدد السكان بكل مركز فى كل تعداد

من السبعة تعدادات الأخيرة

(١٨٨٢ – ١٩٤٧)

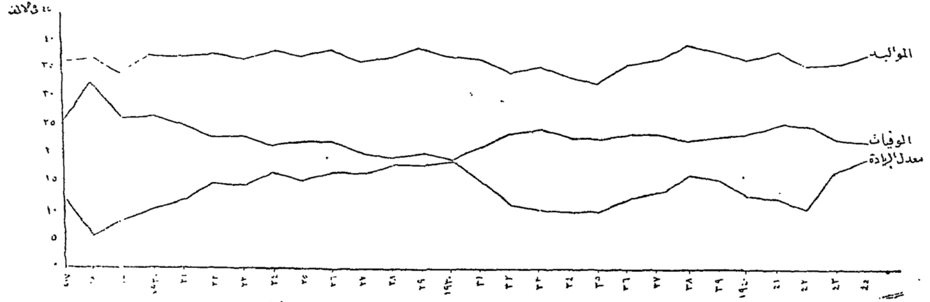


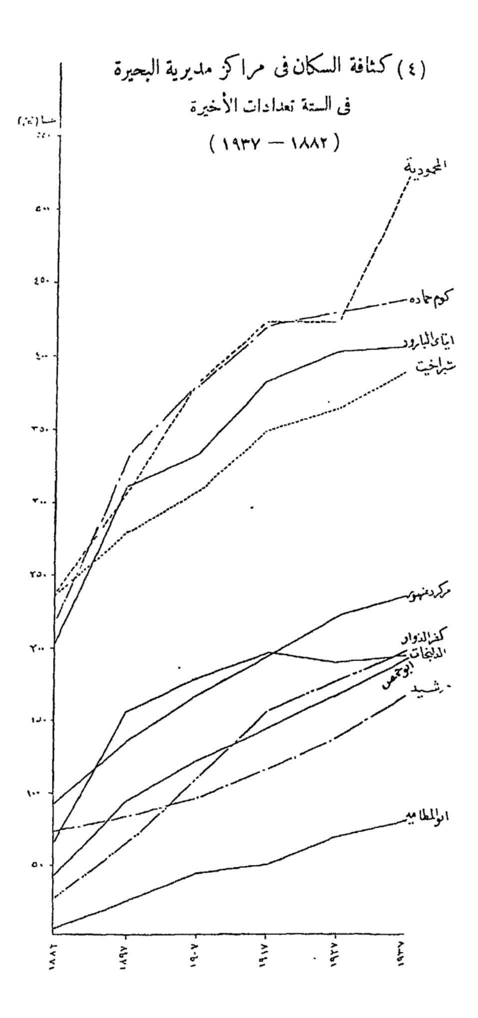


(٢) نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان

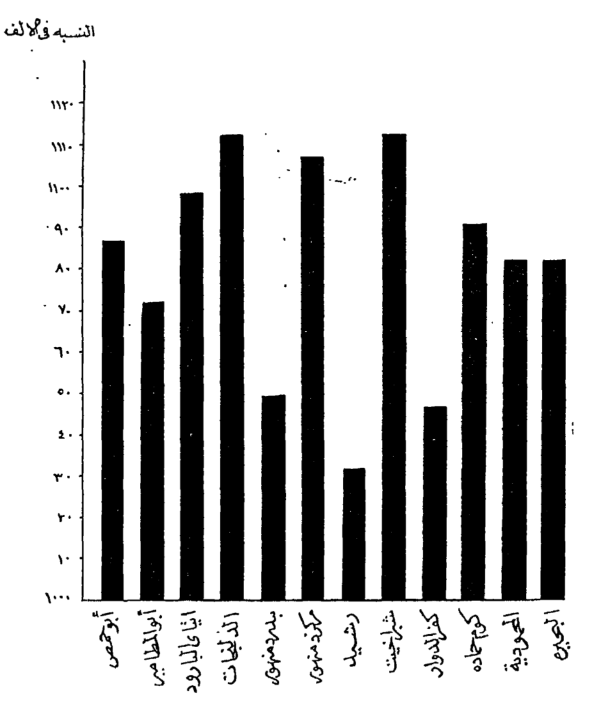
في مديرية البحيرة

(١٩١٧ — ١٩٤٤)



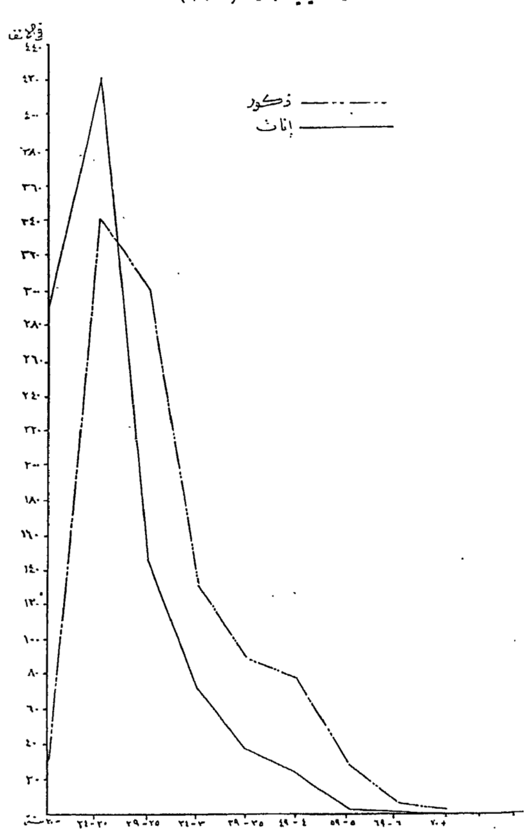

(٤) كثافة السكان فى مراكز مديرية البحيرة
فى الستة تعدادات الأخيرة
(١٨٨٢ — ١٩٣٧)
المحمودية
كوم حماده
ايتاى البارود
شبراخيت
مركز دمنهور
كفر الدوار
الدلنجات
ابوحمص
رشيد
ابو المطامير
٥٠٠
٤٥٠
٤٠٠
٣٥٠
٣٠٠
٢٥٠
٢٠٠
١٥٠
١٠٠
٥٠
١٨٨٢
١٨٩٧
١٩٠٧
١٩١٧
١٩٢٧
١٩٣٧

(٦) نسبة الإناث لكل ألف من الذكور
في مراكز المديرية المختلفة
(١٩٤٧)



(٧) الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة

فى مديرية البحيرة (١٩٣٥)



مصر والكتاب المقـــدس

للدكتور اسماعيل على معتوق

لاشك عند الباحثين اليوم فى أن الكتاب المقدس بعهديه ، أعنى القديم والجديث ، إستغرق جمعه أكثر من ألف عام ، أو ما يقرب من خمسة عشر قرنا ، كانت مليئة بالأحداث السياسية والتاريخية والعقائد الدينية المتنوعة المختلفة . ولا شك أيضا فى أن الكتاب المقدس من أهم السجلات التى دونت فيها آثار تلك الفترة التاريخية من عمر الشرق الأدنى . ففى العهد القديم مثلا ، وأعنى هنا التوراة وسائر الأسفار التى يتكون منها كتاب اليهود المقدس ، نجد حديثا عن الخلق ، وآخر عن الحوادث التاريخية والعلاقات السياسية الخارجية بين مختلف شعوب الشرق الأدنى . ففيه شىء عن مصر ، وشىء عن بابل وآشور ، وشىء عن شعوب الهلال الخصيب ، وشىء عن بعض القبائل العربية ، كما أنه لم يهمل أثر الشعوب الأخرى غير السامية كالايرانيين مثلا .

والعهد القديم فى حديثه عن هذه المواضيع ، كان ولا شك حريصا على عرضها لا من وجهة نظر الوحى الأسرائيلى القديم فحسب ، بل من وجهة النظر السياسية العامة للشعب الاسرائيلى أيضا .

وغير التاريخ فى العهد القديم نجد أيضا أسفار الحكمة والأدب سواء كان فى الشعر أو فى النثر . ويلاحظ أن هذه الأسفار خاصة الأمثال ، تتصل كما ظهر أخيرا اتصالا وثيقا بهذا الضرب من الأدب الذى عرفته مصر القديمة ، والذى جاءنا على مثال نصائح وعظات من أمحتب إلى ابنه .

لذلك كان لا بد وأن تعتبر مصر من الدول ذات الشأن التى عنى الكتاب المقدس بها ، كما عنيت هى بلفت نظر الوحى الاسرائيلى إليها .

هذه الصلات العديدة المتبادلة بين مصر وبين وطن الكتاب المقدس ، هى التى حدت بى إلى إجمالها فى هذا البحث ، راجيا أن أبين للقارئ إلى أى حد أثرت مصر فى هذا الكتاب .

ونحن قبل أن نتحدث عن مصر والكتاب المقدس يجب علينا قبل كل شىء أن نرجع إلى الوراء ونتبين صلة مصر بوطن الكتاب المقدس . فالتوراة والانجيل كما نعلم ظهرا فى أرض فلسطين . وفلسطين كانت قبل أن ينزح العبريون ومن إليهم إليها آهلة بهذا الشعب السامى الذى عرف فى التاريخ تحت اسم الكنعانيين . وعلاقة مصر بهؤلاء السكان الأقدمين بفلسطين ، كانت قوية متصلة . ونستطيع أن ننظر إليها بين عصور ثلاثة ، أو بتعبير آخر بين علاقة مصر السياسية بهذه البلاد .

فالعصر الأول الذى عرفت فيه مصر الكنعانيين يمتد من فجر التاريخ حتى نهاية الدولة الوسطى فى مصر ، أعنى ما بين (٢١٠٠ — ١٦٨٠ ق . م) ، ويوصف هذا العصر عادة بأنه عصر صفاء ومودة وسلام بين مصر وهذا الشعب السامى الكنعانى ، كما تدل النصوص التى وصلتنا على أنه كان عصر تبادل ثقافى عظيم .

أما العصر الثانى ، فهو العصر الذى اصطلح على تسميته بعصر الهكسوس وهو يمتد فيما بين (١٦٨٠ — ١٥٨٠ ق . م) ، فالهكسوس وهم شعب سامى تمكنوا من غزو مصر واستيطانها ما يقرب من قرن من الزمان ، ولم يجلوا عنها إلا بعد أن تركوا أثراً قويا فى حياة مصر سواء كان من الناحية العسكرية أو النواحى الأخرى .

وأما العصر الثالث فهو كما يسمى بحق العصر الذهبى للدولة الحديثة وهو يمتد من (١٥٨٠ — ٧١٢ ق . م) . وقد تمكن فيه المصريون من غزو شعوب الشرق الأدنى خاصة سوريا وفلسطين . وكانت نتيجة هذا الغزو ، أن تزاوجت الثقافات بين الشعبين ، وزاد الاتصال أيام الأسرة الثامنة عشرة حيث نجد تحوتمس الثالث (حوالى ١٥٠٠ ق . م) .

فقد استطاع هذا الفرعون أن يخضع سوريا أكثر من مرة . وكذلك في أيام الأسرة التاسعة عشرة حيث نجد زيدوس الأول (حوالى ١٣٠٠ ق.م) ورمسيس الثانى (حوالى ١٢٥٠ ق . م) .

وظلت سلطة مصر قائمة على هذه الجهات حتى أيام منفتاح (حوالى ١٢٢٠ ق . م) حيث دالت وانحسرت عن هذه البلاد .

فاذا تركنا هذا التاريخ جانبا واستنطقنا الآثار التى وصلتنا لوجدنا النصب المعروف باسم نصب اسرائيل المكتوب فى المصرية القديمة ، يتحدث عن وجود الاسرائيليين فى أرض كنعان . وهذا يؤيد ولا شك أن أرض كنعان التى خضعت لمصر زهاء ثلاثة قرون (من ١٥٠٠ — ١٢٠٠ ق . م) ، والتى ظلت فيها الثقافة المصرية قائمة حتى بعد هذا ، ورثها الشعب الاسرائيلى ، كما ورث معها هذا التراث الثقافى المصرى القديم .

ومن أهم الآثار التى تؤيد هذا الرأى ، تلك التى ترجع إلى عهد الدولتين القديمة والوسطى ، وكذلك خطابات تل العمارنة (عصر أمينوفيس الثالث والرابع حوالى ١٤٠٠ ق . م) . فهذه الآثار علمتنا أن الثقافة الكنعانية خليط من السامية والمصرية القديمة .

فالكنعانيون يكتبون بالبابلية إلى المصريين ، ومعرفتهم لهذه الكتابة وهذه اللغة قديمة جداً ، وإنها قد ترجع إلى الألف الرابع ق . م ، كما أن هذه الثقافة لم تكن بابلية خالصة ، بل كانت مزيجا من البابلية والمصرية القديمة . ومن هنا نرى أهمية أثر مصر فى الكتاب المقدس .

تحدثنا عن العلاقة بين مصر وأرض كنعان نمهد للحديث عن مصر وإسرائيل . فالمصادر التى بأيدينا تحدثنا أن هذه العلاقات بدأت منذ عهد سليمان وخصمه الأدومى المسمى حداد (Hadad) فقد تزوج الاثنان أميرتين لفرعون مصرى لم يذكر اسمه وربما يكون من فراعنة الأسرة الحادية والعشرين (مابين ١٠٩٠ — ٩٤٥ ق . م) ونتبين هذه العلاقة من النص الآتى :

מלכים א إصحاح ٣ آية ١: וַיִּתְחַתֵּן שְׁלֹמֹה אֶת־פַּרְעֹה מֶלֶךְ מִצְרָיִם וַיִּקַּח אֶת־בַּת־פַּרְעֹה ...) وإصحاح ٩ إلى ١٦: פַּרְעֹה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם עָלָה וַיִּלְכֹּד אֶת־גֶּזֶר וַיִּשְׂרְפָהּ בָּאֵשׁ וְאֶת־הַכְּנַעֲנִי הַיֹּשֵׁב בָּעִיר הָרָג וַיִּתְּנָהּ שִׁלֻּחִים לְבִתּוֹ אֵשֶׁת שְׁלֹמֹה׃

(الملوك الأول إصحاح ٣ آية ١ ، إصحاح ٩ آية ١٦ وما بعدها) .

كما نجد (سوسق الأول Susak I) (من ٩٤٥ — ٩٢٤ ق . م) وهو مؤسس الأسرة الثانية والعشرين يحمى (يربعم Jerobeam) كما أنه أرسل حملة إلى كنعان جاء خبرها فى النص الآتى :

(וַיְבַקֵּשׁ שְׁלֹמֹה לְהָמִית אֶת־יָרָבְעָם וַיָּקָם יָרָבְעָם וַיִּבְרַח מִצְרַיִם אֶל־שִׁישַׁק מֶלֶךְ־מִצְרַיִם וַיְהִי בְמִצְרַיִם עַד־מוֹת שְׁלֹמֹה׃ (١)

(الملوك الأول إصحاح ١١ آية ٤٠ .

وكذلك

וַיְהִי בַּשָּׁנָה הַחֲמִישִׁית לַמֶּלֶךְ רְחַבְעָם עָלָה שִׁישַׁק מֶלֶךְ־מִצְרַיִם עַל־יְרוּשָׁלִָם׃ (٢)

راجع إصحاح ١٤ آية ٢٥

وفى الكرنك نجد ذكرى المدن التى فتحها هذا الفرعون ومنها حقل أبرام . ثم نجد بعد ذلك حربا بين أسوركون الأول (Osorkons I) من ٩٢٤ — ٨٩٥ ق . م وبين אָסָא Asa .

וַיֵּצֵא אָסָא לְפָנָיו וַיַּעַרְכוּ מִלְחָמָה בְּגֵיא צְפָתָה לְמָרֵשָׁה׃ (٣)

أخبار الأيام الثانى إصحاح ١٤ آية ٩

---

(١) راجع نفس المصدر ص ١٢ / ١ وما بعدها .
(٢) راجع نفس المصدر ص ١٤ / ٢٦
(٣) راجع كذلك نفس المصدر ص ١٦ / ٨

ثم نسمع بعد ذلك فى الملوك الثانى عن رسالة الملك הוֹשֵׁעַ إلى סוֹא حوالى عام ٧٢٥ ق . م وقد كان סוֹא هذا قائد فرعون مصر وربما كان هو شاباكاه مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين (٧١٢ — ٧٠٠) :

(וַיִּמְצָא מֶלֶךְ־אַשּׁוּר בְּהוֹשֵׁעַ קֶשֶׁר אֲשֶׁר שָׁלַח מַלְאָכִים אֶל־סוֹא מֶלֶךְ־מִצְרַיִם ....)

(إصحاح ١٧ آية ٤) .

وفى عام ٧٠١ ق . م نرى أن سنحريب هزم جيشا مصريا عند التيكه (Eltheke) تحت رئاسة ترهاقا الأثيوبى

וַיִּשְׁמַע אֶל־תִּרְהָקָה מֶלֶךְ־כּוּשׁ לֵאמֹר הִנֵּה יָצָא לְהִלָּחֵם אִתָּךְ ...

(الملوك الثانى إصحاح ١٩ آية ٩) .

وقد نجح תִּרְהָקָה فتوج بعد ملكا وملك من ٦٨٨ — ٦٦٣ ق . م وفى عصره غزا أسر هدون (Asarhaddon) عام ٦٧٠ مصر كما فتح أشور بانيبال مدينة طيبة عام ٦٦٣ (نحميا ص ٣) .

ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرون وعلى رأسها حكام أشداء أمثال פַּרְעֹה נְכֹה فرعون نيخو من (٦٠٩ — ٥٩٣ق . م) الذى ساعد الدولة الأشورية منذ سقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م فقتل عام ٦٠٨ يوشع عند مجدو (magiddo) وسجن יְהוֹאָחָז (يهو آحاز) وتوج אֶלְיָקִים (يواقيم) ملكا .

בְּיָמָיו עָלָה פַרְעֹה נְכֹה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם עַל־מֶלֶךְ אַשּׁוּר עַל־נְהַר פְּרָת וַיֵּלֶךְ הַמֶּלֶךְ יֹאשִׁיָּהוּ לִקְרָאתוֹ וַיְמִיתֵהוּ בִּמְגִדּוֹ׃ (١)

(الملوك الثانى إصحاح ٢٣ آية ٢٩ ومابعدها) .

إلا أن نبوخذ نصر هزم هذا الحاكم المصرى عند كركميش .

---

(١) راجع أيضا الملوك الثانى ص ٢٣ من الآية ٣٠ — الآية ٣٤

וְלֹא־הֹסִיף עוֹד מֶלֶךְ מִצְרַיִם לָצֵאת מֵאַרְצוֹ כִּי־לָקַח מֶלֶךְ בָּבֶל
מִנַּחַל מִצְרַיִם עַד־נְהַר־פְּרָת כֹּל אֲשֶׁר הָיְתָה לְמֶלֶךְ מִצְרָיִם [1]:
(الملوك الثانى إصحاح ٢٤ آية ٧) .

وفى أيام هوفرا Hophra (من ٥٨٨ — ٥٦٩ ق. م.) نزح كثيرون من اليهود بسبب تخريب أورشليم عام ٥٨٦ ق . م إلى مصر حيث كان فى مصر جالية يهودية يرجع تاريخها إلى القرن السابع ق . م. ومن هؤلاء اليهود الجالية التى كانت تقيم فى جزيرة الفيلة [2] .

وما كاد يمر التاريخ المصرى ويجلس على عرش مصر البطالمة حتى وفد كثيرون من اليهود إلى مصر واستوطنوا الإسكندرية وغيرها من المدن خاصة المدينة المسماة (ليوتوبوليس Leotopolis) (اليوم تل اليهودية) حيث أسس فيها عام ١٦٨ ق . م أحد كبار رجال الدين اليهودى الذين طردوا من أورشليم معبداً يهوديا .

فمن هذا يتبين لنا أن العلاقات منذ سليمان مع مصر لم تنقطع ، ولو أن الجالية اليهودية فى مصر لم تبلغ مكانة محترمة إلا فى العصر الهلينى فى عصر البطالمة الممتد من بطليموس الثانى إلى الخامس ، أعنى من ٢٨١ — ١٩٨ ق . م .

لذلك لا غرابة فى أن نجد الأثر المصرى يتغلغل وبقوة فى الحياة اليهودية سواء فى فلسطين أو فى خارجها وسواء فى العصور القديمة أو فى العصور المتأخرة .

وإذا ما عرضنا للعهد القديم وجدنا فيه الكثير من الاشارات التى تشير إلى كثير من العلاقات والذكريات الجغرافية والتاريخية بين مصر واسرائيل. فمثلا فى سفر يشوع ص ٩/١٥ وكذلك ص ١٨/١٥ نقرأ اسم عين منفتاح (אֶל־מַעְיַן מֵי נֶפְתּוֹחַ) وهذا الاسم يحمل ولا شك اسم الفرعون المصرى منفتاح . كذلك الخبر الوارد فى سفر العدد .

(١) راجع أيضا أرميا ص ٤٦ / ٢
(٢) راجع ارميا ص ٤٣ / ٧ ، اشعيا ص ١٩

(וחברון שבע שנים נבנתה לפני צען מצרים:)(١)
إصحاح ١٣ آية ٢٢

فهذا الخبر نتبين منه أن حبرون بنيت قبل تنيس ، وهو ولا شك يرجع إلى عهد الهكسوس أى حوالى عام ١٦٨٧ ق. م :

وتشير المراجع المصرية إلى أن آخر حصون الهكسوس كان حصن شروخن الواقع فى جنوب فلسطين ، سفر يشوع ص ١٩/٦ :
:וּבֵית לְבָאוֹת וְשָׁרוּחֶן ....:

وكثيرون من العلماء يرون فى قصتى يوسف وموسى صدى للهكسوس وزمنهم بالرغم من أن يوسف كان وزيرا فقط . ومدينة رمسيس فى قصة موسى ترجع ولا شك إلى عصر رمسيس الثانى حوالى ١٢٥٠ ق . م. سفر الخروج .

:...... וַיִּבֶן עָרֵי מִסְכְּנוֹת לְפַרְעֹה אֶת־פִּתֹם וְאֶת־רַעַמְסֵס:(٢)
إصحاح ١ آية ١١

لذلك اتجهت الآراء أخيراً إلى كثير من الحقائق التاريخية التى نستطيع أن نجملها فى أن كثيراً من الساميين كانوا يعبرون الحدود إلى مصر، كما راجت سوق بيع العبيدمن الساميين فى مصرومن هؤلاء العبيد من ارتقى فى وظائف الحكومة حتى صار وزيراً مثل يانخامو (Janchamu) الذى جاء ذكره فى رسائل تل العمارة ، والذى كان يمون أرض كنعان بالغلال . كما يتبين من هذه النصوص التاريخية القديمة أيضا وجود أسماء مصرية فى عائلة موسى فمثلا لفظ موسى قد يكون معناه "ولد" أو ابن الماء وكذلك اسم بنخاس (Pinchas) اى(أسود) وغير ذلك كثير . فهذان الاسمان وغيرهما قد أخذا ولاشك عن المصريين .

أما حديث العهد القديم عن مجاعة مصر الوارد ذكرها فى تكوين ص ٤١

---

(١) צֹעַן ; n. pr. loc. Tanis : in Egypt. (W. gesenius P. 858).

(٢) רַעַמְסֵס = Ramses, city in Egypt built by Rameses II. (W. gesenius P. 947)

وكذلك حديثه عن امرأة فوطيفار (Potiphar) سفر التكوين ص ٣٩ ، وقصة خروج موسى سفر الخروج ص ١ ، والسحرة سفر الخروج ص ٧ — ٨ ، فكلها قصص نلمس فيها الأثر المصرى ، خاصة هذه الأسماء المصرية القديمة الواردة فيها ، والتى بمقتضاها نستطيع إرجاع هذه القصص إلى أوائل الألف الأول ق. م . فمثلا لفظ بوتيفيرا (Potiphera) معناه فى المصرية القديمة ذلك الذى يعطيه الاله رع . واسم أثنات (Asnath) أعنى التابعة للالهة نيث (Neith) وكذلك الاسم سفنات بناخ (Safnath Paneach) معناه (الله يتكلم) وهو (الغلام يحيى) أو (يعيش) .

وهكذا نجد العهد القديم غنيا بالأسماء المصرية والتعبيرات المصرية والعقائد المصرية .

كما نجد أيضا طريقة اختيار الملك شاءول ، كما يصورها لنا سفر صموئيل الأول ص ١٠/١٧ وما بعدها ، وقتل الأطفال فى بيت لحم انجيل متى ص ٢ ، وولادة المرأة فى السماء الواردة فى الكتب المنسوبة الى الكتاب المقدس مأخوذة جميعها عن أسطورة ازيس.[1]

والى جانب أدب القصص المصرى وأثره فى الاسرائيليين ذكرنا فيما مضى شعر الحكمة المصرى والدور الذى قام به فى الشرق الأدنى . والآن نضيف الى هذا أن تلك الأمثال المنسوبة لسليمان خاصة تلك الواردة فى ص ٢٢/١٧ الى ص ٢٣/١١ فهى مترجمة ترجمة تكاد تكون حرفية عن تعاليم أمينوموبه (Aminomope) . وغير هذه الأمثال نجد الكثير المنتشر بين طيات الكتاب المقدس .

كذلك سفر أيوب فالى جانب أسلوبه الفلسفى الدينى الذى استعمله خاصة هذا الاسلوب الحوارى فاننا نجد فيه عنصرا مصريا آخر وهو هذه الصور المستعارة من الحياة المصرية والطبيعية المصرية . فى سفر أيوب

---

(١) راجع صموئيل الأول ص ١٠ من الآية ١٧—٢٤ ، وكذلك انجيل متى الاصحاح الثانى ، وكذلك Apok. 12.

نجد وصفا للحيوان المعروف باسم بهيموث (B ehimoth) والتمساح وفرس البحر وليفياتان (Leviathan) (أيوب ص ٤٠) .

وإذا ما تركنا العهد القديم ولجأنا الى كتاب آخر من الكتب التي لا تقل قدامة عن العهد القديم أعني سفر يسوع بن سيراح ٣٨/٢٤ وما بعدها فاننا نجده يتحدث عن كثير من الحكم والامثال التى سبقه اليها المصريون بالرغم من تفاوت العهد بين حياة اليسوع بن سيراح وبين العصر الذهبي للادب المصرى القديم .

وإذا مافرغنا من العهد القديم وعرجنا على العهد الجديد وجدنا شيئا يشبه هذا . أعني وجدنا الأثر المصرى فى العهد الجديد لا يقل روعة وقوة عنه فى العهد القديم .

فنى العهد الجديد نقرأ مثلا فى انجيل لوقا ١٦/١٩ وما بعدها قصة الرجل الغني والفقير ، كما نقرأ فى لوقا أيضا ١٦/١ وما بعدها قصة صاحب البيت الظالم . والقصتان ترجعان الى كتب الأمثال المصرية .

وحتى القصص الخرافية التى نجدها فى كورنثوس الاول ص ١٢/١٤ وما بعدها والتى سبق أن عرض لها اشعيا ص ١٠/١٥ وما بعدها . حتى هذه القصص نجد أصولها فى مصر القديمة .

وإذا تركنا الاثر الادبى والثقافى والفلسفى فى الكتاب المقدس وانتقلنا الى العادات والتقاليد ، وجدنا كثيراً من عادات مصر وتقاليد أهلها تنتقل إلى الاسرائيليين وتكون ركنا هاما من أركان العقائد الاسرائيلية مثل الختان وتشييد المعابد وما اليها .

من هذا العرض نرى أن دراستنا للعهد القديم أو الكتاب المقدس عامة يجب قبل كل شىء أن تدرس على ضوء ثقافات بلاد الشرق القديم خاصة مصر .

حول بحث "أول من وضع النحو"

للأستاذ عبد الوهاب حموده

نشرت المجلة فى الجزء الثانى من المجلد العاشر بحثا طريفا للأستاذ الجليل ابراهيم بك مصطفى فى موضوع « أول من وضع النحو » . وهو بحث ألقاه فى مؤتمر المستشرقين ، جاء الأستاذ فيه برأى طريف خالف فيه السابقين واللاحقين من مسلمين ومستشرقين .

بعد أن عرض الأستاذ لروايات المؤرخين ، بدا له أن ينتهج منهجا جديداً وصل منه الى أن هذه القواعد النحوية التى كتب لها هذا العمر الطويل — على حد تعبيره — أول من نهج سبيلها هو عبد الله بن أبى اسحق المتوفى سنة ١١٧ هـ ، لا كما يقول الرأى السائد بأن واضعها أبو الأسود الدؤلى.

سند الأستاذ فى هذا الرأى هو :

(أولا) أن عبد الله بن ابى اسحق أقدم من نسب اليه سيبويه آراء نحوية ، فقد ذكره فى كتابه ست مرات .

(ثانيا) أن الأستاذ لم يجد فى كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأيا نحويا نسب الى أبى الأسود ولا الى طبقتين من بعده .

(ثالثا) أن ما قام به أبو الأسود من نقط المصاحف على طريقته هو عمل يرجع الى ضبط المصحف لا الى النحو .

(رابعا) أن الأمر قد اختلط على الرواة فى نسبتهم النحو الى أبى الأسود ، وسبب هذا الاختلاط انهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها فى القول . وهذا هو ما جاء فى اللسان والخصائص لابن جنى بصدد

تعريف النحو . ثم لما تقدم الرواة فى البحث جعلوا لهذا النحو سببا فقالوا فى الكلمة ترفع لأنها فاعل ، وسموا ذلك علل النحو . ثم تقدموا بعد ذلك خطوات فى التعليل .

(خامسا) كُره الناس أن ينسب شيء الى زياد ، وحبهم أن ينسب كل شيء الى على وشيعته ، جعلهم يروجون نسبة وضع النحو الى على بن ابى طالب فخفيت الحقيقة حتى آن أن يجليها البحث فى كتب النحو ذاتها لا فى أخبار الطبقات .

هذه هى خلاصة وافية لبحث الأستاذ وأسانيده .

وإنى أخالف الأستاذ فى النهج الذى انتهجه وفى الاستنباط الذى استنبطه وذلك :

(أولا) إن عدم سبق كتب النحو لكتاب سيبويه فى النقل عن العلماء الذين تقدموا عبد الله بن أبى اسحق ، ليس دليلا على أن أولئك الأئمة لم يكن لهم سبق فى التفكير فى النحو ، ولم يقوموا بأية محاولات يصح أن تعتبر نواة ، كما اعتبرت محاولات عبد الله بن ابى اسحق نواة ، إذ ليس من السهل طرح جميع الروايات ، التى رويت فى وضع أبى الأسود للنحو أو للعربية ، كما هو نص غالب الروايات . فإن لتضعيف الروايات ورفضها قوانين وقواعد وضعها علماء الرواية .

(ثانيا) اننا اذا رجعنا الى ما ذكره سيبويه فى كتابه رواية عن ابن ابى اسحق ، وجدناه لا يخرج عن محاولات واتجاهات قد قام بمثلها من سبقوا ابن ابى اسحق ، كيحيى بن يعمر وعبد الرحمن بن هرمز ، ونصر ابن عاصم ، غير أن ميدان هؤلاء هو كتب القراءات لا كتب النحو ، فقد كانوا جميعا فى أول أمرهم من القراء حتى ابن أبى اسحق

- روى سيبويه عن ابن ابى اسحق أنه قرأ قوله تعالى (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بنصب — ولا نكذب

ونكون — وهذه هي إحدى المرات الست التي اعتمد عليها الأستاذ في نهجه الجديد .

ورويت كتب القراءات عن يحيى بن يعمر وهو شيخ ابن ابى اسحق أنه قرأ قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) برفع « كلمة » على الفاعلية ورويت عن ابن هرمز أنه قرأ قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) بنصب الكاف من ويسفك .

وقرأ ابن هرمز أيضا قوله تعالى (بل ملة ابراهيم حنيفا) برفع ملة . وهو خبر مبتدأ محذوف أى بل الهدى ملة .

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبى اسحق قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن) برفع النون فى (أحسن) .

ليس هذا فقط بل وردت عن أبى الأسود الدؤلى نفسه مناقشة نحوية فى بيت من الشعر تشبه تماما إحدى المرات الست التى رويت عن ابن ابى اسحق فى كتاب سيبويه وكانت سببا فى نهج الأستاذ الجديد .

جاء فى سمط اللآلى وأمالى المرتضى والأغانى والكامل للمبرد وإنباه الرواة للقفطى أن أبا الأسود قال يرد على أصهاره بنى قشير وكانوا عثمانية ، وهو من المشهورين بالتشيع فى على .

يقول الأرذلون بنو قشير   طوالَ الدهر لاتنسى عليّا

فقلت لهم وكيف يكون تركى   من الأعمال ما يُقضى عليّا

أحب محمداً حباً شديداً   وعباسا وحمزة والوصيا

بنو عم النبى وأقربوه   أحبّ الناس كلهم إليّا

فإنْ يكُ حبُّهم رشدا أُصِبْهُ   وليس بمخطىء إن كان غيّا

روى ابن الانبارى بسنده عن أبى عبيدة العنزى قال : كتب معاوية إلى زياد كتابا وقال للرسول إنك سترى إلى جانبه رجلا ، فقل له إن أمير

المؤمنين يقول لك قد شككت في قولك (فإن يك الخ) . فقال له ، فأجاب أبو الأسود لأعلم لك بالعربية ، قال تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فسكت معاوية لما بلغه احتجاج أبي الأسود، وهو يريد أن يقول أفترى الله شك ؟

على أني لا أمنع أن يكون لابن أبي اسحق تفوق في القياس ، وشخصية في التعليل ، ولكن ذلك لا يكفي في أن نسلب المتقدمين جهدهم ومحاولتهم في اتجاهات هذا العلم — علم النحو .

(ثالثا) إذا علمنا أن ابن أبي اسحق أخذ عن ميمون الأقرن وعن يحي ابن يعمر وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم ، وكل هؤلاء أخذوا عن شيخهم أبي الأسود الدؤلي ، فهل غريب في العقل والعادة أن يكون التلميذ ممثلا لاتجاهات أساتذته ، ومشخصا لآراء شيوخه وصورة لعقليتهم واتجاهاتهم .

(رابعا) كيف يسوغ في العقل أن رجلا مثل أبي الأسود ، وقد وصفه الجاحظ في البيان والتبيين والبكري في اللآلىء بأنه كان خطيبا عالما، وكان قد جمع شدة في العقل ، وصوابا في الرأي ، وجودة في اللسان ، وقول الشعر والظرف . كيف يسوغ أن رجلا كهذا ، وحوله المجتمع يعج باللحن تارة في القرآن الكريم ، وتارة في غير القرآن الكريم ، ثم هو لا يفكر في موانع لهذا اللحن وضوابط لهذه العربية ، فكما سلم الاستاذ لأبي الأسود بما اخترعه من النقط ضابطا المصحف ، كان ينبغي أن لا يمنع عليه التفكير في ضوابط أولية ساذجة ليهتدي بها الأعاجم في كلامهم وتكون لهم حواجز من اللحن وقد فشا ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين لحن رجل بحضرته « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر ، لأن أقرأ فأسقط أحب إلى من أن أقرأ فألحن . وكتب كاتب لأبي موسى الاشعري الي عمر فلحن فكتب اليه عمر : أن اضرب كاتبك سوطا واحدا ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن » وغير ذلك من أخبار اللحان وهي كثيرة .

(خامسا) إن ذهاب الأثر فى بطون التاريخ لا يسقط من قيمة الرواية فلو فرضنا انه ليس هناك من أثر كتابى لأبى الأسود وتلامذته قبل ابن ابى اسحق ، لا يدل هذا على أن الرواية ساقطة وغير صحيحة ، وإلا فأين القرآن الكريم الذى كان يأمر صلوات الله عليه كتاب وحيه بكتابته على الرقاع واللخاف والعسب ؟ بل اين القرآن الكريم الذى نسخ منه فى العرضة الأخيرة مانسخ كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة، بل أين الصحف التى جمعها أبو بكر ؟ فاذا قلنا ان هذه ممثلة فى المصحف الامام الذى أمر بكتابته عثمان بن عفان ، فنقول قياسا على هذا إن الآراء الساذجة الأولية التى رسمها أبو الأسود وتلامذته فى العربية قد نجدها ممثلة فيمن جاء بعدهم . ولا مانع عندى من ذلك . ولا سيما إذا رجعنا إلى ماذكره صاحب الفهرست واعتبرناه وقد كان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة ، كثير الرغبة فى الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفيها ومعرفة خطوط المتقدمين ، كما ذكر ذلك القفطى فى كتابه « إنباه الرواة على أنباء النحاة » .

يقول صاحب الفهرست :

كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثيرة تحتوى على قطعة من الكتب العربية فى النحو واللغة والأدب والكتب القديمة ، فأخرج لى قمطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل ، جلود وصكاك فيهاتعليقات عن لغة العرب . ورأيت ما يدل على أن النحو من أبى الأسود ، ماهذه حكايته وهى أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها « هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من أبى الأسود — رحمة الله عليه — بخط يحيى بن يعمر » وتحت هذا الخط بخط عتيق « هذا خط علان النحوى » وتحته « هذا خط النضر بن شميل » .

قال ابن النديم . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه ، فما سمعنا له خبرا ، ولا رأيت منه غير المصحف. هذا على كثرة بحثي عنه .

وذكر ياقوت فى معجمه فى ترجمة ابراهيم بن عقيل النحوى الدمشقى أبى اسحق القرشى المعروف بابن المكبرى :

«قال ابن عساكر: وكان أبو اسحاق يذكر أن عنده تعليقة أبى الأسود الدؤلى ، التى ألقاها اليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكان كثيراً ما يعد بها أصحابه ولا سيما أصحاب الحديث ولا يفى الى ان كتبها عنه بعض تلاميذه الذين يقرءون عليه . وهذه التعليقة هى فى أمالى أبى القاسم الزجاجى نحواً من عشرة أسطر » .

بعد كل هذا ، لنا مآخذ على البحث :

المأخذ الأول : قول الأستاذ أن المرحوم صادق الرافعى قال فى كتابه « تاريخ الأدب » ان معرفة واضع النحو فى العربية يكاد يكون معضلة . وكنت أود أن يكون الأستاذ دقيقاً فى نقله .

أولا : إن اسم كتاب الرافعى « تاريخ آداب العرب » لا تاريخ الأدب .

ثانيا : إن الرافعى لم يذكر ان معرفة واضع النحو معضلة وانما هو يقول فى ص ٣٣٥ من الجزء الأول :

« أما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة » وذلك لأن الرافعى كان بصدد تحديد تاريخ الوضع ، لا الوضع حيث يقول فى الصفحة نفسها :

« فى وضع النحو أقوال كثيرة ، والثقات مجمعون على أن أبا الأسود أخذه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ولكن العلماء جميعا أغفلوا ذكر التاريخ الذى كان فيه ذلك الوضع . فلا سبيل الى تحقيقه البتة » .

أما واضع النحو فقد ذكر الاديب الكبير الرافعى ، فى مواطن متعددة من كتابه أنه يوافق على أن واضعه هو أبو الاسود الدؤلى ، (راجع ص ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٣٣٥) .

وانما الذى ذكر ذلك هو الأستاذ الجليل أحمد بك أمين فى ضحى الاسلام فربما اختلط الامر على ابراهيم بك مصطفى . فقد ذكر

الأستاذ أحمد أمين في صفحة ٢٨٥ من الضحى الجزء الثانى « وتاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض » .

المأخذ الثانى : ذكر الاستاذ فى البحث :

أن الذى قام بضبط المصحف الضبط الاول بجمع الناس على حرف واحد هو أبو بكر الصديق .

وهذا رأى يكاد يخالف فيه الأستاذ جميع الباحثين المحققين ، وليس له سند فيه من رواية صحيحة أو غير صحيحة . وهو مخالف لطبيعة الأشياء التى هى البواعث التى حملت أبا بكر بعد إشارة عمر على جمع القرآن فى الصحف فإن الروايات الصحيحة جميعها فى البخارى وغير البخارى تنص على أن عمر ابن الخطاب « دخل على أبى بكر فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافتون تهافت الفراش فى النار ، وإنى أخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته . . . » .

فأبو بكر رضى الله عنه لم يجمع القرآن لحدوث خلل فى قراءته ، وإنما جمعه خوفا من ذهاب حملته بقتلهم فى الغزوات . وكان جمعه له بالأحرف السبعة والناس ظلوا يقرءون بها إلى زمن عثمان .

وقد ذهب إلى هذا الرأى « ميور » فى كتابه « حياة محمد » ص ٢٠ من المقدمة . وكذا نيكلسون فى كتابه « التاريخ الأدبى للعرب » ص ١٤٢ ، وهو الرأى الذى ذهبت إليه دائرة المعارف البريطانية فى مادة « قرآن » :

هذا وإذا أخذنا برأى الأستاذ من أن صحف أبى بكر جمعت الناس على حرف واحد ، فلم إذن فزع عثمان بن عفان ؟ وكون لجنة رئيسها زيد بن ثابت لكتابة المصحف الامام الذى أجمع عليه الصحابة . ثم كيف يمكن تفسير وجود مصاحف لبعض الصحابة كمصحف ابن مسعود ، ومصحف أبى بن كعب ، ومصحف عائشة ، وهى لم تكن على الحرف الواحد الذى يزعم الأستاذ أن أبا بكر جمع الناس عليه :

المأخذ الثالث : قول الأستاذ « ان الخليفة الثالث عثمان نشر هذا المصحف في الأمصار ليقرأ منه القارئون » .

والروايات الصحيحة تقول أن الباعث لعثمان على الجمع يختلف عن الباعث لأبي بكر على الجمع .

فان عثمان رضي الله عنه لم يجمع القرآن إلا بعد أن رأى اختلاف الناس في القراءة حتى أن بعضهم كان يقول قراءتي خير من قراءتك ، بل ذهب بعضهم إلى تكفير بعض ، كما يروى البخاري ، فخشى حذيفة بن اليمان أن يختلف المسلمون في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأشار على عثمان بالجمع .

قال أبو بكر الباقلاني في الانتصار ، لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه .

فمصاحف عثمان مشتملة من الأحرف السبعة على ما يحتمله رسمها . وهى تتسع للقراءات التي يقرأ بها القراء اليوم . أما مالا يتفق مع رسم المصاحف العثمانية فلا تجوز القراءة به ، وفي هذا ضبط للقراءات وتحديد لأفقها وحصر لميدانها .

ثم للأستاذ أخطاء منهجية ينبغي أن نذكرها :

١ — لا نرى صلة بين موضوع البحث وهو « أول من وضع النحو » وفكرة جمع القرآن زمن أبي بكر وزمن عثمان ، فإن هذه الفكرة أقحمت على موضوع البحث إقحاما ، فهي ليست من النحو في شيء .

٢ — كان منهج البحث يقتضى الأستاذ أن يبين لنا ما مراده بالحرف الواحد الذي جمع أبو بكر الناس عليه كما يزعم ، حتى تعرف صلة ذلك الحرف الواحد بالقراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار .

٣ — عدم تحريره فى العبارة فقد قال :

« يلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد فى كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحويا نسب إلى أبى الأسود ولا إلى طبقتين من بعده » مفهوم هذه العبارة أنه لم يجد ذلك إلى الطبقة الثالثة .

ثم يذكر بعد ذلك :

« أن الزبيدى جعل النحاة طبقات ، الطبقة الأولى طبقة أبى الأسود والثانية طبقة نصر بن عاصم ، والثالثة طبقة عبد الله بن أبى اسحق ، ولم نجد لأحد من علماء الطبقتين الأولى والثانية شيئاً من الآراء النحوية » .

مفهوم العبارة أنه لم يجد رأيا نسب إلى طبقة واحدة بعد طبقة أبى الأسود لا إلى طبقتين من بعده ، كما هو مفهوم العبارة الأولى .

بعد كل هذا نكاد نجزم أن الأستاذ ابراهيم بك مصطفى حين بحثه هذا كان — كما يقول النقاد القدماء — ينظر إلى بحث الأستاذ أحمد أمين بك فى ضحى الإسلام ، وكان متأثراً به ، من غير أن يشير إلى ذلك ولو إشارة عابرة . وهو فى ذلك يشبه موقفه حين ألف كتاب « إحياء النحو » فقد كان ناظراً حينذاك إلى كتاب « ابن مضاء القرطبى » وقد كان مخطوطا ، أما الآن وقد أصبح مطبوعا تسهل مراجعته ومقابلته .

أما دليل دعوانا فسنقتصر فيه على ذكر أمثلة ثلاثة تكفى فى الإقناع مع ملاحظة أن أسلوب الأستاذ أحمد أمين هو أسلوب العالم المتئد المتروى المتحفظ الذى لا يقطع بالرأى ولا يبت بالاستنباط ، شأن الباحث فى أمور للرأى مجال واسع للأخذ والرد فيها .

١ — يقول الأستاذ أحمد أمين ص ٢٨٥ : ذكروا أن واضع النحو أبو الأسود الدؤلي بل منهم من نسبه إلى علي بن أبي طالب .

وكل هذا حديث خرافة . فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية.

٢ — يقول الأستاذ أحمد أمين ص ٢٨٦ : يظهر لي أن نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط وهو أنه ابتكر شكل المصحف بالنقط ووضع الخطة في ذلك وأمر الكتّاب أن يسيروا على هذا النمط . وواضح أن هذه خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء ويمكن أن تأتي من أبي الأسود وواضح كذلك أن هذا يلفت النظر إلى النحو . فعمل أبي الأسود يسلم الى التفكير في الاعراب ووضع القواعد له . أضف الى هذا أن النحو لم يكن في العصور الأولى مفهوما

١ — يقول الاستاذ ابراهيم مصطفى : هذه جملة ما يمكن أن تشير اليه هذه النقول ، ولكننا لا نستطيع أن نستسيغ أن هذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العرب .

وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدوه حديث خرافة .

٢ — يقول الأستاذ ابراهيم مصطفى : فعمل أبي الأسود هو نقط المصاحف ، كما أشارت اليه الروايات وكانوا يسمون ذلك ضبط الكلمات بالنحو أو بالعربية . فاذا اختلفوا في كلمة قالوا النحو كذا أو العربية كذا . ويتجلى لنا سبب اختلاط الامر على الرواة وتقدمهم بنسبة النحو إلي أبي الأسود انهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها في القول .

قال ابن جني في أول الخصائص يعرف النحو :

« النحو انتحاء سمت العرب في القول » .

منه هذا المعنى الدقيق الذى نعرفه اليوم :

بل إن ابن جنى نفسه وهو من المتأخرين، يعرف النحو بأنه « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره » .

٣ — يقول الأستاذ أحمد أمين ص٢٨٩ : وبدأ البصريون يستعملون القياس ويوسعون به مسائل النحو وكان من أسبق الناس فى ذلك ابن ابي اسحق الحضرمى ، فهم يقولون انه كان أعلم أهل البصرة وأنقلهم ، ففرع النحو وقاسه .

ومع هذا فلا نظن انه كان يعلم كثيرا من النحو الذى عرف فى عهد سيبويه . فقد روى عن يونس أنة سئل عن علم ابن أبى اسحق من علم الناس اليوم (ايام يونس) فقال يونس « لو كان فى الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك منه » ذكر ذلك ابن سلام فى طبقاته .

ولكنهم لما تقدموا فى البحث جعلوا لهذا النحو سببا وعللا وسموا ذلك علل النحو .

٣ — يقول الاستاذ ابراهيم مصطفى أما هذه القواعد النحوية التى كتب لها هذا العمر الطويل . فان أول من نهج سبيلها عبدالله ابن أبى اسحق ونجد لذلك اشارات فى الروايات .

فابن سلام يقول « وكان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل عبد الله بن أبى اسحق » .

ولكن ابن ابى اسحق تروى عنه مسائل قليلة ويتردد اسمه نادراً ويظهر أنه بدا التفكير النحوى ولم يستنبط كثيراً من قواعده .

ففى نزهة الالباء أن يونس بن حبيب سئل عن عبد الله بن ابى اسحق ومنزلته فى النحو فقال لو كان فى الناس من لا يعلم إلا علمه اليوم لهزىء به .

ونحن نرى أن نقل الاستاذ أحمد أمين لعبارة يونس بن حبيب أصدق وأدق . فإن هذه الرواية هي في طبقات ابن سلام وأخبار النحويين البصريين للسيرافي . وليس لها وجود ولا ذكر في كتاب نزهة الالباء كما نقل ذلك الأستاذ ابراهيم مصطفى .

هذا إلى أن صحة العبارة هي كما ذكرها الأستاذ أحمد أمين (لضحك منه) لا كما ذكرها الاستاذ ابراهيم مصطفى (لهزىء به) .

وبعد فقد وددت مخلصا لو أن الأستاذ استصحب الدقة في بحثه والتروى في استنباطاته ولا سيما في بحث يلقى بين يدى المستشرقين في مؤتمر من مؤتمراتهم وهم أشد الناس عناية في تقولهم وتحريراً لبحوثهم واتساعا في استقصاءاتهم

آثار السهروردى المقتول

تصنيفاتها وخصائصها التصوفية والفلسفية

للدكتور محمد مصطفى حلمى

(١)

تمهيد : السهروردى بين المتقدمين والمتأخرين

خلف حكيم الاشراق يحيى بن حبش بن أميرك السهروردى المقتول كثيراً من الآثار المنثورة والمنظومة فى كثير من الموضوعات التصوفية والفلسفية ، وكتب بعض هذه الآثار بالعربية ، وبعضها الآخر بالفارسية ، وطائفة ثالثة منها بالعربية ثم ترجمها إلى الفارسية ، وكلها يؤلف تراثا ذوقيا وعقليا له قيمته الكبرى وخطره العظيم فى تاريخ الحياة الروحية الاسلامية . وقد ذكر أكثر الذين ترجموا لشيخ الاشراق طائفة من هذه الآثار فأثبتوا أسماءها ، واختاروا مقتطفات منها ، وأشار أقلهم إلى محتويات بعضها ، أو العلوم التى وضعت فيها : فابن أبى أصيبعة وابن خلكان وياقوت والشهرزورى ، كل أولئك وكثير غيرهم من المؤرخين والمترجمين قد حدثونا عن آثار حكيمنا أحاديث تختلف إجمالا وتفصيلا ، وتتفاوت ضبطا واضطرابا .

على أن الشهرزورى يمتاز من بين هؤلاء المؤرخين والمترجمين بأنه هو الذى انفرد بذكر ثبت يعد أعم وأتم وأشمل لآثار السهروردى وذلك بالقياس إلى ما أورده غيره فى هذا الصدد : فقد بلغت عدة الآثار التى أثبتها الشهرزورى فى ترجمته للسهروردى ثلاثة وأربعين كتابا ورسالة ، فضلا عما ذكره من مقتطفات منثورة ومنظومة تصور أسلوب شيخ الاشراق فى النثر والنظم ،

وما اصطنعه فى هذا الأسلوب من رموز وإشارات ومصطلحات فلسفية وتصوفية ، تعبر عن بعض منازعه فى الحكمتين البحثية والذوقية ، وعما صبغ به مذهبه من صبغة إشراقية ، على حين يقف غير الشهرزورى عند ذكر أسماء لطائفة محدودة من الكتب والرسائل ، ويقنع بإثبات مقالات أو أبيات معدودة من بين الآثار الخصبة الحافلة العديدة التى خلّفها حكيم الاشراق .

على أن من المصنفات التى يعددها الشهرزورى كتبا ورسائل لم تصل إليها أيدينا بعد ، وكتبا ورسائل أخرى نشر أقلها وما يزال أكثرها مخطوطا حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية تختلف كثرة وقلة فى مكتبات الشرق والغرب . يضاف إلى هذا أن صحة نسبة بعض ما يذكره الشهرزورى إلى السهروردى ما تزال فى حاجة إلى دراسة تحقيق وموازنة تكشف عن وجه الحق فيها . ومهما يكن من شىء فان ثبت الشهرزورى لآثار السهروردى يمكن أن يعد ثبتا كليا إذا قيس إلى ثبوت غيره التى أخص خصائصها أنها جزئية ذكرت شيئا وأغفلت أشياء ، وما أغفلته كان أكثر بكثير مما ذكرته . فثبت الشهرزورى من هذه الناحية له أهميته وقيمته فى أنه يستوعب آثار حكيمنا كلها ، ويكشف إلى جانب هذا عن بعض الخصائص التصوفية والفلسفية التى يمتاز بها بعض هذه الآثار ، وذلك من خلال القصائد القصار والطوال والعبارات المقتضبة والمسهبة التى يوردها فى آخر ترجمته للسهروردى .

على أن هذا النقص الذى نلاحظه على التصنيفات الجزئية التى أوردها المترجمون المتقدمون لآثار السهروردى ، والذى يشيع بينها إلى حد بعيد ، ويشترك معها فيه تصنيف الشهرزورى الكلى إلى حد ما ، قد وجد فى فريق من الباحثين المتأخرين من حاول إكماله : فحاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) ، وبروكلمان فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) ، وهنرى كوربان فى مقدمة طبعته التى نشر فيها آثار السهروردى تحت عنوان (الأعمال الميتافيزيقية والتصوفية) ، وريتر فى مقاله المنشور

بمجلة (الاسلام)[1] ، قد حاول كل منهم على طريقته ؛ وفى حدود المواد التى تجمعت لديه ، أن يقدم تصنيفاً ما لكتب حكيم الاشراق ورسائله ، ولما وضع على بعضها من شروح وتعليقات . وليس من شك فى أن الجهد الذى بذله هؤلاء الباحثون المنقبون عن الأسفار خليق بالاعجاب والتقدير . ولكن واحدا من تصنيفاتهم لا يستكفى بنفسه ، ولا يكفى وحده لأن يعطينا ثبتا كاملا شاملا لآثار السهروردى جميعا ، وإنما هى تصنيفات يتفاوت حظ كل منها من النقص والتمام ، ويلم أحدها بآثار السهروردى على وجه يختلف سعة وضيقا عن الوجه الذى يتناوله عليه غيره ، ولا نكاد نستثنى منها غير تصنيف ريتر ، فانه من هذه الناحية أتمها وأوفاها بالغاية ، وأدلها على آثار حكيمنا وشروحها ، وأبينها للغات التى كتبت فيها هذه الشروح وتلك الآثار ، وأكثرها تعريفا بالنسخ الخطية لكل أثر وكل شرح من ناحية ، وبأية مكتبة من مكتبات استامبول توجد كل نسخة من ناحية أخرى .

ولكى يتبين لنا هذا كله ، فلابد من أن نقف وقفات قصارا أو طوالا عند مختلف التصنيفات التى أوردها المترجمون المتقدمون والباحثون المتأخرون لآثار حكيمنا ، ومن أن نوازن بين تلك التصنيفات ، بحيث ننتهى آخر الأمر إلى تصنيف كلى شامل يجمع جل المصنفات السهروردية إن لم يكن كلها ، ويبين العلوم التى عرضتها ، والموضوعات التى تناولتها ، والخصائص التى امتاز بها كل منها ، ويشير إلى ما نشر منها وما لا يزال مخطوطا : ففى رأينا أن مذهب السهروردى الاشراقى ، وإن كان قد أتيح له بعض الذين درسوه من بعض

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، طبعة فلوجل : مواضع متفرقة من مواده التى يدخل تحتها اسم كل مصنف بحسب ترتيبه الابجدى .

C. Brockelmann, geschichte der Arabischen Literatur

H. Corbin: Opera Metaphysica et Mystica. Vol I, intr. fr: p XVI XXIV. Les motifs zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, teheran 1949, p. 17-18.

H. Ritter: Philologika p. 270-286.

النواحى كالبارون كارا دى ڤو[١] ، والدكتور محمد إقبال[٢] ، والأستاذ لويس ماسينيون[٣] والأستاذ هنرى كوربان[٤] ، إلا أنه ما يزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق على وجه أتم وأشمل لجميع نواحيه ، بحيث تبين العناصر المختلفة التى يتألف منها ، وتظهر الخصائص الفلسفية والتصوفية التى يتسم بها ، وتبرز المنازع الاشراقية التى ينزع إليها ، وبحيث يبدو المذهب الاشراقى لحكيم الاشراق فى صورته التى تجعل منه كلا مؤتلف العناصر متسق الأجزاء يرتبط بعضه ببعض ويتأدى من بعضه إلى بعض . وليس من شك فى أن نتيجة كهذه فى دراسة كتلك لا سبيل إليها إلا إذا أحصيت آثار السهروردى واستقصيت ، وضبطت وحققت ، ثم ألف بينها تأليفا يجمع المتفرق منها ، ويكشف عن المجمل فى طائفة منها بالمفصل فى طائفة أخرى ، ويفسر الملغز الغامض من بعضها بالواضح البين فى بعضها الآخر .

(٢)
تصنيفات جزئية

أشرنا فيما سبق إلى أن هناك تصنيفات جزئية لمصنفات السهروردى ، وتصنيفات أخرى لعلها أن تكون كلية وأشمل لمصنفات حكيمنا من تلك .

---

(١) Carra de Vaux : La philosophie illuminative de Subrawardi Meqtul-Journal Asiatique (9'serie, t. XIX 1902).

(٢) Shaikh Muhammed Iqbal : The development of metaphysics in Persia, London 1908, p. 121-150.

(٣) L. Massignon : Recueil de textesinedits.p 113 ومواضع متفرقة من كتابه عن الحلاج

(٤) H. Corbin : Opera Metaphysica et mystica. p. I—LXXXI.

فأما التصنيفات الجزئية فهى التى أوردها كل من ابن أبى أصيبعة [1] ، وابن خلكان [2] ، وياقوت [3] ؛ والتى نبينها فيما يلى :

١ — فقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى آخر ترجمته للسهروردى أن لهذا الأخير من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية ، وكتاب الألواح العمادية ألفه لعماد الدين أبى بكر بن قره أرسلان بن داود بن أرتق صاحب خرت برت (هكذا) ، وكتاب اللمحة ، وكتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وكتاب المعارج ، وكتاب المطارحات ، وكتاب حكمة الاشراق .

٢ — وقال ابن خلكان إن للسهروردى تصانيف منها : كتاب التنقيحات فى أصول الفقه ، وكتاب التلويحات ، وكتاب الهياكل ، وكتاب حكمة الاشراق ، وله الرسالة المعروفة بالغربة الغريبة (هكذا والأرجح أنها الغربية) على مثال رسالة الطير لأبى على بن سينا ، ورسالة حى بن يقظان لابن سينا أيضاً ، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء .

٣ — وأما ياقوت فانه يذكر من تصانيف السهروردى : التلويحات فى الحكمة ، والتنقيحات فى أصول الفقه ، وحكمة الاشراق ، والغربة الغربية (هكذا) فى الحكمة ، وهياكل النور فى الحكمة أيضاً ، والألواح العمادية ، والمعارج ، واللمحة ، والمطارحات ، والمقامات . وبعد أن عدد ياقوت هذه المصنفات عقب بقوله : « وغير ذلك » ، مما يدل على أن ما ذكره لم يكن كل مصنفات حكيم الاشراق ، وإنما هو بعضها ، وأما البعض الآخر فلعله

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩ هـ = سنة ١٨٨٢ م ج ٢ ، ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبعة مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م ، ج ٥ ، ص ٣١٣

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، طبعة مطبعة دار المأمون ، ج ١٩ ، ص ٣١٦

أغفله إما التزاماً للايجاز ، أو اكتفاء بالقدر الذي أورده ، أو لأنه لم يعرف من تلك المصنفات أكثر مما ذكر .

والمتأمل في هذه التصنيفات الثلاثة يلاحظ عليها بادئ ذي بدء أنها تشترك جميعاً في صفة الجزئية ، إذ يشير كل منها إلى أن ما ورد فيه إن هو إلا من مصنفات السهروردي وليس كلها ، ويلاحظ بعد ذلك أن تصنيف ياقوت هو أوفاها لأنه زاد على ما ذكره ابن أبي أصيبعة كتابين هما (رسالة الغربة الغريبة) و (كتاب التنقيحات في أصول الفقه) ، على حين أغفل ابن خلكان مما ذكره كل من ابن أبي أصيبعة وياقوت كلا من (الألواح العمادية) و (اللمحة) و (المعارج) و (المطارحات) ، ويلاحظ أخيراً أن ابن أبي أصيبعة ذكر للسهروردي كتاباً باسم (المقاومات) وأن هذا الكتاب لم يذكره ياقوت ، وإنما ذكر كتاباً آخر باسم (المقامات) .

وقد يتبادر إلى الذهن أن ها هنا تحريفاً وقع في اسم هذين الكتابين الأخيرين ، وأنهما ليسا إلا كتاباً واحداً ذكره أحد المترجمين باسم (المقاومات) ، وذكره الآخر باسم (المقامات) ، وأنه إما أن يكون اسمه (المقاومات) أو (المقامات) ، وأن أحد اللذين ذكراه بأحد الاسمين مخطئ والآخر مصيب . ولكن الحق الذي لا شبهة فيه أن للسهروردي كتاباً يعرف باسم (المقاومات) ذكر السهروردي نفسه في مقدمته أنه يجري من كتابه الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه ارسالا ولم يتيسر إيراده في التلويحات لشدة إيجازها [1] ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ذكر الشهرزوري أنه يعرف باسم (الكلمة) [2] ، وذكره ريتر باسم (مقامات الصوفية = كلمة التصوف) [3] ، وأورد أوله وهو قول السهروردي : « اللهم لك العبادة

---

(١) مجموعة في الحكمة الالهية ، المجلد الأول ، إستانبول سنة ١٩٤٥ ، ص ١٢٤

(٢) الشهرزوري : نزهة الأرواح (نسخة فوتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد رقم ٢٤٠٣٧) ، ص ٢٣٦

(٣) Von H. Ritter: Die vier Suhrawardi, Der Islam XXIV, 1937, p. 282.

والتسبيح ، والأذكار والتقديس . . . أما بعد : فان الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني اسعافك في تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني اصطلاحاتهم » . وينتهي بنا هذا كله إلى أن للسهروردي كتاباً في الحكمة ونقد المنطق ودحض آراء المتقدمين فيه ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ابن أبي أصيبعة باسم (المقاومات) ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ، عرض فيه للحقائق الالهية والمقامات الصوفية ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ياقوت باسم (المقامات) ، وذكره الشهرزوري باسم (الكلمة) أو (كلمة التصوف) على نحو ما سنبينه في موضعه من الحديث عن تصنيف الشهرزوري لمصنفات السهروردي .

٤ — ولعل ما أغفله أو أهمله أو التزم الايجاز فيه واقتصر على الاشارة إليه كل من ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت فيما يتعلق بمصنفات السهروردي ، قد حاول حاجي خليفة أن يلتمسه ويثبته ، ويزيد عليه أشياء من شأنها أن تكشف عن موضوعات تلك المصنفات وخصائصها من الناحيتين الفلسفية والتصوفية ، وإن لم تكن محاولته عامة ولا شاملة لجميع تلك المصنفات . ومع ذلك فان ما عمد إليه حاجي خليفة من بيان محتويات الكتب والرسائل التي عرض لها وذكر شروحها من شأنه أن يكمل النقص الذي يلاحظ على تصنيفات ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت ، ويعين على تصنيف بعض مصنفات حكيم الاشراق تصنيفاً لعله أن يكون أدق وأوفى وأنفع وأجدى في إرشاد الباحث وتوجيه البحث في المذهب الاشراقي لذلك الحكيم . ومن هنا نلاحظ على حاجي خليفة أنه عنى ببعض مصنفات السهروردي عناية خاصة فذكر أسماءها وأبان عن موضوعاتها وأثبت شروحها ، على حين نراه من ناحية أخرى قد وقع فيما وقع فيه ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت من وقوف عند حد ذكر اسم الكتاب أو الرسالة مكتفياً بقوله إنه أو إنها للسهروردي فقط دون أن يزيد على ذلك شيئاً . ويتبين لنا هذا كله من خلال ما يمكن أن نستخلصه من تصنيف لآثار السهروردي

وشروحها التي ذكرها حاجي خليفة في مواضع متفرقة من كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون [1])، وذلك فيما يلي:

(ا) فمن المصنفات التي اكتفى حاجي خليفة بذكر أسمائها، واقتصر على القول بأنها للسهروردي فقط (كشف الغطاء لاخوان الصفاء) و (اللمحة) و (المقاومات).

(ب) ومن المصنفات التي أشار حاجي خليفة إلى ما تبحث فيه من العلوم أو ما تشتمل عليه من الموضوعات، كما ألم بما وضع على بعضها من شروح: (التلويحات) و (المطارحات) و (هياكل النور) و (الألواح العمادية) و (حكمة الاشراق).

فالتلويحات لا يكتفي حاجي خليفة بذكر اسمه واسم السهروردي معه، وإنما هو يقول أيضاً إنه في المنطق والحكمة، وإنه من الكتب المتوسطات، وإنه رتب على ثلاثة علوم هي المنطق والطبيعي والالهي، كل منها على تلويحات. وعلى التلويحات شرح لعز الدولة سعد بن منصور المعروف بابن الكمونة الاسرائيلي وهو شرح ممزوج.

والمطارحات في المنطق والحكمة.

واما هياكل النور فمن شروحها التي ذكرها حاجي خليفة شرح وضعه مولانا جلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفي سنة ٩٠٨ هـ وعليه حاشية ليحيى بن نصوح المعروف بنوعي والمتوفى سنة ١٠٠٧هـ. وذكر انه قد شرحه أيضا الشيخ اسماعيل المولوي الأنقروي المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ شرحا تركيا سماه (ايضاح الحكم)، كما ذكر انه قد شرحه كذلك الفاضل غياث الدين منصور بن صدر الدين محمد الحسيني شرحا رد فيه كثيراً على الدواني، وهو شرح ممزوج لكنه لم يتم.

والألواح العمادية مختصر ذكر فيه أن الملك عماد الدين قره أرسلان ابن داود أمره (السهروردي) بتحرير مجاله في المبدأ والمعاد على رأى

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون (طبعة فلوجل، ليبسك سنة ١٨٤٥ م)، ج ١ ص ٤٢١ — ٤٢٢. ج ٢ ص ٤١٩. ج ٣ س ١٠٢. ج ٥ ص ٣٣٠ و ٥٩١. ج ٦ ص ٦٦ و ٥٠٥ — ٥٠٦.

الالهيين ، فأجاب واستشهد فيه بالسبع المثانى ، ورتب على مقدمة وأربعة ألواح .

وحكمة الاشراق ذكر فى آخره أنه فرغ من تأليفه فى جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ . وهو متن مشهور شرحه الأكابر كالعلامة قطب الدين محمود ابن مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، وشرحه ممزوج مفيد . وقد قيل إن فى هذا الشرح كلمات لا يمكن تطبيقها على الشرع الشريف ، ولعل هذا القائل ممن لا يقدر على تطبيقها ، ولا يلزم من عدم قدرته عدم الامكان ، لأن أمر التطبيق والتوفيق عند الشارح الفاضل وأمثاله أمر هين . وعلى الشرح حاشية بالفارسية لمولانا عبد الكريم المتوفى فى حدود سنة ٩٠٠ هـ . وفى بعض الكتب أن العلامة السيد الجرجانى شرح حكمة الاشراق ، ولكن حاجى خليفة يذكر هنا أنه لم ير شرحه .

هذه جملة الكتب التى يذكرها حاجى خليفة للسهروردى ، لا نستطيع أن نقول عنها إنهـا تصنيف لآثار حكيم الاشراق ، ولكنها إذا أضيفت إلى ما ذكره ابن أبى أصيبعة وابن خلكان وياقوت وغيرهم من الذين ترجموا للسهروردي وذكروا مصنفاته ، رأينا إلى أى حد يمكن أن يكون حاجى خليفة أكثر تحرياً للتفصيل وعلى أى وجه يمكن أن تعد بياناته عن المصنفات التى أوردها لحكيم الاشراق متممة للنقص الذى لاحظناه على ما أورده المترجمون من هذه المصنفات .

على أن هذا كله لا يغنى فى إعطاء تصنيف عام شامل لجميع ما خلفه السهروردى من آثار : فلا ما ذكره كل من ابن أبى أصيبعة وابن خلكان وياقوت وحاجى خليفة على حدة ، ولا ما ذكره كل أولئك مجتمعاً يمكن أن يقال عنه إنه تصنيف لآثار حكيمنا ، بل إنه ستظل هناك طائفة من تلك الآثار لم يذكر أحدهم أو كلهم أسماءها ، ولم يشر إلى شىء منها أو شرح عليها . ولعل هذا النقص راجع إلى أن بعض تلك الآثار لم تصل إليه أيدى المترجمين للسهروردي ، وأن ما وقع لهم أو وقعوا عليه من بعضها الآخر

وهو الذى ذكروه ، لم يطيلوا النظر فيه ، ولم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عما يحتويه ، بل اكتفوا منه بذكر الأسماء على نحو ما فعل ابن أبى أصيبعة وابن خلكان وياقوت وكثير غيرهم ممن ترجم للسهروردى ، ناهيك بأن بعضهم كان ينقل عن بعض نقلا يكاد يكون حرفياً وخلوا من التحقيق وتحرى الدقة ، حتى إذا كان حاجى خليفة رأيناه يعمد إلى الاحصاء والاستقصاء ، ويوغل فيما وراء أسماء الكتب وعناوينها ومؤلفها إلى ما تعرض له وتنطوى عليه . ولكن إحصاءه لكتب السهروردى لم يكن شاملا ، واستقصاءه لها لم يكن كاملا ، وإنما هو قد فصل عند ذكر طائفة من الكتب ، وأجمل عند ذكر طائفة أخرى ، واكتفى عند ذكر طائفة ثالثة بالإشارة إلى أنه للسهروردى فقط ، ولم يذكر البتة طائفة رابعة منها ، ولعل الذى لم يذكره كان أكثر من الذى ذكره . هذا إلى أن منهجه فى كتابه (كشف الظنون) كان يحتم عليه أن يتناول كل كتاب أو رسالة أو شرح تناولا جزئياً ، بحيث يعرض له أو يشير إليه أو يفصل القول فيه فى مواضع متفرقة من مواد كتابه : فلم تكن البيانات التى قدمها عما ذكره من آثار السهروردى تصنيفاً بالمعنى الدقيق الذى تدل عليه لفظة التصنيف من ترتيب أو تبويب أو تقسيم أو تنظيم فى إطار واحد ، يجمع بين هذه الآثار ويرتبها وينسقها بحسب طبيعتها أو مادتها أو تاريخها أو خصائصها العامة أو الخاصة ، أو لغتها التى كتبت فيها أو ترجمت إليها .

(٣)

تصنيف كلى : الشهرزورى — ريتر

وإذا كان ما يذكره المؤلفون السابقون من مصنفات السهروردى وشروحها ناقصاً إلى الحد الذى رأينا ، فلابد إذن من أن نلتمس لآثار حكيم الاشراق تصنيفاً لعله أن يكون أتم وأجمع لها وأدل عليها . وليس من شك فى أن الثبت الذى يورده الشهرزورى فى ترجمته للسهروردى

هو الأساس الذى ينبغى أن يقوم عليه ذلك التصنيف ، كما أن المعلومات والبيانات التى يقدمها العالم الجليل الأستاذ ريتر فى مقاله (السهروورديون الأربعة ومخطوطاتهم فى مكتبات استانبول) (1) ، لها من القيمة الكبرى والفائدة العظمى مالا يمكن جحده أو إنكاره أو إنكار أثره فى العون على تأليف تصنيف كلى جامع لآثار شيخ الاشراق ، سواء من ناحية ذكر أسماء المصنفات أم من ناحية الارشاد إلى موضوعاتها وشروحها ونسخ هذه الشروح وتلك المصنفات الخطية التى توجد فى مكتبات استانبول . فثبت ريتر من هذه الناحية ومن تلك متمم لثبت الشهرزورى ، لأن ما يذكره الشهرزورى من مصنفات السهروردى ، واقفاً عند حد أسمائها دون أن يزيد عليها شيئاً إلا قليلا ، كأن يقول إن هذا الكتاب أو هذا الشرح لذلك الكتاب ينسب للسهروردى وهو ليس له ، لا يقنع به ريتر ولا يقف عنده ، وإنما هو يتجاوزه إلى شىء آخر لم يعمد إليه الشهرزورى ولا غيره ممن ترجموا للسهروردى وعرضوا لذكر مؤلفاته . ذلك بأن ريتر قد حاول على ضوء ثبت الشهرزورى أن يلتمس مصنفات السهروردى فى أصولها ، وأن يبحث عن نسخها الخطية ، وعن شروحها المختلفة فى مكتبات استانبول ، وزاد على هذا كله أسماء مصنفات للسهروردى لم يذكرها الشهرزورى ، وأسقط من ثبته أسماء مصنفات أخرى لعله لم يتحقق من صحة نسبتها للسهروردى ، أو لم يقع منها على مخطوط فى أية مكتبة من مكتبات استانبول التى اختلف إليها . ومن هنا كان الجمع بين ثبتى الشهرزورى وريتر من شأنه أن يعيننا على الالمام بآثار حكيم الاشراق من ناحية ، وعلى تصنيفها تصنيفاً كلياً شاملا من ناحية أخرى . ومن هنا أيضا رأينا أن نلتزم فى ذكر أسماء المصنفات الترتيب الذى أوردها عليه الشهرزورى ، وأن نضيف إلى إسم كل مصنف ما يكفى للابانة عن موضوعه من بين البيانات العديدة التى وفق إليها ريتر فى بحثه . ولكى يتبين ما ذكره كل من الشهرزورى وريتر فى ثبته من مصنفات السهروردى وما اتفقا أو اختلفا فيه ، فقد أشرنا

---

(1) Der Islam XXIV. 1937. p. 270-286.

مع كل مصنف إلى أن هذا المصنف قد ذكره ريتر ولم يذكره الشهرزوري ، وأن ذاك المصنف ذكره الشهرزوري ولم يذكره ريتر ، وذلك على الوجه التالي :

١ — المطارحات : ذكره الشهرزوري هكذا ، وذكره ريتر باسم (المشارع والمطارحات) . وهو يشتمل على العلوم الفلسفية الثلاثة من منطق وطبيعيات والهيات . وقد أوجب السهروردي نفسه أن يقرأ هذا الكتاب قبل كتابه الموسوم بحكمة الاشراق وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات [١] . ويبدأ القسم الأول من هذا الكتاب بقول المؤلف : « هذا كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة . . . » . ويبدأ القسم الثاني بقوله : « هذا شروعنا في العلم الثاني . . . » ، ويبدأ القسم الثالث بقوله : « الاشراق سبيلك اللهم ونحن عبيدك . . . » .

٢ — التلويحات : وهو كتاب في المنطق والطبيعيات والالهيات ، ويشتمل على أقسام ثلاثة ، يبدأ القسم الأول منها بقول المؤلف : « السبحات لجلالك اللهم . . . » ، والقسم الثاني بقوله : « نستعين بالله واهب العقل . . » والقسم الثالث بقوله : « تباركت ربنا خالق النور . . . » .

وقد وضع على التلويحات شروح ، ذكر منها ريتر شرحاً لمحمد بن محمود الشهرزوري عنوانه (التنقيحات في شرح التلويحات) ، وأوله : « الحمد لله رافع الحجب لأوليائه ... وبعد : فلما كان العالم الأرضي محل اجتماع الأشعة ... ولما كان كتابه الموسوم بالتلويحات في الحكمة النظرية ... مشتملا على لباب القواعد الحكمية والأبحاث العقلية . . . » .

وذكر ريتر أيضاً شرحا آخر على التلويحات وضعه عز الدولة سعد ابن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن الكمونة في سنة ٦٦٧ هـ ، وأول هذا الشرح : « بعد حمد الله تعالى على آلائه المتواترة . . . لما كان المختصر . . . » .

---

(١) مجموعة في الحكمة الالهية ، المشارع والمطارحات — طبعة كوربان ، استانبول سنة ١٩٤٥ ، ص ١٩٤

وقد كتب السهروردى نفسه ذيلا للتلويحات هو كتابه المسمى بالمقاومات سنذكره في رقم ٧ ، قال السهروردى فى أوله : «هذا مختصر يجرى من كتابى الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق . . . » .

٣ — حكمة الأشراق : وقد ذكر المؤلف فى آخره أنه انتهى من تأليفه فى آخر جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ لما كانت الكواكب السبعة فى برج الميزان . ويبدأ هذا الكتاب بقوله : « جل ذكرك اللهم ، وعظم قدسك ... » والكتاب قسمان : قسم فى المنطق ويشتمل على مقالات ثلاث ، وقسم فى الأنوار الالهية ويشتمل على مقالات خمس . ويعد هذا الكتاب أهم مصنفات السهروردى وأجمعها لشتات مذهبه وأدلها على منزعه الاشراقى .

وعلى حكمة الاشراق شروح وتعليقات ذكر منها ريتر شرح قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى تلميذ نصير الدين الطوسى والمتوفى سنة ٧١٠ هـ ، ألفه واضعه سنة ٦٩٤ هـ ، وأوله « قال مولانا قطب الملة والحق والدين ... الاشراق سبيلك اللهم ، والأشواق دليلك . . . أما بعد : فان أحوج خلق الله إليه محمود بن مسعود الشيرازى يقول : إن المختصر الموسوم بحكمة الاشراق للشيخ ... أبى الفتوح عمر بن محمد (؟) السهروردى ... » .

ويوجد على هامش هذا الشرح حاشية لنجم الدين الحاج محمود التبريزى ، ألفه للوزير ناصر الدين سديد السلطان بن السلطان أحمد بهادور خان . وأول هذه الحاشية : « أحمد الله أحكم الحاكمين . . . وبعد : فيقول حاجى محمود : إن شطراً من كتاب يقال له الاشراق المنور من أنواره ، أردت أن أعلق عليه حاشية تميز الخطأ من الصواب .. » .

وثمة شرح آخر لحكمة الاشراق وضعه محمد بن محمود الشهرزورى ، وأوله : « سبحانك يا فايض أمور الأزل ... أما بعد : فان المقصود من هبوط النفس الناطقة فى العالم العلوى . . . » .

٤ — اللمحات : ذكره ريتر باسم (اللمحات فى الحقايق) ، وهو مختصر صغير في العلوم الحكمية الثلاثة من منطق وطبيعيات وإلهيات

وأوله : « أصلحنا بنورك يا ذا العرش العظيم ... فان هذه لمحات فى الحقايق على غاية الايجاز ، ولم أذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... » .

وعلى هذا المختصر شرح لنظام الدين محمود بن فضل الله بن احمد التوزى الهمذانى : وضعه إجابة لطلب أعز أصحابه وإخوانه فى الدين ناصر الدين أبى بكر بن شجاع الدين الخاصرى ، وذلك فى سنة ٦٥٠ هـ . وقد أورد ريتر هذا الشرح باسم (شرح اللمعات) .

٥ — الألواح العمادية : وهو كتاب فى العلوم الحكمية ومصطلحاتها ، وضعه السهروردى إجابة لما توارد عليه من مكاتبات الملك العالم عماد الدين ظهير الاسلام قره أرسلان بن داود ، كما يدل على ذلك اسم الكتاب من ناحية ، وما ورد فى أوله وأثبته ريتر فى ثبته من ناحية أخرى .

وعلى هذا الكتاب شرح عنوانه (مصباح الأرواح فى كشف حقائق الألواح) ، ألفه الودود بن محمد التبريزى ، وفرغ من تأليفه فى الخامس من ربيع الثانى سنة ٩٣٠ هـ ، وذلك عند ما كان المشترى والزهرة فى برج الحوت . وقد وضع الشارح فيما بعد زيادات على شرحه ثم شرحها وأطلق على شرحه لها اسم (شرح ذيل الكتاب) ، وكان فراغه منه عند ما كان الكوكبان السعيدان فى برج التوأمين سنة ٩٣٢ هـ .

٦ — الهياكل النورية : ذكره ريتر باسم (هياكل النور) . كتبه السهروردى بالعربية وترجمه هو نفسه إلى الفارسية . وقد أثبته الشهرزورى فى ثبته مرتين : مرة على أنه بالعربية واسمه (الهياكل النورية) ، ومرة على أنه بالفارسية واسمه (الهياكل) فقط . وأورد ريتر أول المتن العربى وهو : « ياقيوم أيدنا بالنور ، وثبتنا على النور . . . » ، وأول المتن الفارسى وهو : « الهيكل الأول : بدانك جسم آنست كه مقصود باشارت بود . . . » .

وعلى هذا الكتاب شروح أربعة أوردها ريتر وهى : شرح لجلال الدين محمد بن أسعد الدوانى المتوفى سنة ٩٠٧ هـ ، وعنوانه (شواكل الحور) ، وضعه فى سنة ٨٧٢ هـ فى تبريز : وأوله : « يامن نصب رايات آيات قدرته

على كواهل هياكل الممكنات ... » . وشرح آخر كتبه ابن صدر الدين الشيرازى وهو منصور بن محمد الحسينى المتوفى سنة ٩٠٣ هـ ، وعنوان هذا الشرح : (إشراق هياكل النور لكشف ظلمات شواكل الغرور) ؛ وهو كما يدل عليه عنوانه نقض لشرح الدوانى السابق واعتراض عليه . وشرح ثالث تركى وضعه اسماعيل المولوى الانقروى شارح المثنوى والمتوفى سنة ١٠٤١ هـ . وشرح رابع منظوم وعنوانه (ألفية الحكمة الالهية على مذهب الاشراقيين مما حوتها الهياكل النورية) مع زيادات من شرحها وشيء من كتاب الاشراق ؛ نظمها حسن الكردى . ويرى ريتر أن هذا الشرح المنظوم هو حاشية عصام الدين ابراهيم على رسالة السمرقندى ، ويعرف ذلك الشارح الناظم باسمه الكامل وهو حسن بن محمد الزيبارى .

٧ — المقاومات : وهو مختصر جعله السهروردى من التلويحات بمثابة الذيل ، كما يدل على ذلك قوله فى مقدمته وهو : « هذا مختصر يجرى من كتابى الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه ، مما كان الأولون يرسلونه ولم يتيسر إيراده فى التلويحات » .

٨ — الرمز المومى : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتر ، ولا ذكره أحد ممن ترجموا للسهروردى غير الشهرزورى .

٩ — المبدأ والمعاد : وهو بالفارسية ، ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتر ولا غيره .

١٠ — بستان القلوب : وهو مختصر فى الحكمة ، كتبه السهروردى بالفارسية لجماعة من أصحابه فى إصفهان ، وأوله كما أورده ريتر : « سپاس خداى راكه بى واسطه بجود خود وجود ما پيداكرد ... أما بعد جماعتى از اهل صفا از اصفهان كه مرا با ايشان نشست وخاستى بود در خواستند تاكلمه چند در حقيقت جمع كنم چنانك تكلف در ان راه نيابد ... قسمى تعلق بعالم اجسام دارد وقسمى تعلق بعالم أرواح » .

١١ — طوارق الأنوار : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٢ — التنقيحات في الأصول : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٣ — كلمة التصوف : ذكره الشهرزوري بهذا العنوان ، وذكره ريتر باسم (مقامات الصوفية) ويتبين موضوعه من مقدمته التي أورد ريتر أولها وهو قول السهروردي « اللهم لك العبادة والتسبيح ، والأذكار والتقديس . أما بعد : فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني إسعافك في تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني اصطلاحاتهم » .

١٤ — البارقات الالهية : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٥ — النفحات السماوية : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٦ — لوامع الأنوار : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٧ — الرقيم القدسي : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٨ — اعتقاد الحكماء : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

١٩ — كتاب الصبر : ذكره الشهرزوري ، ولم يذكره ريتر .

٢٠ — رسالة العشق : ذكرها الشهرزوري بهذا العنوان ، وذكرها ريتر باسم (مؤنس العشاق) ، وهي بالفارسية ، وأولها قوله : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... » . وعلى هذه الرساله شروح لشراح مجهولين .

٢١ — رسالة دز حالة طفولية : ذكرها الشهرزوري ، ولم يذكرها ريتر ، وهي بالفارسية .

٢٢ — رسالة المعراج : ذكرها الشهرزوري ، ولم يذكرها ريتر .

٢٣ — رسالة روزي باجماعت صوفيان : ذكرها الشهرزوري ولم يذكرها ريتر ، وهي بالفارسية وموضوعها كما يدل عليه عنوانها يوم مع جماعة من الصوفية .

٢٤ — رسالة عقل : ذكرها الشهرزوري ، ولم يذكرها ريتر ، وهي بالفارسية ، وموضوعها كما يدل عليه عنوانها هو العقل .

٢٥ — « شرح » رسالة أوازپر جبرئيل : ذكره الشهرزورى وريتر ، وهو بالفارسية ، ومعناه شرح رسالة صوت جناح جبرائيل . وعلى هذه الرسالة شرح لشارح مجهول ذكره ريتر وأثبت له نسخة خطية محفوظة فى مكتبة الشهيد على .

٢٦ — رسالة پرتونامة : ذكرها الشهرزورى وريتر ، ومعناها رسالة النور ، وهى مختصر بالفارسية فى الحكمة ، تناول فيها السهروردى شرح بعض الاصطلاحات ، وتعريف الجسم ، وبعض الأحوال ، والنفس واستبصارها وقواها ، وذات واجب الوجود وصفاته وفعله .

٢٧ — رسالة لغة موران : ذكرها الشهرزورى وريتر ، وهى بالفارسية ومعناها رسالة لغة النمل ، وهى عبارة عن حكايات رمزية ، وأولها كما يورده ريتر : « سپاس مبدعى راكه بحقيقت همه هستى باعتراف همه موجودات إز روى شهادت وجود أورا سزاوارست ودروذ بر روان پاكان باذ خصوصاً بر محمد النبى . . . » .

٢٨ — رسالة غربة الغريبة : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريتر باسم (الغربة الغربية) وهى قصة رمزية تأثر فيها السهروردى قصة حى ابن يقظان لابن سينا ، وأورد ريتر أولها وهو قوله : « أما بعد : فانى لما رأيت قصة حى بن يقظان صادفتها مع ما فيها . . . » .

٢٩ — رسالة صفير سيمرغ : ذكرها الشهرزورى وريتر ، وهى بالفارسية ، وأولها قول السهروردى : « سپاس بادواهب حيوة را ومبدع موجودات را . . . . . » .

٣٠ — رسالة الطير : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريتر باسم (ترجمه رساله طير) ، وهى ترجمة فارسية لرسالة الطير لابن سينا .

٣١ — رسالة تفسير آيات من كتاب الله وخبر عن رسول الله : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتر .

٣٢ — رسالة غاية المبتدى : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتر .

٣٣ — التسبيحات ودعوات الكواكب : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتر بالاسم ، وأكبر الظن أنه عدها ضمن نصوص متفرقة للسهروردى يجمعها اسم واحد هو (الواردات والتقديسات) [1] .

٣٤ — أدعية متفرقة : ذكره الشهرزورى .

٣٥ — السراج الوهاج : ذكره الشهرزورى ، وشكك فى صحة نسبته إلى السهروردى ، وذلك إذ يقول : « والأظهر أنه ليس له » .

٣٦ — الدعوة الشمسية : ذكره الشهرزورى .

٣٧ — الواردات الالهية بتحيات الكواكب وتسبيحاتها : ذكره الشهرزورى .

٣٨ — مكاتبات إلى الملوك والمشايخ : ذكرها الشهرزورى .

٣٩ — كتب فى السيميا : ذكرها الشهرزورى هكذا دون أن يعين أسماءها ، ولم يقطع بصحة نسبتها الى السهروردى كما يتبين ذلك من قوله : « تنسب إليه » دون أن يزيد عليه شيئاً .

٤٠ — الألواح : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك على أنها بالعربية (أنظر رقم من هذا التصنيف) .

٤١ — تسبيحات العقول والنفوس والعناصر : ذكرها الشهرزورى .

٤٢ — الهياكل : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك باسم (الهياكل النورية) على أنها بالعربية (انظر رقم ٦ من هذا التصنيف) .

٤٣ — شرح الاشارات : ذكره الشهرزورى ، وهو بالفارسية ، وقال إن بعض المعارف قد ذكر له أنه عنده ، ولكنه لم يقف عليه .

---

(١) يرى ريتر فى هذه (الواردات والتقديسات) أنها تشتمل على ترانيم وأدعية للكواكب والجن مع إطلاق البخور ، وأن السهروردى يعرض هنا سحراً تنجيمياً هلينياً من النوع الذى يمثله كتاب (غاية الحكيم) للمتسمى بالمجريطى ، وكتاب (سر المكتوم فى مخاطبة النجوم) لفخر الدين الرازى (Der Islam XXIV (1937) p. 285) ويدخل تحت هذه (الواردات والتقديسات) المصنفات ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ من هذا التصنيف .

٤٤ — كشف الغطاء لإخوان الصفاء : لم يذكره الشهرزوري ، وذكره ريتر ، وأورد أوله وهو قول السهروردي « اللهم أعدنا من غيرك إليك . . . وبعد : فهذه اللمعة الموسومة بكشف الغطاء لإخوان الصفاء . . . . »

٤٥ — الكلمات الذوقية والنكات الشوقية = رسالة الأبراج : لم يذكرها الشهرزوري ، وذكرها ريتر : وأورد أولها وهو قول السهروردي « كتاب فيه كلمات ذوقية ونكات شوقية ، كتبت بالتماس بعض إخوان التجريد . . . . اعلم ياأخي أن فايدة التجريد سرعة العود إلى الوطن الأصلي . . .

٤٦ — رسالة لاعنوان لها : لم يذكرها الشهرزوري ، وذكرها ريتر : وأشار إلى أن موضوعاتها هي : الجسم والحركات والربوبية والمعاد والوحي والإلهام ، وأورد أولها وهو قول السهروردي : « الحمد لله مبدع الكل ، واهب العقل . . . . وبعد : فان الرسالة هذه تشتمل على بعض القواعد الحكمية أمليناها على سبيل الإيجاز . . . » .

٤٧ — مختصر صغير في الحكمة : لم يذكره الشهرزوري ، وذكره ريتر ، وأشار إلى أنه يتناول العلوم الحكمية الثلاثة من منطق وطبيعيات وإلهيات ، وأورد أوله وهو قول السهروردي : « الحمد لواهب العقل حمداً يليق بعلو شأنه . . . وبعد : لما كانت العلوم مرتبة على القواعد والبراهين . . . »

٤٨ — طائفة من الأشعار : ذكرها الشهرزوري [١] ، وأشار ريتر [٢] إلى أنها وردت في ياقوت (معجم الأدباء) ، وفي الشهرزوري (نزهة الأرواح) وفي اشبيس (ثلاث رسائل ، ص ١٠٣ — ١١٢ Three Treatises S 103-112) وذكر ريتر هنا القصيدة التي مطلعها :

أبداً تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

(١) نزهة الارواح : ص ٢٣٦ ، وكل القصائد التي سنثبت مطالعها هنا من رقم ٤٩ الى ٥٩ ذكرها الشهرزوري أيضا (نزهة الارواح : ص ٢٣٦ — ٢٣٩) .
(٢) Der Islam XXIV (1937) p. 286.

٤٩ — قصيدة مطلعها :

لأنوار نور الله فى القلب أنوار   وللسر فى سر المحبين أسرار

٥٠ — قصيدة مطلعها :

أقول لجارتى والدمع جار   ولى عزم المسير إلى الديار

٥١ — بيتان أولها :

من أنكر مذهب الهوى فليأتنى   أنبيه بما سمعته من ذاتى(١)

٥٢ — قصيدة مطلعها :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى   وصبت لمغناها القديم تشوقا

٥٣ — قصيدة مطلعها :

أفنيت بعدكم هل عندكم خبر   طرفى وعينى فلا دمع ولا أثر

٥٤ — قصيدة مطلعها :

خليلى إن الأنس فى فرقة الانس

فكن أبداً ما عشت فى حضرة القدس

٥٥ — قصيدة مطلعها :

ولما وردنا ماء مدين نستقى   على ظمأ منا إلى موقف النجوى

٥٦ — بيتان أولها :

سر يبدو وإن بدا استعلن   مكنون سر بل سره مستمكن

٥٧ — ثلاثة أبيات أولها :

وكل صبح وكل إشراق   أبكى عليكم بدمع مشتاق

٥٨ — بيتان أولها :

يا صاح أما رأيت شهباً ظهرت   قد أحرقت القلوب ثم استترت

---

(١) هكذا أورد السهرزورى البيت ، ولعل لفظة (فليأتنى) محرفة ، والانسب أن تكون (فليات) .

٥٩ — بيتان أولها :

أقسمت بصفو حبكم فى القدم ما زل إلى غير هواكم قدمى

(٤)

تصنيف زمنى : ماسينيون

يلاحظ المتأمل فى ذلك الثبت العام لمصنفات السهروردى، وهو الذى جمعنا فيه بين ما أورده الشهرزورى وما أورده ريتر ، أن له ميزة خاصة فى أنه يعطينا بيانا لعله أوفى وأشمل بيان عن مصنفات حكيم الاشراق وآثاره المنثورة والمنظومة . ولكنه على ميزته هذه لا يصنف هذه الآثار تصنيفاً زمنياً يتبين من خلاله الوقت الذى وضع فيه السهروردى كل أثر أو مصنف ، وتظهر فى ضوئه الصلة التى يتفق أو يختلف فيها هذا المصنف أو الأثر عن ذاك المصنف أو ذاك الأثر .

على أننا نلاحظ من ناحية أخرى أن الاستاذ ماسينيون (١) قد حاول أن يصنف مصنفات شيخ الاشراق تصنيفاً موقوتا قسم فيه هذه المصنفات تقسيما يقوم على الأطوار الزمنية التى يرى أن حياة السهروردى الروحية قد مرت بها ، وذلك على الوجه التالى :

١ — مصنفات الصبا : ويندرج تحتها كتاب الألواح العمادية ، وكتاب هياكل النور ، والرسائل .

٢ — مصنفات الطور المشائى : ويندرج تحتها التلويحات ، واللمحات ، والمقاومات ، والمطارحات ؛

٣ — مصنفات الطور الأخير وهو الطور السينوى الأفلاطونى : ويندرج تحتها كتاب حكمة الاشراق ، الخ .

(١) Recueil de Textes inédits p. 113.

على أن تصنيف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً على هذا الوجه الذى يجعل من حياة حكيم الاشراق أطواراً ، ومن كل طور فترة وضع فيها مصنفات بعينها ، أمر ليس من السهولة واليسر بحيث يمكن تحديد أطواره تحديداً زمنياً دقيقاً ، وبيان مصنفات كل طور بيانا مضبوطا . ومهما يكن من اشتراك مصنفات السهروردى فى صعوبة هذا التحديد الزمنى ، فان منها مصنفاً واحداً هو أهمها وأشملها لنواحى مذهبه وأجمعها للعنصرين البحثى والذوقى ، وأعنى به كتاب حكمة الاشراق ، نستطيع أن نحدد على وجه الدقة التاريخ الذى انتهى فيه السهروردى من تأليفه ، وأن نتبين فى وضوح وجلاء أسماء المصنفات التى وضعها حكيم الاشراق قبل هذا الكتاب وفى أثناء تأليفه له ، وأن نقف على أسماء بعض ما وضعه من مصنفات فى أيام الصبا ، وعمدتنا فى هذا كله ما يحدثنا به السهروردى نفسه فى مقدمة كتاب حكمة الاشراق ، وفى آخره : فهو قد ذكر فى تلك المقدمة أنه رتب قبل هذا الكتاب وفى أثنائه عند معاوقة القواطع عنه ، كتبا على طريقة المشائين ، لخص فيها قواعدهم ، ومن جملتها المختصر الموسوم بالتلويحات اللوحية والعرشية ، والكتاب المسمى باللمحة أو اللمحات وهو دون التلويحات وغيرهما كالمقاومات والمطارحات ، على حد ما يستنبطه قطب الدين الشيرازى فى شرحه على كتاب حكمة الاشراق ، وهو قد ذكر أن من مصنفاته ما رتبه فى أيام الصبا ، وضرب له قطب الدين الشيرازى مثلا بالألواح والهياكل وأكثر رسائله دون أن يعين شيئا منها أو يذكر اسما من أسمائها[1] . وهو قد حدثنا فى آخر كتابه حكمة الاشراق بأنه فرغ من تأليفه فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٨٢ هـ ، وكان ذلك فى اليوم الذى اجتمعت فيه الكواكب السبعة فى برج الميزان فى آخر النهار ، وأن هذا الكتاب قد ألقاه النافث القدسى فى روعه فى يوم عجيب ، وإن كانت كتابته ما اتفقت إلا فى أشهر لموانع الأسفار[2] .

(١) السهروردى : حكمة الاشراق وشرح قطب الدين الشيرازى عليه ، طهران سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م ، ص ١٥

(٢) السهروردى : حكمة الاشراق ، ص ٥٦١ — ٥٦٢

فكل أولئك يدل على أن السهروردى قد شرع فى التلويحات واللمحات قبل شروعه فى حكمة الاشراق ، وفى أثناء تأليفه له عند ما كانت تعوقه العوائق من أسفار وغيرها ، وذلك وفقا لما يصرح به السهروردى نفسه فى مقدمة كتابه . وهو يدل أيضا على أن مثل المقاومات والمطارحات كمثل التلويحات واللمحات فى أنهما من المصنفات التى وضعت قبل حكمة الاشراق وفى إبانه ، وأن الألواح والهياكل وأكثر الرسائل من مصنفات الصبا ، وذلك كله وفقاً لما يستنتجه قطب الدين الشيرازى .

والمتأمل فى هذا كله ، يلاحظ أن الأستاذ ماسينيون كان متأثراً فى تصنيفه الزمنى لمصنفات حكيم الاشراق بما أورده السهروردى فى مقدمته من ناحية ، وبما استخلصه قطب الدين الشيرازى فى شرحه من ناحية أخرى ، ويلاحظ أيضا أن صعوبة التحديد الزمنى المضبوط ، وإن كانت قد ذللت بالقياس إلى كتاب حكمة الاشراق ، فانها ما تزال قائمة فيما يتعلق ببقية المصنفات الأخرى . صحيح أن بعض هذه المصنفات قد وضع قبل كتاب حكمة الاشراق وفى إبانه ، ولكن هذا لا يعنى بحال ما أن تصنف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً يقابل فيه بين كل طائفة منها وبين كل طور من أطوار حياة صاحبها على نحو ما فعل الأستاذ ماسينيون . وأكبر الظن أننا لو أعملنا الفكر ودققنا النظر فى بعض النصوص التى اشتملت عليها المصنفات التى ذكرها الأستاذ ماسينيون فى تصنيفه ، لرأينا أنه ليس من الممكن أن نفرق فى مصنفات حكيمنا بين مصنفات وضعت فى عهد الصبا ، وأخرى فى عهد مشائى ، وثالثة فى عهد سينوى أفلاطونى أو إشراقى : ذلك بأن العنصرين المشائى والاشراقى يكادان يوجدان متلازمين وممتزجين وشائعين بين جميع المصنفات التى يتألف منها تصنيف الأستاذ ماسينيون ، أو بين أكثرها وأهمها على أقل تقدير .

ويكفى لاثبات ذلك أن نأخذ على سبيل المثال كتاباً من الكتب التى ذكرها الأستاذ ماسينيون فى كل قسم من أقسام تصنيفه ، وأن نتبين

من خلال النصوص التي سنوردها كيف كانت الحياة الروحية لحكيمنا قائمة في جملتها وفي تفاصيلها على أساسين ، أحدهما فلسفي أو بحثي والآخر تصوفي أو ذوقي : وكيف كانت مصنفاته التي كتبها في كل طور من أطوار حياته الروحية هذه مزاجاً من البحث النظري والذوق الصوفي اللذين هما أخص ما يتألف منه المذهب الاشراقي لحكيم الاشراق .

فإذا وقفنا من بين المصنفات التي يعدها قطب الدين الشيرازي والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، عند كتاب هياكل النور ؛ ألفينا هذا الكتاب حافلا بالنصوص التي تنطق صراحة بما كان ينزع إليه حكيمنا من منازع إشراقية ، إلى جانب ما كان يعرضه من أنظار عقلية : فهو قد عرض في الهيكل الأول لتعريف الجسم والصورة واللازم والعرض ، وفي الهيكل الثاني للنفس وجوهريتها وقواها ، وفي الهيكل الثالث لأقسام المعلوم الثلاثة والسبب والمسبب والسببية ؛ وفي الهيكل الرابع لواجب الوجود ووحدانيته وترتب الموجودات وكيفية صدورها وأن الفاعل الحقيقي هو الحق ، وأن العوالم ثلاثة ، ولأزلية العالم وأبديته وروح القدس والقرب الالهي ، وفي الهيكل الخامس للحركة والأفلاك ونفوسها والقدر والشر وأول نسبة ثبتت في الوجود وسريانها في الموجودات ، وفي الهيكل السادس لأبدية النفس وكمال الجوهر العاقل وحال الأشقياء وشأن السعداء ، وفي الهيكل السابع للنبوات .

فكل أولئك موضوعات تناولها السهروردي في كتابه هياكل النور ، فعرض لبعضها على طريقة المشائين ، وأقام عرضه لها على أساس من النظر العقلي الخالص الذي لا يختلف كثيراً أو قليلا عن منهج الفلاسفة الخلص ، وعرض لبعضها الآخر على طريقته الذوقية ومنهجه الاشراقي الذي يستمد قوامه من الرياضة والمجاهدة ، ويقوم على الكشف والمشاهدة . وحسبنا أن نؤيد هذا بالنصوص التالية .

عرض السهروردي في الهيكل الثالث من كتابه هياكل النور [1] لأقسام المعلوم الثلاثة ، وأن السبب التام لا يتخلف عنه وجود المسبب ، وبين تمام السببية ، فقال ما نصه : « الجهات العقلية ثلاثة : واجب وممكن وممتنع . فالواجب ضروري الوجود ، والممتنع ضروري العدم ، والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا عدمه . والممكن يجب ويمتنع بغيره ، والسبب هو ما يجب به وجود غيره . فالممكن لا يكون موجوداً من ذاته ، إذ لو اقتضى الوجود لذاته كان واجباً لا ممكناً ، فلا بد له من سبب يرجح وجوده على العدم ، والسبب إذا تم لا يتخلف عنه وجود المسبب ، وكل ما يتوقف عليه الشيء فانه يدخل في السببية ، سواء كان إرادة ، أو وقتاً ، أو مقارناً ، أو محلا ، أو قابلا ، أو غير ذلك . وإذا لم يوجد السبب بتمامه ، أو انتفى بعض أجزائه فقط ، لا يحصل المسبب . وإذا حصل جميع ما ينبغي في وجود الشيء ، وارتفع جميع ما لا ينبغي ، وجب الشيء ضرورة » .

فهذا نص فلسفي واضح الدلالة على ما يوجد في أسلوب السهروردي من عناصر عقلية نظرية . وفي كتاب هياكل النور كثير من الأمثلة على هذه العناصر [2] : التي إن دلت على شيء فانما تدل على أن السهروردي كان ها هنا فيلسوفاً بأدق ما تنطوي عليه لفظة الفيلسوف من المعاني .

على أن السهروردي الذي يبدو هنا فيلسوفاً مشائياً يصطنع منهج العقل ، ويدنو كثيراً أو قليلا من الفارابي أو ابن سينا ، قد ضمن كتابه هياكل النور نصوصاً أخرى فياضة بالإشراق مفعمة بالأذواق مشتملة على رمزه إلى العقول والنفوس بالأنوار وإلى الأجسام بالظلمات ، كأن يقول ما نصه [3] : « ولا شك أن أنوار الملكوت نازلة لاغاثة الملهوفين ، وأن شعاع القدس ينبسط ، وأن طريق الحق ينفتح ، كما أخبرت الخطفة ذات البريق (غيبة لامعة

---

(١) السهروردي : هياكل النور ، مطبعة السعادة ١٣٣٥ هـ . ص ١٩ — ٢٠

(٢) هياكل النور : ص ٢٠ — ٢٢ . ص ٢٥ — ٢٧ .

(٣) هياكل النور : ص ٤٧ — ٤٨

عن عالم الحس) ليلة هبت الهوجاء ، كما قال تعالى : « هو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته » والبريقة توقيتة من صاحبها نازلا وهو يدنو من النير ، فنبه صاعداً أن انفتح له سبيل القدس ، ليصعد إلى رجال منبعث البرازخ الأكثرين .

« ربنا آمنا بك ، وأقررنا برسالاتك ، وعلمنا أن ملكوتك مراتب ، وأن لك عباداً متألهين ، يتوسلون بالنور إلى النور . على أنهم قد يهجرون النور للظلمات ، ليتوصلوا بالظلمات إلى النور ، فيجعلون بحركات المجانين قرة عين العقلاء ، وعدتهم الزاقى ، وأرسلت لهم رياحا لتحملهم إلى عليين ، ليمجدوا سبحاتك ، وليحملوا أسفارك ، وليتعلقوا بأجنحة الكروبيين ، وليصعدوا بحبيل الشعاع ، وليستعينوا بالوحشة والدهشة لينالوا الأنس ، أولئك هم الصاعدون إلى السماء والقاعدون على الأرض . أيقظ اللهم الناعسات من النفوس فى مراقد الغفلات ليذكروا اسمك ، ويقدسوا مجدك . كمل حصتنا من العلم والصبر ، فانهما أبوا الفضائل ، وارزقنا الرضا بالقضاء ، واجعل الفتوة حليفتنا ، والاشراق سبيلنا إنك بالجود الأعم على العالمين منان ، والله تعالى خير من أعان ، ولرسوله الصلاة والسلام والتحية والرضوان » .

فهذا النص مضافا إليه نصوص أخرى فى مواضع متفرقة من كتاب هياكل النور [١] ، لا سبيل إلى أن ينكر منكر ما تعبر عنه من الأذواق الروحية والاشراقات النورية التى لا تكاد تختلف كثيراً أو قليلا عما ورد فى كتاب حكمة الاشراق . وهذا من شأنه أن يوقفنا من كتاب هياكل النور بين اثنتين : إما أن نعده كما عده الأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وهذا يعنى أن تنتفى عنه الصفة الاشراقية التى هى عند الأستاذ ماسينيون من أخص خصائص الطور الأخير من حياة السهروردى وهو الطور الذى وضع فيه كتاب حكمة الاشراق ، وإما أن نعد كتاب هياكل النور

(١) هياكل النور : ص ٢٢ — ٢٤ و ٣٢ — ٣٣ و ٣٦ — ٣٧ و ٤٠ — ٤٣ و ٤٣ — ٤٧

من مصنفات الطور الاشراقى ، وهذا يعنى أنه ليس من مصنفات طور الصبا .
ولكننا وقد تبينا من النصوص التى أثبتناها أو أشرنا إليها أن كتاب هياكل النور قد جمع بين الحكمتين البحثية والذوقية : مثله فى هذا كمثل كتاب حكمة الاشراق ؛ لا نستطيع أن نعده من مصنفات طور الصبا فحسب ، ولا من مصنفات الطور الاشراقى فحسب ، وإنما الذى يصح أن يكون هو أن فكرة الاشراق كانت حظاً شائعاً بين مصنفات السهروردى حتى ما صرح هو نفسه بأنه كتبه على طريقة المشائين كالمشارع والمطارحات كما سيتبين هذا فيما يلى :

فالسهروردى يحدثنا فى مقدمة المشارع والمطارحات [1] بما يبين أنه كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة وهى المنطق والطبيعيات والالهيات ، وأنه أورد فيه مباحث وضوابط نافعة مخرجة مشحذة من تصرفاته ، وأنه لم يخرج فى هذا عن مأخذ المشائين كثيراً . ولكنه يضيف إلى ذلك أنه أودع هذا الكتاب نكتاً ولطائف تومىء إلى قواعد شريفة ، زائدة على ما يورده المشاؤون . وهنا يظهرنا السهروردى فى وضوح وجلاء على الصلة التى توجد بين مذهبه الاشراقى الخالص وبين ما يعرضه من مذاهب المشائين فى العلوم الفلسفية البحتة ، فيقول ما نصه [2] : « ومن لم يتمهر فى العلوم البحثية به (كتاب المشارع والمطارحات) فلا سبيل له إلى كتابى الموسوم بحكمة الاشراق ، وهذا الكتاب ينبغى أن يقرأ قبله ، وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات . . . . . . فاذا استحكم الباحث هذا النمط فليشرع فى الرياضات المبرقة بحكم القيم على الاشراق ، حتى يطابق بعض مبادىء الاشراق ، ثم يتم له مبانى الأمور . . . . . وأول الشروع فى الحكمة هو الانسلاخ عن الدنيا ، واوسطه مشاهدة الأنوار الالهية ، وآخره لا نهاية له . . . » .

---

(١) مجموعة فى الحكمة الالهية : المشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م : ص ١٩٤

(٢) مجموعة فى الحكمة الالهية : المشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م : ص ١٩٤ — ١٩٥

ويلاحظ المتأمل فيما يحدثنا به السهروردي عن كتابه المشارع والمطارحات ، أن هذا الكتاب وإن كان من الكتب التي يصرح السهروردي نفسه بأنه كتبها على طريقة المشائين ، إلا أنه يصرح من ناحية أخرى بأنه زاد على ذلك أشياء ليست من طريقة المشائين في شيء ، وإنما هي من طريقة الاشراقيين في كل شيء ، وأعني بهذه الأشياء ما يعبر عنه في النص المتقدم بالنكت واللطائف التي تومئ إلى قواعد شريفة . يضاف إلى هذا أنه قد شرط فهم كتابه حكمة الأشراق بالتمهر في العلوم البحثية أي علوم المشائين . وهذا كله يعني بعبارة أصرح وأوضح أن السهروردي في كتابه المشارع والمطارحات قد جمع بين الحكمتين البحثية والذوقية ، أو بين طريقتي المشائين والاشراقيين، وأنه بهذا الجمع قد فعل في كتاب مشائي عين ما فعله في أهم كتاب إشراقي له وهو كتاب حكمة الاشراق : ففي مقدمة هذا الكتاب الأخير يحدثنا السهروردي بأن طريقته التي اتبعها فيه مختلفة عن طريقة المشائين التي اتبعها في مصنفاته الأخرى الموضوعة على هذه الطريقة[1] ، ولكنه يحدثنا في مقدمة الكتاب نفسه بأنه قد اصطنع الحجة العقلية لاثبات ما وصل اليه وحصل عليه من حقائق الاشراق التي يطلق عليها اسم « علم الأنوار » ، وذلك إذ يقول ما نصه[2] : « ... ولم يحصل لي أولا بالفكر، بل كان حصوله بأمر آخر، ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلا ما كان يشككني فيه مشكك : لأن ما ذكرته من علم الأنوار ، وجميع ما يبتني عليه وغيره ، يساعدني عليه كل من سلك سبيل الله عز وجل ، وهو ذوق إمام الحكمة ورئيسنا أفلاطن صاحب الأيد والنور . . . » . يضاف إلى هذا أن السهروردي قد افرد القسم الأول من كتابه حكمة الاشراق لعلم من اهم العلوم المشائية ، واعني به المنطق ، وجعل هذا القسم من القسم الثاني الذي افرده لعلمه الاشراقي في الأنوار الالهية ، بمثابة التمهيد الذي يدخل منه طالب الاشراق إلى القسم الثاني

(١) حكمة الاشراق : ص ١٥
(٢) حكمة الاشراق : ص ١٦

من الكتاب وهو الخاص بالاشراق [1] . فكل أولئك شواهد صدق وأدلة حق على ان السهروردى فى كتابه حكمة الاشراق قد جمع الى الحكمة الذوقية طرفا هاماً من الحكمة البحثية ، وعد هذا الطرف مما لا غنى لطالب الاشراق عنه .

فاذا كان ذلك كذلك ، وكان السهروردى قد جعل فى مقدمة هذا الكتاب طلاب الحكمة على ثلاث مراتب : طالب التأله والبحث ، وطالب التأله فقط ، وطالب البحث فقط ، وكان خير هؤلاء الطلاب عنده هو طالب التأله والبحث ، فقد قصر شيخ الاشراق كتابه هذا على طلاب التأله والبحث بحيث لا يكون للباحث الذى لم يتأله ، ولا للطالب الذى لم يطلب التأله نصيب فيه [2] .

وينتهى بنا كل ما تقدم من حديث عن كتاب هياكل النور وكتاب المشارع والمطارحات وكتاب حكمة الاشراق ، إلى أن الجمع بين العناصر المشائية والعناصر الاشراقية ، حظ مشترك بين مصنفات السهروردى ، سواء فى ذلك ماعده منها قطب الدين الشيرازى والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا كهياكل النور ، أم ما عده الأستاذ ماسينيون وحده من مصنفات الطور المشائى ككتاب المشارع والمطارحات ، أو من مصنفات الطور السينوى الأفلاطونى ككتاب حكمة الاشراق . وتسلمنا هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى هى أن تصنيف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً أمر لا سبيل إليه ، إذ هو يتنافى مع طبيعة الموضوعات التى يتناولها السهروردى فى مختلف مصنفاته من ناحية ، ومع الخصائص الفلسفية والتصوفية الاشراقية التى انطوت عليها هذه المصنفات من ناحية أخرى ، وأن الخير هو أن ينظر إلى ما خلفه شيخ الاشراق من الآثار نظرة شاملة تؤلف بينها ، وتجعل منها وحدة متسقة مطبوعة بطابع واحد ، ومتجهة إلى غاية واحدة هى إقامة حكمة إشراقية على دعامتين إحداها بحثية والأخرى ذوقية .

---

(١) حكمة الاشراق : ص ٢٧ — ٢٨

(٢) حكمة الاشراق : ص ٢٥ — ٢٦

على أن صعوبة تصنيف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً ، لاتقف عندحد المصنفات التى ضربنا بها الأمثال ، وأوردنا منها بعض نصوصها التى تنزع الى المنزع التصوفى الإشراقى بقدرما تعرض للأنظار الفلسفية المشائية ، وانما هى تتجاوزها الى مصنفات أخرى وضع الاستاذ ماسينيون كل طائفة منها فى كل طور من الاطوار التى يتألف منها تصنيفه الزمنى ، وأبدى الاستاذ كوربان على وضع كل من هذه المصنفات الاخرى فى كل من هذه الاطوار ملاحظات دقيقة سديدة : ففيما يتعلق بكتاب الالواح العمادية الذى أهداه السهروردى الى عماد الدين أمير خربوط ، وعده الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، يستخلص الاستاذ كوربان [1] من تاريخ تولى ذلك الامير وهو سنة ٥٨١ هـ ، ومن تاريخ وفاة السهروردى وهو سنة ٥٨٧ هـ ، أنه لابد من أن يكون كتاب الالواح العمادية معاصراً لكتاب حكمة الاشراق الذى انتهى السهروردى من تأليفه سنة ٥٨٢ هـ ، وللمصنفات الاعتقادية الكبرى . وفضلا عن هذا فان فى كتاب الالواح إشارة الى كتاب حكمة الاشراق .

وأما فيما يتعلق برسائل السهروردى التى عدها الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وسبقه الى اعتبارها كذلك قطب الدين الشيرازى ، فقد لاحظ الاستاذ كوربان [2] أن تلك الرسائل التى كتبت فى صورة أمثال وحكايات توجيهية ، تشعر طريقة إنشائها فضلا عن محتوياتها لأول وهلة بما فيها من اتجاه اشراقى راسخ . وهنا ينتهى الاستاذ كوربان الى أنه لوسلم بأن هذه الرسائل من مصنفات الصبا ، (دون أن ننسى السن التى توفى فيها شيخنا) ، لكان من العسير أن يتصور انفصالها عن كتاب حكمة الاشراق بفترة مشائية خالصة .

وكذلك المصنفات التى عدها الأستاذ ماسينيون من آثار السهروردى فى الطور المشائى ، وعدد منها المشارع والمطارحات والتلويحات والمقاومات ،

---

(١) Opera Metaphysica et Mystica. Intr. Fr. p. VII.
(٢) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. p. VII.

فقد اعترض الأستاذ كوربان [1] على اعتبارها مصنفات مشائية ، وأيد اعتراضه بنصوص مستقاة من كتابى المشارع والمطارحات والتلويحات . وحسبنا أن ننظر مع الأستاذ كوربان فى الفقرة ٥٥ من كتاب التلويحات [2]، وفى الفقرة ٢٠٨ من كتاب المشارع والمطارحات [3] ، لنتبين أن السهروردى إنما يتحدث هاهنا بلسان اشراقى لا شبهة فيه ولا غبار عليه ، كما يتحدث عن كتابه حكمة الاشراق على أنه كتاب قد تم وضعه .

وهكذا نتبين من كل ما تقدم أن حكيمنا لم يكن فى فترة ما من فترات حياته فليسوفا مشائياً يصطنع مناهج المشائين وحدها ويؤلف عليها طائفة من مؤلفاته ، ثم أصبح فى فترة أخرى حكيما إشراقياً يصطنع الذوق ويؤثر طرائق الصوفية فى الرياضة والمجاهدة ويركن فى تأليف طائفة أخرى من مؤلفاته إلى منهج الاشراقيين ، وإنما هو حكيم إشراقى أولا وأخيراً : بدأ وانتهى ، فى مؤلفاته جلها إن لم يكن كلها ، حكيما متوغلا فى البحث والتأله على حد تعبيره هو ، أو حكيما جامعاً بين الحكمتين البحثية والذوقية على حد تعبير الشهرزورى .

(٤)

تصنيف بحسب الخصائص : كوربان

عنى الأستاذ كوربان بتحقيق آثار السهروردى ونشرها نشراً علمياً تدل عليه طبعته لهذه الآثار طبعة قدم لها بمقدمة لها من غير شك قيمتها فى الالمام بالمصنفات المختلفة لشيخ الاشراق ، وبيان العناصر التصوفية والفلسفية والاشراقية التى تتألف منها . وآية هذه العناية هى المجلد الاول من هذه الطبعة الذى ظهر فى استانبول سنة ١٩٤٥ تحت هذا العنوان العربى: (مجموعة فى الحكمة

(١) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P VII-VIII

(٢) مجموعة فى الحكمة الالهية : التلويحات : ص ٧٠ — ٧٤

(٣) مجموعة فى الحكمة الالهية : المشارع والمطارحات : ص ٤٨٣ — ٤٨٤

الالهية — من مصنفات شهاب الدين يحيي بن حبش السهروردى)، وتحت هذا العنوان اللاتيني :

(Sihābaddin yaḥya As-Suhrawardī : Opera Metaphysica et Mystica) وكان حلقة من سلسلة (النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية) . وكان طبيعيا ، وقد عمد الاستاذ كوربان الى تحقيق آثار حكيمنا وإذاعتها ، أن يصنف هذه الآثار تصنيفاً اعانته عليه عشرته المتصلة للسهروردي ودراسته الدائبة لمخطوطات مصنفاته . وها نحن أولاء قد رأينا فيما سبق من حديث عن التصنيف الزمنى الذى وضعه الأستاذ ماسينيون ، ما يوجهه الأستاذ كوربان من اعتراضات على هذا التصنيف ، الأمر الذى كان لابد معه من أن يحاول هو تصنيف آثار شيخ الاشراق تصنيفاً يقوم على أساس آخر .

ويميز الأستاذ كوربان فى مصنفات السهروردى التى وصلتنا بالفعل والتى لم تصل إلينا ولم نقف منها إلا على عناوينها التى يذكرها المؤرخون ، بين صنفين : مصنفات صيغت صياغة مذهبية منظمة ، ومصنفات وضعت فى صورة رؤى وحكايات تنطوى على إرشادات وتوجيهات صوفية . ويلاحظ أنه ليس مما تمكن محاولته أن تصنف هذه المصنفات أو تلك تصنيفاً زمنياً محققاً [(١)] ، ولهذا رأى أن آمن الطرق وأثمرها هو أن تصنف هذه المصنفات بحسب خصائصها الذاتية ، أصنافا يضم كل صنف منها المصنفات التى تلتقى فيما بينها فى خصائصها المشتركة [(٢)] ، وذلك على الوجه التالى :

(ا) صنف يشتمل على رسائل أربع يمكن أن يطلق عليها اسم « الرسائل الاعتقادية الكبرى » ، وهى مكتوبة بالعربية . وقد وضعت الرسائل الثلاث الأولى ، وهي التلويحات والمقاومات

---

(١) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P. XIII

(٢) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P XIV-XVII

Corbin: Les motifs Zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, Teheran 1946 P 17-18.

والمشارع والمطارحات على أن تكون إعداداً وتمهيداً لدراسة الرسالة الرابعة وهى حكمة الاشراق التى يعدها السهروردى أهم مصنفاته جميعاً .

(ب) صنف يشتمل على طائفة من الرسائل الاعتقادية الصغرى ، كتب بعضها بالعربية ، وكتب بعضها الآخر بالفارسية مثل پرتو ونامه ، أو كتب بالعربية وترجمه السهروردى نفسه إلى الفارسية كما هو الشأن فى هيا كل النور . ويدخل تحت هذا الصنف الألواح العمادية وبستان القلوب واعتقاد الحكماء وكلمة التصوف وكشف الغطاء(١) واللمحات .

(ج) صنف يشتمل على طائفة أخرى من الرسائل الصغرى التى وضعت فى صورة أمثال وحكايات توجيهية وقصص رمزية ، وقصد بها إلى الارشاد والتوجيه، ويكاد كلها يكون مكتوبا بالفارسية إلا القليل منها فقد كتب بالعربية ، أو كتب بالعربية والفارسية ، كما هو الشأن فى رسالة الغربة الغربية . ويدخل تحت هذا الصنف : رسالة عقل ، ورسالة آواز پر جبرائيل، وكلمات ذوقية (= الأبراج)، ولغة موران، ومؤنس العشاق (= رسالة العشق) ، ورسالة در حالة طفولية ، ورسالة روزى باجماعت صوفيان ، ورسالة الطير ، وصفير سيمرغ

(د) صنف يشتمل على مجموعة من الواردات والتقديسات التى هى أشبه ما تكون بالمزامير ، وتدور على طقوس يومية تقديساً للملائكة القائمين على أمر الكون . والمخطوطات التى عثر عليها من هذا الصنف ما تزال نادرة حتى الآن ، ويقول الأستاذ كوربان إنه لم يقف منها إلا على مخطوطات استانبول . ويدخل تحت هذا الصنف الواردات والتقديسات التى أوردناها فى تصنيف الشهرزورى ريتر بالأرقام ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

(١) Henry Corbin: Suhrawardi d'Alep 1191, foudateur de la doctrine illuminative (ishraqui) Publications de la Société des Etudes Iraniennes. n, 19 Paris 1939 .

هذا مجمل تصنيف الأستاذ كوربان لآثار شيخ الاشراق بحسب خصائصها التى تؤلف بين كل طائفة منها . وما أجملناه هنا قد فصله الأستاذ فى مقدمته الفرنسية التي قدمها بين يدى المجلد الأول من مجموعة الحكمة الالهية ، وأودعه إلهيات كل من التلويحات والمقاومات والمشارع والمطارحات ، ونشره فى استانبول سنة ١٩٤٥ م . وهناك غير هذا المجلد الأول مجلدان آخران لم يظهرا بعد ، وسيضمن الأستاذ كوربان أحدهما كتاب حكمة الاشراق والمصنفات الصغرى (Opera minora) ، ويضمن الآخر المصنفات الطبيعية (Opera Physica). وإنا لنرجو أن يهيأ للأستاذ كوربان من التوفيق ما يمكنه من إخراج هذين المجلدين تتمة للعمل الجليل الذى بدأه ، وتعميما للنفع ، وإحياء لآثار شيخ الاشراق التى بعثرت هنا وهناك ، وظلت زمانا طويلا مطوية الصفحات ، مغمورة فى ثنايا المخطوطات ، وزوايا المكتبات : فانه بهذا سيتيح للباحثين أن يقبلوا على دراسة تلك الآثار دراسة علمية تمكنهم من الوقوف على مذهب صاحبها الاشراقى فى جملته وتفاصيله ، والتماس العناصر التصوفية والفلسفية التى يتألف منها ، والكشف عن منازعه الروحية التى ينزع إليها .

الأمـــــة

نشأتها ودعائمها الاجتماعية

للدكتور مصطفى الخشاب
المدرس بقسم الاجتماع بكلية الآداب

يقوم علم السياسة كغيره من العلوم على طائفة من المصطلحات التي قد تبدو في الظاهر متقاربة المعنى والمدلول . ولكنها في حقيقة الأمر متمايزة ومتفاوتة وكل لفظ منها يؤدي معنى علميا يختلف كل الاختلاف عن المعانى التي يؤديها لفظ آخر . ولذلك يجب على الباحثين أن يفطنوا إلى ماتتطلبه المصطلحات السياسية من دقة ملحوظة ، وعليهم أن يحددوا على وجه صحيح الاستعمال العلمى لكل منها ، ويدركوا الفروق الجوهرية بين هذه المصطلحات . لأن كثيراً من الصعوبات قد نشأت من الاهمال في تحديد معانى المصطلحات السياسية ، وعدم التمييز بين مايقصد منها عادة في الاستعمال العادى وبين مايقصده العلماء والكتاب السياسيون . ولهذا السبب جاءت الكتابات القديمة في علم السياسة غامضة يكتنفها كثير من الابهام . ولعل عدم توفيق هذه البحوث في حل القضايا والمشاكل السياسية التي عالجتها يرجع بعض أسبابه إلى قصور أصحابها في التمييز بين المصطلحات والألفاظ التي تتطلبها طبيعة البحث وعدم استعمالها استعمالا علميا دقيقا . نذكر على سبيل المثال لفظ أمة ودولة وحكومة وقومية وجنسية ... الخ . ومن ثم يتعين علينا أن نضع هذه الحقيقة موضع الاعتبار ونمرن أنفسنا على التمييز بين المعانى العلمية التي تؤديها المصطلحات السياسية لأن هذا يساعدنا كثيراً في حل المشاكل الصعبة والإشكالات التي تنشأ من تقارب المدلولات ومن الغموض اللغوى .

ولذلك قبل أن نتكلم عن مقومات الأمة والدعائم الأساسية التى تقوم عليها، يجب أن نحدد بالدقة ماهو المقصود بهذا اللفظ، وما الفرق بينه وبين ما يقصد بكلمة « الدولة » أو « الحكومة » وكلها ألفاظ قد تبدو قريبة القصد متشابهة المعنى مع أن هناك فروقا جوهرية بين هذه الحقائق يجب إدراكها .

فيقصد عادة بالدولة مجموع منظم من الناس دائم البقاء يقطن أرضا معينة ، له موارده المالية ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويخضع لسيادة موحدة ، ويسعى وراء غرض عام مشترك . وبهذا المعنى تعتبر الدولة تصوراً قانونيا أو شخصية قانونية سياسية .

ويقصد بالحكومة الهيئة التنفيذية فى الدولة . أى مجموع الأشخاص الذين تتركز فى أيديهم السلطة العليا. فهى الأداة المنفذة لرغبات الدولة وغاياتها . فالحكومة فى ذاتها ليست لها سيادة أو سلطة وإنما تستمد ذلك من صلتها بالدولة وتزاول وظيفتها وسلطتها بتفويض منها لأن الدولة هى صاحبة السلطة العليا وصاحبة السيادة والنفوذ . فالحكومة إذن هى مظهر سيادة الدولة ، وهى الوسط العملى الذى عن طريقه تنشر الدولة سيادتها وتحقق سلطانها على الأفراد الخاضعين لها .

أما « الأمة » فيقصد بها معان مغايرة لما سبق الإشارة إليه . فقد اصطلح كثير من علماء السياسة على اعتبار الأمة (وحدة جنسية) أى أنها جماعة من الناس تربطهم رابطة « الجنس » . وعلى هذا الأساس تعتبر الأمة تصورا إثنولوجيا فى حين أن الدولة تعتبر تصورا قانونيا وسياسيا . ورأى علماء آخرون أن الاشتراك فى الوحدة الجنسية لايصح أن يكون دعامة لقيام أمة ما ؛ لأن الأمة بالمعنى الصحيح يجب أن تتميز ، فوق ماتتميز به من وحدة جنسية ، بوحدتها الجغرافية واللغوية وحضارتها ومقومات آدابها وتقاليدها . هذا فضلا عن وحدة الشعور والعواطف والاتحاد فى الرغبات والاتجاهات العامة .

ولا بأس من أن نعرض بعضا من الآراء التى ذهب إليها علماء السياسة وفلاسفتها بصدد تعريف الأمة وتحديد مقوماتها المميزة .

يقول العلامة « برجس Burgess » « الأمة هى الشعب الذى يشترك في اللغة والحضارة والآداب والتاريخ والتقاليد والعادات ، وتشترك في استقرارها فى قطعة أرض تمتاز بوحدتها الجغرافية »[1] . ويتضح لنا أن صاحب هذا التعريف قد أهمل عنصر (الجنس) في تحديده خصائص الأمة.

ويرى العلامة الفرنسي فودريه (Prad'er Foderé) « أن الأمة عبارة عن مجموعة متحدة من السكان يعيشون في بلد واحد ويتكلمون لغة واحدة وتسرى عليهم قوانين واحدة وتربطهم رابطة الجنس الواحد والأصل المشترك والمميزات الطبيعية والخواص الفيزيقية »[2] وواضح من هذا التعريف أن صاحبه أكد ضرورة (الوحدة الجنسية) فى تحديد خصائص الامة .

وعرفها العلامة أمارى (Carnazza Amari) بأنها « مجموعة من العائلات انضوت تحت حكومة حرة موحدة ، وأقامت مساكنها على قطعة أرض محددة ، وتسعى إلي العمل على احترام شخصيتها من الناحية الخارجية »[3] ولعلنا نجد فى ثنايا هذا التعريف اتجاها آخر فى تحديد مقومات الأمة . إذ اشترط صاحب التعريف مبدأ السيادة والشخصية القانونية . وهذا الوضع يجعلنا نخلط بين المقصود (بالأمة) وبين ما يفهم عادة من لفظ (دولة) .

ولعل (أمارى) قد فطن إلى هذا الخلط وعدم التحديد . فعدل تعريفه لتميز بين الحقيقتين بقوله : « الدولة فى نظرى اجتماع قائم على القوة والقهر والاستبداد ؛ أما الأمة فهى الدولة المؤسسة على الطبيعة والفطرة وليست بطريقة صناعية — أى أنها اجتماع من عدة عائلات تربطهم مصالح مشتركة بحيث يؤلفون عائلة واحدة قوية » .

وأرى أنه بهذا التعديل أو بعبارة أخرى بهذا الترقيع قد أساء إلى فهم الحقيقتين معاً . فلم يكن موفقاً لا فى تعريف الدولة ؛ ولا فى إدراك الفروق الجوهرية التى تميزها عن الأمة .

---

(1) Burgess = Political science and Constitutional Law Vol. I.

(2) Foderé = Principes généraux de Droit Politique et de Législations.

(3) Gilchrist = Principles of Political Science.

ومن أشهر العلماء السياسيين الذين خاضوا فى هذا الموضوع العلامة الألمانى بلنشلى (Bluntchli) فقد عرف الأمة بأنها « مجموع من الأناسى يعيشون فى مجتمع وراثى ، ويرجعون إلى أصل واحد وجنس مشترك ، ويتحدون فى اللغة والعادات والحضارة . واتحادهم فى هذه الأمور يضفى عليهم شعوراً جمعيا بالوحدة ويميزهم عن غيرهم من الأجانب والغرباء »[1] .

ويبدو أن العلامه (بلنشلى) قد لمس فى تعريفه كثيراً من جوانب الحقيقة وضغط على أمور هامة لابد من توافرها لقيام الأمة . مثل الوحدة الإثنلوجية والوحدة اللغوية ووحدة الثقافة والتفكير . وهو من المتعصبين لفكرة (الجنس) لأن وحدة الأمة فى نظره إنما ترجع إلى وحدتها الإثنولوجية . وهو يميز بين الأمة (كوحدة جمعية ترجع إلى أصل مشترك) وبين الشعب (Volk) وهو قوة سياسية . فيعنى بالشعب جميع أفراد الدولة المتحدين والخاضعين لنظمها وقوانينها . فالتمييز بين الأمة والدولة إنما يقوم فى وجود الوحدة السياسية فى الدولة ، بينما لا تلزم هذه الوحدة فى الأمة . فليس من الضرورى أن تتحقق مثل هذه الوحدة لتستكمل الأمة مقوماتها .

هذه أمثلة من التعاريف التى وضعها أشهر علماء السياسة فى تعريف الأمة وتحديد دعائمها الجوهرية .

ويبدو لى أن هذه التعاريف ، على ما فيها من طفرة فى التعميم ، قد وضعت وضعاً بدون أن يمهد لها أصحابها بدراسة منهجية تحليلية لمقومات الأمة والأسس الجوهرية التى يجب توافرها فى الأمة بالمعنى السياسى والاجتماعى الصحيح . ولم يعتمد أصحابها فى الوصول إلى نتائجهم على أمثلة مادية . ولذلك جاءت هذه التعاريف خاطئة فى بعض نواحيها ، وغير دقيقة فى بعضها الآخر . وهى فى معظمها لا تتفق مع ما يمدنا به التاريخ من حقائق .

***

---

(١) Bluntchli—Allegemeine Staatsbedre
Garner—Introduction to Political science.

لقد بدا لكثير من هؤلاء الباحثين أن الدعائم الجوهرية التى تقوم عليها الأمة واضحة إلى حد ما . ولكن تبين بالدراسة والتحليل وتطبيق النظريات على الأمم الموجودة أن المسألة ليست سهلة ، وأنها تتطلب دراسة تاريخية علمية لحقائق الموضوع .(١)

وبالرجوع إلى التاريخ نجد أن أشكال المجتمعات الانسانية كثيرة ومتغايرة . فقديما عاشت شعوب فى الصين وفى مصر وفى بابل . وانتظمت البلاد العربية والعبرية قبائل متعددة . وقامت فى العصور القديمة مدن مثل اسبرطة وأثينا ، وظهرت إمبراطوريات واسعة مثل إمبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية . ونشاهد فى هذا التاريخ الحديث قيام أمم متميزة مثل الأمة الانجليزية والفرنسية ، وقيام دول تعاهدية مثل سويسرا والولايات المتحدة الأميركية . هذه أمثلة من المجتمعات التي عاشت ولا تزال تعيش ، ونحن لا نستطيع أن نميز بين خصائص كل منها إلا بصعوبة بالغة . فهل يمكننا أن نطلق على هذه المركبات الجمعية اسم « أمة » .

هذا ، إلى أن بعض المفكرين المحدثين قد ارتكبوا خطأ كبيرا فى كتاباتهم وذلك بأن خلطوا بين الجنس والأمة وراحوا ينسبون الى الجماعات المتشابهة إتنولوجيا ولغويا خصائص الأمة . فالى أى حد يمكننا الحكم على صحة هذه الأمور ؟

يذهب بعض العلماء الى اعتبار أن الدعامة التى تقوم عليها الأمة هى وجود أسرة حاكمة قهرت جيرانها وانتصرت عليهم منذ القدم ، وفرضت عليهم الخضوع والطاعة والالتئام معها فى وحدة . وهذا الاتحاد الذى كان الدافع اليه الغلبة والقهر ، يصبح فيما بعد مصدرا لاتحاد مصالح الأفراد المكونين له ، وتبادل آرائهم وامتزاج رغباتهم . ويطبق أصحاب هذا الرأى نظريتهم على بعض الأمم الحديثة التى ترجع فى أصل تكوينها إلى وجود عائلة أصيلة تمتعت منذ القدم بمزايا الاقطاع وتصاهرت وتناسلت فى وسط معين نشأت فيه ثم تفرعت وفرضت عليه سيادتها . وعن هذا الطريق تكونت « الأمة » .

(١) Harold Laski—A Grammar of Politics. Chap Six, p 219 sqq.

ولكن هل كان هذا المبدأ دعامة أساسية فى نشأة كل أمة ؟

لا تؤيد حقائق التاريخ هذه النظرية ولا تنهض دليلا على صحتها . فسويسرا والولايات المتحدة مثلا قد تكونتا من تكتل القبائل والجماعات تباعا وبصفة دائمة على ممر العصور بدون وجود سلالة حاكمة أو أصل ملكى مما يجعلنا نتردد فى التسليم بأن نشأة الأمة تتوقف على وجود عائلة ملكية أو أسرة حاكمة . ومما يدلنا على أن المبدأ الذى تقرره هذه النظرية ليس له من أثر يذكر فى مقومات الأمة ، أن الأمم التى قد يبدو أنها قامت على أساسه يمكنها أن تخرج عليه بدون أن تفقد كيانها وحيويتها ، وبدون أن يؤثر انقلابها هذا على خصائصها ومميزاتها . وفى ذلك أبلغ دلالة على فساد هذه النظرية وعدم صحتها .

والظاهر أن أنصار هذه النظرية قد خلطوا بين الدولة والأمة . لأن المبدأ الذى يقولون به يعتبر فى كثير من الظروف أساسا طبيعيا لقيام بعض الدول القديمة . ويبدو أيضاً أن فكرة الأمة بمعناها العلمى لم تتضح فى أذهانهم ، ولم يفهموها على وجه صحيح بدليل أنهم اعتبروا الدول القديمة أمما تامة التكوين مثل قدامى الهنود والحيثيين والكلدانيين مع أن هذه الشعوب وما إليها لا يصدق عليها لفظ أمه بالمعنى السياسى المفهوم حديثا . لأن فكرة الأمة والقومية كانت بعيدة عن تصور هذه الشعوب ولم ترق أحوالهم الاجتماعية وشعورهم الجمعى إلى درجة القوميات الحديثة . فكانت هذه الشعوب القديمة وما إليها عبارة عن جمهوريات وممالك أو اتحادات من مدن محلية يتزعمها ملوك أو أمراء يظن فيهم أنهم من سلالة الآلهة أو من أبناء الشمس والسماء . ومما يدل فوق ذلك على أن أصحاب النظرية المشار إليها لم يفهموا المعنى العلمى لكلمة « الأمة » أنهم أطلقوها على المدن القديمة مثل أثينا واسبرطه وصور وصيدا وغيرها من المدن التى ازدهرت فى العصور القديمة . ولا شك أنهم فى ذلك مخطئون لأن هذه المدن كانت فى حقيقة الأمر عبارة عن مراكز حية للحماسة الوطنية ولا تزيد عن كونها

وحدات سياسية وقوميات صغيرة منعزلة لم تكتمل فيها الخصائص والمقومات التى تجعل منها أمماً بالمعنى الصحيح .

من هذه الأمور يتضح لنا فساد النظرية التى نحن بصدد مناقشتها فلا يصح الاعتماد عليها فى تفسير نشأة الأمة وليس للمبدأ الذى تقول به من أثر يذكر فى تحديد الدعائم التى ترتكز عليها الأمم فى قيامها .

* * *

وذهب كثير من العلماء فى تفسير أصل الأمة إلى « وحدة الجنس » . وقد اعتمد هؤلاء فى تبرير مذهبهم على الاشتقاق اللغوى لكلمة (أمة) إذ يعبر عنها فى اللغات الحديثة بكلمة (nation) وهذه الكلمة مشتقه من الأصل اللاتينى (natus) ومعناه الولادة والانحدار من جنس واحد وأصل مشترك [1] وعلى هذا الأساس اعتبر أصحاب هذه النظرية الأمة (تصوراً إثنولوجيا) وميزوا بينها وبين الدولة التى اعتبروها (تصورا سياسيا وشخصية قانونية) .

ويرى هؤلاء أن التقسيمات الصناعية التى كانت نتيجة عهد الاقطاع أو تزاوج الأمراء أو مؤتمرات السياسيين ، تقسيمات لاتدوم ومآلها الزوال والانقراض لأنها لا تقوم على أساس سليم . أما التقسيم الصحيح فى نظرهم فهو التقسيم الذى يقوم على أساس الأجناس ؛ لأن هذا المبدأ يعتبر الدعامة الجوهرية فى تكوين الأمم وهو الذى يعطى للأفراد المنتمين إلى جنس واحد حقاً مشروعاً فى تكوين أمة مستقلة عن غيرها لها صفاتها وخصائصها المميزة . ومعظم أنصار هذه النظرية من العلماء الألمان (وأشهرهم ممسن Momsen) الذين يرون أن الأسرة الألمانية لها الحق الشرعى فى أن تسترد كل أعضائها وجميع أفرادها من الأصل الجرمانى المشتت ، حتى ولو كانت هذه الأعضاء لا ترغب رغبة أكيدة فى الانضمام إليها . لأن حق الجنسية الألمانية يجب أن يكون أقوى وأعنف ، فى أى ولاية من الولايات

(1) R.N. Gilchrist—Principles of Political science p. 55.

التى يرجع سكانها إلى الأصل الجرمانى ، من أى رغبة أو تيارات أخرى تسود هذه الولايات — أى أن أنصار هذه النظرية خلقوا لنا بصدد نشأة الأمة نوعا من الحق الأولى الضرورى (à priori) مماثلا تماما لحق الملوك المستمد من الحق الإلهى ؛ بمعنى أنهم جعلوا من مبدأ الإتنولوجيا ووحدة الجنس دعامة جوهرية يقوم عليها أصل الأمة .

وليس من شك فى أن الوحدة الجنسية هى إحدى القواعد الكلية العامة التى تقوم عليها الأمة ، وهى خاصة مميزة لمعظم الأمم التى ظهرت فى التاريخ . بل إن مجرد الاعتقاد فى الأصل المشترك ، سواء كان هذا الاعتقاد حقيقيا أو صوريا ، قد يكون كافيا فى تقوية روابط القومية .

غير أن هذه النظرية كانت هدفا لانتقادات كثيرة واعتراضات جوهرية تجعلنا نتردد فى التسليم بصحتها ، وتدلنا على أن التعصب الشديد الذى بدا من جانب العلماء الألمان فى الدفاع عنها لا يقوم على أساس مكين(١) .

من ذلك أن ليس ثمة جنس خالص نقى . لأننا نلاحظ بالدراسة والتجربة أن الأجناس فى الأمم الحديثة مختلطة لدرجة يصعب معها تحديد العناصر الإتنلوجية فى المجتمع الواحد . ومما يزيد الأمر تعقيداً أن (علم الأجناس) لم ينجح حتى العصر الحديث في وضع نظرية دقيقة لتميز الأجناس المختلفة ، ولم يتفق علماء الإتنلوجيا والإنتجرافيا على نظرية واحدة مسلم بها فيما يتعلق بالتوزيع الإتنلوجى ، وخصائص ومميزات كل جنس من الأجناس . ولا نجد بينهم اتفاقا على الأصول الإتنلوجية وفروعها ، ومهد كل منها ، والظروف الجغرافية والتاريخية التى خضعت لها . إن الآراء بين الخبراء وعلماء الإتنلوجيا بصدد هذه الأمور ، لا تزال حتي عهدنا هذا مضطربة وغير مستقرة .

فالأمة لا يمكن اعتبارها سلالة عائلية خالصة ونقية من عناصر الاختلاط . حقا إن أصول القبائل والعشائر قد تنسب أو تُعزى — في غالب الأمر — إلى جد واحد أو أصل مشترك ، ولكن الشعور بالقومية الذى يضفى عليها

(١) Renan, Dis Cours et Conférences. Chap.(qu'est ce qu'une nation ?)

صفة الأمة لا يمكن أن يقوم بدون اختلاط الدم . فان التصاهر والتناسل واختلاط الأرحام والأنساب لا بد أن يسبق ظهور القوميات . قد تعتبر (وحدة الجنس) رابطة قوية فى نشأة الأمة ، ولكن ليس عن طريق النسبة الإتنلوجية ، بل لأن هذه الوحدة تتضمن ارتباطات أبعد من ذلك مدى مثل وحدة اللغة ووحدة البيئة والثقافة والتقاليد المشتركة .

ولا أدل على فساد هذه النظرية أن أعظم الأمم الحديثة رقيا وحضارة ، وأقواها شعورا بالوحدة وبالقومية ، هى الأمم التى اختلطت فيها الأجناس والأصول والأنساب . فمثلا ترجع الأمة الفرنسية فى تكوينها الإتنلوجى إلى أصول كلتية وجرمانية وإيبيريه (Ibérique)، ونجد أن الأمة الايطالية ، بعد تمام وحدتها الحديثة ، معقدة من الناحية الاتنلوجية . فقد امتزجت فيها مجموعة متشابكة من أجناس مختلفة : امتزج فيها الدم (الغالى والاتروسكى والبلاسيك واليونانى) وغير ذلك من الأجناس التى التقت فى ظروف وملابسات غامضة ، وانصهرت جميعاً وكونت مزيجاً لا يمكن فصل عناصره أو تمييزها . والأمة البريطانية ترجع فى نشأتها إلى عناصر جنسية متعددة أهمها العنصر الجرمانى والعنصر الكلتى . وقد امتزجت فيها هذه العناصر بنسب لا يمكن تحديدها أو تمييزها . ولعل أبلغ حالة لاختلاط الاجناس وتفاعل العناصر الإتنلوجية المختلفة ما حدث فى الولايات المتحدة الامريكية . فان هذه الولايات على ما فيها من اختلاف وتباين من الوجهة الجنسية والأصول المشتركة ، قد أصبحت فى العصور الحديثة ممتزة من الناحية القومية .

هذه أمثلة من الأمم التى اختلطت فيها الأجناس والأصول مع أنها من أقوى القوميات الحديثة وأشدها اتحاداً . فلا وجه إذن لإصرار العلماء الألمان على الدفاع عن النظرية التى نحن بصدد مناقشتها بعد أن تبين أنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية ولا يمكن تطبيقها على الأمم الحديثة ، ولا يمكن بصفة خاصة تطبيقها على المانيا نفسها . لقد لمسنا من الأمثلة المتقدمة مبلغ الاختلاط والتفاعل الذى أصاب العناصر الإتنلوجية ، فهل سلمت المانيا

من هذا الاختلاط ؟ وهل هى الأمة الوحيدة التى شذت عن ذلك ؟ وهل ترجع جميع عناصرها إلى أصل جرمانى خالص كما يدعى أنصار هذه النظرية ؟ لاشك أن هذا وهم وتعصب من جانب أصحاب هذه النظرية لأن الجزء الجنوبى من ألمانيا يغلب فيه الجنس الغالى ، ويرجع معظم الجزء الشرقى إلى الأصل السلافى . على أن الأجزاء الأخرى التى يظن أنها من أصل جرمانى خالص لم تكن كذلك فى الحقيقة لأنها خضعت فى كثير من أطوارها التاريخية إلى دوافع الاختلاط وعوامل التفاعل[1] .

ومما يزيد فى فساد هذه النظرية أن بعض الشعوب التى تتفق من الناحية الإتنلوجية قد تكون متمايزة من الناحية القومية وتكون أمماً مستقلة . فالانجليز والسكوت مثلا متشابهان إتنلوجيا ولكنهما متمايزان من الناحية القومية . والدانيمارك والشعوب الإسكندناوية من جنس واحد ولكنها تكون مجموعة متميزة من الأمم لكل منها قوميتها ووحدتها وعناصرها الخاصة .

وكما أخطأت هذه النظرية فى تصوير ما قد كان وما هو كائن ، فقد أخطأت كذلك فى تقرير مايجب أن يكون : فان ماتقرره فى هذا الصدد يتعذر تحقيقه . فهناك استحالة مادية تمنع من إعادة توزيع الأمم على هذا الأساس ، أو على الأقل تشجيع مثل هذا الاتجاه على الانتشار لأن إجراء من هذا القبيل يفقد العالم حضارته ، ويسبب اضطراباً خطيراً فى الأمم القائمة ، وانقساماً لامثيل له فى تاريخ العالم . إنه من الصواب أن يقال إن فكرة الجنس كانت لها أهميتها فى قيام القبائل والأمم القديمة ؛ لأن القبيلة أو المدينة لم تكن سوى امتداد للأسرة أو البطن فى أبسط صورها . وهذا مالوحظ بوضوح فى مدن مثل (اسبرطه وأثينا) فقد كان معظم المواطنين ذوى قربى إلى حد ما . ولوحظ هذا أيضاً عند قدامى العبريين والعرب . ولكن العالم سرعان ماانتقل من نظام المدن البسيطة إلى نظام الامبراطوريات الواسعة التى تكونت أولا بالغلبة والقهر ثم استقرت على أساس المصالح المشتركة :

---

(1) John Stewart Mill. Representative government chap. (of Nationality)

ولا شك أن تجانس المصالح والرغبة فى التعاون بين مختلف القبائل والمدن والولايات التى تختلف اختلافاً كبيراً من ناحية الجنس ، هذا الاتحاد والشعور المتبادل قد خفف كثيراً من فكرة (التعصب الجنسى) وأزال كثيراً من الموانع والعقبات التى كانت تثيرها فكرة (وحدة الجنس) [1] .

وقد كان لانتشار المسيحية فضل كبير فى القضاء على فكرة التعصب الجنسى . إذ كان فى تعاليمها وخصائصها العامة وفى اعتناق مختلف الأجناس لمبادئها ما جعل الافراد يستخفون إلى حد ما بقيمة وحدة الأصل المشترك أو المبادىء الإتنلوجية التى يزعمون أنهم انحدروا منها : وما يقال عن المسيحية يقال أيضاً عن الديانة الاسلامية . فقد كان من نتيجة هذه الحركات التاريخية الهامة أن اختفى ، منذ قرون ، من أذهان كثير من الأمم العامل الانتجرافى ولم تعد له قيمة يعتد بها فى بحث مسائل الانسانية .

ومن الحركات التاريخية الهامة التى ساعدت على إضعاف روح التعصب للأصل الواحد أو الجنس المشترك ما استهدفت له أوربا بصفة خاصة من هجوم البرابرة . فان هذا الهجوم كان من العوامل الهامة التى ساعدت على القضاء على فكرة الجنس لأن الغزاة استطاعوا أن يندمجوا ويتصاهروا ويتجانسوا مع السكان الأصليين . وقد تولد عن ذلك جيل جديد مع أن أجناس الشعوب التى أخضعوها لسلطانهم كانت مغايرة لأجناسهم إلى حد كبير . وجاء بعد ذلك شرمان فكوّن امبراطورية واسعة الأرجاء كما فعل الرومان ؛ وامتازت امبراطوريته بالوحدة ، وكان يسودها الشعور بالقومية مع أنها مكونة من أجناس مختلفة . وعندما أخذت هذه الامبراطورية فى الاضمحلال وفكر الساسة فى تقسيمها نجد أن هؤلاء الذين اشتركوا فى معاهدة (فردون) لتقسيمها ، لم يعملوا حسابا لتلك الأجناس التى تقوم على شق خط التقسيم أو حوله . هذا إلى أن الحركات السياسية التى قامت حول تعديل الحدود فى القرون الوسطى كانت بعيدة عن الميول والرغبات الإتنلوجية .

---

(1) Renan. Dis Cours et Conférences. Chap. (qu'est ce qu'une nation ?).

وهذا ما لوحظ أيضاً فى تخطيط أوربا الحديثة وتعديل حدود الدول. كل هذه الأمور تدلنا بوضوح على أن الاعتبارات الإنتلوجية لم تكن لها بصدد قيام الأمم ونشأتها تلك الأهمية التي بالغ في تقديرها أصحاب (نظرية وحدة الجنس) وخاصة العلماء الألمان منهم. إن التعصب لهذه الاعتبارات آخذ فى الضعف، وفكرة الأصل الواحد والجنس المشترك فى طريقها إلى الزوال، وقد فقدت أهميتها الآن.

والحق أن (الجنس) ليس هو كل شيء فى الأمة. وإذا كانت دراسة الأجناس تعتبر الآن من أهم الدراسات لهؤلاء الذين يشتغلون بالتاريخ العام للإنسانية، وبتاريخ الحضارات وتوزيع الأجناس، ولكن ليس هناك أى علاقة بين هذه الدراسات وبين تطبيق نتائجها فى ميدان السياسة. إذ يجب أن نفرق بين حقائق علمى الأنتروبولوجيا والإنتلوجيا وبين تطبيقاتهما السياسية. لأنه بجانب الخصائص الجنسية يوجد العقل والشعور والآمال والآلام والمصالح المشتركة والاتجاهات المتجانسة؛ ولا شك أن الاتحاد فى هذه الأمور وما إليها يضفى على أفراد المجتمع الواحد شعوراً بالوحدة أقوى بكثير من (وحدة الأصل).

* * *

ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار (الوحدة الجغرافية) هى أهم دعامة تقوم عليها الأمة. فما نسميه بالحدود الطبيعية له جانب كبير من الأهمية فى تقسيم الأمم. ويرى أصحاب هذه النظرية أن العامل الجغرافى لعب دوراً خطيراً فى تاريخ الأجناس وقيام الأمم الموحدة. فالأنهار مثلا ساعدت الأجناس المختلفة على الانتشار والذيوع والاختلاط، وأتاحت نشأة الأمم والقوميات الموحدة؛ بينما وقفت الجبال والمرتفعات فى سبيلها حجر عثرة وأقامت بينها الحواجز والموانع. وفصلت الحواجز الجغرافية الطبيعية بعض أجزاء المعمورة عن بعضها الآخر، ودفعت كل جزء إلى الاستقلال عن غيره فى قوامه وقوميته [1].

---

(1) Barker, National character.

فالاستقرار الدائم فى منطقة جغرافية مميزة محدودة يعتبر أول عنصر من عناصر تكوين الأمة. وهو الباعث على نموها واتساع نطاقها. أما القبائل الرحل فلا ينتظر منها أن تكون أمة ما دامت فى حالة ظعن. ولكن إذا أتيحت لها فرص الاستقرار مدة طويلة فان ذلك قد يؤدى إلى شعورها بالقومية ولا تلبث أن تكون أمة لها مميزاتها الخاصة وطابعها الذاتى. وإذا حدث لسبب ما أو لعوامل طارئة أن تستعيد ظعنها وترحالها فمن المحتمل جداً أن تحتفظ بوطنيتها وبشعورها القومى وقد تعمل جاهدة إلى استعادة وطنها القومى.

ويقول أصحاب هذه النظرية أننا إذا نظرنا إلى أمم العالم نرى أن معظمها يحتفظ بحدود إقليمية معينة هى التى أكسبتها صفاتها الخاصة وعناصرها المميزة. ولا أدل على ذلك من أن الاسم الذى يطلق على الوحدة الجغرافية قد يطلق على الأمة التى تستوطنه. وقد يطلق أيضا اسم الأمة على الجزء الإقليمى الذى استقرت فيه. فمثلا نقول مصر للمصريين، وفرنسا للفرنسيين، ودانيمارك للدانيماركيين، واسكتلند للاسكتلنديين. ولذلك يذهب أنصار هذه النظرية إلى أن حدود الأمم مكتوبة ومرسومة على الخرائط، وأن أى أمة لها الحق فى أن تتخذ ما هو ضرورى لكى تصل إلى مرتفع ما أو نهر تعتقد أنه يحدها منذ نشأتها. وبهذه النظرية برروا كل حركات العنف التى قامت في أوربا حول مشاكل الحدود والوحدات الجغرافية.

ولكن حقائق السياسة التى بين أيدينا لا تنهض دليلا على صحة هذا الاتجاه فى تفسير الدعامة التى تقوم عليها الأمم. لأننا نشاهد أمما كثيرة وقوميات ناضجة سياسيا مبعثرة فى طول العالم وعرضه، ومنتشرة بين ربوع الدول وتكون فى كل منها مراكز سياسية حية محتفظة بقوميتها الأصيلة. فظواهر الهجرة والنزوح والتخاخل الاجتماعى لا تؤثر فى القومية ولا تهدم أمما أصيلة. فالرجل الانجليزى أو الأيرلندى هو إنجليزى أو أيرلندى فى أي جزء من أجزاء العالم. وهذا ما يقال عن السلوفاك والتشيك والبولنديين.

فقد عرف عن البولنديين أنهم يستطيعون الاحتفاظ بقوميتهم أمداً طويلا فى الأوساط الغربية التى يعيشون فيها . هذا إلى أن أمماً كثيرة قد قامت فى التاريخ القديم والحديث بدون أن يستند قيامها إلى فواصل جغرافية طبيعية، وأن المنطقة الجغرافية الواحدة قد تسكنها أمتان أو أمم كثيرة . وهذا يدل على أن العامل الجغرافى أو الوحدة الطبيعية ليست عاملا جوهريا فى قيام الأمة . قد تكون هذه الوحدة عاملا مساعداً فى المحافظة على الشعور بالوحدة فى داخل الامة الواحدة ؛ ولكن هذا العامل لا يكفى لأن يكون دعامة لقيام أمة ما لم تتضافر معه عوامل أخرى .

* * *

ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار «الوحدة اللغوية» هى الدعامة الجوهرية فى قيام الأمة . ويرون أنه من الضرورى لقيام الأمة أن يشترك أفرادها فى « اللغة » لأنها وسيلة التعبير والتخاطب ؛ وعن طريقها يتفاهمون فيما يجب عمله ؛ وبدونها يتعذرعليهم جميعا الاتفاق على غاية مشتركة . ويقرر أصحاب هذه النظرية أن « وحدة اللغة » من شأنها أن تخلق جواً من التفاهم وتبادل الآراء ؛ وتسهل إلى حد كبير ظروف المخالطة والمعاشرة والاجتماع . ومن ثم تنشأ ثقافة مشتركة وآداب مشتركة وحضارة مشتركة وتاريخ مشترك وهذه الأمور فى نظرهم من أهم مقومات الأمة .

ومن أشهرالمؤيدين لهذه النظرية العلامة « جملبوفتش » « Gumplowicz » الذى يذهب إلى أن الاشتراك فى اللغة هو أساس الوحدة القومية ومبدأ جوهرى فى قيام الأمة . لأن تجانس وسائل التخاطب والتعبير وتشابه الأفكار والاشتراك فى مقاومات حضارة واحدة يعتبر ثمرة ماض مشترك أكثر منه نتيجة للاشتراك فى أصل واحد (١) . ويقرر هذا العالم أن الأصول الإتنلوجية للأمم الحديثة مختلفة ومتشعبة ولا يمكن تحديدها . ومن ثمة ، فالوحدة الجنسية لاتصلح أن تكون أساساً أو مقياسا صحيحا منزها عن الخطأ فى الكشف عن طبيعة تكوين الأمة ، ومعرفة عناصرها الأساسية . ويضرب

(١) Garner. Introduction to political Science. chap. (Elements of nationality).

فى هذا الصدد أمثلة متعددة بالأمم الألمانية والايطالية والأسبانية والفرنسية التى نشأت من خليط غير متجانس من الأصول الإثنلوجية. ولكنها أصبحت أمما مميزة ومستقلة بطابعها وشخصياتها وذلك بفضل الاشتراك فى اللغة ومقومات الحضارة بصفة عامة التى يرجع الفضل فيها أيضا إلى الاشتراك فى طرق التفاهم والتخاطب وطرق التفكير ووسائل العمل.

ومن أنصار هذا الرأى أيضا الفيلسوف الألمانى (فختة Fichté) وهو من أبرز رسل القومية الألمانية. فقد أعلن فى كثير من كتاباته أن الوطنية شيء روحى ومظهر من مظاهر الوحدة العقلية. وأهم عامل يترجم عن هذه الوحدة هو (اللغة). لأنها فى الواقع تترجم وتعبر عن مجموعة التجارب العامة التى خضع لها الأفراد منذ تجمعهم، وتترجم عن المصالح المتبادلة بينهم، والمثل العليا التى يسعون إليها. فهى دعامة الوعى القومى وبدونها لا يستقيم للأفراد فكر أو منطق ويتعذر عليهم الاتفاق على قدر مشترك من الأفكار والمبادىء الضرورية لوجودهم مجتمعين [1].

ويستدل أنصار هذا الاتجاه على صحة ما يذهبون إليه بأن كثيرا من الحركات القومية التى قامت حديثا فى أوربا كان الدافع إليها « اللغات القومية » فقد كانت هذه الحركات ترمى إلى ضرورة استقلال بعض القوميات مادامت تشترك فى اللغة وآدابها وذلك مثل ماحدث فى بولندا وبوهيميا. فاللغة البولندية لعبت دورا هاما فى استكمال الأمة البولندية خصائصها واستقلالها الذاتى؛ واللغة التشكية هى أهم مايتميز به الشعب التشيكى.

وقد أخذ ساسة الألمان بوجهة النظر هذه. فعمدوا إلى إلغاء اللغات القومية التى كانت منتشرة فى بعض الأقليات والتى كانت سائدة فى بعض المقاطعات الداخلة فى حدودها، وذلك للقضاء على مختلف النزعات الانفصالية. وفى ضوء ماتوحى به هذه النظرية نستطيع أن نفسر ماتبذله حكومات

---

(١) Gilchrist; Principles of Political science. p. 30.

الهند الحاضرة من جهود فى سبيل توحيد اللغات الهندية والعمل على تقوية اللهجات الهندية المختلفة وتقريبها بقدر الامكان بعضها من بعض .

ولكن الحقائق التاريخية التى نشاهدها لاتنهض دليلا على صحة هذه النظرية ، ولاتجعلنا نسلم بأن (اللغة) هى الدعامة الجوهرية لنشأة القوميات. حقا إن اللغة تساعد على الاتحاد ولكنها لاتلزم ذلك ولاتفرضه. فنلاحظ مثلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا يتكلمان اللغة الانجليزية ، ومع ذلك فهما مستقلتان قوميا ، وتؤلف كل منها أمة لهـا خصائصها ومميزاتها . وأمريكا اللاتينية وأسبانيا يتكلمان لغة واحدة ؛ والأمة الأسبانية مستقلة قوميا ومتميزة تمـاما عن شعوب أمريكا اللاتينية. وبالعكس من ذلك نجد أن سويسرا التى تتداول بين سكانها ثلاث لغات أو أكثر تكون وحدة قومية مستقلة . ومع أننا نلاحظ أن كل جزء من أجزائها يستقل بلغة معينة ، إلا أن هذا الاختلاف اللغوى لم يكن له من أثر يذكر على وحدتها القومية وعلى خواصها كأمة مستقلة . وهذا يدلنا على أنه يوجد فى الانسان شىء أسمى من اللغة ألا وهو الارادة والرغبة فى الاتحاد [1] .

ولعل الأهمية السياسية التى خلعها العلمـاء على « اللغة » إنمـا جاءت من أنهم ينظرون إليها على أنها من خصائص الجنس ومميزاته . بمعنى أنهم يذهبون إلى أن الوحدة الإتنلوجية تستدعى الوحدة اللغوية . لأن لكل جنس فى نظرهم لغة يتميز بها ؛ ولكن هذا الرأى خاطىء من أساسه ولا تبرره الحقائق المـادية الملحوظة . فمقاطعة بروسيا مثلا التي لايتكلم أهلها إلا اللغة الألمـانية تعتبر من أصل سلافى ؛ والأسبانيون الذين ينحدرون من جنس غالى لايزالون يتكلمون اللغة الألبية البدائية؛ والمصريون يتكلمون اللغة العربية. ولوحظ قديماً فى القبائل الآرية والسامية أن العبيد والأرقاء يتكلمون لغات أسيادهم مع أن هؤلاء الأرقاء كانوا يختارون عادة من أجناس مغايرة لأجناس أسيادهم . وهذا يدلنا على أن تجانس اللغة لايعد دليلا على وحدة الأصل أو على الاتحاد الإتنلوجى — والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة ولا تحصى .

(١) Redslob. Das Problem des Völkerrecht p. 245. sqq.

ومما يزيد فى خطأ هذه النظرية ، أن تقسيم اللغات إلى لغات هندية — أوروبية وسامية قائم على أساس الفيلولوجيا المقارنة ولا يتفق مطلقا مع تقسيم علماء الإتنولوجيا للأجناس . إن اللغة عبارة عن تكوين تاريخى لا تدل فى شىء على دم هؤلاء الذين يتكلمون بها ، وهى من جهة أخرى ، لاتقيدهم بأى إلزام عندما يرغبون فى تحديد الأسرة الإتنلوجية التى يريدون الاتحاد معها وربط مصالحهم الحيوية بها . وفوق كل هذا يجب علينا ألا نهمل المبدأ الانسانى الأسمى وهو أن الانسان كائن مفكر وعاقل وله شخصية أخلاقية قبل أن يكون أسيراً للغة ما أو يعتقد أنه منحدر من جنس معين أو تابع لثقافة أو حضارة بالذات .

* * *

ويذهب كثير من المفكرين إلى اعتبار الوحدة الدينية من أهم الدعائم التى تقوم عليها الأمم . لأن هذه الوحدة من شأنها أن تخلق فى قلوب أعضائها عقيدة حية تدفعهم إلى الاجتماع ليتذاكروها فيما بينهم . وهذه الضرورة للاجتماع من شأنها أن تقوى فيهم وحدة التآلف والتآزر والاتحاد فى الآمال والآلام . ومن ثم يتميز أصحاب هذه الوحدة تميزاً ذاتيا ، ويكونون وحدة اجتماعية مستقلة .

ومن الأمثلة البارزة التى لعب فيها الدين دوراً خطيراً « تحقيق الوطن القومى لليهود » ، فان الوحدة الدينية لبنى إسرائيل وتمسكهم بتعاليم الدين ونصوصه هو الذى قوّى فيهم الأمل نحو تحقيق وطن قومى لهم .

ويرى أنصار هذه النظرية أن الوحدة القومية لايمكن أن تقوم وتتأكد بين أفرادها إذا كان هناك خلاف جوهرى فى العقائد . فقد كان السائد قديما أن دين الأمة هو الدين الذى يعتنقه جميع أفرادها بلا استثناء . وكل من يخرج عن تعاليم الدين أو يرفض الإيمان به ، يعتبر خارجا عن الأمة ؛ ومن ثم ، يفقد قوميته ويحل دمه . فديانة أثينا مثلا ، فى كثير من عصورها القديمة ، هى الطقوس والعبادات التى يجب على كل أثينى أن يزاولها ويؤمن بها . والفرد لايعتبر أثينيا إذا رفض مزاولتها ؛ فى هذا الرفض إعلان لجمهور

المواطنين بأنه لم يعد أثينيا . وما يقال عن أثينا يقال عن اسبرطه وعن غيرها من القوميات الصغيرة التي انتظمت مدنا احتفظت كل منها بتقاليدها وعاداتها ونظمها الدينية .

ومما يدل على شدة تأثير الدين وقوة فاعليته فى السياسة أن كثيراً من الحروب التى قامت قديما كانت حروبا دينية . فالبروتستانتية دفعت إنجلترا إلى غزو أسبانيا فى زمن الأرمادا . واستطاعت الكنيسة فى العصر الوسيط أن تسيطر على الملوك والأباطرة وتفرض عليهم القيام بحروب لتوطيد سلطانها ونشر تعاليمها، لدرجة أن أصبحت حروب الدولة هى حروب الكنيسة، وحروب الكنيسة هى جروب الدولة . ولعل أبرز مثل لذلك هو الحروب الصليبية التى استهدف لها الشرق فى القرون الوسطى . وفى العصور الحديثة نجد أن الحركات القومية التى قامت بين الصرب والكروات كانت قائمة على أساس دينى ؛ لأن الصرب كانوا أرثوذكساً وكان الكروات كاثوليكا رومانا . ومع أنهما كانا مشتركين فى اللغة وفى التقاليد ويتمتعان بثقافة واحدة إلا أن الخلاف فى المذاهب الدينية أدى إلى شقاق قومى بينهما . وهذا ما لوحظ أيضاً بين الأتراك والمجريين فإنهما من جنس واحد تقريبا وبينهما قرابة لغوية ؛ ولكن انقسامهما إلى مسلمين ومسيحيين قضى على آمالهم فى الوحدة القومية .

وقد أيد هذه النظرية كثير من الفلاسفة المحدثين وعلى الأخص « أوجيست كونت » الذى نادى بوجوب قيام وحدة دينية فى العالم بأسره . لأن مثل هذه الوحدة تقف سدا منيعا فى وجه القوميات الراغبة فى الحروب ؛ ومن شأنها أن تعزز وحدة الأمم وتقضى على كثير من المساوئ الناشئة من الاختلاف فى المذاهب وفى الطقوس وفى العادات . وضمانا لتحقيق هذه الوحدة ، وضع « كونت » نظاما دينيا جديدا هو « الدين الوضعى » أو «عبادة الانسانية» . ووظيفة هذا الدين الجديد هى تحقيق التضامن العالمى والقضاء على تنافس القوميات وتناحرها لأن جميع الافراد سيتجهون بقلوبهم، فى ضوء تعاليم هذا الدين ، نحو فكرة واحدة ومركز واحد . وبذلك تحقق

الانسانية وحدتها وكمالها . ويأتى ذلك اليوم الذى نرى فيه « الأجناس البشرية الثلاث : الجنس الأبيض والأصفر والأسود التى تمثل فى الانسانية الذكاء والعمل والعواطف ، قد حققت وحدة الانسانية ، وتوجت عصرا ذهبيا لدين كلي حقيقى »[1] .

ولا شك أن هذا إسراف بالغ من « كونت » ومن نحا نحوه من المفكرين والفلاسفة الذين يريدون الرجوع بالعالم إلى الوحدة الدينية التى كانت تسيطر على أوربا فى العصور الوسطي ، والذين يرون أن الوحدة الدينية هى دعامة جوهرية فى نشأة القوميات أو على الأقل فى تعزيز القوميات التى تم تكوينها .

والتاريخ يمدنا بأمثلة كثيرة لأمم تقدمت وتطورت بالرغم من الاختلافات الدينية . فالقومية المصرية مثلا الآن تعتبر مكتملة العناصر ومميزة المقومات بدون النظر إلى الخلافات الدينيـة والطائفية الموجودة بين أفرادها . وذلك لأن القوميات الحديثة أصبحت ترتكز على مثل عليا أسمى من أن يؤثر فيها الاختلاف فى العقائد أو فى الطقوس .

واتفقت الآراء الحرة الحديثة على أن العقيدة أصبحت شيئا شخصيا يتعلق بضمير الإنسان . ولكل فرد الحرية فى أن يعتنق ما يشاء من الأديان ، وله أن يشترك فيما يشاء من الطقوس . ولكل فرد الحرية فى أن يختار أسلوبه فى الحياة ويتجه بالعبادة والتقديس إلى ما يرغب الاتجاه إليه بدون إلزام من الدولة أو من الأمة التى يعتبر عضواً فى أسرتها . وليس هناك دين رسمي لكثير من الدول . فقد يكون الفرد فرنسيا وهو في الوقت نفسه إما كاثوليكيا أو بروتستانتيا أو مسلمـا أو يهوديا ؛ وقد يكون الفرد واحدا من هؤلاء وينتمى في الوقت نفسه من الناحية القومية للأمة الانجليزية أو الأمة الألمـانية أو الايطالية . والمسيحى والمسلم مصريان سواء بسواء .

ومما يدلنا أيضا على فساد هذه النظرية أن الوحدة الدينية لم تتحقق قديما . فالاضطهاد الدينى الذى وقع فى العصور الأولى لاخضاع الشرق

(١) « أوجيست كونت » للدكتور مصطفى الخشاب ص ١٤٥

A. Comte. Système de Politique Positive. I.P. 140 sqq.

لديانة الامبراطورية الرومانية وإقامة ديانة موحدة للامبراطورية لم ينجح ، ودل على حمق بالغ وعدم تقدير لمبادىء القوميات التى أريد إرهاقها فى ظل الوحدة الدينية الصناعية . هذا إلى أن الدين لم ينجح حتى الآن فى إقامة سياج متين حول ميادينه . فلم نشاهد تقسيما للأمم على أساس تقسيمات دينية ولم نسمع بأمم كاثوليكية وأمم بروتستانتية وأمم إسلامية وأمم ملحدة .

* * *

هذه هى أهم الدعائم التى ظن العلماء أن الأمة ترتكز عليها فى نشأتها . وتشيع كل فريق منهم إلى مبدأ من المبادىء التى سبق الإشارة إليها ، وتعصبوا فى هذا الصدد تعصبا شديدا ، ولجأوا إلى كثير من المساجلات والمناقشات التى أفادت العلم فائدة محققة لا سيما من الناحية التحليلية . ولعل الحركات القومية والاضطرابات السياسية التى حفل بها النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أفسحت المجال لهذه المساجلات ، وأمدتها بمادة غنية ، وأعطت الفرصة لظهور طائفة من الآراء والأفكار التي في ضوئها استطاع ساسة العصر المحترفين أن يبرروا بها تصرفاتهم المغرضة .

* * *

وحاول فريق معتدل من علماء السياسة ألا يعتمد فى تفسير قيام الأمة على دعامة واحدة من الدعائم التى سبق مناقشتها وتحليلها . وحاول أن يجمع بينها جميعاً واعتبرها عناصر ذاتية يكمل بعضها بعضاً (١) .

ويذهب هذا الفريق إلى القول بأن الأمة ذات روحية أو نفس روحية ترجع فى آخر تحليلها إلى المقومات التى درسناها فى الفقرات السابقة . فهذه المقومات هى بمثابة « إكسير الحياة » الذى يضفى على مجموع معين من الأفراد خواص الأمة . فالأمة أشبه ما يكون بمركب كيميائى امتزجت فيه العناصر التى ذكرناها واتحدت وفقدت صفاتها الخاصة . واتخذت باتحادها وتفاعلها اتجاها خاصا تحدده نسب التفاعل ومداه ، وشدته وضعفه ؛ وهذا هو سر

(١) Gilchrist; Principles of Political science. p. 29

الاختلاف بين الأمم : فبقدر ما يكون هذا التفاعل شديداً ، تكون وحدة الأمة وتضامنها . وإذا ظهر أن عنصراً منها لم ينسجم إلى حد ما مع باقى العناصر ، أو أن واحداً منها لم يتمثل بصفة كلية فى هذا المركب الكيمائى ، فاننا نشاهد أثره ملموساً فيا ينشأ فى جو الأمة من انقسام . فكثيراً ما تفاجأ الأمم بظهور تيارات عارضة تخلقها المناسبات وتبعثها الظروف ؛ فتخرج هذه البقايا التى لم تتمثل بعد ، أو التى لم تهضم بصورة كافية من حالة الكمون لتعمل عملها فى النيل من وحدة الأمة ومن تضامنها .

ومن أمثلة هذه التيارات العارضة تلك الحروب الطاحنة التى قامت فى أمريكا بين البيض والسود أى بين الشمال والجنوب ، واستغلت فيها فكرة الجنس استغلالا سيئاً كاد يأتى على وحدة أمريكا لولا أنها انتهت بانتصار أصحاب الوحدة . وكثيراً ما نسمع من حين لآخر ببعض الحوادث المحلية أو بعض الإجراءات فى الولايات المتحدة التى تفسر لنا بوضوح أن الوحدة الإنثلوجية لم تتمثل بعد وأن لها بقايا ورواسب ما زالت تظهر فى الا (Folklore) الشعبى ؛ أى فى العادات الشعبية الدارجة .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما لجأ إليه الإنجليز فى الثورة المصرية التى قامت عام ١٩١٩ وفى مناسبات سياسية أخرى وفى الحركات القومية التى تلت ثورة سنة ١٩١٩ من إثارة موضوع الطائفية والأقليات . وذلك رغبة فى استغلال الفكرة الدينية فى هدم القومية المصرية الناشئة .

ومن هذا القبيل ما لجأ اليه «هتلر» من إثارة موضوع العنصرية والجنسية لاعدام اليهود والتخلص من معارضيه والقذف بهم خارج الحدود . فكان يشردهم باسم الاضطهاد العنصرى وعدم التجانس القومى أو عدم التكافؤ فى وحدة الأصل والدم .

وهذا ما لجأ اليه السوريون أخيراً إذ أثاروا موضوع العنصرية والجنسية لإبعاد حكومة حسنى الزعيم وتبرير إعدامه ؛ وذلك عندما بدت منه مظاهر لتقريب العنصر الكردى وإحلال الأكراد محل السوريين فى الوظائف الأساسية فى الدولة .

وحياة الأمم حافلة بأمثلة كثيرة من هذا القبيل التى تدلنا بوضوح على أن بعض العناصر والمقومات التى تدخل فى تكوين الأمم لا تتمثل بكفاية ، وتترك رواسب عسرة الهضم تظهر آثارها فى الأزمات التى تتعرض لها الأمم. ولذلك يجب على كل أمة أن تدرس نفسها (شخصيتها) وتحلل عناصرها المكونة، وتعمل حسابا كبيراً لمثل هذه البقايا التى لم يتم تفاعلها فى وحدة الأمة ؛ فقد يخشى أحيانا من اتساع فجوات هذه الثغرات البسيطة؛ فيؤدى ذلك الى تصدع عنيف فى جبهة الأمة .

* * *

ونحن إذا تركنا مناقشة العناصر التى أشرنا اليها فيما سبق ، ونظرنا إلى الأمة على أنهـا حقيقة إجتماعية متبلورة ، واعتبرناها ثمرة ماض طويل ، ونتيجة تاريخ شاق انتهى بها التطور الاجتماعى الى ما هى عليه . . . إذا نظرنا إلى الأمة على هذه الاعتبارات أمكننا أن نقول إن الأمة قوة روحية حية تقوم على مبدأين أساسيين نكشف عن أحدهما فى ماضيها ونلمس الآخر فى حاضرها ومستقبلها.

فالأول هو اشتراك الأفراد فى قدر كبير من الذكريات الحافلة بالتضحيات والآمال والآلام [1] . هذا الإرث التاريخى الذى توارثه جيل بعد جيل تركز فى عقول الأفراد ، ورسب فى تكوينهم النفسى. فنشأ الأفراد وهم يشعرون بقوة ضغطه عليهم ، وذلك لأنهم يشاركون فيه بالضرورة . وعن هذا الطريق أصبح الإرث التاريخى المشار اليه أساسا لوحدتهم الاجتماعية ، ودعامة لتضامنهم القوى . ولا شك أن الوحدة التى تنشأ عن هذا الاعتبار تكون أشد رابطة وأقوى فاعلية من أى اتحاد آخر يرجع الى العوامل التى درسناها فى صدر هذا البحث .

والعامل الثانى هو الرضى والقبول الفعلى الذى تتجاوب أصداؤه بين جميع الأفراد ، ورغبتهم الصادقة فى أن يعيشوا مجتمعين فى ظل النظام والحرية ، وعزمهم على الاحتفاظ بذلك الارث التاريخى الذى ورثوه معاً وتواتر إليهم بالاشتراك ، واتفاقهم على الاعتزاز به والابقاء على قيمته الأخلاقية.

---

(1) John Stewart Mill, Representative government, chap.(of nationality).

فالانسان ليس إذن أسيراً لجنس ما، أو لغة ما، أو دين ما، وليس أسيراً أيضاً لمجموعة من الحدود الطبيعية أو الحواجز الجغرافية، ولا يتحكم في قوميته نهر أو مرتفع؛ فهو ليس أسيراً لاتجاه سلاسل الجبال أو أودية الأنهار. لأن اجتماع الافراد على الصورة التي عرضتها في الفقرة السابقة، واتفاقهم في الميول والرغبات، واشتراكهم في الآلام والآمال، وخضوعهم لظروف ومناسبات تاريخية، ورغبتهم الصادقة في بذل تضحيات في سبيل تضامنهم والمحافظة على تراثهم التاريخي والقومي؛ هذه الأمور المعنوية من شأنها أن تخلق في المجموع كائناً أخلاقيا شاعراً بقوته وبذاته وبحيويته. هذا الكائن المعنوي هو ما يسمى بالأمة أو بالقومية.

وهذه النظرية في مجملها هي النظرية التي ذهب إليها العلامة رينان في نشأة الأمة وفي مساجلاته مع العلامة الألماني مومسن [1].

ويرى بعض علماء السياسة أن الأمة التي تتكون بالصورة التي ذكرناها، والتي تقوم على الدعائم التي أشرنا إليها، يمكنها أن تحافظ على جوهرها وعلى قوميتها إذا كانت تخضع برمتها لحكم سياسي واحد. أي أن جميع أعضائها وعناصرها تدخل في نطاق سلطة واحدة. وقد تنبأ هؤلاء بأن الدول في المستقبل ستكون دولا قومية: أي أن كل قومية ستسعى إلى أن تكون دولة مستقلة، ورأى هؤلاء أيضاً أنه يجب أن يكون لكل أمة دولة مستقلة؛ وأن تشمل الدولة أمة واحدة وذلك وفقا للنظرية السياسية المعروفة (One nation, One State) لأن ذلك أدعى إلى استقرار نظم الحكم فيها.

وقد وجه العلامة "Gumplowicg" نقداً شديداً إلى هذا المبدأ، وأكد أن ليس هناك تبرير تاريخي أو اجتماعي يبرهن على صحة هذا الاتجاه. فلم نر أن الدول ذات القومية الواحدة (mono-national) تمتاز في عناصرها وتتقدم في ركب الحضارة عن الدول المكونة من عدة قوميات

---

(1) Renan. Discours et Conférences (qu'est ce qu'une nations ?).

(Poly- national) . بل يذهب إلى عكس ذلك، فيقرر أن الدول ذات القوميات المتعددة تتوافر فيها فرص الاختلاط والتبادل بين مختلف القوميات . وبفضل هذه الفرص قد تستفيد قومية من أخرى وتكتسب بعض عناصرها الفاضلة . ففي سويسرا مثلا استطاعت الدولة أن تسير قدما في طريق الحضارة بالرغم من تعدد قومياتها . ويتفق معه في هذا الرأي العلامة « بلنتشلي Bluntchli » الذي يذهب إلى أن وجود العناصر الأجنبية في قومية ما هو بمثابة همزة وصل تربطها بحضارة الأمم والقوميات الاخرى . وعلى أسوأ الاحتمالات والفروض قد يكون فضل هذه العناصر الغريبة على القومية الأصيلة كفضل المعدن الزائف الذي يضاف إلى المعدن الثمين ليكسبه القوة والصلابة ويساعده على التداول .

كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين

لابن سعيد

نشر وتحقيق الأستاذ غرسية غومس

بقلم الدكتور شوقى ضيف

هذا الكتاب طرفة نفيسة من طرف الشعر العربى فى بلاد الأندلس والمغرب وصقلية . انتخبه ابن سعيد من كتاب المغرب فى حُلى المغرب ، وهو الكتاب الذى ألفه بالتوارث فى مائة وخمس عشرة سنة ستة رجال هم : الحجارى ، ثم أربعة من آباء ابن سعيد وأعمامه ، ثم هو نفسه ، فهو آخر من عنى بهذا الكتاب من الأسرة ، وقد أخرجه فى خمس عشرة مجلدة . وبدار الكتب المصرية نسخة بخطه ، بدأها سنة ٧٤٥ هـ وانتهى منها سنة ٧٤٧ هـ . وقد كتبها لابن أبى جرادة فى حلب ، ثم تعاورت عليها الأيدى حتى تملكها المؤيد شيخ ، ووقفها على مكتبة مسجده . ومعروف أن ابن سعيد ارتحل عن الأندلس إلى المشرق حول سنة ٦٣٨ هـ واستمر متجولا بين مصر وحلب والعراق والحجاز وتونس حتى آخر حياته عام ٦٧٣ هـ . وفى رأى بعض المؤرخين أنه عاش حتى سنة ٦٨٥ هـ .

وفى أثناء مقامه بمصر عرف ابن يغمور نائب السلطنة ، وكان يحب الأدب ويكرم أصحابه ، فتوثقت عُرى الصداقة بينه وبين ابن سعيد ، فكلفه كما يقول فى مقدمة الرايات أن ينتخب له خير ما فى كتاب المغرب الكبير من شعر للأندلسيين والمغاربة والصقليين ، فكتب هذه المجموعة التى نشرها المستشرق الثبت غرسية غومس الأستاذ فى جامعة مدريد معتمدا فى ذلك على نسخة وجدها بمكتبة المرحوم أحمد زكى باشا ، وهى مصورة عن

نسخة فى الآستانة ، وقدم لها بمقدمة بديعة عرض فيها لما اعتمد عليه من مراجع ، وتحدث عن وصف النسخة ، وعن ابن سعيد ومن سبقوه فى تأليف كتاب المغرب ، كما تحدث عن منتخبات الرايات وحلاها ، وأتبع ذلك بالأصل العربى ، حتى إذا فرغ منه ترجمه إلى الأسبانية وعلق عليه وألحق به فهارس مختلفة .

وهذا كله عمل جدير بالشكر والثناء لما قام به حضرة الأستاذ الناشر للكتاب من خدمة الشعر الأندلسى فى بعث وإحياء نص طريف من نصوصه التى تستحق العناية والدرس . فهو خلاصة ممتازة لما أحدث شعراء الأندلس والمغرب وصقلية من تجديد فى شعرهم وما أودعوه من صور وتأملات . غير أنى رأيت هنات تشوب هذه الطبعة ، لاشك أن أكثرها جاء من أن الكتاب لم توجد منه إلا هذه النسخة الوحيدة ، وهى نسخة متأخرة فى زمن كتابتها ، إذ كتبت فى القرن الثانى عشر للهجرة . وقد صحح الأستاذ غرسية غومس النص فى غير موضع ، وأقام مافيه من عوج واضطراب . وبقيت أشياء رأيت أن أبادر إلى وضعها بين يديه حتى يتم الانتفاع بهذا النص البديع . فمن ذلك ما جاء فى ص ٢٦ من قول ابن عمار :

ملكٌ يروقك خَلقه وخُلقه ... كالروض يحسن منظرا ومخبرا

فان هذا البيت من قطعة صيغت من وزن الكامل ، وقد وضعت فيه واو العطف مكان أو ، فاختلّ وزن البيت ، وصحته :

ملكٌ يروقك خَلقه أو خُلقهُ ... كالروض يَحْسُن منظرًا أو مَخْبَرَا

ومن ذلك ما جاء فى ص ٥٢ من عتاب بعض الشعراء لملك من ملوكهم ، إذ يقول فى بعض شعره :

فيا للملْكِ ليس يرى مكانى ... وقد كَحَّلْتُ ناظِرَهُ بنورى
كما المسواكُ مُطَّرَحا مُهانًا ... وقد أبقَى جلاً فى الثغورِ

والبيتان من وزن الوافر ، فينبغي أن تقرأ كلمة «جلاء» بالمد ، ولعل هذا سهو حدث أثناء الطبع . ومثله ما جاء في ص ٦٦ إذ يقول بعض الشعراء :

والغصن من فوق الثرى ولكنه   كرما يميل إلى ثراه ويسجد

والبيت من وزن الكامل ، فالواو في كلمة « ولكنه » مزيدة ، فينبغي أن تحذف حتى يستقيم الوزن . ومن هذه الشاكلة ما جاء في ص ٧٠ من قول بعض الشعراء :

قم سقِّنى شَفَقَ الشَّمول بسُحْرَةٍ   وإنما شفق الصباح شمولُ

والبيت أيضا من وزن الكامل ، وأول شطره الثاني لا يستقيم ، وأكبر الظن أن كلمة « وإنما » حرفت عن كلمة « وكأنما » . ولعل في هذا ما يدل بوضوح على أن النسخة المحققة كانت متعبة ، وأن تحريفات كثيرة وقعت فيها . ونقرأ في ص ٨٢ هذا البيت :

شكر الله ما أتيت وجازا   ك ولا زلت نجم هُدَى لسارِ

وقد شكلت فيه كلمة « هدى » بضم ففتح ، والبيت من وزن الخفيف ، فينبغي أن تقرأ « هَدْى » بفتح فسكون ، حتى ينتظم الوزن .

ويظهر أن التصويب والتصحيح للأصل كان كثيرا ، وفي مثل هذه الأحوال قد تند بعض التصحيحات ، وكل من يعاني نشر نص قديم من مخطوطة واحدة ، يعرف مدى هذه الصعوبة . ونجد كلمة « تعض » مكان كلمة « تغص » في البيتين الواردين في ص ١٦ إذ يقول ابن بسام في دعوة نديم له وقد قعد للشرب في حديقة سترها ضباب :

ألا بادِرْ فما ثانٍ سوى ما   عهدت : الكأسُ والبدر التمامُ

ولا تكسَلْ برؤيته ضباباً   تَعَضُّ به الحديقة والمُدامُ

فكلمة « تعض » تنبو عن المعنى ، والأصل « تغص » وهو صحيح .
ومن ذلك ما جاء فى ص ٢٠ إذ يقول بعض الشعراء فى فوارة :

يا حُسنَ فوارة للأفق راجعةٍ بالشهب تنزو كنزو الواثب اللعِبِ

فكلمة « كنزو » وضعت مكان كلمة « نزو » فى الأصل ، وهى صحيحة ، على أن تقرأ « نزو » بضم النون والزاى وتشديد الواو . وفى ص ٢١ يقول أبو الحجاج بن عتبة الإشبيلى وقد شرب مع أصحاب له تحت قصب فارسى ، فجعلت الريح تميل ذوائبه عليهم :

أشبهه من أكواسنا ولو أنه سكرانُ يصفح حتىَّ ما لَثَمَ الرءوسْ

وواضح أن كلمة أكواسنا محرفة فى الأصل عن « أكوابنا » ، وكان فى الأصل « سكران يطفح » أى سكران ممتلىء ، فصححها حضرة الناشر « يصفح » وأظن أن الأصل صحيح . وفى ص ٤٨ يقول عبادة بن ماء السماء فى وصف الخمر :

كأنما شيَّبها شاربٌ أمسكها فى أكفه سرمدا

وكلمة « شيبها » لا معنى لها فى البيت ، والأصل هكذا « شب بها » وهو صحيح أى أنها تجعل شاربها الذى أمسكها دهراً طويلا شابا وربما كانت « شيَّبها » ، فقد شابت فى يد شاربها الذى أمسكها زمناً طويلا أو سرمدا . وفى ص ٦٧ يقول ابن سعيد فى مدح بعض الملوك :

إن هَزَّه المدح فالأموال فى بَدَدٍ والغُصْنُ ما هُزَّ إلا بُدِّدَ الثَّمَرُ
متِّعْ جفونك فى وجه بلا تَعَبٍ إن كان شمسًا يداه تحتها المطر

وكلمة وجه لا تستقيم ، وهى فى الأصل « وُجْد » بالدال ، وهى صحيحة أى متع جفونك فيما تجده من نوال الممدوح وكرمه .

والحق أن النسخة التى تعد للنشر إن لم تكن سليمة فى أصلها وكان كاتبها يوثق به ، فإنها تكون كثيرة التحريف ولا نشك فى أن حضرة الأستاذ

الناشر حل كثيرا من تحريفات هذه النسخة، وأعادها إلى صورتها الصحيحة. ولكن بقيت بعض تحريفات أرى أن أذكرها ؛ لعله يرى رأيي فيها ؛ فمن ذلك ما جاء في ص ١٢ إذ يقول ابن الامام في وصف درع :

إذا رميتَ بها في القاع مُطَّرِفًا حسبتها نُطَفًا تجرى إلى نُطَفِ

وواضح أنه يشبه الدرع حين تلقى بالنطف أو الكميات القليلة من الماء الصافى، وإذن فكلمة « مطرفا » ينبغى أن يكون الناسخ حرفها عن كلمة « مطرحا ». وفى ص ١٣ نقرأ هذا البيت لأبى بكر محمد بن القوطية :

اشرب على السَّوْسَنِ الغضِّ الذى نعما وباكر الأُنْسَ والورد الذى نجما

وكلمة « نعا » محرفة عن كلمة « فغما » أى انتشرت رائحته، وكذلك كلمة « الأنس » محرفة عن كلمة « الآس ». وفى ص ٢٣ يقول بعض الشعراء :

ضاعت يمين الرياح مُحْكَمَةً فى نَهَرٍ واضح الأسارير

وهو يجرى فى هذا مع التشبيه المعروف الذى توارد عليه الشعراء إذ يشبهون ما تحدثه الرياح فوق المياه بالدروع وما فيها من غضون، فكلمة « ضاعت » فى أول البيت محرفة عن كلمة « صاغت ».

ونقرأ فى ص ٢٤ لابن شكيل فى غلام :

وقالوا أتهواه على فلجٍ به فقلت هنانى دون غيرىَ موردُ

متى أبصرتْ عيناك فى الماء طُحْلُباً إذا كان فى كل الأحايين يوردُ

وكلمة « فلج » أى تباعد ما بين الأسنان ليست عيباً، فموضعها هنا ناب مع سياق الكلام، وإنما هى « قَلَح » بالقاف والحاء، وهو الصفرة التى تعلو الأسنان كما يعلو الطحلب الماء. وواضح أن ابن شكيل يدافع عن غلامه مع وجود هذا العيب فيه. وفى ص ٢٧ روى هذا البيت الناقص.

لا تعجبنّك عليا ...... ولا تخل غُرّةً ما ابيضَّ من كَفَلِ

وفى الهامش مكان الأصفار فى الشطر الأول « تديم لهـا » . وهو حقيقة تحريف شديد من الناسخ ، ويستقيم البيت إذا قرئت كلمة « تديم » « قديم » وزيدت عليها لا هكذا :

لا تعجبنّك عَلْيَا [لا] قديم لهـا   ولا تَخَلْ غُرَّةً ما ابيضَّ من كَفَلِ

وفى ص ٣٠ نجد شاعرا يستهدى بازيا من بعض ملوك الأندلس ، فيجرى على لسانه قوله :

وَامْنُنْ به صافى الجناح كأنمـا   حُدِيَتْ قوادمه بريح الشَّمْأَلِ

وكلمة « صافى » محرفة عن كلمة « ضافى » بالضاد أى شامل وسابغ . ومن هذا الباب ما جاء فى ص ٣٣ ـــ ٣٤ من قول ابن مقانا :

شَرِبوا الرَّاحَ على خَدِّ رَشَـا   ورَدْ الورد به والياسمين
وجلتْ آياته عامـدةً   سُبَجَ الشَّعْرِ على عاج الجبين

والشطر الأول من البيت الثانى رواية نفح الطيب واختارها حضرة الناشر لأن رواية الأصل مضطربة إذ تجرى هكذا « وجات داياته » . والدايات : المـاشطات . وهى خير هنا من رواية النفح التى لا تستقيم فاذا قرأنا كلمة « وجات » المحرفة « زجَّلت » أى مشطت استقام البيت ، وأصبح :

زجَّلت داياته عامدةً   سُبجَ الشَّعْر على عَاج الجبين

والسبج : خصل الشعر . ونقرأ فى ص ٤٠ لابن حزم الأندلسى قوله :

الحُرُّ كالتبر يُلْقَى تحت ميقعةٍ   طورا وطورا يُرَى تاجاً على ملِكِ

وربمـا كانت كلمة « ميقعة » محرفة عن كلمة « ميفعة » بالفاء ، أى التل .

وفى ص ٤٦ يقول ابن عياض :

أنكرتِ الاستقامَ طَرْفٌ   وأى سيف بلا ذبابِ

والشطر الأول مضطرب لأن الناسخ وضع كلمة « الأسقام » وضعا متلاصقا مضطربا وإنما هي كلمتان « إلا ، سقام » فصحة البيت :

أنكرْتِ إلا سقامَ طَرْفٍ وأى سيفٍ بلا ذبابِ

وذباب السيف : طرفه الرقيق ، وفى نفس الصفحة يقول ابن ميمون :

تقحّمتَ حائم حرّ الضلوعِ كما خضت بحر دموع الحدقْ

يتحدث عن خيال صاحبته . وكلمة حائم — كما هو واضح — محرفة عن « جاحم » من الجحيم . وفى ص ٤٨ فى ترجمة أبى بكر يحي بن بقى « له فى بنى عزة قضاة سلا موشحات مشهورة » وإنما هم بنو عشرة وقد ورد ذكرهم ثانية فى الكتاب ص ٩٣ . وفى ص ٥٠ يقول ابن خروف فى خياط :

فالخيط يَمْتَلُ قلبى حين يَفْتِلُهُ يا ليته مثله ما دام فى أثَرِهْ

والبيت غير واضح ، وفى رأيى أن كلمة « مثله » محرفة عن كلمة « فتل » جمع فتيل ، كما أن كلمة « أثره » محرفة عن كلمة « إبره » فصحة البيت هكذا :

فالخيط يفتل قلبى حين يفتله يا ليته فُتُلٌ ما دام فى إبَرِهْ

يتمنى أن يتحول قلبه إلى فتل مادامت فى إبر صاحبه الخياط . وفى ص ٦٤ يقول بعض الشعراء فى الخمر :

مشمولةٌ ظللنا بها سُجَّدًا بالنار والماء حَوَتْ شملَها
صيرها الماء مجوسيَّةً والسُّكْرُ قد صَيَّرنا مثلها

ويقول ابن سعيد بعقب هذه الأبيات « هذا معنى بديع لأنه صير الماء كالأب ولما كانت النار ؟ وصيرهم السكر لها سجدا حكوها فى الدين » وقد وضع حضرة الناشر بعد كلمة النار استفهاماً وهى تصح بوضع الكاف مع النار أى « ولما كانت كالنار الخ » .

وفى ص ٦٥ يقول ابن سعيد فى أثناء حديثه عن شاعر « نزل بمراكش فى منزل شخص قدم له شرابا غليظا أسود وخروبا وزبيبا فيه غضون » وإنما هى « وخروبا وزبيبا فيه غصون » وهى الأعناق المتصلة به من أصل شجرته . وفى هذه الصفحة أيضاً يقول الشاعر فى وصف أترجة ، وقد شبهها ببيضة النعام :

فإن خِلْتَهَا بنت الظليم أضلّها فقد فرش الإذخر من تحتها تبرا

والبيت مضطرب وقد وضعت إشارة على كلمة « الاذخر » تشير الى ما جاء فى الهامش من أن الكلمة فى الأصل « الأرحى » ، وهى الأدحى بالدال وهو مبيض النعام . يقول الشاعر إن الأترجة كبيضة نعام نزلت فى مهد فرش بالتبر إشارة إلى أنها صفراء . وواضح أن كلمة « أضلها » محرفة عن كلمة « أصلها » فصحة البيت :

فإن خلتها بنت الظُّلَيم أصْلُها فقد فُرِش الأُدْحِيُّ من تحتها تِبْرا

والظليم مصغر الظليم وهو ذكر النعامة . وفى ص ٦٧ يصف شاعر هوادج المحبوبة فيقول :

وقد علاها احمرارٌ من تزخرفها فقلت هيجتموها هذه السِّيَرُ

وواضح أن كلمة « السير » محرفة عن كلمة « الشرر » تريد به احمرار الوشى المتصل بالهوادج . وفى ص ٦٨ يقول بعض الشعراء :

فإن تأيتم عنــد مَزْجى بكم فيثبت العقلُ بمزج المدامْ

وثبات العقل عند مزج الخمر وشربها لا يستقيم ، وهو لا يتفق مع ما يريده الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبته فى البعد عنه ، فالناسخ حرف الشطر الثانى ولعل البيت فى الأصل كان هكذا :

فإن تأيتم عنــد مزجى بكم تشتّت العَقْلُ بمزْج المدامْ

وفى ص ٦٩ يقول شاعر فى وصف فرس أصفر :

كأنه فى وَهَجٍ شَمْعَةٌ مصفـــــرّةٌ غُرّتُه نارُها

وكلمة الوهَج محرفة عن كلمة « رَهَج » بالراء ، وهو الغبار ، وبه كثيراً ما توصف الخيل فى غبار الحرب . وفى ص ٧٠ يقول بعض الشعراء فى حبيب له :

فالبدرُ فى وجهه كدوح حينَ اجتَدى الشمسَ فى الشعاعِ

وأكبر الظن أن كلمة « كدوح » محرفة عن كلمة « كلوح » . يقول إن البدر فى وجه صاحبه يتملى من نوره كاللوح تنطبع عليه أشعة الشمس . وفى ص ٧١ يقول بعض الشعراء فى يوم غيم ورعد وبرق ومطر :

إن غُيِّبَتْ شمسه فالبرق مهجتُه والرعد رَقْدَته والقطر أدمُعُهُ

والرقدة غريبة مع الرعد ، ولعل الناسخ حرفها عن كلمة « زفرته » . وفى ص ٧٥ يقول بعض الشعراء :

واشرب على شدو الحمَام فإنه أشهى إلىّ من الغريد ومعبد

وكلمة « الغريد » محرفة عن « الغريض » بالضاد ، وهو مغن مكى كان معاصراً لمعبد وكلاهما من العصر الأموى . وفى نفس الصفحة أيضا :

لو أبصرتْ عيناك زورقَ فتيةٍ يبدى لهم لَهَجُ السرورِ مَرَاحَهُ

وكلمة « لهج » محرفة عن كلمة « بَهَج » بالباء لا باللام . وفى ص ٧٨ يقول بعض الشعراء :

فقلت لها إذ أضحكَ الوصلُ ثغرَها أأنبتَ هذا القطرُ هذا الأقاحيا

والأقاحى جمع أقحوان ، فينبغي أن تكون كلمة « هذا » الثانية التى يشار بها المفرد محرفة عن كلمة « هذى » فآخر البيت « هذى الأقاحيا » لا « هذا الأقاحيا » . وفى ص ٧٩ نقرأ لبعض الشعراء :

سأشكو إلى الندمان أمر زجاجةٍ تردّتْ بثوبٍ حالك اللون أسْحَم

نصبت بها شمسَ المدامة بيننا فتغربُ فى جُنْحٍ من الليل مُظْلِمِ

وواضح أن كلمة « نصبت » محرفة عن كلمة « نصبٌ » . وفى ص ٨٥ يقول الرصافى فى وصف الأصيل هذا البيت البديع :

طائر شادٍ وغصنٌ مُنْثَنٍ والدُّجَى يشرب صهباء الأصيل

وفى رأيى أن كلمة « منتنى » محرفة عن كلمة « منثنٍ » . وفى ص ٨٨ يقول ابن خفاجه فى وصف فرس :

وأشقر تُضْرَم منه الوغى بشعلةٍ من شُعَل الناس

وكلمة « الناس » محرفة عن كلمة « الباس » أى البأس والشجاعة . وفى ص ٩٥ نقرأ هذا البيت :

يا من قصدت إليه ألتفت الغنَى والنفسُ مقرونٌ بهـا إتلافها

وكلمة « ألتفت » واضحة التحريف ، ولعلها حرفت عن كلمة « ألتقط » . وفي ص ٩٩ يقول بعض الشعراء فى وصف سكين :

فكانَ من السكين سُكْنَاكَ بالجشا ومن قطعها هذى القطيعة والحجرُ

وكلمة « الحجر » محرفة عن كلمة « الهجر » . ونقرأ فى ص ١٠٤ هذا البيت :

وأسمر غر النقع شيباً برأسـه إلا إنما بعد القشيب مشيب

وكلمة « غر » محرفة عن كلمة « ذرَّ » بالذال . ونستمر فنقرأ فى ص١٠٩ هذه العبارة « كان أحمد (التيفاشى) كاتب الملك فقصد المعز ابن الزند » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة ، ولذلك وضع حضرة الناشر عقبها علامة استفهام . وفى رأيى أن كلمة « فقصد » حرفها الناسخ عن « قفصة » إحدى بلدان المغرب وكانت حاضرة مُلْك المعز بن الزند ، فصحة العبارة « كان أحمد (التيفاشي) كاتبا لملك قفصة المعز بن الزند » . وفى ص ١١٠ نجد شاعرا يصف البرّادة ، وهى تشبه الابريق المعروف الآن بمصر ، وقد علقت عليها الكيزان لشرب الناس منها فيقول :

ترى كل خِلْفٍ لا يدرّ وطفلة تدرُّ عليه بالرحيق المُسَلْسَلِ

يريد أن أخلاف البرادة لا تدر إلا لأطفالها من الكيزان ، وإذن فكلمة « وطفلة » ينبغي أن تكون « وطفلها » حتى ينتظم السياق . وتنتهي النسخة في ص١١٤ هكذا : «ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة ثاني يوم من عام ستة مائة وخمسة عشر بعد الألف من الهجرة » . وواضح أن كلمه « ستة » محرفة عن « سنة » بالنون ، وكأن الكاتب للنسخة نسي أنه ذكر كلمة عام فوضع كلمة سنة ، وكان ينبغي أن تحذف إحداهما .

وهذه هي أهم التصحيفات التي لاحظناها على هذه النسخة ، وتوجد وراءها بعض أغلاط في الحركات ، لا نشك في أن أكثرها مطبعي ، فمن ذلك أننا نقرأ في ص ٥ هذين البيتين :

شعرٌ على الشِّعْرَى علا قدرُهُ عنه ثناء الصدق لا ينثني
ينقلب القلب له جَوْدَةً ويدخلُ القلب بلا إذْنِ

وشكلُ البيت الثاني هكذا في قافيته « إذنِ » بإسكان الذال يجعله كأنه من قصيدة أخرى ، ولو بدلت كلمة إذن « بآذن » بمد الألف وكسر الذال لا تفقت القافية في البيتين ولم يدخلهما هذا اللبس وخاصة أن المؤلف رواهما متصلين لا منقطعين ، فهما من قصيدة واحدة لا من قصيدتين . وفي ص ٤٩ نقرأ لابن خروف يشكو سوء مقامه بحلب هذا البيت :

حلبت الدهر أشْطُرَهُ وفي حَلَبٍ صفا حَلْبي

وقد سكنت لام « حلبي » وهي محركة بالفتح . ومن ذلك ما جاء لبعض الشعراء في ص ٦٦ إذ يقول في وصف الريح :

وتميِّل الأغصان بعد إبائها حتى تقبِّل أوجَهَ الغُدْرَانِ

وقد ضبطت كلمة « أوجه » بفتح الجيم وإنما هي بالضم « أوجُه » جمع وجه ، كما تدل على ذلك كلمة « تقبيل » .

ولا نرتاب في أن كثيرا من هذه الأغلاط ندّ أثناء الطبع . على أن هناك أبياتا يلفت ترتيب ألفاظها النظر ، فمن ذلك قول بعض الشعراء فى ص ١٠ من الكتاب :

لاغَرْوَ أن زاد شوقى فى سرورهمِ   فرؤية الماء تُذْكى غُلّةَ الصادى

فالشوق لا يزيد فى السرور ، وإنما السرور هو الذى يزيد فى الشوق ، ولذلك كنا نرى أن صحة هذا البيت :

لاغرو أن زاد فى شوقى سرورُهمُ   فرؤية الماء تذكى غُلّةَ الصادى

وأظن أن البيت بهذا الترتيب يتضح معناه . ومن هذا الباب ما جاء فى ص ٦٨ من قول بعض الشعراء :

جعلوا خواتم سُمْرِهمْ من كل قَلْـــب معاند حسب المثقف خنصرا

فكلمة « كل قلب معاند » واضح أن ترتيب ألفاظها يحتاج إلى شيء من التعديل ، وهو ليس أكثر من وضع لفظة كل بين قلب ومعاند ، فيصبح البيت هكذا :

جعلوا خواتم سُمرهمْ من قلب كـــلّ معاند حسب المثقف خنصرا

وقد بقيت ملاحظات على بعض الأعلام الواردة فى الكتاب ، فمن ذلك ما جاء فى ص ٥١ ، إذ يقول ابن سعيد « ومن فرائد ابن بليطة وقد رويته للمقتبل المذكور » . وعقب حضرة الناشر بعلامة الاستفهام وراء كلمة «المقتبل» . وإنما هو «المنفتل» الذى ترجم له ابن سعيد فى الكتاب ص ٥٨، ولذلك قال عقبه المذكور . ومن ذلك ما جاء فى ص ٥٣ إذ يقول ابن سعيد « الوزير الرئيس أبو الحسن على بن الامام وزير والى غرناطه عمر بن يوسف ابن تاشفين » . وفى رأيى أن كلمة « عمر » حرفت عن « تميم » والى غرناطة فى عهد المرابطين إذ لم يلها شخص يسمى عمر ، وإنما هو تميم بن يوسف ابن تاشفين واليها من قبل أخيه على بن يوسف سنة ٥٠١ هـ وقد استمر

واليا عليها حتى سنة ٥١٥ هـ إذ ولاه أخوه على الأندلس كلها وظل هناك حتى سنة ٥٢٠ هـ. ومما يتصل بذلك أننا نجد فى ص ٩٤ شاعراً يسمى أبا جعفر بن البتى وضبط هكذا « البتى » بالتاء ووضعت إشارة تلفت إلى الهامش حيث نجد أن الكلمة فى الأصل كانت « البنى » بالنون. والأصل صحيح طبقاً لما فى المطمح ص ٩١ وقلائد العقيان ص ٣٠٠ ونفح الطيب طبعة دوزى وزملائه ص ٣٢٧، ٥٨٣ من الجزء الثانى.

وما قدمناه كله لا يغض من هذا العمل المجيد الذى اضطلع به الأستاذ جارسيا جومث فى نشر هذا النص الطريف، إنما أردنا أن نؤكد الفائدة منه بالإشارة إلى بعض تحريفات سقطت فيه بحكم أن النسخة التى اعتمد عليها حضرة الناشر لم تكن جيدة. ونحن جميعاً نعرف صعوبة نشر النصوص العربية، وخاصة حين لا تتعدد النسخ. فلحضرة الناشر جزيل الشكر والثناء على ما قدم لعشاق الشعر الأندلسى والمغربى من هذا النص النفيس.

ومن المحقق أن هذا التعليق متأخر عن زمان نشر هذا الكتاب، فقد نشر فى مدريد عام ١٩٤٢ ولكنه لم يقع لى إلا منذ أشهر قليلة، ولذلك بادرت إلى كتابة هذا المقال، للتنويه به، ورغبة فى تعميم النفع والفائدة منه.

تعقيب على نقد

كتاب " رايات المبرزين "

بقلم اميليو غرسيه غومس [1]

EMILIO GARCÍA GÓMEZ

نشرت كتاب «رايات المبرزين» لابن سعيد المغربي بمدريد فى سنة ١٩٤٢ ، واعتمدت فى إخراجه على نسخة وحيدة فيما علمت ، حديثة النسخ ، غير متقنة ، والكتاب يحتوى على مئات من الأبيات لشعراء كثيرين من المغرب اختلفت عصورهم وموضوعاتهم ، واختلف أسلوبهم ، والمطبعة التى طبع بها ينقصها الاستعداد الفنى لطبع تواليف من هذا النوع ، والعمال بها لا يعرفون اللغة العربية ، وقد بذلت ما استطعت أن أبذله من العناية فى سبيل التغلب على هذه العقبات ، فاذا ما تسربت بعض الزلات إلى طبعتى لهذا الكتاب بعد الذى فعلته فأظننى قد أنشدت :

لكن قدرة مثلى غير خافية   والنمل يُعذَر فى القدر الذى حملا

وقد تكرم الدكتور شوقى ضيف فقرأ الكتاب وصحح بعض هذه العثرات وجمع هذه التصحيحات فى المقال الذى قدمه لهذه المجلة ، وكان من كرم خلقه أن عرض على تجارب مقاله ، راغباً أن أعقب عليها بالموافقة أو الرد ، فله على عنايته بالكتاب وخلقه الكريم خالص شكرى وتقديرى .

ووقتى الآن لا يتسع لإعادة النظر فى الكتاب بصفة نقدية لأتبين السبب الذى جعلنى أثبت كلمة بدل أخرى أو أرجح رأيا على آخر ، لأن مراجعى

(1) أفضل أن يكتب اسمى بالعربية على هذه الصورة التى أوردتها أعلاه لأن لفظى «غرسيه» و«غومس» وردا على هذه الصورة فى النصوص العربية الأندلسية القديمة .

وكتبي التي احتجت اليها عند دراسة النص تنقصني هنا ، غير أنه — مع ذلك — لا يسعني إلا أن ألبي رغبة الدكتور اللطيفة .

وقد قسمت ملاحظات الدكتور إلى أقسام :

١

بعض ملاحظاته صحيحة أتقبلها بصدر رحب ، شاكراً له حسن عونه ، ومردداً المثل الاسباني السائر : « إن أربع أعين ترى أكثر مما تراه عينان » .

٢

بعض ملاحظاته صحيحة ولكنها طفيفة ، تسربت الى النص عند الطبع للأسباب السابقة ، ولو أن الدكتور شوقي قرأ ترجمة النص الاسبانية لرأى أنها صححت في الترجمة ، فمثلا جاء في ص٢٣ : « ضاعت يمين الرياح محكمة » ، وقد أصلحت هذا التصحيف في الترجمة في ص ١٥١ حيث قلت : finos trabajos de orfebre ، وكذلك صحح الدكتور في ص ٢٧ البيت بالصورة التالية : «لا تعجبنك عليا [لا] قديم لها» ، وقد ترجمته مصححا في ص ١٥٨ حيث قلت : No admires una nobleza sin antigüedad ، وورد النص في ص ٤٨ « له في بني عزة قضاة سلا » ولا أزال أعتقد أن هناك سبباً — لا أذكره الآن — جعلني أبقي النص هنا كما هو ، على أن وروده في ص ٩٣ « بنو عشرة » مما دفعني إلى القول (في الحاشية رقم ١١٩ من ص ١٩٣) أنهم « بنو عشرة » ، وفي ص ٨٨ أصلح الدكتور النص العربي : « بشعلة من شعل البأس » ، ولو عاد الى الترجمة في ص ٢٥٦ لرأى أنها تقوم على « البأس » ، لا على « الناس » (وهذه هي الترجمة : con un tizón de coraje) ، وفي ص ١١٤ حيث أقحمت الكلمة « ستة » عوض « سنة » إقحاما ، كانت الترجمة في ص ٣٠٠ ما يأتي : año 1115 ، وواضح أنها تقوم على النص بعد تقويمه .

٣

وأخالف الدكتور شوقي في بعض تفسيراته التي يعقب بها التصحيح الذي يقترحه والذي أوافقه على صحته ؛ ففي ص ٢٤ في بيتي ابن شكيل أوافق

الدكتور على أن كلمة « قلح » ، بدلالة البيت الثانى ، هى الكلمة الصحيحة ، ولكن لا أستسيغ أن لا يكون « الفلج » — وهو تباعد مابين الأسنان — عيباً ، وفى ص ٣٤ يقترح الدكتور — تبعا لرواية « المغرب » — أن يروى البيت بهذه الصورة :

رجّلت داياتُه عامدةً سُبّج الشَّعْر على عاج الجبين

ثم يقول : «والسُّبّج : خصل الشعر»: والرواية صحيحة، ولكن لا أقر الدكتور على شكله وتفسيره لكلمة « سبج » ، لأن السَّبَج بفتحتين (وفى اللغة الأسبانية : azabache) هو المـادة الصلبة السوداء المعروفة ، اتخذت منها — منذ القديم — الدمى والحلى ، وقد رمزوا بها إلى السواد ، كما دلوا على البياض بالعاج . ألا يرى الدكتور أن معنى قول ابن مقانا :

سَبَج الشعر على عاج الجبين

هو أن الدايات رجلن شعرَه الذى يشبه فى سواده الشديد السبج ورتبنه على جبينه الذى أشبه لشدة بياضه العاج ؟

٤

وفى بعض ملاحظات الدكتور كان لى رأى خاص أثبت بمقتضاه النص . ففى ص ٧٨ مثلا يقترح الدكتور أن يثبت البيت على الصورة الآتية :

فقلت لهـا إذ أضحك الوصل ثغرها أأنبت هذا القطر هذى الأقاحيا

ثم قال : « والأقاحى جمع أقحوان ، فينبغى أن تكون كلمة « هذا » الثانية التى يشار بها للمفرد محرفة عن كلمة « هذى » ، فآخر البيت « هذى الأقاحيا » ، لا « هذا الأقاحيا » . وكلام الدكتور صحيح ، وما غاب عن ذهنى الفرق بين «هذا» و « هذه » عند الاشارة بهما ، ولا أن « الأقاحى » جمع أقحوان ، غير أن بعض الأندلسيين يستعمل « الأقاحى » مفرداً ، وأذكر الآن من استعمالهم هذا قول ابن الخطيب فى رسالة أوردها القلقشندى

في «صبح الأعشى» ٦/٥٥٢ : « ... حيث ثغور الأقاح الباسم ، تقبلها بالسحر زوار النواسم » ، وورد مثل هذا أيضاً في ديوان ابن الزقاق أكثر من مرة ، وقد جعلني ذلك أحافظ على هذا الاستعمال المحلي ، مع اعترافي بصحة الملاحظة .

٥

ورأيت في بعض ملاحظات الدكتور شوقي أنها غير ملائمة للجو الشعري فلذلك أتمسك بما جاء بطبعتي .

فالدكتور شوقي يرى أن الرواية الصحيحة للبيت التالي هي :

اشرب على السوسن الغضّ الذي فغما . وباكر الآس والورد الذي نجما

بدل « وباكر الأنس » . ولست أدري هل يظل الدكتور مستمسكا برأيه هذا إذا قرأ بقية الأبيات مرة ثانية . هل تحدث الشاعر فيها عن أكثر من شيئين هما « السوسن » و « الورد » ؟ ألا يري أنه لو وضع « الآس » بدل « الأنس » لتحتم أن يكون الضمير بعد المذكورات جمعا ، لا ضمير تثنية ؟ ثم ألا يكفي أن السوسن سقته السماء اللبن بدل الماء فابيض لون نوره ، وانه لبياضه لا يعترف بياض الكافور ، وأنه أنابيب الجليد ، وأن الورد سقى الدم بدل الماء ، فعق العقيق حمرته ، وأنه جمر الغضا ... الخ ؟ ألا يكفي كل هذا لأن يكون ماذكر من الزهور لا يعدو السوسن والورد ؟ أما تصحيحه لكلمة « فغما » فأشكره عليه .

وفي قول ابن سعيد ص ٦٧ من طبعتي :

متّعْ جفونك في وجه بلا تعب . إن كان شمساً بداه تحته المطر

يرى الدكتور أن رواية « وجه » لا تستقيم ، وأن رواية الأصل ، وهي « وجد » ، صحيحة ، ولست أنكر صحة « وجد » ، ولكني أفضل رواية « وجه » ، لأنه الذي شبه في الشطر الثاني بالشمس .

وفى ص ٤٥ يرى الدكتور فى قول ابن حزم :

الخز كالتبر يُلْقَى تحت ميقعة   طوراً وطوراً يُرَى تاجاً على ملك

ان صواب الرواية : « تحت ميفعة » ، بالفاء ، ويفسرها بـ « التل » ، وأرى أن هذا التصحيح غير موفق ، وأن « الميقعة » بالقاف — بمعنى المطرقة — واقعة فى مكانها تماما ، والمعنى معها واضح .

وفى ص ٥٠ من طبعتى يصحح الدكتور بيت ابن خروف ويرويه على هذه الصورة :

فالخيط يفتل قلبى حين يفتله   يا ليته فُتُلٌ ما دام فى إبرهْ

وأنا أقره على تصحيح كلمة « ابره » ، بدل « أثره » ، فى آخر البيت ، وأتمسك بكلمة « مثله » كما هى فى الأصل ، بدل « فتل » التى يقترحها الدكتور ، وأرى أن المعنى : « ياليت قلبي مثل هذا الخيط تتناوله يد المحبوب » .

وفى ص ٦٥ من الكتاب : « وأنشدنى لنفسه وقد نزل بمراكش فى منزل شخص قدم له شراباً غليظاً أسود وخروباً وزبيباً فيه غضون » ، ورأى الدكتور أن رواية الأصل ، وهى « غصون » ، لا يصح غيرها ، ثم فسر « الغصون » بأنها « الأعناق المتصلة به من أصل شجرته » ، وأعتقد أن الرواية الصحيحة هى « غضون » ، كما اخترت ، ويريد المؤلف بالغضون تلك التجاعيد الغائرة ، وحينئذ يكون الزبيب رديئاً لا لحم فيه ، ويدل على هذا قول الشاعر بعد ذلك : « زبيبا كخيلان خد العجوز » .

وفى ص ٦٨ أوردت البيت التالى بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجى بكم   فيثبت العقل بمزج المدام

وعلق الدكتور شوقى عليه بقوله : « وثبات العقل عند مزج الخمر وشربها لا يستقيم ، فهو لا يتفق مع ما يريده الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبته فى البعد عنه . . » ، ثم يستظهر أن يكون البيت بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجى بكم   تشتّت العقل بمزج المدام

وأرى أن المعنى الذى أراده الشاعر أقرب من هذا كله ، فالخمر إذا مزجت حد الماء من سورتها ، فهي بذلك أخف وطأة منها إذا كانت غير ممزوجة ، ويقول لأحبته — لا لصاحبته كما يرى الدكتور —: حينما نشرب الخمر صرفة تذهب بالعقل ، أما مع مزجها فلا ، ولذلك يجب أن نمزج لنبقى على محبتنا ، وقد أوضحت هذا المعنى فى الترجمة .

وفى ص ٧٥ روى الدكتور البيتين الآتيين هكذا :

لَبذلُ وجهى إلى لئيم أمرّ من وقفة الوداع
فالبدرِ فى وجهه كدوحٍ حين اجتدى الشمس فى الشعاع

وعلق على كلمة « كدوح » يقول : « وأكبر الظن أن كلمة « كدوح » محرفة عن كلمة « كلوح » ، يقول إن البدر فى وجه حبيبه يتملى من نوره كاللوح تنطبع عليه أشعة الشمس » . وفهم الدكتور لهذين البيتين غريب جداً ، فالشاعر لا يتحدث عن وجه حبيب ، وإنما يتحدث عن آثار الامتعاض التى تبدو بوجهه هو حينما يتعرض لبذل اللثيم ، ويصف مرارة هذا الموقف. وفهم الدكتور أن الكاف فى « كدوح » للتشبيه ، وبنى على ذلك تفسيره ، وليس الأمر كذلك ، فكدوح بمعنى خدوش ، وتروى كتب اللغة أثرين عن النبي أنه قال : « المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه » ، وقال : « . . . من سأل وهو غنى جاءت مسائله يوم القيامة كدوحا » ، والمعنى على هذا أن الكاف التى على وجه البدر — وهى التى عناها بالكدوح — إنما جاءت نتيجة الاستجداء المؤلم ، وقد أوضحت ذلك فى ترجمة الكتاب .

وفى ص ٧٩ يقول ابن مجبر :

سأشكو إلى الندمان أمر زجاجة تردّت بثوب حالك اللون أسحم
نصبتُ بها شمس المدامة بيننا فتغرب فى جنح من الليل مظلم

وقد علق الدكتور عليه بقوله : « وواضح أن كلمة « نصبت » محرفة عن كلمة « نصب » » ، ولست أوافق الدكتور على هذا ، بل أرى أن ابن مجبر

يجعل الندمان قضاة بينه وبين زجاجته ويتحدث عما حدث بينه وبينها فقط ، وعلى ذلك تكون الرواية التى اخترتها واضحة وصحيحة .

وفى ص ٩٤ ورد هذا الاسم « أبو جعفر بن البتى » ، بالتاء المثناة من فوق ، ورأى الدكتور أن صحته « البنى » ، بالنون ، مستنداً الى رواية المطمح والنفح ، وكنت أرجو أن يفترض الدكتور — قبل اختياره للبنى بالنون — أن لدىّ علما بأبى جعفر بن البنى هذا ، وأن تمسكى بالبتى إنما جاء عن دواع بينتها فى الترجمة فى ص ٢٦١

ويقول الدكتور فى تعليقه على البيت الوارد فى ص ١٠ ، وهو :

لاغرو أن زاد شوقى فى مرورهم فرؤية الماء تذكى غُلَّة الصادى :

« فالشوق لا يزيد فى المرور ، وإنما المرور هو الذى يزيد فى الشوق ، ولذلك كنا نرى أن صحة البيت :

لاغرو أن زاد فى شوقى مرورهم فرؤية الماء تذكى غلّة الصادى »

وأرى أن المعنى ليس على هذا الوجه الذى يقوله الدكتور ، وإنما هو : « أن زاد شوقى عند مرورهم » ؛ وبذلك لانحتاج الى الترتيب الذى يقترحه الدكتور .

*
* *

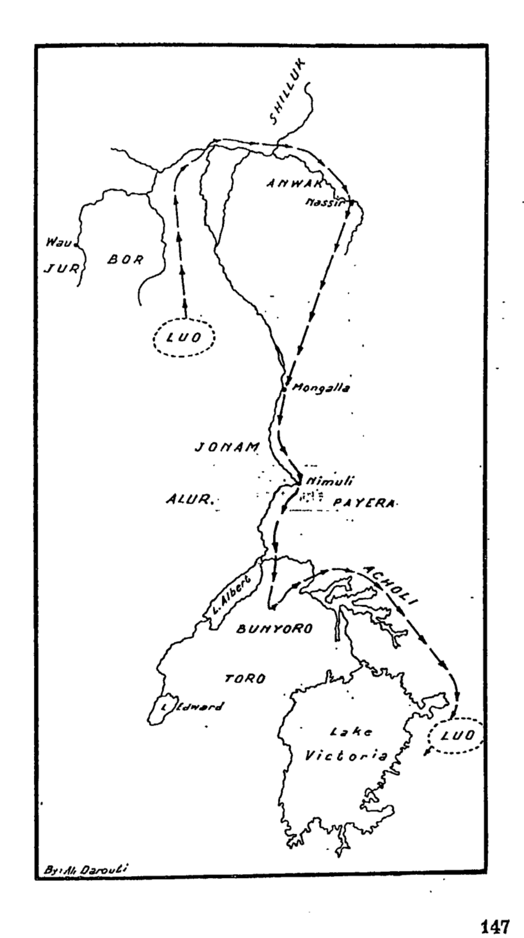
هذه ملاحظات سريعة على نقد الدكتور شوقى لكتاب «رايات المبرزين» ، وإنى أكرر للدكتور شوقى ضيف شكرى على عنايته وتصحيحاته القيمة ، وعلى ما أتاحه لى من فرصة الحديث على صفحات مجلة كلية الآداب ، أثناء وجودى كأستاذ زائر بهذه الكلية .

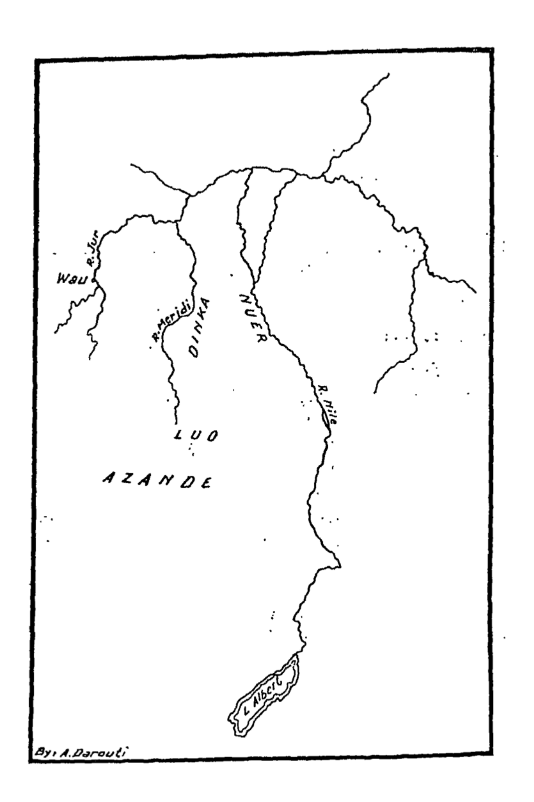
وإنى لأرجو أن يكون هذا اللون من التعاون العلمى عاملا جديداً يقوى التفاهم الفكرى بين بلدينا — مصر وإسبانيا — فى المستقبل .

تم طبع هذه المجلة فى عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فاروق الأول" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
فى ٢١ من رمضان سنة ١٣٧٠ ﻫ .

محمد زكى خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

Fouad I Univ. Press,
1196-1950-560 ex.


SHILLUK
ANWAK
Nassir
Wau
JUR
BOR
LUO
Mongalla
JONAM
Nimuli
ALUR.
PAYERA
ACHOLI
L. Albert
BUNYORO
TORO
L. Edward
Lake
Victoria
LUO
By: Ali Darouti


R. Jur
Wau
R. Meridi
DINKA
NUER
R. Nile
LUO
AZANDE
L. Albert
By: A. Darouti

To the east and north of the Luo were the Lango. They had left the Anywak long after Olum. They had followed the same road to Nimule, and had then turned south east along the bank of the River Assua. During the dry season they brought their cattle to the same watering places as the Luo. To the west of the Luo were the Madi. One year there was a great drought which forced the Madi to press on towards the watering places of the Luo from the west and the Lango from the east. At first the Lango agreed to help the Luo to drive back the Madi, but they were not successful. So the Luo made an agreement with the Madi and turned against the Lango. They drove them away to the east. The descendants of these Luo are still in that country and are called Acholi.

The Fourth Move

But there were some Luo, to the south of the Acholi, who were not troubled by the fighting with the Lango and the Madi. But the drought made them move off to the south east. Their leaders were Adhola and Awiny. They travelled along the north of lake Kioga and then south east till they met the Banyuli in the south east corner of Busoya. Here the Luo multiplied and the Banyuli asked them to move off. They went a little away to Tororo, but soon found the country too small for them. The people of Adhola, stayed, while those of Awiny, travelled southwards, and passed through the Bantu people till they reached the coast of Sakwa, Kadimo, and Uyoma. Here they settled and from these parts spread all round the Kavirondo gulf.

tribe, called the Alur. Labongo also decided to leave the tribe, so he and his family went north east then moved on towards mountain Agoro, on the boundary of Uganda, where they settled. They are now called the Payera.

Nyipir, another son of Olum, decided to follow Tiful, but after crossing the Nile, he and his family turned north. They are at present still living in the West Province of Uganda and are called the Jonam. Olum and the Luo went on Southwards, crossed the Nile which flows into lake Albert (Victoria Nile) and entered Bunyoro. Olum and the Luo took the Bunyoro by surprise and without much fighting, conquered them and became the rulers of the country. From here they gradually spread into the surrounding country and ruled its peoples, the Baganda, the Toro, and the Ankole. So they became the rulers of a very large district. But they were few, and scattered over a very large area. They were frightened that they would get lost as a result of inter-marriage. After about 30 years, their leader Wamara decided, that they had better go somewhere else and live by themselves. He sent out scouts over the Nile to the north east of Bunyoro. They reported that there was a large uninhabited country stretching north from the Nile. A message was sent round calling the Luo together, but those who had become powerful preferred to stop where they were. They asked for a descendant of Olum to remain as their chief. The twin sons of Wamara's brother, Kyoma, were asked to stay: they were Labonago and Kintu. Labonago was made the chief, but he soon gave Uganda to Kintu, keeping Bunyoro for himself. The descendants of these two still rule in Uganda, the Bunyoro and the Toro.

The Third Move

The Luo moved to the north east corner of Bunyoro. Before they crossed the Nile, a small group, decided to stay in that corner of Bunyoro. They form of present a very small tribe, who are called Jopabuo by the Bunyoro people.

The Luo stayed there for a long time. They increased in number and were divided into several groups. At different times some of these groups became dissatisfied and decided to move. They were:

The Luo

The Jopajok

The Pari

The Kor

The Lango

The Second Move

The Luo were the first to leave Anywak. Their leader was Olum. They went South West through bad country. In the wet season, it was all swampy, and in the dry season there was no water at all. When they reached the Nile, they turned South and stopped where Mongala stands now. From here they sent out scouts to find out what the land was like. It was quite good but they did not stay. The Lotuka tribe was there and the scouts seem to have found these people just beginning to occupy the country and so advised Olum to move on.

Olum led his people on Southwards till they reached the district round Nimule. Here a quarrel occurred between the sons of Olum: Labongo and Tiful. Before the fight was settled Olum had to move farther South along the Nile, nearly to lake Albert near which the Pachwach live today. Here the council met, but could not settle the quarrel. So Tiful said, "If you say that I am wrong, I shall throw myself into the River and be drowned unless the God of the elephants helps me".

He went to the River with the idea of throwing himself into the river, but he was safe and was able to cross it. His family followed him safely. As he went, he threw an axe into the bank as a sign that Olum and Labongo should not follow him.

Tiful travelled West from here and settled in the hilly country on the border of the Congo. His descendants are a big

west across the River Meride. He settled in the country along the River Sue; south of Wau, 300 kms. from his old home. Today his descendants are called the Bor.

Nijikango and the Luo had now reached the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal. Here Dak quarrelled with Dimo, and there was a fight in which one man was killed and many hurt. Dimo decided to leave the tribe, so he went with his family and cattle to the south west. He found a good country where he settled to the N.E. of Wau. His descendants are still called the Jur.

Nijikango and Dak and the Luo were now in an uninhabited country round the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal; but it was not big enough for them. They moved to the east along the southern bank of Bahr El Ghazal. When they reached the Nile they crossed to the north bank and went on eastwards. Here they found some Dinka, with whom they fought bitterly and finally won the battle.

Now there was a third quarrel. Gilo with most of the Luo did not like Nijikango and Dak, because they were quarrelsome. So there was fighting and Gilo won. He decided to leave Nijikango and Dak, so he crossed the Nile at the point where it turns north and followed the northern bank of the River Sobat. Nijikango and Dak continued to fight against the Dinka and slowly after many years drove them to the eastern bank of the Nile. The descendants of Nijikango and Dak remained on the west side of the Nile and gradually spread as far north as Khartoum. They are called the Shilluk. Gilo with the main group of the Luo went on along the Sobat till they reached the country round the town of Naser in Abyssinia. Here they decided to stop and those who still remain there today are called the Anywak.

THE ORIGIN OF THE LUO

BY

Dr. M. MITWALLY

It was mentioned in a previous paper (¹) that the Luo live in the area lying to the north of Kavirondo Gulf known as Northern and Southern Kavirondo.

According to the Luo traditions there lived between the River Nile and the River Meride three large Nilotic tribes :

The Dinka ... ... in the north and west.
The Nuer ... ... in the east.
The Luo ... ... in the south.

They are all Nilotes. Their language is similar and their physique is the same.

To the south of the Luo lived the Azande. They are not Nilotes, and were not friendly to the Luo. They were increasing in number and they wanted the land of the Luo.

The First Move

The Luo were all joined together under one chief, Nijikango. He and the elders of the tribe decided that the Luo had better move away, or the Azande would overpower them. The Dinka and the Nuer did not want to give up their land, so the Luo moved 300 kms. northwards through swampy country between the Dinka and the Nuer. Nijikango had three sons: Dak, Bor, and Dime. Before they started, Dak quarrelled with Bor. Bor was angry, and decided to leave the tribe. He took his family and cattle to the

(¹) Mitwally, " Kavirondo, Land and People ", Bull. Faculty of Arts, Uni. Fouad Vol. No. (12) 1950.

of many published works, manuscripts, papyri, journeys, works of literature, etc., relating to Mediaeval Egyptian History.

Dr. Zaky M. Hassan Bey has written a valuable essay on the method of historical research entitled: " Studies in the method of research and sources of Islamic History ", which appeared in the Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo (May 1950) ; it is the fruit of a profound study of the material sources, such as papyri, coins, medals, inscriptions, archeological remains, monuments, etc. The author has also shown the best direction to be followed by the students of Mediaeval Egyptian history, who wish to study this period carefully and thoroughly.

Egypt has made a good effort in the field of historical research. I have only dealt with one period of Mediaeval Egyptian history. There are other periods of Egyptian history in which scholars and students of history have taken keen interest.

The activities of Egyptians in both ancient and modern history are no less important.

Mareover, Egypt has taken part in the International congresses of Historical Sciences, in the congresses of Orientalists, as well as in other congresses. In Egypt itself international congresses meet from time to time, other local congresses are also held; the best example is the Congress of Arab Culture which now (August-September, 1950) holds its meetings at Alexandria.

From this rapid review it can be understood how prominent a part Egypt has played in the development of historical research, by writing historical works, by publishing manuscripts, by giving lectures and radio talks and by participating in international and local congresses. We cannot, however, ignore the part played by Europeans residing in or visiting Egypt in promoting and contributing to researches in Egyptian history throughout the ages.

Material sources, such as papyri, architectural remains, coins and medals, works of arts, etc., are considered among the most important sources for the historical study of Mediaeval Egypt. These are invaluable for those who intend to study Egyptian history at all deeply. Some Egyptian scholars have taken particular interest in this field.

Among these contributions mention may be made of "al-Funûn al-Îrâniyyah in the Muslim Period" by Dr. Zaky Muhammad Hassan Bey, Dean of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo. This book of 406 pages was published at Cairo in 1946. In this work the author deals with the effect of Persian art on other Muslim arts, including the Egyptian, during the Fâṭimid period.

The same author has also written "at-Taṣwîr fî'l-Islam 'Inda'l-Furs" (Painting in Islâm among the Persians), Cairo, 1936. The auther deals with Muslim painting and its development and effect on Egyptian art. He has also published: "Al-Fann al-Islâmî fî Miṣr" (Muslim Art in Egypt) in 133 pages with many plates illustrating painting in Egypt from the Arab Conquest to the end of the Ṭûlûnid period.

The "Kunûz al-Fâṭimiyyîn" (the Treasures of the Fâṭimids) comprising 300 pages by Dr. Zaky M. Hassan Bey (Cairo, 1937), is a further valuable contribution to the study of the Fâṭimid period in Egypt.

Methods of historical research and the use of the various sources of Mediaeval Egyptian history have also attracted the attention of some of our scholars. I myself have taken interest in this question in my Fâṭimids in Egypt, etc., in my Outline of Egyptian History from the Arab Conquest to the Ottoman Conquest, as well as in my History of Islâm.

Dr. Ali Ibrahim Hassan has written a book on the method of historical research (it comprises 207 pages and was published in Cairo in 1949). The author has given an adequate account

in Egypt and who died in 1209 A.D. This MS. was published by Dr. Aziz S. Atiya Bey, Professer of Mediaeval History at Farouk I University, Alexandria, in 1943. It contains 468 pages, and deals with the geography of Egypt, its cities, towns and rivers, its agriculture and economic organisation. The editor has consulted original sources in order to elucidate the names of places (or) proper names and persons.

Mention may be made of another MS., *i.e.* the "Mufarrij al-Kurûb fî Akhbâr Banî Ayyûb" (the dissipator of sorrows, being a history of the Ayyûbid dynasty) by Ibn Wâṣil who died in 1297 A. D. The book was submitted by Dr. Jamal al-Dîn al-Shayyâl to Farouk I University, Alexandria, with a historical introduction and commentary on the MS., and the candidate was awarded the doctor's degree for this work, which contains valuable information on the Fâṭimid and the Ayyûbid periods in Egypt.

Among the books that have been written on Mediæval Egyptian history, mention may also be made of "Arabic Papyri in the Egyptian Library", in 8 volumes, by Prof. Adolf Grohmann. The first three volumes of this valuable contribution have appeared in English, as has the Arabic translation of the first two volumes by Dr. Hassan Ibrahim Hassan Bey.

The Arabic M. SS. discovered in the Library of the Monastery of St. Catherine in Sinai by some members of the teaching staff of Farouq I University in collaboration with U. S. A. Educational Mission, are a valuable contribution to the study of Mediæval Egyptian history.

Mediaeval Egyptian literature also constitutes valuable material for those who like to study Egyptian society; this literature has supplied the Arab library with adequate material. Among these documents mention may be made of the "Diwân al-Mu'ayyad fi'd-Dîn Hibatu'llâh of Shîrâz. This work was published by Dr. M. K. Hussain (Cairo, 1949).

An outline of Muslim Institutions has been written by these same authors in collaboration with Abdel-Raḥim Mustafa Bey, Secretary-General of Ibrahim Pasha al-Kabir University, Cairo. It consists of 159 pages, and has been printed several times and prescribed by the Egyptian Ministry of Education for the use of the students in the preparatory year of the University.

Among works dealing with Mediaevel Egyptian institutions, I may mention "Nuzum al-Ḥukm bi-Miṣr fi'Ahd al-Fâṭimiyyîn" (Institutions in Egypt under the Fâṭimids), being the thesis submitted by Dr. Atiyya M. Musharrafa for the doctor's degree in Fouad I University (Cairo, 1945, pp. 436).

A thesis on Mediaeval feudalism until the end of the Ayyûbid period was submitted by I. A. Ṭarkhan for the M.A. degree in Fouad I University in 1949, but it has not hitherto been published. It deals with feudalism in Islam in general and in Mediaeval Egypt in particular.

Another thesis on the economic condition of Egypt under the Fâṭimids by my pupil Dr. Rashid M. El-Barrawy was submitted in Arabic to Fouad I University in 1944 for the doctor's degree. This was published in Cairo in 1948.

The Author studied in detail the agriculture, industry, technical development and system of labour. He then dealt with home and foreign trade and communications and with financial organisation ; the book is considered the first attempt in this field.

The Egyptian scholars have taken keen interest in editing hitherto unpublished works, in order to supply other scholars and students of Mediaeval Egyptian history with original documents easily accessible for the pursuit of their researches.

Among these mention may be made of "Kitâb Qawânîn ad-Dawâwîn" (*i.e.* Regulations for state departments) by the eminent historian IbnMammâtî, who flourished towards the end of the Fâṭimid period and at the beginning of the Ayyûbid period

Aghâ Khân, also by Dr. Taha A. Sharaf. It deals with propaganda as instituted by the Ismâ'îlî leader. al-Ḥasan aṣ—Ṣabbâḥ, in Persia.

The author deals with the Fâṭimid organisation of the Ismâ,'ilî propaganda in Persia and the travels of this leader to Egypt during the reign of the Fâṭimid Caliph, al-Mustanṣir, in order that he might be initiated into the Ismâ'ilî tenets by the Caliph himself. The Fâṭimids established courses of lectures on the Ismâ'ilî faith in the mosques such as the Azhar Mosque and in the institutions such as Dâr'u-l-Ḥikmah.

The author has also studied the conflict between this religious leader, al-Ḥasan aṣ-Ṣabbâḥ, and the higher civil-servants headed by the great Vizier, Badr al-Jamâlî, who aimed at enthroning the Caliph's grandson, al-Musta'lî, in the place of Nizâr, although the latter was the elder and had been proclaimed crown-prince by his father. This led to the division of the Ismâ'ilîs into two parties: The Musta'liyyah or the adherents of al-Musta'lî, whose descendants are now called the Buhras in India and the Yaman, and the Nizâriyyah, or the adherents of Nizâr, the eldest son of al-Musta'lî, who was deprived of the throne.

Let us now pass on to the 2nd division, *i.e.* the institutions. This subject has not yet attracted the attention of scholars of Mediaeval Egyptian history, yet a few of them have produced tentative works dealing with these institutions.

"An-Nuẓum al- Islâmiyyah" (Islamic Institutions) was written in Arabic by myself in collaboration with Dr. Ali Ibrahim Hassan, and comprises 384 pages, and published in Cairo in 1939. It deals with the political, administrative, financial and juridical institutions in the Muslim world from the rise of Islam in the VIIth century A. D. to the Xth century A. D., and gives a detailed account of the Caliphate until it was abolished at Constantinople in 1924; this book has been translated into Urdu and the translation published at New Delhi.

propaganda with the Fâṭimid Caliph al-Ḥâkim. He also showed how Ḥamîdu'd-Dîn al-Kirmânî, the chief Fâṭimid propagandist in Persia, helped in the establishment of the Home of Wisdom in Cairo (Dâru'l Ḥikmah) as well as in other cultural activities of the Ismâ'ilîs in Persia.

Another book on the history of the Ismâ'îlî sect of which mention may be made is: "Târîkh al-Ismâ'îliyyah fi'l-Ḥayât as-Siyâsiyyah (History of the Ismâ'ilîs in political life) up to the taking of Baghdâd by the Mongols in 656 A.H. (1258 A.D.) by Dr. Taha A. Sharaf, a thesis for which he was awarded the doctor's degree from Fouad I University in 1946.

The author dealt with the history of the Ismâ'ilîs from the time of their constitution as a religious sect during early 'Abbâsid period, and with the development of their history up to the XIIIth century A.D.

Dr. Sharaf divided the Ismâ'îlî propaganda into two succeeding types: the old propaganda and the new. In dealing with the old propaganda he examined the leadership of the Fâṭimids in the Ismâ'ilî world, and showed how the Fâṭimids organised their propaganda in Egypt as well as elsewhere. He explained likewise the relation of the Fâṭimids to their adherents and their subjects, studied the history of the Ismâ'îlî dynasties, such as the Carmathians in the Yaman, Bahrayn and 'Irâq, and the Ṣulayḥis in the Yaman. He also underlined the weak factors in this old propaganda and their effect on the fall of the Fâṭimids.

Dr. Sharaf examined the employment of the new propaganda and its development in Egypt. He analysed the history of this propaganda up to the fall of the 'Abbâsid Caliphate, which was brought about by the Tartar, Hulagu. It kept characteristic aspect until it was revived by the Aghâ Khâns.

Within the last few days has appeared a book entitled: "Dawlat an-Nizâriyyah, the grandfather of His Highness the

Among these sources quoted mention may also be made of "Zahr al-Ma'ânî min Kitâb al-Muntakhab fî Kutub al-Ismâ'îliyyah and "Ghâyat al-Mawâlîd" by Abû'l-Khaṭṭab ad-Dâ'î (propagandist) "al-Majâlis wa'l-Mus âyarât by Abû Ḥanîfah an-Nu'mân al-Maghribî, well-known among the Isma'îlis as "Sayyidnâ al-Qâḍî an-Nu'mân". He was perhaps the most important of those propagandists during the reigns of the first three Fâṭimid Caliphs. As chief Judge and chief Propagandist he contributed greatly to the development of Isma'îlî propaganda, where his works represented the results of his long research in Ismâ'îlî jurisprudence, as well as of his discussions, interpretations, doctrines, biographies, historical essays and sermons. Mention may be also made of "Ṭabaqât, 'Ulamâ' Ifrîqiyyah" by the Maghribite historian and jurisconsult Abû'l-'Arab Tamîm.

The second book which I published with Dr. Taha A. Sharaf is entitled: "Al-Mu'izz li-Dini'llâh, the Imâm of the Ismâ'îlites and Founder of the Ismâ'îlî Dynasty in Egypt". It deals with the life of the Caliph, al-Mu'izz, the Fâṭimid conquest of Egypt, the Fâṭimid institutions, as well as with Fâṭimid arts and culture and the social conditions of Egypt in the reign of this Caliph. The book contains nineteen appendices reproducing historical documents such as "Itti' âẓ al-Ḥunafâ" by the great Egyptian historian, al-Maqrîzî, al-Majâlis al-Mustanṣiriyyah", by al-Mu'ayyad fi' d-Dîn Hibatu'llâh of Shîrâz, the chief Fâṭimid propagandist in Persia, the Da'â'im al-Islâm, and the "Himmah fi' Âdâb Atbâ' al-A' immah" by Abû Ḥanîfah an-Nu'mân.

Among other works on historical research that have appeared concerning the history of Mediaeval Egypt figures also: "Rasâ'il Falsafiyyah" by Abû Bakr Muḥammad ibn Zakariyyâ ar-Râzî, the Ismâ'îlî propagandist in Persia; was edited at Cairo in 1939 by Paul Kraus, some-time lecturer in Fouad I University. The editor demonstrated the development of the Ismâ'îlî propaganda in Persia, and dealt with the relations of the supporters of this

of the Faith, an-Nâṣir li-Dîni-llâh. Thus there coexisted in the first decade of the IVth century A.H. (Xth century A.D.) three caliphates: the 'Abbâsid Caliphate in Baghdâd, the Fâṭimid Caliphate in Qayrawân in North Africa, and the Umayyad Caliphate in Cordova in Spain.

The Sectarian struggle between the Fâṭimid Shî'ites and the Umayyad and the 'Abbâsid Sunnites became more violent than it had been before. The three parties fought not only with the sword, but also with the pen and the spoken word; the Fâṭimid schools played a prominent part in spreading Fâṭimid Ismâ'îlî culture, particularly in North Africa, Egypt and Persia. These centres of Ismâ'îlî propaganda were called the schools of wisdom (Madâris al-Ḥikmah), and include the well-known Dâru'l-Ḥikmah established in Cairo by the Fâṭimid Caliph al-Ḥâkim. Many Ismâ'îlî propagandists graduated from these religious institutes.

Yet the history of the Ismâ'îlî Fâṭimids is more or less obscure, and hence has been the object of extensive research. I have been able to produce in collaboration with my pupil Dr. Taha A. Sharaf two documents dealing with the history of the Fâṭimids.

The title of the first is: "Ubaydu'llâh the Mahdî (or guide), the Shî'ite Imâm and founder of the Fâṭimid dynasty in North Africa" (Cairo, 1949), in 367 pages, with 14 appendices. This work deals with the history of the Fâṭimids in North Africa and Egypt and contains quotations based on authentic sources, such as Asrâr an-Nuṭaqâ, by Ja'far ibn Manṣûr al-Yaman who occupied an important post in North Africa and Egypt; he gained the esteem and respect of the Fâṭimid Caliph, al-Mu'izz, who appointed him "the door of his doors" (Bâb abwâbihi) in Egypt, a higher post than that of the chief propagandist (dâ'î), and has left us many scientific works, manuscript, copies of which have remained in the libraries of the Buhras in India down to the present day.

man of God, and that he entrusted 'Alî with the secret of his message, and hold that the descendants of 'Alî, or, as they call them, the House of 'Alî, had the natural right to control the destiny of Islâm both factually and rightfully, and as such possess the sovereignty over Islâm or the Caliphate. The Persians supported the Caliphate of the House of the Prophet in order to regain some of the political influence which they had lost under the Sunnite Umayyads and 'Abbâsids. Therefore, they transferred their allegiance to the Alids, because they believed that al-Ḥusayn, son of 'Alî, married Shahr-banu, the daughter of Yazdigird III, the last Sasanian King; hence the remaining Imâms (or guides) of the house of 'Alî of both great Shî'ite factions (the "Sect of the Twelve" —or "Ithnâ 'Ashriyyah" now prevalent in Persia—and the "Sect of the Seven"—Sab'iyyah or Ismâ'illis) to which the Fâṭimids belonged, represented not only the Prophet but also the Kingly right and virtue, being at the same time descended from the Prophet Muḥammad and from the House of Sasan. Hence they supported the Caliphate of the descendants of 'Alî and Fâṭimah.

It is from the death of the eleventh Shî'ite Imâm in the VIIIth century A.D. that the chief activity of the Ismâ'îlî sect begins. In the last decade of the IXth century A.D. the choice of the Ismâ'îlîs fell upon North Africa, because of its remoteness from the central authority of Baghdâd. The Idrîsîds were the first of the 'Alîds to establish their authority in the Farther Maghrib in the 8 and 9th centuries A.D., and the Zaydîs followed their kinsmen's example in the Yaman. In 800 A.D. Ibrâhîm ibn al-Aghlab established a dynasty which was called the Aghlabite dynasty, which lasted until the 'Alîd 'Ubaydu'llâh al-Mahdî established the Fâṭimid Caliphate in 909 A.D., in a short time extended his authority over nearly the whole of North Africa.

Not long after the establishment of the Fâṭimid Caliphate in North Africa, 'Abdu'r-Raḥmân III of Spain ordained in 926 A.D. that he was to be designated in public prayers and official documents, as Caliph, Commander of the Faithful, and Champion

Egyptians, the wealth and splendour of Egypt, the pomp and glory of the Fâṭimid Caliph as seen in the Friday prayer, in the celebrations, banquets, and lastly with the fall of the Fâṭimids and its causes.

In 1933, the History of Jawhar, the Fâṭimid Conqueror, by Dr. Ali Ibrahim Hassan, Professor of Islamic History, Fouad I University, was submitted to Fouad I University for the M.A. degree and published in the same year. It deals with the life of Jawhar until the conquest of Egypt in 969 A.D., and thereafter with his policy and the monuments he erected in this country.

In 1950 Dr. Gamal Eddin Surur of Fouad I University, Cairo, published a book entitled: "Relations between Egypt and the Ḥijâz during the Fâṭimid Period", dealing with these relations from the political and religious points of view.

Among the books that have been written on Mediaeval Egyptian History, mention may be made of my "Egypt in the Middle Ages", *i.e.* from the Arab conquest in 640 to the Ottoman Conquest in 1517 A.D. It comprises 103 pages, and is incorporated in the series in Arabic: "An Outline of Egyptian History", written by certain members of the staff of the Department of History in Fouad I University in Cairo, edited by myself in 1942. I have given particular attention to the Fâṭimid period. Mention may also be made of "Egypt in the Middle Ages from the Arab conquest to the Ottoman conquest", by Dr. Ali Ibrahim Hassan (2nd. ed., Cairo, 1949). This author also has dealt particularly with the Fâṭimid period.

Among these sources: Al-Qâhirah Min 'Ahd al-Mu'izz ilâ 'Ahd al-Farouq" (Cairo from the reign of al-Mu'izz to the reign of Farouk) (published in Cairo in 1943 and comprising 250 pages) by Colonel Abd ar-Rahman Zaky, Curator of the Military Museum in Cairo, can also be considered a contribution to Mediaeval Egyptian History.

Fâṭimid history merges into the history of the Shi'ites, a sect which believes that the Prophet Muḥammad was the chosen

historical research and, lastly, the part taken by Egyptians in the International Congresses of Historical Sciences. You will, I trust, allow me to begin with the 1st division, *i.e.* political history.

Egyptian scholars and students of History have tackled the ancient, mediaeval and modern history of Egypt, either independently or in researches dealing with Islamic History in general. I myself have written a book on the History of Islâm from the political, religious, cultural and social points of view: three parts out of five have already been published.

The first deals with the history of the Arabs in the pre-Islamic poriod, the prophetic message of Muḥammad, the Arab Empire during the period of the first four Orthodox Caliphs and the Umayyad period.

The second part deals with the early 'Abbâsid period (750–847 A.D.), the third with the second 'Abbâsid period from the death of the Caliph Al-Mutawakkil in 847 A.D. to the rise of the Seljukes in 1056 A.D.

Each of these three parts gives a fairly vivid picture of the political and religious movements, foreign relations, institutions, economics, culture, arts and social conditions in the Eastern Muslim world, Egypt, and in North Africa and Spain. I have taken particular interest in the study of the history of Egypt in these periods which include that of the Fâṭimids.

Moreover, my book deals in detail with "The Fâṭimids in Egypt considered chiefly in connection with their politico-religious activities", a subject submitted by me as an English thesis and for which I was awarded the D.Lit degree of the University of London in 1927.

An Arabic translation of this book was published in Cairo in 1932. It deals with the Shî'ite movement up till the establishment of the Fâṭimid dynasty in Egypt, the organisation of Fâṭimid propaganda, the policy of the Fâṭimids towards the

CONTRIBUTIONS TO THE STUDY OF FÂṬIMID HISTORY IN EGYPT DURING THE LAST 12 YEARS (1)

BY

Dr. HASSAN IBRAHIM HASSAN BEY

The Fâṭimids, who derive their name from Fâtimah, the Prophet's daughter, and 'Alî, the Prophet's cousin and son-in-law, succeeded in establishing a powerful empire which ruled Egypt and its territories for more than two centuries (969–1171 A.D.) rivalling if indeed not surpassing the 'Abbâsid Empire.

The authority of the Fâṭimid Caliphs extended all over North Africa, Sicily, Egypt and Syria, and their names were recited in the Friday prayer in the mosques from the Atlantic to the Red Sea, in Ḥijâz and Mawṣil, and even in Baghdâd, then the capital of 'Abbâsids, for about a year.

The Fâṭimids established a vast empire and a brilliant civilisation, remarkable for its excellent methods of administration, its artistic activity, the efficiency of its army and navy, the incorruptibility of its tribunals, the breadth of its religious toleration; and perhaps most remarkable of all, its patronage of learning and culture.

In order to give a picture of the achievements of the Egyptians along these lines, I will divide this subject into 7 parts, reviewing some of the most important researches that have appeared under the following heads: political history—economic history—published manuscripts—literary history—arts—methods of

(1) Paper read at the IXth International Congress of Historical Sciences (Paris, 28th August—3rd September, 1950).

But these details can be usefully treated by Egyptologists only, who after many years of close intercourse with the hieroglyphic and hieratic documents could evaluate, without European coarseness, the delicate chances of spiritual intimacy between really Egyptian wisdom and really Greek philosophy. The lucubrations of just Greek reading students of these matters do not appear to lead anywhere.

By his visit to Egypt and by his acceptance of the music of Isis as a revigorating charm Plato tied a bond between the oldest conservatism of humanity as lingering on in Egypt and its youngest progressive impetus as breaking up in Greece. This bond proved of surprising strength in all following developments of Christian and Islamic civilisation. For present humanity in its endeavour to create a synthesis of Oriental and Occidental forces Plato's voicing Egyptian harmonies in Hellenic words has still the full power of an actual event.

Why did Plato leave Athens after the death of Socrates, why did he start on long travels? To seek adventures? To satisfy his curiosity like Herodotus? To forget his tragic loss in foreign surroundings? All this is mere trash. Plato wanted only one thing: to find universal harmony. He found something of it among the Pythagoreans in Italy, but more of it in Egypt. So his daring flights to heaven lost their presumable character of sacrilegious attempts with insufficient forces, they became appropriate and moderate movements with new-gained transcendent security. Now the first series of dialogues describing the soaring to the stars under the guidance of Socrates could be worked out with literary mastership. But the naming of Egypt in these dialogues would have been as we saw a mere personal indiscretion of which Plato was incapable. Only much later when he had to discuss the appearance of perfection in time he could gratefully acknowledge his debt to Egypt with majestic symbols.

Is it possible to overesteem the tremendous impression made by the magic atmosphere of millenarian temples with the unbroken spirit of illuminated priests upon a mind like Plato's who was so deeply movable by the "potestas numinosa" and who, after all, lived in his country in a kind of mystical parochialism? The socalled Oriental wisdom with its doctrines and techniques which can be overrated and underrated with equal facility is of secondary significance in face of the overwhelming power of that altogether hieratic life itself. The probable initiation of the foreign sage to some stages of secret worship would be a definitive way of strengthening his metaphysical vitality, without necessary influence on the rational formulas of his philosophical message. On the other hand it is by no means excluded that single features of his myths, *e.g.* the pictures of the Beyond in the "Gorgias", the "Phaedo" and the "Republic" or the various emanations of royal wisdom as discussed in the outlines of the just community, owe a good deal to Egyptian models and suggestions.

mind, all rooting in the central problem how to reconciliate that mystical sight of the ideas with the fatal challenge of reality. So the Egyptian way of imbuing as it were the perishable existence with a kind of eternal time acquired actual importance on the symbolic stage of some of the following dialogues.

Here we must ask: had that plan of Plato's old age, which culminated in the sublime fragment of his super-Homeric Egyptian epos, praising primordial Athens in her fight against titanic Atlantis, had this broad vision of universal history any significance for the precedent vision of the ideal cosmos? That means: did the contact with Egypt also contribute to the conception of Plato's fundamental philosophy? The answer is emphatically in the affirmative. Only in the Egyptian temples Plato found living manifestations of mystical perfection beyond the abyss of fatal perishableness. So only there he could find the courage to say yes to his own most daring hopes as involved in the conception of "ideas". Let us never forget: Plato was not a modern Utopian, who makes theoretical plans according to the requests of his impatient will or his speculating wit. All his thoughts and plans were based on mystical experience. In Socrates he had found the power through which the human being may become eternal being. But Plato would not go the way of Socrates, he would not concentrate himself on his own perfection in order to become a kind of second Socrates. His was the passionate longing for a perfect community within which the law of universe would rule in earthly harmonies. And here we see the decisive point. Plato would never develop this longing as such, he would never try (as all modern idealists do) to draw himself out of the swamp of present reality by his own brain-rooted pigtail. Still less he would just describe his ideas about a fine world beyond and leave this world with moralising superiority in its desolate state. Even theoretically he would not admit this abolute contrast of an alleged perfection "there" and a hopeless misery "here".

So we have come to the end of our interpretation. Plato had found in Egypt the key to universal history, to history as a representation of the universe in universal mankind. Now we must put our last question: how must we explain that he speaks about Egypt only in the second part of his work? As we saw it is nearly sure that he made his great travel when he was approaching his fortieth year, and only two decades later, in the "Phaedrus", we find the first use of an Egyptian symbol which speaks with unmistakable intensity of his extraordinary experience on the Nile. But in these twenty years he had written as we think the whole first series of his dialogues which culminated in the "Republic". Why did he never mention, besides a few playful allusions (Socrates' swearing by the Dog, the Egyptian god, and the registering of the fare of sailing to Egypt, both in the "Gorgias") what he had seen in his younger age? There is, by the way, one important exception: the extensive praise of Ammon's oracle in the Egyptian desert, to be found in the smaller dialogue with Alcibiades. But as this dialogue as a whole is a problem we do not want to discuss it here.

The answer to the above question is this: Plato, who never exploited personal impressions without a possible symbolical evaluation, had no reason to speak of the value of history in the first part of his philosophical display. He had to reveal the idea of perfect life as it is founded in timeless being. He had to excite in the souls of his contemporaries the longing for that life and he could stir them only by appealing to the noblest instincts, traditions and ideals of their most intimate interior which, of course, was entirely Greek. Socrates, the symbolic leader of his mystical campaign, had practically never left Athens. So Plato did not leave it either. Even the detailed description of the state of justice was carefully kept in the sphere of a metaphysical sight, with consciousness rejecting the debate about a future realisation, which forcibly would have conducted to the future, that is, to a temporal aspect. Only when the great work was done and the "Republic" brought to its mythical conclusion new questions arose in Plato's

Socrates had really said. Nevertheless all these sentences are substantially Socratic, because the concrete experience of Socrates' mystical power is their real cause.

The whole story of primordial Athens and Atlantis may be a pure invention of Plato's, but it could be put in the mouth of the Egyptian priest only, because Egypt had revealed to Plato her mystical substance of eternity in time. We are sure that Plato would never have ventured to send his ancestor Solon to Egypt, if he had not found in the tradition about him some sparks of that concrete Egyptian wisdom. Nevertheless the words addressed to Solon by the priest have no need of historical precision, they are the "expansion of the substance" in the enchanting tale. It is hardly thinkable that an Egyptian under the Saitic dynasty had already sufficient insight into Greek mentality (which was still in the pre-philosophic state) in order to understand the character of Greek irrepressible youthfulness. But the gist of it could have been discussed in Sais or Heliopolis by Plato himself with the priests, and the symbolical value of the discussion would not suffer from its transfer to Solon.

There could be found a contradiction between the judgment of writing, of γράμματα, in the "Phaedrus", where they are characterised as futile, and here in the "Timaeus", where they seem to contain the most elevated historical wisdom. But all the stress in the latter must be laid on the word "holy", ἱερά. This view had no place in the "Phaedrus". "Sacred signs"—that means that the hieroglyphs are here understood in the true Egyptian sense. They bear in themselves mystical powers, that is, they can be interpreted only by priests who are inspired from mouth to mouth, from living soul to living soul through cosmic knowledge (as praised by Ammon and Socrates in the "Phaedrus")—for which the signs are an appropriate help. And the history of Athens and Atlantis which could be read in them (if they were read with the secret art of reading!), that history was by no means a congeries of mere facts, but as a whole and in every detail a development of eternal truth in temporal events.

writer of the 19th or 20th century. In his master Socrates he had found the living bearer of transcendent wisdom who was illuminating the souls beyond the power of words. But undoubtedly his disciple's greatest natural gift was an overwhelming power of words.

So Plato created a verbal manifestation of his own, melting wisdom into beauty and providing a body of symbolic speech to the soul of his metaphysical inheritance from Socrates. The art and style of his dialogues in which he had neither predecessors nor followers is purely symbolical. The words in them are not communicated in order to say something "real", *e.g.* to tell a story, but with the only scope to point to a metaphysical order into which Plato wishes to lead his hearer. This is possible because Plato had a realistic experience of metaphysical power. He could name the real causes of that experience and introduce them into his words as the lively symbols of the cosmic order. He had found the main cause personified in Socrates. The temple of Egypt with its songs and dances, its wise priests and holy signs he found as another. But this symbolism goes much farther. There is no name in which there is not hidden a mystical view, there is no reported event, no described gesture which must not be understood as the flash of a mystical hint. In this light of symbolical truth mere fantasy or artistic effectiveness simply fades out.

According to this view the introduction of the Egyptian priests can only mean that they had conveyed to Plato a concrete metaphysical experience. So their words could have symbolic value by pointing to the eternal order with which alone Plato is concerned. On the other hand, in all details of their description, in the whole expansion of their mystical substance Plato is naturally free to follow his creative imagination without which the substantial truth could not insinuate itself into the hearts of his hearers. So perhaps no single sentence, proferred by Socrates in all the dialogues, is an exact repetition of what the historical

founded by the Goddess Athene-Neith even 1000 years before Sais (or Egypt as a whole ?). Many of the laws that had granted Egypt her duration in unique dignity were given first to that Athens which, before all, had a ruling class of priests. Moreover, Athens had received from Athene a cosmic wisdom (φρόνησις περὶ τὸν κόσμον), she had the power of prophecy and the art of medicine. Her people, arisen from the seed of Earth with the help of heavenly Fire, had the finest spirit of justice and courage, embodied in a class of warriors whose separate character (if not virtue...) could still be found in the soldier caste of Egypt. The priest repeatedly pointed to the "holy registers", the ἱερὰ γράμματα of their temple, covering a period of 8000 years, where Solon could find all documents concerning these narratives. Of no importance for our considerations are the further details of that philosophical epos which Critias is going to recite after the cosmological introduction of Timaeus. It remained a fragment. For us it suffices never to lose out of view that the whole primordial history was supposed to have come from the Egyptian holy tradition, told by the old priest to Solon, by old Solon to young Critias I, by old Critias I to young Critias II, by old Critias II to Socrates, to his friends and to (very young) us.

Many interpreters of "Timaeus" and "Critias" say: "All these Egyptian stories must not be taken so seriously... Plato in his old age wished to leave free course to his fantasy and to encourage his Athenian readers by telling them unknown glories of their past. How could he make such stories probable and amusing at the same time ? Why not take them from Egypt, a distant country, full of horrors and secrets and lately an allied of the Greeks ? Why not bring in Solon about whom fables of every kind were rife ? Plato was an artistic writer of the first class. We must be comprehensive and thankful at the same time and enjoy his tales without falling into neo-Platonic obscurantism." This opinion, of course, cannot be refuted with mathematical strictness. Nevertheless it seems (in its many varieties) unconvincing. Plato was a visionary, hardly interested in the success of a European

his old namesake). Through this touching half-hidden symbol Plato puts his own existence into the mysterious after-glow of the remotest past. Old Critias who at the dramatical date of the "Timaeus" (about 420 B.C.) could not be much under eighty had heard the story as a boy of ten years (about 490 B.C., in the year of Marathon?) from his grandfather and namesake Critias, a patriarch of ninety at that time. This Critias was the son of Dropidas, a great friend and perhaps relative of the famous sage Solon, and as a young man he had been present when Solon was telling about his marvellous experience in Egypt. So we have at last arrived at the source, the run of historical tradition through the generations (especially from very old to very young men) having been developed before our eyes. Solon travelled to Egypt nearly two centuries before Plato. He came to the town Sais in the Delta, the home of the last powerful Pharaonic dynasty and the seat of a very old cult of the goddess Neith which was identified with Athene, so that the Athenians were beloved in that town like children of the same heavenly mother. Solon, received with much honour, (a remembrance of Plato?) tried to discuss antiquity with the local priests. He was not able to trace the past beyond that big deluge after which arose what the Greeks thought to be the first men. So a very old priest rebuked him with the famous words: "Oh Solon, Solon, you Hellenes are never anything but children, and there is not an old man among you". He informed his amazed guest that there had been many deluges before the last one which alone was known to the Greeks and that the Nile, "the never-failing saviour of Egypt", had preserved his countrymen from perishing in the floods or from fleeing to the highest mountains in whose bare spaces the remnants of all the other tribes had lost their cultural inheritance and had to start on a new process of civilisation after the waters had flown away.

So the Athenians have totally forgotten and only the wise people among the Egyptians know that before 9000 years there existed another Athens, the Urathen we have mentioned already,

members of noble families for whom the sacred acting was a traditional duty, not the highest aim of mystical education and thought. Still less there existed an organised community of priests which would conserve the idea and practice of an hieratic life, independently of political confusion and social decay. Plato was, of course, keenly aware of these facts and therefore expressed his debt to the Egyptian priests with the unmistakable gratitude the symbolic signs of which we now wish to make clear.

That "historical" trilogy begins with the discourse of the Pythagorean Timaeus who describes the cosmic roots of man before all historical development. But in order to make it quite comprehensible that the very aim of the whole work is to show the position of man in time Plato gives the first word of the dialogue "Timeaus" to Socrates who expresses his wish for historical enlightenment. He had the vision of the perfect state as a remote picture (which he had expounded to his interlocutors the day before), but felt unable to transfer it into the movements and actions of the real past. In Greece only poets and sophists were available to discuss and describe the past. Of these the poets were addicted to the business of imitation which did not allow them to look beyond the narrow horizon of their special experience, while the sophists were rootless intellectual vagabonds. Plato could not express clearer the traditional inability of the Greek to visualise mystical powers (as appearing in the idea of the perfect state) within the frame of historical developments and to realise the current of transcendent reality in the temporal sphere, which embraces past, present, and future. Socrates, the very genius of Greece, looks for help. Help is brought to him from Egypt, through the mouth of Critias who is going to tell the historical revelations of an Egyptian priest.

This Critias was the great-grandfather of Plato himself, namely the grandfather of his mother Perictione, daughter of Critias' son Glaucon. (The famous tyrant Critias was a son of Glaucon's brother Callaeschrus and consequently a grandson of

remembered and described with transcendent inspiration only, never with empirical investigations and amusing tales. The "Phaedrus" throws just a glance at this conception of history, while a later work makes a sublime effort at realising it in a full display of past events. This work was planned as the triad of the dialogues "Timaeus", "Crito", "Hermocrates". It was intended to be not a fortuitous history of a single nation or a single period, but the description of "history itself", of the series of those cosmic events which symbolically would represent the idea of mankind in time.

The idea of mankind was once realised by an ideal community of the laws of which Plato had developed, as an abstract possibility, in the "Republic". In his old age he imagined that this community had existed nine thousand years before his time in no other country than his own: primordial Athens, Urathen, had been the seat of a human life in cosmic harmony. What else could be "history" worth of attention? The greatest historical deed of that ideal city had been the victory over the despotic power state Atlantis in whose monumental organisation all destructive possibilities of the human soul had been represented as it were by a negative picture of the cosmic idea. In the fight between Athens and Atlantis, between highest freedom and lowest servitude, between ideal harmony and material despotism history would have appeared as the mirror of genuine transcendental memory.

This conception of the past, or better, of time, of temporal development and temporal achievement as a worthy medium of philosophical thought was for Plato the gift of Egypt. In Greece nothing of the kind was to be found. There was no sense of metaphysical history in the Greek cults, not even in such centres as Delphi or Eleusis, nor any sense of a holy state in the political commumities. This was impoossible, because the figure of the real priest had vanished from Hellenic society. Practically all high functions of divine service were administered by worldly

Hermes, the dispenser of unexpected findings. Hermes is the Greek name for Theuth! So Plato expresses his gratitude by making him the hero of his gay little myth.

One must understand what μνήμη means in opposition to ὑπόμνησις. It is not the recollection of facts. For facts as such are shadows, they are perishable and illusory sensations in the Platonic philosophy. They are not the objects of μνήμη. Whether a nation remembers, by oral or written tradition, the exterior facts of its earlier existence through few or many centuries has no importance for Plato. The Greeks had a very short reminiscence of such facts and the Egyptians a very long one. But that is not the real point. Plato admires Egypt not for the amount of her reminiscences, but for the continuity of her μνήμη which is identical with ἀνάμνησις, that is, with metaphysical recollection as expounded in "Meno" and "Phaedo". The Egyptians "remembered in their interior by themselves" (ἔνδοθεν αὐτοὶ ὑφ' αὑτῶν ἀνεμιμνήσκοντο). In their cult the priests conserved a permanent unity of the cosmic soul and the earthly body. They "remembered", that is, they obeyed the laws of a divine order in whose all-embracing power forgetfulness, that is, the resistance of time against eternity, was suppressed and the opposition of the present to the past was cancelled. The ancient traditions were kept up and—as a minor consequence—the facts of past history were remembered, because generations after generations were inspired by the ever-renewing presence of cosmic μνήμη, of immortal mystery.

The Egyptian king of the "Phaedrus", that ideal statesman, who unifies in his person supreme wisdom and supreme power, gives us, the first time in Plato's work, a hint at history in the great sense. By opposition to the futile invention of writing (Egyptian only for fun's sake) he reveals the majestic power of perennial memory. This memory can find an expressive symbol in the knowledge of the past, and that is history, which as we just were seeing is not a heap of facts, but the representation of the everlasting laws in time. Therefore it could be conceived and

characters and not remember of themselves (οὐκ ἔνδοθεν αὐτοὺς ὑφ' αὐτῶν ἀναμιμνησκομένους). The specific which you have discovered is an aid not to memory (μνήμης), but to reminiscence (ὑπομνήσεως), you give your disciple not truth, but the imagination (δόξα) of truth".

Phaedrus admires Socrates, because he can invent so easily tales of Egypt. As an invention indeed appears this story to us too, for the simple reason that the finding of letters, that is of hieroglyphs, could never have been praised by an original Egyptian as offering a specific to memory. Hieroglyphs were signs for sounds in a partial sense and secondary way only. Their original power which was strongly felt until the end of their use appears in the magic symbolism by which they conveyed visible presence to superhuman radiations. If Plato was in Egypt he certainly was the first to realise this character of the "sacred carvings". At any rate he would have understood them as he understood the pictures on the same walls (*cf.* "Laws", 656 D, also "Timaeus", 23 A) as an immediate help for representing not gestures of the body, but directives of the spirit. Even Plotinus six hundred years later had still a dim knowledge of these things. Why, then, does Plato place his criticism of Greek mechanical sound reproduction in the Egyptian milieu where the painted sings were much more than mechanical helps? Because only there the contrast of living tradition and self-deceiving forgetfulness could be made clear. In Greece there was no powerful μνήμη by which the primordial truth was carried on through the centuries. So it was impossible to show through Greek inventions in a Greek milieu the danger which could arise for that truth from fictitious tricks of a resourceful mind. On which base could a Greek divine king (supposing that ever there was such a person) have rejected the new invention of techincal γράμματα? What did real μνήμη mean in Greek life? According to Plato it did not exist there. But he had found it in Egypt, and the tale in the" Phaedrus" is a precious testimony to that gift of luck, for which Plato had to thank

for transmitting visible models to the gestures of the living young... As he repeats at so many occasions painting is only a secondary imitation of reality. In these temples it had at least a vital function of helpful conservatism. The impression of this Egyptian ideal vitality is enhanced by its contract to the arbitrary, amoral and fickle behaviour of the Greek poets whom Plato does not forget to oppose as the authors of all instability to the eternal performance of Isis.

The lasting power of sacred Egyptian life is glorified in another way in a famous passage of the "Phaedrus", written a long time before the "Laws", but also belonging to the second period of the philosopher's work. Plato was probably not far from his sixtieth year when he was composing his last great praise of Eros as the onlie begetter of inspired language. Towards the end of his wonderful walk with young Phaedrus Socrates raises the question how far writing would be useful for conserving the power of speeches. He comes to a negative result. A word written in the past by a person whom one could not ask about his meaning is unable to conserve the dynamism of the spoken word as acting between living souls. In order to give this unpleasant truth a pleasant introduction Socrates tells a jocular story from Egypt about the first invention of script. According to this the Egyptian god Theuth, whose sacred bird was the ibis, had invented a great number of useful arts: arithmetic and calculation, geometry and astronomy, draughts and dice, and at last γράμματα, the art of writing. These arts he offered to Thamus or Ammon, divine king of Egypt, ruler in Thebes, for their being used by his people. The king examined them all, but he rejected the letters. Theuth had said: they will make the Egyptians wiser and give them better memories, they are a specific both for memory and wisdom (μνήμης τε καὶ σοφίας φάρμακον). To this the king replied: "This discovery of yours will create forgetfulness in the learners' souls, because they will not use their memories; they will trust to the external written

the new and weariness of the old has not strength enough to corrupt the consecrated song and dance, under the plea that they have become antiquated. At any rate they are far from being corrupted in Egypt".

It seems difficult to think that a very old man, who speaks with such an intense praise of divine songs probably composed by Isis and of their perfect execution, should reproduce second-hand impressions and theoretically analyse the feelings of some-one else. So let us keenly suppose that Plato knows of what he is speaking (he usually does...) and that he communicates an experience of immeasurable value. Whatever he may have dreamt about a perfect life here he tells us that he has seen and heard its sacred representation. And this representation knew no age. These perfect movements and gestures, these enrapturing rhythms and melodies had been created in an immemorial past and had kept their divine character in limbs and throats of immemorable generations which were blessed by a never-failing method of education. The masters of this education were the kinglike priests.

So this chain: divine creation, priestly wisdom, kinglike power, unbroken tradition, methodical education, youthful beauty in perfect present performance—this chain which was the result of his deepest thinking in Greek transcendental values found its living confirmation in Egypt. We do not wish to exaggerate. This confirmation was limited to a narrow circle of traditions conserved in hermetical enclosures within a degenerate national community. Plato was far from finding his ideal city on the Nile. But he found a miraculous message in living symbols which told him that his ideas were mysteriously one with the oldest achievements of inspired humanity. It is interesting to see that Plato's enthusiasm is concentrated on the musical and choreographic side of his experience. The artistic values of the Egyptian pictures on the temple-walls did not catch him for a minute. The pictures were nothing to him but technical devices

loved them. But doubtlessly they pointed for him towards his central conception of the royal philosopher.

Let us quote now the passages of the "Laws" which show the purest and holiest impressions Plato ever received in sacred surroundings so that eternity itself sounded in his ears (656 D). The Cretan old man asks: "What are the laws about dancing and music in Egypt"? The Athenian old man answers: "You will wonder when I tell you (Θαῦμα καὶ ἀκοῦσαι). Long ago they appear to have recognised the very principle of which we are now speaking—that their young citizens must be habituated to forms and strains of virtue... These they fixed, and exhibited the patterns of them in their temples: and no painter or artist is allowed to innovate upon them, or to leave the traditional forms and invent new ones... To this day, no alteration is allowed either in these arts, or in music at all... And you will find that their works of art are painted or moulded in the same forms which they had ten thousand years ago;—this is literally true and no exaggeration,—their ancient paintings and sculptures are not a whit better or worse than the work of to-day, but are made with just the same skill".

The Cretan exclaims: "You speak of miracles" (Θαυμαστόν λέγεις). The Athenian continues: "Certainly I speak of things worthy of the legislator and of the statesman in the highest degree. I know that other things in Egypt are not so well. But what I am telling you about music is true and deserving of consideration, because showing that a lawgiver may institute melodies which have a natural truth and correctness without any fear of failure. To do this, however, must be the work of a god or of a divine person; in Egypt they have a tradition that their ancient chants which have been preserved for so many ages are the composition (ποιήματα) of the goddess Isis. And therefore, as I was saying, if a person can only find in any way the natural melodies, he may confidently embody them in a fixed and legal form. For the love of novelty which arises out of pleasure in

goes the following sentence, evidently implying personal souvenirs de voyage (Laws, 953E): "We should show respect to Zeus, the god of hospitality, not forbidding strangers at meals and sacrifices as in the manner which prevails among the creatures of the Nile (θρέμματα Νείλου, nearly equal to "those beasts of the Nile"), nor driving them away by savage proclamations".

Plato does not speak either of the Egyptian state nor of the Pharaon's divine kingship which had been just restored to liberty in his time. Nor does he join the chorus of admirers of colossal monuments. Neither the "regalis situs" of the pyramids nor the "Labyrinth" nor other monumental buildings impressed themselves on his mind as unforgettable symbols of eternal life. Were their unmoving stones rather symbols of eternal death to him? His philosophical emotions palpably arise in the atmosphere of the living priests. There is a revealing passage about Egyptian priests in the "Statesman" (290 D/E): "the priest and the diviner are swollen with pride and prerogative (φρονήματος πληροῦται) and they create an awful impression of themselves (καὶ δόξαν σεμνὴν λαμβάνει) by the magnitude of their enterprises. In Egypt the king himself is not allowed to reign unless he has priestly powers and if he should be of another class and has thrust himself in he must get enrolled in the priesthood (εἰς τοῦτο τὸ γένος)". In Greece, as Plato continues, there is also some pride in the priestly character. But it lives on in the biggest sacrifices only which are offered by the highest magistrates, that is, by merely functional priests. So at Athens "the most solemn of the ancient sacrifices are supposed to be celebrated by him who has been chosen by lot to be the King Archon". As we see the proud and awe-inspiring character of a vocational priest whose lifelong position was kinglike in substance and law could not be studied by a Greek in his country where the importance of such figures was mere recollection to be found in some archaic customs. Their presence as spiritual power was realised by Plato in Egypt, and as it were he admired them more than he

Syracuse, from where he was brought home via Aegina as a kind of prisoner, having excited the wrath of the old tyrant Dionysius. So the journey to Egypt may have taken place at any time in this decade between 398 and 388 B.C. Even a slightly later date, implying another departure of Plato's after his return from Sicily, could not be excluded on principle. We may sum up, at any rate, these considerations by stating that there is not the tiniest argument forbidding to admit the reality of Plato's travel to Egypt. So we are free to interpret the spiritual content of his dialogues under the aspect that a definite contribution of real Egyptian experience may be sought in them.

There are about twenty passages spread out over the dialogues which deal with Egyptian matters. Most of them are short mentionings of isolated facts, a few go into details. They all seem to say something of the importance which that country had for the Platonic thought. But we shall limit ourselves here to interpreting the few outstanding passages which throw, if rightly understood, a full light upon the deep impression or, as we may say, on the metaphysical revelation experienced by Plato in the sanctuaries on the Nile. Let us state one fact at once. When we are speaking of Egypt in this positive sense we mean the holy life in her temples only. Plato makes it very clear that he distinguishes between the sacred and the profane sphere of the old country. In the "Laws" he says (657A): "Other things you will find bad in that place, but what I am telling you about (sacred) music..." and so on. He does not care for what to-day would be called the "national character" of the Egyptians. Not without a smile we read his angry statement ("Laws" 747C) about the "habit of craft,—which evil tendency may be observed in the Egyptians and Phoenicians and many other races, through the general vulgarity of their pursuits and acquisitions..." or about "the love of money which may be attributed to the Phoenicians and Egyptians". We cannot help hearing in such words the echo of a traveller's unpleasant incidents (he may have been cheated when selling his oil...). Even farther

passage money of two drachmas for one person ! The residence there could be financed by some of the highly appreciated Greek export goods, *e.g.* by a big amphora full of the delicious Attic oil. Plato as his late biographer tells us ventured to travel with such oil (if this is not meant to be an allegory of Attic wisdom). Egypt had just thrown off the Persian yoke, she had again a pharaon of her own. Greeks of all kind were welcome allies and guests. They were to be found in many parts of the country, not only in the old military settlement Naucratis in the Delta. Last not least, eminent travellers like Plato-who betrayed by their appearance and speech a genuine humanism were certainly received with dignified kindliness by the priests, at whose temple-gates they knocked in search of hidden wisdom.

It is by no means impossible that Plato was really initiated, if not to the highest degree, into the mysteries of the sun worship in Heliopolis—which whatever they were certainly were manifestations of genuine metaphysical power, incomparably more impressive than anything of the kind a Greek could find in the sanctuaries of his own country. And Plato as an Egyptian mystagogue would be bound by a double silence, the sacred seals of the cult being added to his own usual reticence about his person. We may be allowed to mention that this was the definite opinion of the late sufi René Guénon. Plato's silence was for him an evident sign of his initiation into Egyptian sacred rites. His view in this matter seems to deserve more attention than that of other modern Europeans who have lost all connection with that world of mysteries which played a tremendous rôle in Plato's thought and life.

As to the date of the Egyptian travels there is no lack of opportunities for settling it within the frame of the philospher's life. In this we know two certain dates : Plato left Athens after the death of Socrates in 399, temporarily to stay with his friend Euclides in Megara, and he was near forty, according to his own testimony in his seventh letter, when he went the first time to

All our poor knowledge of his life is based on those late compilations, made at the earliest a half millennium after his death. There, with negligible exceptions, the voyage to Egypt is a generally recorded fact. No detailed descriptions are available in them, nor are the dates of the travels exactly mentioned. Their order, too, is given in different ways as that period has got no longer a special interest in the exactitude of facts. But there is no hint at any discussion which would have put into doubt the visit to Egypt itself.

Cicero is the first serious and informed writer in our documents for whom the sojourn of Plato in Egypt is a matter of undebated fact. Strabo and Plutarchus are his nearest and most important followers in that respect. Cicero was in personal connection with the representatives of the Academy and, of course, with many other outstanding Greek philosophers of his time. He saw the last days of an unbroken and undisturbed tradition of the enlightened spirit which had acted in Athens since the fourth century. There was an inheritance of clear and conscious reason, bearing no traces yet of the future taste for pseudo-mysticism and speculative fake. It seems incredible that "orientalising" legends about Plato should have been mixed with historical truth by the leading Greek philosophers of that time and accepted by their Roman followers. The process of obscurantism started later on spreading a veil of dimness over the spiritual relations between Greece and the older Eastern world. Plato was already safe in Egypt, protected by sober historical sense, before mere fabulosity would send him thither.

Common sense is entitled to put the opposite question to the modern systematical sceptics: why should Plato not have gone to Egypt? Really, for an Athenian of the beginning fourth century B.C. such a travel was not a more dangerous adventure than a sailing to Syracuse. There was a heavy traffic to the Nile from Attica, the "Gorgias" even mentions the modest

songs and words. This experience meant a decisive encouragement to the philosopher. It made him continue his line and bring the Greeks his message of the everlasting idea which may become real and enduring on earth.

In these few sentences we have summed up in anticipation our opinion of what Plato sought and found in Egypt. We must now interpreste his own words in order to prove that they bear witness to that decisive experience we attributed to him. But first a general doubt must be discussed which is often connected with Plato's travelling to the Nile. People who are sceptics concerning all spiritual ties between Greece and the mysticism of the older civilisations never fail to raise the question: has Plato been in Egypt at all? We cannot base our arguments on mystical values only. First commonsense has a right to be satisfied. What does it tell us about the historical facts in this case?

Plato in his dialogues never speaks of himself. So we could not expect his travels to Egypt to be mentioned there. Only in his epistles, all written in his very old age, he gives direct information about his life. But even there his personal experience is treated only within the strict limits given by the scope of the special letter. So in his famous seventh epistle Plato speaks in many details of his political development in his youth and of his travels to Sicily, because he is writing to Sicilians about their and his common political problems. His Egyptian adventure had nothing to do with this line of actions and thoughts, so we are by no means surprised to see it left in silence here. Furtheron all biographical and historical writings treating Plato out of immediate experience have been lost. No work of Aristotle or of other disciples of Plato, where details of his life would be discussed, has escaped destruction. The whole philosophical literature of the following centuries is not known to us but in most fragmentary quotations of later compilators and does not give us, as far as we can see, the slightest direct information about Plato's earthly existence

PLATO IN EGYPT

BY

HELMUT VON DEN STEINEN

Egypt is for us the homeland of human eternity. This is meant in the literal sense. Ancient Egyptian civilisation worked out the forms of religion and life, of art and state in which eternity was believed to be present as the soul in a living body. There was no division between the invisible eternity in heaven and the perishable existence on earth. Heaven was the immortal law ruling over the mortal beings on earth. Gods and men served the same law just as light and shadow are manifestations of the same sun. All human works were dedicated with unique intensity to the service of eternal power. So Egypt was blessed by a reward of heaven which has not been granted to any other human community. She lasted and lasted, while other nations were rising and falling. Even in the periods of decay her holy life continued to shine and the final decline of her oldest traditions stretched out through uncounted centuries.

One might say, even in her mummified state Egypt preserved a treasure of eternity from which her conquerors and visitors derived the greatest benefit for their own participation in immortality, Alexander no less than Cæsar and even Bonaparte in our days. Perhaps the most important visitor to the Nile who came there in search of heavenly powers and found them in unexpected glory was Plato. In his own country he had conceived the idea of imperishable being. But would it be humanly possible to bring the idea into earthly existence? To this question Egypt gave an answer: she revealed to Plato mystical gestures of eternity, which were still living in the precincts of her sanctuaries. She showed immortality in human thoughts,

continued in its main features into Roman times: added charges are frequently found in tax-receipts of the first and second centuries A.D. under the name προσδιαγραφόμενα, at varying rates which are generally comparable to the Ptolemaic: there were alternative methods of statement, but the results are the same'. (1)

(1) MILNE *J. E. A.*, XI, p. 282.

the tax-payers a certain percentage normally $6\frac{1}{4}\%$, of the amount *sent* into the bank. The word *šp*, on the other hand, means 'to receive', 'to collect'; hence its use as the name of an extra charge literally meaning 'collection (-dues)'.

In section 12, above, the poll and fodder-merchant's taxes are stated to have been collected 'without prosdiagraphomena'. This might, however, indicate that the prosdiagraphomena have to be paid on a future occasion. The most significant point here is the reference to the prosdiagraphomena in connection with the tax on the fodder-merchants due for the year 34 of Augustus at Thebes. This seems to show that these 'extra charges' were known at Thebes before the 41st year of Augustus and not to have been introduced there between that year and the 43rd year of the same emperor as has hitherto been supposed; cf. Tait, *Ostraca*, p. 88, note on No. 79, ad fin.

In receipts from Edfu the prosdiagraphomena never figures in connection with payments for taxes. But a receipt from that locality issued at the beginning of the year in respect of 10 obols for *p ḥmt (n) wt* 'the copper of prosdiagraphomena' (if the word *wt* here has the same meaning as that which we have already dealt with above), seems to indicate that the prosdiagraphomena at that locality were not paid simultaneously with their respective taxes, as was the case at Thebes, but rather in a lump sum at the end of the year for which they were due or at the beginning of the new year; (Section 13).

From section 14 it seems that *wt* had already existed in the Ptolemaic period as the name of an 'extra charge' and that it persisted into the Roman period when it corresponded to the prosdiagraphomena. 'In the IInd and Ist centuries B.C. the Ptolemaic Government allowed the banks to charge on the farmers or payers of taxes and the farmers to charge on the payers an extra percentage to cover the costs of collection, and in the case of taxes assessed in silver a further percentage for the conversion of copper into silver'. 'The system of charges seems to have

the amount due' the officials sometimes took it to mean 'substract $\frac{1}{16}$ from the amount paid', he compares this to the modern distinction between true and bankers' discount; (3) in receipts for λαογραφία from Arsinoe, the 10 obols said to be paid as προσδιαγραφόμενα on 20 dr. include $2\frac{1}{2}$ ob. for συμβολικά; (4) in receipts for Ἰουδαίων τέλεσμα 8 dr. 2 ob. are said to be the τιμὴ δηναρίων δύο, the extra charge in this case amounting to only 1 obol to the stater instead of $1\frac{1}{2}$ obols; (5) other rates of the προσδιαγραφόμενα are found in receipts for those few taxes for which, in the Roman period, payment was still accepted in Ptolemaic copper, *i.e.* the ἀπόμοιρα, ἐπαρούριον, ναύβιον and sometimes ἐγκύκλιον, the extra charges added to these taxes being survivals from the Ptolemaic period; (6) in the case of some taxes imposed for purely local purposes there was probably no extra charge. The extra charge of $6\frac{1}{4}\%$ was exacted because, he believes, the money was 'ῥυπαρός (just as the προςμετρούμενα were exacted because the corn was 'ῥυπαρός); *i.e.* because tax payments were made either in the debased silver of the later Ptolemies, or afterwards in the billon tetradrachms of Alexandria; and not in the Roman denarii, which alone were accepted at their full nominal value, but in practice did not circulate in the χώρα.

That the προδιαγραφόμενα of the money-taxes is comparable to the προσμετρούμενα of the corn-tax is quite true in the sense that each of them constituted an 'extra charge' (the first, in money, and, the second, in kind) to meet the expenses of collection, but not because money and corn were 'ῥυπαρός, especially when we realise that the προσδιαγραφόμενα and προσμετρούμενα are the Greek counterparts of the demotic *wt* and *šp*, which literally mean 'sending' and 'receiving-dues' respectively. The word *wt*, is technically used for 'paying' money in a bank; it literally means 'to send' money into a bank. Its use as the name of an extra charge points to the practice of *sending* the money-taxes to the bank through the tax-collectors who charged

9. *'rm-w p wt ḥmt 2* 'with them (sc. one stater ½ kite 2 obols for dyke-tax of the 3rd year of Tiberius) are the prosdiagraphomena, 2 obols'.

10. *'rm pe-w wt ḥmt 1½* 'with their prosdiagraphomena, 1½ obols' with reference to the sum of one stater for the 'account of freemen' of the 3rd year of Tiberius.

11. *'rm (?) p wt ḥmt 2.t* 'with the prosdiagraphomena, 2 obols' in respect of one stater one kite 4 obols for the dyke-tax of year 16 of Tiberius.

12. *(n) wš (n) wt* 'without prosdiagraphomena' in three receipts, the first of which is for the tax on the fodder-merchants due for the 34th year of Augustus, the second for the price of barley for the 41st year of the same emperor and the third for the poll-tax of year 11 of Tiberius.

13. A receipt for *p ḥmt (n) wt* 'the money of the prosdiagraphomena'. It comes from Edfu and belongs to the 4th year of Tiberius.

14. In a receipt from Gebelein of the year 107 B.C. a certain Panebkhōne pays 80 Silver pieces (?) for apomoira *e pe-w wt ḫn-w* 'their extra charge (?) being (included) in them'.

Sections 1-3 record the rate of the prosdiagraphomena as 1½ obols to the stater. Section 4 gives a rate of 1 obol only. Section 5 merely refers to the prosdiagraphomena as being paid without fixing the rate. Sections 6-10 record the total sums paid for the prosdiagraphomena. In section 6 the rate rises to 2·7 obols to the stater. In sections 7-10 the rate is 1½ obols, while in section 11 it is 1·2 obols to the stater. The normal rate of the prosdiagraphomena was 1½ obols to the stater of four drachmae. The exceptions Tait explains on pages 87 and 88 of his *Ostraca* as follows: (1) fractional amounts less than 2 ch., or sometimes 4 ch., may be either neglected or reckoned as wholes; (2) although προσδιαγραφόμενα ἑξ—c properly means 'add$\frac{1}{16}$ to

(b) *p wt a ḫ ḥmt 1 1/2* 'the prosdiagraphomena at the rate of *1 1/2* obols' with payments for the poll and bath taxes of year 9 of Tiberius combined, for the poll-tax of years 12 and 14 of the same empeor, for the dyke-tax of his 18th year and for the combined dyke and bath taxes of the 23rd year of Tiberius and the 5th of Gaius.

(c) *'rm pe-w wt a ḫ ḥmt 1·t 1/2* 'with their prosdiagraphomena at the rate of 1 1/2 obols' with a poll-tax of the 11th year of Tiberius.

(d) *'rm wt a ḫ ḥmt 1 1/2* 'with prosdiagraphomena at the rate of 1 1/2 obols' with the tax on palm-trees for the 17th year of Tiberius and the combined poll and bath taxes of the 3rd year of Gaius.

4. (a) *pe-w* (?) *wt a ḫ ḥmt 1* 'their prosdiagraphomena at the rate of 1 obol' referring to the amount paid for the dyke tax of year 17 of Tiberius.

(b) *'rm wt a ḫ ḥmt 1·t* 'with prosdiagraphomena at the rate of 1 obol' with payments for the tax on vineyards for the 18th year of Tiberius, the poll of years 7 and 8 of the same emperor and the combined poll and bath taxes of the 2nd year of Gaius.

5. *'rm p wt* 'with the prosdiagraphomena' with a payment for both vineyards and wine-taxes of the 12th year of Tiberius.

6. *'rm pe-w wt ḥmt 4 1/2* 'with their prosdiagraphomena, 4 1/2 obols' referring to the sum of one stater one kite 4 obols paid in respect of the dyke-tax of the 9th year of Tiberius.

7. *p wt ḥmt 4 1/2 'rm-w* (?) 'the prosdiagraphomena 4 1/2 obols with them' (sc. 3 staters for temple palm-trees on account of the 18th year of Tiberius).

8. *pe-w wt ḥmt 2 1/2* 'their prosdiagraphomena are 2 1/2 obols' with reference to the sum of one stater one kite 4 obols paid on account of the dyke-tax of each of the 2nd and 17th years of Tiberius.

In the following list I give instances which refer to these 'extra charges' together with the taxes in connection with which it occurs and the dates of their respective receipts. Sections 1–12 refer to receipts from Thebes while sections 13 and 14 concern, the first, a receipt from Edfu and, the second, another from Gebelein.

1. (a) *'rm p wt a ḫ ḥmt 1·t 1/2 a t sttr 1.t* 'with the prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols to each stater' with wine-tax of the 4th year of Tiberius, poll and bath taxes of the 6th year of Tiberius, and the tax on pigeon-houses of the 2nd year of the same emperor.

(b) *'rm pe-w wt a ḫ ḥmt 1 1/2 a t sttr 1·t* 'with their prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols to each stater' with poll, bath and dyke taxes of the 3rd, 4th and 6th years of the same emperor.

2. (a) *'rm pe-w wt a ḫ ḥmt 11/2 a t sttr 1·t nt ḥry* 'with their prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols to each of the above (-mentioned) staters' with reference to amounts paid for poll-tax of the 1st and 4th years of Tiberius and to an amount in respect of the poll, bath and pigeon-house taxes combined for the 4th year of the same emperor.

(b) *'rm wt a ḫ ḥmt 11/2 a t sttr 1·t nt ḥry* 'together with prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols to each of the above (-mentioned) staters' in connection with sums paid for poll-taxes of the 43rd year of Augustus and the first of Tiberius.

(c) *rm(?) wt(?) tn(?) ḥmt 11/2 a t sttr 1 nt ḥry* 'together with prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols to each of the above (-mentioned) staters' referring to the amount paid in respect of the tax on vineyards for the 43rd year of Augustus.

3. (a) *'rm p wt a ḫ ḥmt 1·t 1/2* 'with the prosdiagraphomena at the rate of 1½ obols' with the tax on palm-trees of the third year of Tiberius and the dyke-tax of his 16th year.

THE PROSDIAGRAPHOMENA; ITS FORM AND HISTORY IN DEMOTIC AND GREEK TEXTS

BY

GIRGIS MATTHA

P wt is the demotic for the προσδιαγραφόμενα, "additional payments", of the Greek texts. The phrase *'rm p wt a ḫ ḥmt 1.t 1/2 a t sttr 1.t* 'and the additional payments at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each stater' literally corresponds to καὶ προσδιαγρα(φόμενα) ὡς τοῦ ἑνὸς στατῆρος ἐκ —— L of *Ostr. Strassburg*(1) 54 (*cf.* also *Archiv* (2), IV, p. 146). Révillout (Mélanges (3), pp. 201, 216 and 225) wrongly translates *p wt a ḫ ḥmt 1.t 1/2* 'le versement à Alexandrie', apparently reading *a Rc-qt* 'to Rakote (= Alexandria)' instead of *a ḫ ḥmt 1.t 1/2* 'at the rate of $1\frac{1}{2}$obols'. Revillout further explains the phrase 'le versement à Alexandrie' at the bottom of page 225 of his *mélanges* as follows: "Quant au versement à Alexandrie c'est un impôt spécial ... Il s'agissait sans doute de travaux faits à Alexandrie et pour lesquels on avait fait contribuer pécuniairement tous les Egyptiens comme pour la statue impériale ...". As a matter of fact no such contribution is traceable nor does Alexandria figure at all in the texts.

In translating the demotic *wt* I have used the corresponding Greek word prosdiagraphomena so as to show what kind of 'extra charge' the demotic word refers to.

(1) P. Viereck, *Griechische und Griechisch-Demotische Ostraka der Universitäts-und-Landesbibliothek zu Strassburg im Elsass.*

(2) *Archiv für Papyrusforschung.*

(3) E. Révillout, *Mélanges sur la Métrologie, l'Economie Politique, et l'Histoire de l'Ancienne Égypte.*

us a glimpse of the *Atellanae* in the imperial times. He says [1] "*Transeuntem eum Isidorus Cynicus in publico clara uoce Corripuerat, quod Naupli mala bene cantitaret, sua bona male disponeret; et Datus Atellanarum histrio in cantico quodam.*

ὑγίαινε πάτερ, ὑγίαινε ρῆτερ

ita demonstrauerat, ut bibentem natantemque faceret, exitum scilicet Claudi Agrippinaeque significans, et in nouissima clausula.

Orcus vobis ducit pedes

senatum gestu notarat". we gather from this report that the *canticum* and its musical accompaniment were outstanding features, and that the audience used to take the hints and gagging as if they were improvised, and that the use of Greek in the *Atellanae* was quite common. It is also obvious that they were used as a medium of occasional political satire [2].

To sum up, the Atellanae were short masked performances with *cantica* and music. They allowed of improvisation. No wonder then, as they have all these points in common with the *Satura*, that the Roman young men turned to them in preference to the Andronican *fabula*.

(1) *cf. Uit. Ner.* XXXIX.

(2) *cf.* also Suetonius *Uit. Gal.* XIII; *Uit. Calig.* XXVII; *Uit. Tib.* XLV.

It must be admitted, however, that in dealing with Horace' *Sat.* V. 54-70 one is necessarily never certain because (1) The scholiast says nothing about this Sarmentus, and (2) the *morbus Campanus* is not known, and (3) *domini* is better supported by the MSS. than *dominæ* in vs. 67 (1).

What were the characteristics of this drama that made the Roman youth prefer them to the plays of Andronicus? They were easy to act because they were short since Fronto (2) calls them by the diminutive form *Atellaniollae.* And they were acted in masks (3). As they dealt with the adventures of a limited number of stock characters, they allowed of improvisation, if they did not depend entirely on it. This characteristic element, added to easy acting, won the favour of the Roman youth at the beginning of their dramatic career and allowed the *Atellanae* to retain their attraction for the common folk right down to the imperial times.

Ancient scholars testify to the prevalence in the *Atellanae* of riddles and puzzles (4), of jokes and funny sayings (5), and of rustic facetious and ridiculous words (6). Horace testifies to the introduction of dances in it (7). But it is Suetonius who gives

(1) H. Nettleship, (*Lectures and Essays*, Oxford, 1885, p. 65) adds to the list of the characters of the *fabula Atellana*, but without substantial evidence, Bubulcus, Decuma, Fullo and parhaps Mamia.

(2) *cf.* p. 34, Naber.

(3) *cf.* Festus, p. 217 "*per Atellanos qui proprie uocantur personati quia ius est eis in scena non cogi ponere personam.*"

(4) *cf.* Quintilian, *Instit. Orat.* VI, 3, 47 "*illa obscura quae Atellani e more Captant*". *Obscura* of the MSS is now preferred to the emendation *obscena*. *cf.* W. Beare, *Quintilian VI. iii. 47 and the Fabula Atellana, The Classical Review*, 1937, vol. LI, pp. 213 sqq. *cf.* also Varro, *Sat. Men.* 198 b. "*potes eos non citius tricas Atellanas quam id extricaturos?*".

(5) *cf.* Fronto, p. 105 Naber, "*ex Atellanis lepidas et facetas*".

(6) *cf.* Fronto, p. 62 Naber, "*In Atellana uerbis rusticanis et iocularibus ac ridiculariis*".

(7) *cf. Sat.* I. V. 63.

continues) Sarmentus was one of the youthful favourites of Caesar such as the Romans call *deliciae*" (1).

It is natural to suppose that Dellius was not referring to more than a clown. Plutarch is explaining that the nickname is given to a young *delicia*. There is no historical ground to identify this Sarmentus with the one mentioned by Horace.

As regards the Sarmentus mentioned by Juvenal:

Si potes illa pati, quæ nec Sarmentus iniquas.
Cæsaris ad mensas nec vilis Gabba tulisset,

the scholiast says *natione Tuscus, e domo Marci Fauoni incertum libertus an seruus, plurimis forma et urbanitate promeritis eo fiduciae uenit, ut pro equite Romano ageret et decuriam quoque quaestoriam compararet. Quare per ludos quibus primum XIV ordinibus sedit, haec a populo in eum dicta sunt:*

> aliud scriptum habet Sarmentus, aliud populus uoluerat.
> digna dignis: Sic Sarmentus habeat crassas compedes.
> rustici, ne nihil agatis, aliquis Sarmentum alliget.

The wording of the people's satire, and the recurrence of the word Sarmentus show that Sarmentus was a nickname for a person. It appears that each Caesar had attached to his retinue a Sarmentus who was sometimes a favourite with the people and sometimes not. The scholiast is reporting the story of one of them. But once we take Sarmentus as a nickname, the historical connection between the one and the other disappears completely. There is something certain: that the Sarmentus of Horace accused of being a runaway (*fugitiuus*) cannot be identified with the Sarmentus of Juvenal as described by the scholiast, because this one was manumitted by Maecenas.

---

(1) *cf.* Ant. 49: ὁ δὲ Σάρμεντος ἦν τῶν καίσαρος παιγνίων παιδάριον, ἃ δηλίκια Ῥωμαῖοι καλοῦσιν.

no one of the guests took part in the *pugna*. It looks as if the professionals were left to themselves. This is clear from the jokes of Sarmentus at the expense of Cicirrus. They must be jokes that would allow Cicirrus to show his skill as an actor. We have a glimpse of the technique of the performance when Sarmentus asked Cicirrus to dance the Cyclops' pastoral dance to round off his rôle before he started his performance at Sarmentus. We have the physical description of Cicirrus as an Oscan with a bristly brow and a scar on his left side. He was tall, so much so, that he does not need a *Cothurnus*. Nor does he need a mask to perform, perhaps because his features were accentuated and marked enough.

Sarmentus, on the other hand, was a *scurra*, a jester (1). He starts the *pugna* and leads the game. We also know that he was lean and slender and so very weak. Sarmentus was born a slave (*Sarmenti domina exstat*). Now he is no longer a slave; he is engaged in another capacity as a free-man (2). Yet this did not one whit abate his mistress' claims. What claims? He fled his mistress not because he had not enough food (3), but perhaps to escape the exorbitant demands of his mistress. The obscene reference is characteristic of Cicirrus. This remark tantalizingly brings the report of Horace to an end.

Plutarch tells us that " Dellius (the historian) was also afraid of a plot against him by Cleopatra, ... For he had offended Cleopatra at supper by saying that while sour wine was served to them, Sarmentus, at Rome, was drinking Falerian. Now (he

---

(1) The word *scurra* occurs seven times in Plautus. *Cur.* 296: *Epid.* 15: *Most.* 15: *Poen.* 612, 1281: *Trin.* 202: *Truc.* 491. The *scurra* in Plautus is not a jester or a clown, but the effeminate man about town. In *Epid.* 15 and *Truc.* 491 he is contrasted with a soldier, in Most. 15, with a country slave. *Urbanus* is twice used with *scurra*, *Most.* 15 and *Trin.* 202.

(2) *cf.* vs. 65.

(3) *cf.* vss. 37 sq.

esse feri similem dico'. ridemus, et ipse
Messius 'accipio', caput et movet. 'o tua cornu
ni foret exsecto frons' inquit 'quid faceres, cum
sic mutilus minitaris? at illi foeda cicatrix
saetosam laeui frontem turpauerat oris.
Companum in morbum, in faciem permulta iocatus,
pastorem saltaret uti Cyclopa rogabat:
nil illi larua aut tragicis opus esse cothurnis.
multa Cicirrus ad haec: donasset iamne catenam
ex uoto Laribus, quaerebat: scriba quod esset,
nilo deterius dominae ius esse. rogabat
denique cur umquam fugisset, cui satis una
farris libra foret, gracili sic temque pusillo.
prorsus iucunde cenam producimus illam.

and whose name is glossed by Hesychius as meaning cock, has been ingeniously claimed by Dieterich as an addition to the characters of the *Atellana* (1).

If Cicirrus is accepted, there is no reason for keeping Sarmentus out of this family. He is mentioned four times in classical authors. In the passage of Horace, quoted above, which is referred to in Quintilian (2), in Juvenal (3) and in Plutarch (4).

Horace tells us that they were entertained on that evening by an arranged *ludus*. He refers to it as *pugna*. As the characters in the *Atellanae* appear in a variety of rôles, Horace tells us that Sarmentus is in the rôle of *scurra*, in the same way as Pomponius would say *Maccus Virgo*. It should be noted that

(1) *cf.* Dieterich, *op. cit.* p. 94 sq.
(2) *Instit. Orat.* VI. iii, 58. "*et Sarmentus Missium cicirrum equo fero comparauit*".
(3) V. 3.
(4) *Ant.* 59.

The third is Maccus. This name comes probably from the Greek μακκοᾶν = to be stupid (1). It was shown (2) that the root μακ = mak. signifies stupid greed, and that this was Maccus' chief quality (3). As representative of stupidity he is associated with Bucco in Apuleius. He, like Dossennus seems to have appeared in a variety of rôles. In the list of Pomponius' *fabulae* we find *Macci Gemini*, *Macci Priores*, *Maccus Miles*, and *Maccus Virgo* as we find *Duo Dossenni.*

The fourth character is Pappus. Πάππος is the Greek form of the name. Varro says that Pappus was an old man and was sometimes called by his Oscan name *Cansar* (4).

To these Boissier (5) adds Lamia and refers to Horace:

Neu pransae Lamiae uiuum puerum extrahat aluo (6). Cicirrus who occurs in the following passage of Horace'e Satires (7):

nunc mihi paucis

Sarmenti scurrae pugnam Messique Cicirri,
Musa, uelim memores et quo patre natus uterque
contulerit lites. Messi clarum genus Osci;
Sarmenti domina exstat: ab his maioribus orti
ad pugnam uenere. prior Sarmentus 'equi te

(1) *cf.* Aristophanes, *Knights*, vs. 62:
ὁ δ' αὐτὸν ὡς ὁρᾷ μεμακκοηκότα.

(2) cf. K. Sittl. *I personaggi dell' Atellana*, (*Rivista di storia antica e scienze affini*), I. 1890, pp. 28 sq.

(3) Modern Italians still use in the same sense the words *Matto* and *Mattaccio.*

(4) *De Ling. Lat.* VII. 29. "*item significant in Atellanis aliquot Pappum senem, quod Osci Cansar appellant*". *cf.* also *Festi Epit.* 33, 184. "*Cansar senex Oscorum lingua*".

(5) Daremberg and Saglio, s.v. *Atellanae Fabulae.*

(6) *cf.* A.P. vs. 340. For the Cennection of Lamiae with Lemures Larua and λαμυρός, see Paley on Ouid, *Fasti*, V. 41.

(7) I.V. 51-70.

The rôles in this drama were taken by stock characters, but our knowledge here is defective, and we have to depend on the derivation of the names of these stock characters.

We have Bucco whose large cheeks betoken either folly, stupidity or greed. We meet him in Apuleius (1) and in Plautus (2). Both references suggest folly and stupidity. Cornford (3) says that the fat cheeks are borrowed from the pig which in Greece stands for stupidity.

The second is Dossennus. Varro tells us that his other name is Manducus (4). This is described as *magnis malis ac late dehiscens et ingentem dentibus sonitum faciens* (5). This description appears to link Dossennus with food and love of eating, and this impression is confirmed by his appearance in Harace as a parasite (6).

Dossennus played a chief part in the *Philosophia* of Pomponius and appeared as a school-master in his *Maccus Virgo*. The passing stranger is bidden to read his wisdom in his epitaph quoted by Seneca (7).

It is not difficult to imagine a parasite full of wisdom, but most probably there were manv varieties of Dossenni.

---

(1) *De Mag.* 81 (Helm), "omnes itsi quos nominaui ... si cum hac una Rufini fallacia contendantur, Macci prorsus et Buccones videbuntur".

(2) *Bacchides*, vs. 1788 :

Stulti solidi fatui fungi bardi blenni buccones.

(3) *op. cit.* p. 184, note 2.

(4) *De Ling. Lat.* XII, 95 M. "In Atellanis Dossennum vocant Manducum".

(5) *cf.* Paulus quoted in Festus, p. 128.

(6) *cf. Epist.* II. 1. vs. 173 :

Quantus sit Dossennus edacibus in parasitis.

(7) *Epist.* XIV. I, (89), 7 : *sapientia est quam Graeci σοφίαν vocant hoc verbo Romani quoque utebantur....quod et togatae tibi antiquae probabunt et inscriptus Dossenni monumento titulus :*

Hospes, resiste et sophian Dossenni lege.

ἀγῶνα πάτριον καὶ μιμολογεῖσθαι [1] gave rise in Mommsen's head to the theory that the *Atellanae* were entirely Roman and that they were the result of the cultured Roman laughter at the follies of uncivilized Atella. He believes that the true home of this kind of drama is Latium, and that the Oscan territories are only its dramatic setting, and that it had nothing to do with the Oscans [2]. The *Atellanae* have also been claimed as Etruscan [3].

The Roman literary historians were sometimes under the impression that they developed Tragedy and Comedy directly from the Greeks, and as the Greeks had also Satyric drama, they maintained that their *Atellanae* were derived from the Satyric drama [4].

But when Cicero remarked to his correspondent Marcus Marius [5], that the latter, who had stayed away from the shows given by Pompey in 55 B.C., had not missed much in failing to see the *ludi Osci*, since he could see Oscans in his own town council (at Arpinum), and described the *Atellanae* as "*Graecos aut Oscos ludos*", he was not under such an impression, but perhaps he could see the similarity between these farces and some Greek prototype.

Modern criticism is in favour of Livy's account. It says that the *Atellanae* were performed in the old Oscan dialect by the citizens of Atella in Campania and transplanted in the third century B.C. to Rome [6].

---

(1) V. 233.

(2) *Römische Geschichte*, Berlin, 1884-1894, vol. II. p. 438.

(3) J. Whatmough, *The Foundations of Roman Italy*, London, 1937, pp. 390-392.

(4) *cf.* Diomedes, *ibid.*

(5) *Ad famil.*, VII, 1, 3.

(6) *cf.* F. Marx, *Atellanae fabulae* (in Pauly-Wissowa, *Realencyklopädie*, Stuttgart, 1896, vol. II); A. Dieterich, *Pulcinella*, Leipzig, 1897, pp. 84 sqq.; F. M. Cornford, *The Origin of Attic Comedy*: Cambridge, 1934 ed. 2, p. 138; A. Nicoll, *Masks, Mimes and Miracles*, London, 1931, p. 67; M. Bieber, *Theatre*, London, 1939, p. 295.

THE FABULA ATELLANA AND ITS STOCK CHARACTERS

BY

DR. WAHEEB KAMEL

In his famous report on the beginnings of Roman dramatic art, Livy says "*Postquam lege hac fabularum ab risu et soluto ioco res auocabatur, et ludus in artem paullatim uerterat, iuuentus histrionibus fabellarum actu relicto ipsa inter se more antiquo ridicula intexta uersibus iactitare coepit, unde exorta quae exodia postea appellata conserta que fabellis potissimum Atellanis sunt; quod genus ludorum ab Oscis acceptum tenuit iuuentus nec ab histrionibus pollui passa est; eo institutum manet ut actores Atellanorum nec tribu moveantur et stipendia, tamquam expertes artis ludicrae, faciant* [1]". Livy is in fact stressing the characteristics of the dramatic *Satura* when he says that when it became a fabula there was no room for improvisation and so it lost its spontaneity and its appeal to the young Romans. These fell back on their old way of producing a short improvised *ludus*. This happened to be the *Atellanae*. Opinions differ as regards the origin of the *Atellanae*. Livy [2] and Diomedes [3] make it clear that they believed that they were indigenous *ludi* of Atella in Campania. Strabo's remark ἴδιον δὲ τι τοῖς Ὄσκοις, καὶ τῷ τῶν Αὐσόνων ἔνθει συμβεβέκε: τῶν μὲν γὰρ Ὄσκων ἐκλελοιπότων ἡ διάλεκτος μένει παρὰ τοῖς Ῥωμαίοις, ὥστε καὶ ποιήματα σκηνοβατεῖσθαι κατά τινα

(1) VII, 2.

(2) *ibid.*

(3) *Artes Grammaticae libri iii* (in H. Keil, *Grammatici Latini*, Leipzig, 1857, I, pp. 489-490).

14,16·4 says that the Sosius-Herod capture of Jerusalem took place in the third month, at (on) the festival of the fast. We suspect that Josephus wished to produce yet another of his date-doublings and that his fast-day for Pompey's capture is had directly from Strabo, whether from *Geog.* 16,2.40 or from *Geog's* source in Strabo's *History.* Here the notable differences between *B.J.* and *A.J.* given by D and E above seem to tell a plain story. *A.J.* carries a full date and list of historical authorities missing from *B.J.* Authorities listed are Strabo, Nicolas, and Livy, in that order. Full date consists of Fast-Day, particular Olympiad, particular consuls, in that order. From Livy the consuls, from Nicolas the Olympiad, from Strabo the Fast-Day—it is a good guess. The composer of *A.J.* 14,4.3–4, expanding *B.J.* 1,7.4 at the price of ugly repetition in order to achieve his date, forked into the narrative precisely that 'Fast-Day' which the composer of *B.J.* had corrected to Seventh Days and Sabbaths, reinstating Strabo's looseness of terminology as technical strictness.

Of the fact of correction in *B.J.* the man had no knowledge. But he had Strabo, and in Strabo, he had, conveniently for inclusion, 'Fast-Day'. In went Fast-Day.

In conclusion it may be recalled that Strabo's *History* was preferred to Nicolas as probable source for A and C, that B's 'fast-day' was presumed to have been present in Strabo's *History* as well as in Strabo's *Geography*, and that in conformity it was presumed that A and C corrected Strabo's 'fast-days' to 'Seventh day's' and 'Sabbaths'. Suppose, however, that Nicolas was primary source for A and C, and the argument remains unaffected, gaining in simplicity what it loses in documentation. With Nicolas as primary source supplying 'Sabbaths' to A, there was no correction of 'fast-day' to 'Sabbaths'; the man who forked 'fast-day' into the date in C had his authorities assembled under his eye and took 'fast-day' from Strabo.

On the other hand, retain B's 'fast-day' in its stricter possible sense of Tenth Tishri, and we must wholly reject A and C if we accept B. Otherwise we must suppose that Pompey was sharp twice over in this siege—sharp in selecting Sabbaths and sharp also in selecting Tenth Tishri—and that our historians divided his sharpnesses, Josephus in A and C chronicling a Sabbaths-sharpness and Strabo in B chronicling a Tenth-Tishri-sharpness. Reject, then, A and C; grant B monopoly of historical authority. B, considered alone, is unintelligible. Pompey picked on Tenth Tishri to assault and carry the temple, having previously filled up the ditch? If so, what did he get out of his sharpness? Nothing: the besieged Jews could, and did, lawfully resist, self-defence being lawful on rest-days. And if so, what moved Strabo to add "when the Jews would not work"? Was he giving his readers a piece of general information by the way, not at all suggesting to them that Pompey picked Tenth Tishri precisely because the Jews would not work? Let us try another cast in the hope of hooking some sense. Pompey had not filled up the ditch, but picked on Tenth Tishri in order to fill up the ditch when the Jews would be idle? That is not so bad, but still is not good enough to rescue our text. Strabo puts it on record that the ditch was 60 feet deep and 260 feet long. It could not occur to him therefore that Pompey expected, let alone achieved, results from one-day Jewish idleness on Tenth Tishri. He meant therefore, to say that Pompey used more than one 'fast-day' when the Jews were idle. And, if so, he must by 'fast-day' mean 'Sabbath', only one fast-day proper being possible in a three-month period.

With the Strabo-text's support withdrawn, Tenth Tishri's sole support is Josephus *A.J.* 14,4.3 ἁλούσης τῆς πόλεως περὶ τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ. This support, such as it is, is weakened by the fact that Josephus *B.J.* 1,7·4 in the parallel passage affirms the third month, but omits to mention the fast-day. It is further weakened by the fact that Josephus *A.J.*

Hence it is reasonable to presume that B, if a condensation, may well be Strabo's condensation of his *History*.

In any case the close family-relationship of the three accounts of Pompey's decisive sharpness given by A, B, and C is unquestionable. It is worth while to set out some of the features again for special notice :

B.—Strabo : τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἡνίκα ἀπείχοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—(*B.J.*) : τήν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν Φάραγγα πᾶσαν... χαλεπὸν η' ἦν τὸ ἀναπληροῦν... εἰ μὴ τὰς ἑβδομάδας ἐπιτηρῶν... ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χεῖρας ἀπίσχουσιν Ἰουδαῖοι ..... ἀναπεπληρωμένης τῆς Φάραγγος πύργους ὑψηλοὺς ἐπιστήσας τῷ χώματι ....

D.—(*A.J.*) : μόλις πλησθείσης τῆς τάφρου ... προσβαλὼν μηχανὰς ... ἐπιστήσας ... εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς ἑβδομάδας ἡμέρας ... ὃ δὴ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας τὰς ἡμέρας, ἃς δὴ σάββατα καλοῦμεν, ... χοῦν δὲ καὶ πύργους ἀνίστασαν .

This triple similarity of language is concerned with one message—how sharp-eyed Pompey won his victory by selecting for filling ditch and for securing assault-position a time when the besieged Jews could not obstruct him. All three accounts agree in all respects but one—the time selected. C and D say, the Sabbaths ; B says, the fast-day—which the Greek fully allows to signify either one particular fast-day or (provided that more than one such fast-day could occur during the siege) more than one fast-day. All three accounts agree in all respects if B's 'fast-day' is understood as a (by no means here unique) gentile name for 'Sabbath'.

Substitute 'Sabbath' for 'fast-day' in B, and B is intelligible and the three accounts agree. Substitute 'fast-days' (Tenth Tishris) for 'Sabbaths' in A and C, and A and C are wholly unintelligible and the three accounts still fail to agree.

μόλις πληρωθείσης τῆς τάφρου διά βάθος ἄπειρον, προσβαλὼν μηχανὰς καὶ ὄργανα ἐκ Τύρου κομισθέντα ἐπιστήσας κατήραττε τὸ ἱερὸν τοῖς πετροβόλοις. εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς ἑβδομάδας ἡμέρας, οὐκ ἂν ἠνύσθη τὸ χῶμα κωλυόντων ἐκείνων· ἄρχοντας μὲν γὰρ μάχης καὶ τύπτοντας ἀμύνασθαι δίδωσιν ὁ νόμος, ἄλλο δέ τι δρῶντας τοὺς πολεμίους οὐκ ἐᾷ. ὃ δὴ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας τὰς ἡμέρας, ἃς δὴ σάββατα καλοῦμεν, οὔτ' ἔβαλλον τοὺς Ἰουδαίους οὔτ' εἰς χεῖρας αὐτοῖς ὑπήντωτ, χοῦν δὲ καὶ πύργους ἀνίστασαν καὶ τὰ μηχανήματα προσῆγον, ὥστ' αὐτοῖς εἰς τὴν ἐπιοῦσαν ἐνεργὰ ταῦτ εἶναι.

Notable differences between *B.J.* and *A.J.* take the form of statements found in *A.J.* and not found in *B.J.*

D.—Jos. *A.J.* 14,4.3–4 : καὶ γὰρ ἁλούσης τῆς πόλεως περὶ τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ, κατὰ τὴν ἐνάτην καὶ ἑβδομηκοστὴν καὶ ἑκατοστὴν ὀλυμπιάδα, ὑπατευόντων Γαΐου Ἀντωνίου καὶ Μάρκου Τυλλίου Κικέρωνος, οἱ πολέμιοι μὲν εἰσπεσόντες ἔσφαττον τοὺς ἐν τῷ ἱερῷ ...... ὁ μέγιστος τῶν πύργων κατηνέχθη καὶ παρέρρηξέ τι χωρίον, εἰσεχέοντο μὲν οἱ πολέμιοι. [Cp. *B.J.* 1,7.4 : τρίτῳ γὰρ μηνὶ τῆς πολιορκίας μόλις ἕνα τῶν πύργων καταρριψάντες εἰσέπιπτον εἰς τὸ ἱερόν.].

E.—Jos. *A.J.* 14,4–3 : μαρτυροῦσι πάντες οἱ τὰς κατὰ Πομπήιον πράξεις ἀναγράψαντες, ἐν οἷς καὶ Στράβων καὶ Νικόλαος καὶ πρὸς τούτοις Τίτος Λίυιος ὁ τῆς Ῥωμαϊκῆς ἱστορίας συγγραφεύς. [Cp. *B.J.* 1,7.4 : no list of authorities given].

B cited above (Strabo *Geog.* 16,2 40) looks like a condensation. The fact that Strabo *Geog.* 15 uses Nicolas, together with ὥς φασι, may suggest condensation of Nicolas. On the other hand, Strabo's *History* dealing with Pompey's career and agreeing closely with Nicolas (teste Josepho, who used both Strabo and Nicolas for Pompey) had already appeared in advance of his *Geography*, and in D and E cited above (Josephus *A.J.* 14,4·3) Josephus both claims to use Strabo along with Nicolas and actually states that the capture took place on the fast-day.

that in respect of ninety per cent of the matter either one account must be so much rewriting of the other or both accounts together must be so much reproduction of some one source. Agreements include emphatic statement of Pompey's astuteness in using against the besieged Jews their Sabbath-scruples; which scruples (it is contended) alone enabled him to fill up ravine and ditch and mount his final assault. It is necessary to quote at length this emphatic statement-in-duplicate and to compare it with the much shorter parallel statement in Strabo, for convenience sandwiching the Strabo between the Josephus-pieces.

A.—Josephus *B.J.* 1,7.3: αὐτὸς δὲ κατὰ τὸ προσάρκτιον κλίμα τήν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν φάραγγα πᾶσαν, ὕλην συμφορούσης τῆς δυνάμεως. Χαλεπὸν δ' ἦν τὸ ἀναπληροῦν διὰ βάθος ἄπειρον καὶ τῶν Ἰουδαίων πάντα τρόπον εἰργόντων ἄνωθεν. κἂν ἀτέλεστος ἔμεινεν τοῖς Ῥωμαίοις ὁ πόνος, εἰ μὴ τὰς ἑβδομάδας ἐπιτηρῶν ὁ Πομπήιος, ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χεῖρας ἀπίσχουσιν Ἰουδαῖοι, τὸ χῶμα ὕψου τῆς κατὰ χεῖρα συμβολῆς εἴργων τοὺς στρατιώτας· ὑπὲρ μόνου γὰρ τοῦ σώματος ἀμύνονται τοῖς σαββάτοις. ἤδη δ' ἀναπεπληρωμένης τῆς φάραγγος πύργους ὑψηλοὺς ἐπιστήσας τῷ χώματι καὶ προσαγαγὼν τὰς ἐκ Τύρου κομισθείσας μηχανὰς ἐπειρᾶτο τοῦ τείχους. ἀνέστελλον δὲ αἱ πετροβόλοι τοὺς καθύπερθεν κωλύοντας. ἀντεῖχον δ' ἐπὶ πλεῖον οἱ κατὰ τοῦτο τὸ μέρος πύργοι μεγέθει τε καὶ κάλλει διαφέροντες.

B.—Strabo *Geog.* 16,2.40: κατελάβετο δ', ὥς φασι, τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἡνίκα ἀπείχοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—Josephus *A.J.* 41,4.2: Πομπήιος δ' ἔωθεν στρατοπεδεύεται κατὰ τὸ βόρειον τοῦ ἱεροῦ μέρος, ὅθεν ἦν ἐπίμαχον. ἀνεστήκεσαν δὲ καὶ ἐνταῦθα μεγάλοι πύργοι, καὶ τάφρος δ' ὀρώρυκτο καὶ βαθείᾳ περιείχετο φάραγγι· ἀπερρώγει γὰρ καὶ τὰ πρὸς τὴν πόλιν, τῆς γεφύρας ἀνατετραμμένης ἐφ' οὗ δὴ Πομπήιος· καὶ τὸ χῶμα ὁσημέραι ταλαιπώρως ἐγήγερτο, τεμνόντων τὴν πέριξ ὕλην Ῥωμαίων. καὶ ἐπειδὴ τοῦτ' εἶχεν ἱκανῶς,

POMPEY'S CAPTURE OF JERUSALEM ON TENTH TISHRI?

BY

D. L. DREW

Readers of the Bulletin interested in Semitic studies may care to have some of the Greek evidence re-presented at this moment when the Jerusalem Habakkuk Scroll comes up for editings. The scroll (column 11.7-8 in W. H. Brownlee's English translation of December 1948) speaks of an event resembling a divine epiphany as having occurred on a day which was at once a Day of Purim and a Day of Fasting. It is natural to see in this day a Tenth Tishri—the only Levitical Day of Purim *cum* Day of Fasting. In his recent lecture (26th May 1950), published as "Observations sur le Commentaire d'Habacuc découvert près de la Mer Morte", A. Dupont-Sommer invites us to associate the event with Pompey's capture of Jerusalem in 63 B.C. Whatever the merits of Professor Dupont-Sommer's interpretation of the apparent epiphany as an apotheosis achieved by the Teacher of Righteousness, Pompey's capture must be considered seriously, if in fact it took place on Tenth Tishri. Jewish history records for Tenth Tishri so few outstanding events that we can afford to neglect none recorded. And there is some evidence for placing capture on Tenth Tishri (in Josephus and Strabo) rather stronger apparently than the cruder counter-evidence yet available (in Dio Cassius).

* * *

Josephus gives two accounts of the capture, in *B.J.* 1,7.2-4 and in *A.J.*, 4,14,2-4. These accounts agree closely in incident, phrasing, sequence, sentiment, and general theory—so closely

Catholic Christian literature, though it may have existed in real life as we may judge by the lives of famous magi. The God of the Christians is generally more chary with revelation and does not communicate the gnosis to man beyond certain limits, even in the gnosis-loving Protestant interpretation of Christianity. This is why the vital vocation of the alchemist is always looked upon as a trespassing on forbidden regions, and the profound suspicion of the place of science in our essentially scientific modern civilization is but one aspect of this distrust of knowledge inherent in the Christian dogma, increasing and decreasing with the flow and ebb of religious sentiment. The most that the Protestant outlook could do was to plead for a certain order of temporal knowledge, on the assumption that it is not unholy, but it never relaxed its denigration of unholy knowledge, which it styled Faustian or Mephistophelian.

For in the Protestant outlook, the theft of the "gnosis", exculpated by Predestination, compels sufficient sympathy for the fallen sinner, and the Christian sense of guilt is not only preserved but also enhanced by the very idea that original sin is never completely washable and that, unless Grace intervenes, damnation is in store for the entire race. This belief in the ineradicable evil nature of man raises Necessity to the dignity of a second Deity and through this dualistic conception supplies the basis of the dramatic conflict. It places every human being in the position of Faustus, of Hermes, of Prometheus and of Lucifer, and therefore makes their fall universally felt and, consequently, suitable subject for tragedy.

This explains why, from the Reformation onwards the comic or humorous treatment of the story of the alchemist as in Chaucer, Greene and Ben Jonson gave way to tragic treatment as in Shakespeare's Friar Lawrence, in Marlowe's Dr. Faustus and eventually in Frankenstein, called by Mary Shelley the "Modern Prometheus", and all derivative literature.

The Modern Prometheus is the Creative Scientist, principally the Alchemist. An alchemist with no sense of sin is a Hermetist; an alchemist with a moral problem is a Promethean. The Hermetic alchemist is fully reconciled with God and views knowledge, even of the elixir of life, as a divine gift. The daemon that obsesses him is a blessed daemon, an Agathodaemon, the very tutor of Hermes. The Promethean alchemist is obsessed by an evil power, an Alastor, or simply he is a prey to his own sense of guilt: he is a Hermetist in his claim to the gnosis, but he is Christian in his expiation for it. Hence the Frankenstinian experience in a Protestant world is, like the Faustian, a sordid experience. Faustus stands for the alchemist of the Middle Ages; Frankenstein stands for the chemist of the Modern World. The new symbol renovates the old. The pure Hermetic type to whom knowledge had no boundaries and creativeness was the holy gift of God probably never existed except in propagandist

for Lear as victims to wanton gods who kill them for their sport. In such a world even Faustus is not entirely responsible for his fall. In such a world, were it permissible to write a tragedy on the fall of Satan Milton would have done it. But to write a tragedy on the fall of Satan is more than Christianity would allow, as that implies undisguised compassion for the arch-enemy of God, and, perhaps, a degree of suspicion in the ways of God to his creatures. Besides, Milton was a believer in Free Will. Hence Milton chose the epic-form, where admiration for the hero needs not imply admiration for his cause. The tragic-form is too compromising in the case of Lucifer. In the case of Faustus it is possible, because Faustus is not commensurate with the Principle of Evil on a cosmic scale.

The Hermetic attitude is like its extreme opposite, the Catholic attitude, essentially undramatic, because it only recognizes a blithe Hermes. Though it makes a distinction between holy and unholy knowledge, yet in practice it accepts all knowledge as holy provided it is lawfully acquired, *i.e.* provided it is acquired by the class specially equipped for the reception of the gnosis, the Hermetics, and provided it is acquired by white magic (science). Knowledge is unholy only when it is Promethean, *i.e.* acquired by the potters with the help of black magic. Then it is a sin, and the sinner must suffer for it. His fall does not move us to pity, for he is either a villain pure and simple or a blundering fool, and not a hero. Hence, from a strictly Hermetic point of view, the fall of Prometheus is untragic. The absence of agony and contest in both attitudes excludes the possibilities of drama in the treatment of the story of the First Thief. In Hermetism the career of the alchemist ends by his apotheosis, his ascension in a "column of light" to the abode of the immortals; in Christianity it ends by his utter destruction without pity or hope of futnre pardon.

Drama only thrives when Hermetic Christianity flourishes, when the Protestant outlook or any similar theodicy prevails.

his expulsion from Oxford, Shelley wrote to Hogg from Field Place about June 27, 1811 saying: "I am a perfect hermit". In *Alastor* (1815) he portrays himself as a hermit. We know that he used to swear by Franklin, which places Franklin and the creative scientist in general in the position of the Allfather a truly Hermetic attitude. That Mary Shelly shared many of her husband's views is proved by her contributions on men of science to the "Cabinet Encyclopaedia".

From a strictly Catholic Christian point of view, all knowledge (particularly its higher form) is Mephistophelian, for Prometheus, Mephistophiles and even Hermes himself are one and the same person: Lucifer. By the application of Divine Justice following the exercise of Free Will the theft of fire, the gnosis, vieing with God in creativeness and all other forms of sin original or worldly, are essentially untragic, essentially undramatic, for the simple reason that where Free Will is assumed the sinner bears full responsibility for his sin and we can have no compassion for his suffering. His story affords good material either for comic treatment, as in the case of Faust whose story was treated in puppet-shows during the first half of the sixteenth century before the full efflorescence of the Protestant outlook, or good material for epic treatment, if the "agon" or contest is intense. In the first instance the sinner becomes a straightforward villain to be ridiculed, his suffering merited and therefore enjoyed by the beholder. In an epopee we sympathize with all the persons in the contest being all heroes with varying degrees.

What the Reformation revived in Europe was Predestination, and with Predestination the Drama. For in a world ruled by the iron grip of Necessity there is room for sympathy even with a downright sinner. The idea that we are puppets, or poor players that fret and strut our hour or that all the world is a stage is the basis of all drama. It exonerates Macbeth, finds excuse for Othello, makes us pity Hamlet and inspires us with sorrow

The story of the Dipsian snake, used by Shelley in his Promethean drama (to be found in Aelian's *Natural History*; cf. Sophocles, Ibycus, Epicharmus, Aristeas, etc., in Aelian) proves that Hermetism from the earliest times was concerned over the elixir of life and similar practices, not as forbidden knowledge but as the gift of Zeus. For, the story begins, when Prometheus stole the fire of the gods, Zeus "gave those who told him of the theft a charm to avert old age" as a reward. Those who denounced Prometheus were none other than the Hermetics, we judge by the profound opposition between Prometheus and Hermes. Propertius (*Elegies* Bk. I, xii, lines 5–10) tells us of "some magic herb gathered on Promethean hills for the sundering of lovers". The love-potion administered by the Hermetic in his cell produced the opposite effect, which only confirms the diametrical opposition between the Luciferan malignity of Prometheus and the blessedness of Hermes.

Shelley followed with interest the Hermetic tradition and was greatly attracted by it. In fact he was a Hermetic himself. His Platonism has been discussed by many critics and his Hermetic leanings were a direct outcome of his Platonism, for the line of Pythagoras ran through Aeschylus, Plato, then the entire Hermetic movement of the Messianic Age whose principal protagonists were the neo-Platonists and the Gnostics. The magi of the preceding century, St. Germain (1710–1784), the Grand Copht (1743–1795), Mesmer (1733–1815) were a living reality in the age of Shelley. He read *The Magus* of Francis Barrett (1801) and he fell under the spell of Freemasonry whose defence came from Rosicrucian and Hermetic centres. He was attracted by Arrianism which is essentially a Hermetic interpretation of Christianity. His favourite picture of himself is that of a hermit, and for some time in his middle literary life he signed himself "The Hermit of Marlow" as in the case of his "Proposal for Putting Reform to the Vote" and his "Address to the People". As early as the *Rosicrucian*, after

For in Hermetism the hero is generally followed not by an Alastor or an Evil Spirit but by an Agathodaimon or a Good Spirit; and it makes a great difference whether the hero is possessed by Prometheus or by Hermes.

In Hermetism, far from being sinful and forbidden, knowledge is a gift of God, provided, of course, it does not aspire too high, or, more precisely, provided it is acquired by divine sanction and put to holy use. The line of demarcation between holy and unholy knowledge is very shifty, though in theory, Hermetism never went as far as to include the philosopher's stone and the elixir vitae in the bounds of permitted knowledge. The great contradiction arises from the fact that Hermetism in theory professes the thorough asceticism of the hermit yet in practice finds use for research whose unique purpose is to turn lead into gold and to renovate youth or even to abolish death altogether. In the Preface to Roger Bacon's *Cure of Old Age* (translated by R. Browne, London, 1683), it is said that "Some report he made a Brazen Head that spake, and think he did it by the help of the Devil. But Albertus Magnus did the same, and Boëthius the like without any other Magick than Nature". Roger Bacon himself adopted the same position centuries before, and his main argument in his own defence was that alchemy is a science and not the work of magic. Francis Bacon in his *Advancement of Learning* makes the same distinction between science and magic and even goes as far as to reduce the search for the elixir vitae and the philosopher's stone to orthodox science. In the past they expressed the difference between holy and unholy knowledge by the terms of white and black magic.

Thus, from a Hermetic point of view, the entire question of knowledge is not so much one of range as of technique, which, alone, decides whether knowledge is holy or unholy, the gift of God or the snare of the Devil, Promethean or Mephistophelian, as Mr. Basil Willey erroneously describes it in his earlier *Background*; for both are in reality the same thing.

the attitude of the Rosicrucian is largely the same as the attitude of Frankenstein. Frankenstein's repentance for the sin of creation is manifested in his refusal to allow his creature to propagate and afterwards in his determination to destroy him. It is a form of refusal to deny the existence of God like Wolfstein's own. The automatic death of Wolfstein following the death of his master, Ginotti, is a striking parallel to the death of the Being following the death of his creator, Frankenstein. In *Frankenstein* the death of the Being is clearly explained by the theory that, by the law of nature, no creature is allowed to survive his creator. In the *Rosicrucian* the death of Wolfstein isno t explained at all but, we may suppose, was a moral necessity, if not as an expiation for his crimes, at least because he was possessed of the secret of deathlessness. In both cases the result is the same: the restitution of the existing order.

One of the marked differences between the *Rosicrucian* and *Frankenstein* is that in the former there is a sense of fatality about the quest of forbidden wisdom, whereas in the latter it is the fruit of the exercise of free will. Ginotti follows Wolfstein as his own shadow and from his hidden lurks plans out the hero's life for him against his own will. This motif is permanent in Shelley's philosophy and gives significance to much of his poetry. "'And what so horrible crimes have I committed', exclaimed Wolfstein, driven to impiety by desperation; 'what crimes which merit punishment like this'?" "The fiends of fate are heard to rave And the death-angel flaps his wings o'er the wave". "Yes! 'tis the influence of that sightless fiend, Who guides my every footstep, that I feel: An iron-grasp arrests each fluttering sense, And a fell voice howls in mine anguish'd ear: 'Wretch, thou mayest rest no more,", etc. The entire conception of *Alastor* is based on this idea of the hero being followed doggedly by the Evil Spirit which impels him to feel and act creatively. But this is opposed to the cardinal principle of Rosicrucianism and all other forms of Hermetism.

If we forget that the immature Shelley identified himself with all his characters that he was at once the diabolical Ginotti, the suffering Wolfstein, the gallant Mountfort and the sentimental Irish lover Fitzeustace, and if possible also the colourless Steindolf, etc., he was essentially Wolfstein, the hero of his story. The underlying idea of the *Rosicrucian*, as far as one can make it out, is that a certain individual is sometimes prepared by fate, usually expressing itself as an ancient curse or unwashable sin in the family, for the unholy life of the rebel against the laws of God or what Shelley calls in his novel the sense of right and wrong. In such circumstances the hero falls painfully between two crushing forces, on the one hand faith or conscience or the scale of right or wrong, and on the other hand, the Satanic evil spirit pursuing him with unremitting vigilance and tempting him with the pleasures of life, the pomp of power and, above all, the elation of immortality gained through forbidden knowledge. Such was the condition of Wolfstein, and, of course, of Shelley himself. It is also the problem of Manfred and of Frankenstein, of Faustus and of Prometheus. Some of these types succumb to the evil spirit, sign compacts with the devil and pay for it in the end. Others do not, like St. Cyprian for instance and the St. Irvyne of Shelley, *i.e.* Wolfstein. Though they may die like martyrs because they cannot survive the evil spirit that dominates them, yet they are spared the eternal woes of hell-fire. Shelley as Wolfstein, though three months later (march 25, 1811) he was expelled from Oxford on account of the *Necessity of Atheism*, refused " to deny his Creator ". *The Rosicrucian* being a composition of his Eton days, we may infer that the difference of attitude could have been due to the growth of Shelley's atheistic tendencies.

The problem of the existence of God, we may assert, was present in Shelley's mind even before he was fifteen, for there can be no doubt that, when he called young Andrew Amos "apurist", he modelled that word on the term atheist. However, whatever may have been the develpment of Shelley himself,

inconsistent and puerile purple patches, and not relieved by the high-spirited orotundity and swift, balanced and graceful sweep of this master of poetic prose whose *Defence of Poetry* so bewitched an experienced critic like Matthew Arnold as to make him declare that Shelley's true medium was prose rather than poetry, but rendered unreadable by stereotyped storminess and jerky turns of phrase.

The scene of action in the *Rosicrucian* is, for the most part, the Alps, "whose gigantic and misshapen summits, reddened by the transitory moonbeam, were crossed by blank fleeting fragments of the tempest-cloud". Its hero is Wolfstein, the young heir of St. Irvyne who falls, with his innocent sister Eloisa, under the domination of the Satanic Ginotti, master of the occult science and discoverer of the secret of immortality. Both are shifted about and made to act by the will of Ginotti without knowing it. But, apart from the discovery of the Elixir of Life, the thesis of the *Rosicrucian* is more like that of Lord Lytton's *The Haunters and the Haunted* than like that of *Frankenstein*. Eloise is finally saved from the evil influence of Ginotti by an English chevalier named Mountfort and is taken to England by her Irish lover Fitzeustace with her illegitimate child by Ginotti who had posed to her as de Nempere, seduced her, then sold her to the chevalier Mountfort to cancel a gambling debt. Wolfstein, however, succumbed to the spell of Ginotti, and by repeated crimes brought upon himself misery, but was saved from eternal damnation in the end by sefusing to deny his Creator as Ginotti wished him to do. The temptation was great. For there lay his beloved wife Megalena, mysteriously dead, and Ginotti, possessing the power to bring her back to life, would not resuscitate her unless Wolfstein renounced his faith in God. "Wilt thou not?" thundered Ginotti. "No, no,—any thing but that", replied Wolfstein. In a moment Ginotti "mouldered to a gigantic skeleton, yet two pale and ghastly flames glared in his eyeless sockets". Wolfstein too fell dead in expiation for his sins, yet "over him had the power of hell no influence".

exceeded my most sanguine expectations. *Love* I cared not for; and wondered why men perversely sought to ally themselves with weakness. Natural philosophy at last became the peculiar science to which I directed my eager inquiries; thence was I led into a train of labyrinthic meditations. I thought of *death*—I shuddered when I reflected, and shrank in horror from the idea, *selfish and self-nterested* as I was, of entering a new existence to which I was a stranger. I must either dive into the recesses of futurity, or I must not, I cannot die.—'Will not this nature—will not the *matter* of which it is composed, exist to all eternity? Ah! I know it will; and, by the exertions of the energies with which nature has gifted me, well I know it shall. This was my opinion at that time: I then believed that there existed no God. Ah! at what an exorbitant price have I bought the conviction that there is one!!! Believing that priestcraft and superstition were all the religion which *man* ever practised, it could not be supposed that I thought there existed supernatural beings of any kind. I believed *nature* to be self-sufficient and excelling; I supposed not, therefore, that there could be anything beyond nature.

"I was about seventeen: I had dived into the depths of metaphysical calculations. With sophistical arguments had I convinced myself of the non-existence of a First Cause, and, by every combined modification of the essences of matter, had I apparently proved that no existences could possibly be, unseen by human vision"

The autobiographical element in the *Rosicrucian* is very strong, and it is certain that Mary Shelley was acquainted with the novel and was consciously constructing her *Frankenstein* on it, that is to say in parts, and on what she knew of her husband's early life. The general clumsiness and lack of suppleness in the style of *Frankenstein* are of the same quality as in the early writings of Shelley, where the storm and stress are not ennobled by genuinely rich imagery but debased by a plethora of

found an echo in the discussions between Frankenstein and Clerval. In a sense Hogg was Shelley's first victim for Hogg's expulsion from Oxford was due to his coming to Shelley's defence after the publication of the "Necessity of Atheism".

Shelley's interest in chemistry was essentially alchemical. He never studied chemistry or physics or any other branch of science systematically but only, in the words of his Eton-mate, Andrew Amos, as a "means of producing interesting and dazzling results", though he believed that science held the secret of life and regeneration. When Shelley went up to Oxford at the age of eighteen he was already the author of two published books, the Gothic thriller called *Zastrozzi* and *Original Poetry of Victor and Cazire* written conjointly with his sister Elizabeth, but he also brought to Oxford the manuscipts of two other works *The Wandering Jew* and the novel called *St. Irvyne, or the Rosicrucian*, which latter his publisher Stockdale, first puzzled by the fact that one of its characters appeared to die twice, got Shelley to put into shape and by December 10, 1810 the book was printed and bound. It was advertized in *The Times* of January 26 and February 2, 1811 as the "University Romance", a very suggestive designation considering that Frankenstein himself was a Rosicrucian and that his romance was also a University Romance.

Like Frankenstein, the villain of *St. Irvyne or the Rosicrucian* called Ginotti possessed the secret of the Elixir Vitae which he was to impart to Wolfstein. Ginotti sketches out for Wolfstein the evolution of his own life, which is precisely the early life of Shelley himself:

"From my earliest youth, before it was quenched by complete satiation, *curiosity*, and a desire of unveiling the latent mysteries of nature, was the passion by which all the other emotions of my mind were intellectually organized. This desire first led me to cultivate, and with success, the various branches of learning which led to the gates of wisdom. I then applied myself to the cultivation of philosophy, and the éclat with which I pursued it

crucibles, bags and boxes, were scattered on the floor and in every place; as if the young chemist, in order to analyse the mystery of creations, had endeavoured first to reconstruct the primeval chaos. The tables, and especially the carpet, were already stained with large spots of various hues, which frequently proclaimed the agency of fire. An electrical machine, an air-pump, the galvanic trough, a solar microscope, and large glass jars and receivers, were conspicuous amid the mass of matter, etc." Shelley demonstrated his galvanic battery and his other electrical and chemical instruments before Hogg to prove to him the splendid future of science. He gave him by mistake aqua regia in a cup of tea. All this happened on the next day Shelley and Hogg met at Oxford.

Hogg, we know, neither savoured, nor took seriously, the scientific tastes of Shelley, and gradually Shelley himself abandoned his experiments. But the very first day Shelley and Hogg met, Shelley left Hogg in the evening to attend a lecture on mineralogy but was soon to return to his new friend disappointed, for the lectures had nothing to talk about except "stones! stones, stones, stones! nothing but stones!" a very poor contrast to Walker who fired the imagination of Shelley at Eton with his public hymns in praise of science and his inordinate faith in its future. Frankenstein, like Shelley, attended the lectures of two professors, one sympathetic and full of vision, the other dull and pompous. Of the two Waldmann is Adam Walker.

To proceed with this parallel between the life of Frankenstein and the life of Shelley, we may identify Clerval with Hogg. It seems as if Mary Shelly drew the names of her heroes from her immediate surroundings. "Clair + val" is obviously a variation on "Clair+mont", and since Hogg himself studied at Inglostadt and not at Oxford, he had to have a continental name. Inglostadt itself is a town which nearly signifies the town of the English or the English town, which could be Eton or Oxford or both. Hogg's failure to appreciate Shelley's scientific pursuits has

Of thy deep mysteries. I have made my bed
In charnels and on coffins, where black death
Keeps record of the trophies won from thee,
Hoping to still these obstinate questionings,
Of thee and thine, by forcing some lone ghost
Thy messenger, to render up the tale
Of what we are. In lone and silent hours,
When night makes a weird sound of its own stillness,
Like an inspired and desperate alchymist
Staking his very life on some dark hope,
Have I mixed awful talk and asking looks
With my most innocent love, until strange tears
Uniting with those breathless kisses, made
Such magic as compels the charmed night
To render up thy charge: etc...

Hogg tells us in his *Life of Shelley*, that when Shelley was at Eton he stole away one evening at midnight resolved to raise a ghost. Crossing the fields with a skull in his hand, he dared not look back lest he should be followed by the devil, until finally he reached a small stream in a secluded spot. Shelley bestrode the stream, drank thrice from the skull, repeated aloud his incantations and waited for the ghost to appear. When no ghost appeared he went back to his college blaming his own lack of skill in magic. In his boyhood days Shelley's mind, Medwin tells us in his *Revised Life of Shelley*, "ran on bandits, castles, ruined towers, with mountains, storms and apparitions—the terrific".

Shelley's interest in chemistry and physics lasted with him throughout his Oxford days, and Hogg's famous description of his rooms attests to those interests: "Books, boots, papers, shoes, philosophical instruments, clothes, pistols, linen, crockery, ammunition, and phials innumerable, with money, stockings, prints,

from Shelley's letters to Godwin of January 10, 1812 and June 3, 1812, that Shelley read at Eton "with an enthusiasm of wonder, almost amounting to belief" the "ancient books of Chemistry and Magic", namely, Albertus Magnus whom he read in Latin and Paracelsus whom he read in translation. Of contemporary scientists Medwin (*op. cit.*) tells as that Shelley read Franklin and Condorcet at Eton, quoting them to support his theory of the triumph of mind over matter. Shelley, Medwin adds, "swore by Franklin".

From Hogg (*Life of Shelley*) we learn something which probably has great bearing on the composition of *Frankenstein*. We learn that, while still at Eton, Shelley, in one of his vacations spent at Field Place, planned to gain access to the charnel-house at Warnham Church and to watch over the bones of the dead. This scene, with similar experiences, is preserved in the "Hymn to Intellectual Beauty" (stanza V):

While yet a boy I sought for ghosts, and sped
Through many a listening chamber, cave, and ruin,
And starlight wood, with fearful steps pursuing
Hopes of high talk with the departed dead.
I called on poisonons names with which our youth is fed:
I was not heard: I saw them not.

In *Alastor* too, written in 1815, there are reminiscences of Shelley's visits to charnel-houses during his early life (lines 18 et seq.):

Mother of this unfathomable world!
Favour my solemn song, for I have loved
Thee ever, and thee only; I have watched
Thy shadow, and the darkness of thy steps,
And my heart ever gazes on the depth

"I think I hear, as if it were yesterday, Shelley singing, with the buoyant cheerfulness in which he had often indulged, as he might be running nimbly up and down stairs, the Witches' songs in 'Macbeth'. I fancy I still hearken to his

Double, double, toil and trouble,
Fire burn, and cauldron bubble.

"From this period my intimacy with him slackened. Not following his new passion with the same zeal as himself, we now seldom walked or boated together in the hours between school-times. He used to call me—in a tone not altogether unfriendly, but still evincing displeasure approaching to bitterness—by the appellation of *Apurist;* indicating classically thereby one who did not appreciate properly the element of *fire*".

When Shelley called Andrew Amos "apurist" he must have been about fourteen, for when he was living with Amos he was still a junior boy at Eton, (he went up at the age of twelve): Amos' harsh judgment of his earliest companion at Eton, even a quarter of a century after the poet had fulfilled his mission in life, shows that, though he may have been a good barrister, he was one of the genuine apurists of the world. His note to the *Athenaeum* shows that Shelley could coin new words from his limited Greek vocabulary.

Walker was the Waldmann of *Frankenstein,* a professor who possessed not only knowledge but vision. His forecast of the steam-engine, hooted down by the Eton boys, is very reminiscent of Waldmann's prophetic words concerning the future of chemistry.

Shelley, as a boy was not satisfied with the factual courses of Adam Walker on electricity and was soon to go beyond the limited range of science into the mysterious world of alchemy. Thomas Medwin in his *Revised Life of Shelley* does not specify any particular books on chemistry read by Shelley at Eton, because chemistry was a "forbidden thing" there. But we know

electrical machines. These found a ready sale amongst the boys; much to the encouragement of infant science—and proving that the philosopher's man had found out the philosopher's stone. He made a small fortune for the time. Shelley was amongst the purchasers,—and, so daring and bold in his experiments, that he nearly blew up himself and Mr. Hexter's house into the bargain. Astronomy, like electricity, seized upon his imagination. His jubilee was night. His spirit bounded on the shadow of darkness, and flew to the countless worlds beyond it".

Andrew Amos, another Eton fag who lived with Shelley as a lower boy, also wrote to the *Athenaeum* (issue of April 15, 1848) of his recollections of Shelley stressing the same chemical interests pointed out by Merle:

"Walker's lectures, mentioned by your correspondent, (meaning Merle), were perhaps an unfortunate occurrence for Shelley; as they supplied him with the means of producing interesting and dazzling results, requiring very little application of mind, and as they increased his aversion to the studies of the school. By the way your correspondent will perhaps recollect that 'Old Walker' on the occasion of one of his lectures, at which both Shelley and myself were present, said, 'Perhaps in the time of my son, if not in my own, it may come to pass that he or I shall get down from London to lecture here without being drawn by horses, but impelled by steam',—and that thereupon there was a deafening shout of derision from nearly three hundred boys at this Walker and his Eureka.

"After attending Walker's lectures, Shelley became transported with a love of chemical experiments. He did not, however, I believe, study any scientific works upon the subject:—and I think it would have been happy for him if the multitude of boys at a public school had not rendered it almost impracticable for the tutors to watch, and endeavour at least to exercise some control in directing, the pursuits and dispositions of their pupils.

In more than one way *Frankenstein* is a biography of Percy Shelley himself written by his wife, for the career of Frankenstein closely corresponds to Shelley's own. We know that Shelley, as a boy, and indeed at all the stages of his life, was keenly interested in alchemy and in chemistry. Whether at Eton or at Field Place or at Syon House Academy he had his little Laboratory of chemical and electrical equipments. Shelley's interest in fireworks when still at Eton has been noted by all his biographers. He conducted experiments with chemical brews, once almost blew himself up and at another time almost poisoned himself. Once he electrified with his galvanic battery the Eton tutor "Butch" Bethell. His interest in chemistry found satisfaction in the lectures and demonstrations of Adam Walker at Eton who gave his course in alternate years. From Adam Walker's assistant Shelley bought small electrical machines which he installed at Field Place.

W. H. Merle wrote to the *Athenaeum* (issue of March 4, 1848) of his Eton reminiscences in connexion with Shelley's boyhood:

"Another circumstance I perfectly remember;—and name it because I feel certain that it called into active play a host of thought and feeling. In Shelley's days there used to be one 'Walker' who lectured on astronomy, chemistry, mechanics, etc. I allude to the 'Old Walker' as he was called; a man self-taught for the most part, but possessing much of talent, and being in his nature a thousand times more clever than much learning could ever make his son. Shelley, and myself and many others attended 'Old Walker's' lectures; and it may easily be imagined how the wonders of heaven, earth and electricity would seize on a mind like Shelley's. Boys have fashions in their playthings—and experimental electricity became the rage. 'Like master like man', says the adage—and 'Old Walker's' servant and assistant had picked up a smattering of his master's knowledge sufficient to enable him to make small

identity of the author, as Shelley who handled all correspondence kept them ignorant of it (Vide Julian *Works*, IX, 234, 242, 252, 256, 272, 278). Aferwards, Charles and James Ollier, when they found out that Mary Shelley's novel outsold anything Shelley had ever written, sought to be Mary's publishers.

The Shelleys went back to Italy and were subsequently informed by Godwin and Peacock (to Shelley June 14, 1818; Leigh Hunt to Shelley August 4, 1818) of the favourable notice *Frankenstein* was receiving in England. The critic of the *Quarterly Review* XVIII, 324, May 1818) believed that Shelley was the author of the book and though admitting that the work had considerable merit, seized on the occasion to flog Shelley for the ways in which he employed his talents. In a note on the *Foliage* of Leigh Hunt, the critic of the *Quarterly Review* John Taylor Coleridge, who was Shelley's school-mate at Eton, attacks ths person of Shelley as one who entered his name in hotel registers qualified with the epithet "atheos" but refrains from mentioning his name or reviewing his latest production (meaning *Frankenstein*) in order that he may not "lend notoriety" to it by reviewing it. Similarly, the *British Critic* (X, 94, July 1818), à propos of *Frankenstein*, says that "Mr. Shelley (¹)— an unmentionable subject", could not be discussed on account of his vile immorality and dangerousness to public life. By way of commentary on this attitude of the reviewers towards him, Shelley in his letter to Peacock dated July 25, 1818 says: "Their notice of me, and their exposure of the true motives for not noticing my book, shews how well understood an hostility must subsist between me and them" (cf. Shelley to Hunt December 22, 1818).

(¹) Referring to the Greek Demokratos, Philanthropos and Atheos Shelley once scribbled against his name in the register of an inn at Montanvert in 1816; the similar epithets he also inscribed against his name in the register of the Hôtel de Londres at Chamounix.

started on something we hear nothing of later. Similarly Byron set to work on a story called *The Vampire* which he left unfinished and which was completed by Polidori then published in 1819 and enjoyed a great vogue on the understanding that it was Byron's own. As for Polidori, Mary Shelley tells us that he began the story of a woman with a 'fleshless skull which he eventually abandoned, but Polidori himself states that he worked on a different story which he did complete and publish under the name of *Ernestine Berthold*.

At first Mary Shelley found some difficulty in hitting on a suitable subject. "Have you thought of a story?" Shelley asked her every morning. Then listening to a conversation between Shelley and Byron on the vital principle, the idea of *Frankenstein* struck her: "perhaps a corpse would be reanimated; galvanism had given token of such things". For some time after Mary Shelley spent sleepless nights haunted by the vision of "a pale student of the unhallowed arts engaged in creating a monster, at last endowed with life, and the shame and terror of the artist who had brought him into being". Thus *Frankenstein* was born and though no definite date is known of its beginning, it was finished on May 14, 1817.

Frankenstein was declined by Murray on June 18, 1817 and by Ollier, to whom it was submitted on August 3 of the same year, before August 15. Soon after, it was submitted, before August 22, to Lackington, Allen and Co. who accepted it. Shelley, who was then in England with Mary expected to correct its proofs a month later and, on October 28, submitted some alterations; on December 3, a dedication. The printing of the book, though not the binding, was finished on December 23, *Frankenstein* was ready for distribution on January 2, 1818. A letter still in Ms. from Shelley to Walter Scott dated Jan. 2, 1818, states that on that very day he sent him a copy of the novel. The publishers of the book were Lackington, Hughes, Harding, Mavor and Jones, and even they did not know the

nightly boatings across Lake Leman and had to spend entire evenings indoors.

One evening, on the sixteenth of June 1816, they were kept in at the Villa Diodati by the rain. The book they read was a collection of German ghost-stories translated into French and entitled "Fantasmagoriana, ou Recueil d'histoires d'apparitions, de spectres, revenans etc.". For several evenings the conversation centred upon the subject of ghosts. On the evening of the 18th they were still confined by the storm and the rain, round the fireside of Byron who suggested the possibilities of apparitions and weird beings as materials for poetry, quoting passages from Coleridge's "Christabel", which he had seen in manuscript, to support his contentions. Shelley was very upset by the conversation, and as Byron recited the lines of Coleridge describing the secret of the witch's deformity there was silence for a moment, and Shelley, staring at Mary, uttered a terribly shriek, gesticulated nervously, seized a candle and fled from the room. Gazing at Mary he evoked a long-forgotten vision of a witch he had once heard of who had eyes in the place of her nipples. Dr. Polidori's ether and cold compresses brought him back to normalcy. (Vide Polidori's *Diary* pp. 125–128 (1); the story is corroborated by Byron's letter to Murray dated, May 15, 1819).

In the introduction written by Mary Shelley for the 1831 edition of *Frankenstein* we are told that Byron was the first to suggest the writing of the novel: "We will each write a ghost story, said Lord Byron; and his proposition was acceded to", says Mary Shelley. "You and I," he added, "will publish ours together". (Vide Thomas Moore: *Letters and Journals of Lord Byron* II, 21). Claire Clairmont was also there but she is ignored in all the accounts left to us by Mary Shelley. It is known that the next evening Shelley began an autobiographical thriller which he was soon to abandon. The next evening too Claire Clairmont

(1) "When silence ensued, Shelley, suddenly shrieking and putting his hands to his head, ran out of the room with a candle." Polidori.

place". (vide 19.58.) Of Hermes Lactantius says the same thing: "Unum proferam quod est simile divino, et ob nimiam vetustatem et quod is (Hermes) quem nominabo ex hominibus in deos relatus est". (vide Div. Inst. I. 6. i). Of Aesculapius Arab mythographers like Ibn Abi Osaybiah relate the same tradition and repeat almost verbatim: "Le Dieu suprême a révélé à Esculape ce qui suit: Tu es plus digne que je t'appelle un ange qu'un homme... Hippocrate dit que Dieu a élevé à lui Esculape dans les airs, au milieu d'une colonne de lumière" (vide Sanguinetti in *Journal Asiatique*, 1853, IV, p. 184). To close the circle, the "Secretum Secretorum" tells us that Hermes and Enoch are the same person: "Quidam si quidem volunt et affirmant quod Enoch novit hoc secretum per visionem. Volunt enim dicere quod iste Enoch fuit magnus Hermogenes Greci multum commendant et laudant, et ei attribuunt omnem scienciam secretam et celestum" (Vide Roger Bacon, op. cit. capitulum 27, pp. 98-99).

B.—Frankenstein

1

The circumstances attending the composition of "Frankenstein" are known fairly accurately. It was in Geneva where Shelley had been spending the summer of 1816 in the villa on Lake Leman called Mont Alègre at the foot of the Jura and Byron moved from the Hôtel de l'Angleterre into the villa Diodati at eight minutes walk from Mont Alègre. The Shelleys, Byron and Dr. Polidori met regularly every evening. The weather was stormy and rainy and often kept the party at home, chiefly at the Villa Diodati, where they read and chatted until the early hours of the morning. "One night we *enjoyed* a finer storm than I had ever before beheld", wrote Mary Shelley to Peacock on June I, 1816; but though they were thrilled by the wrath of the elements they could not always go on with their usual

Renaissance alchemist who brought the Hermetic origins of alchemy to the surface and even tried to interpret mythology by alchemical symbols was Michael Maier (1568–1622) author of the "Atalanta Fugiens" or "Atalanta Fleeing". He operated in the Prague of Emperor Rudolph II to whom he was physician and private secretary, the Prague of the Golem and of gold-makers. The thirteen laws of alchemy were reputed to have been engraved on the Emerald Tablet found in the tomb of Hermes.

The alchemists of the Renaissance hermetized everything and everyone, including Aristotle. In Roger Bacon's Latin version of the famous "Secretum Secretorum", (circa 1250), supposedly a book of Aristotle, preserved by the Arabs, in which the philosopher puts forward the duties and rights of a ruler for the benefit of his pupil, the great conqueror, Aristotle is spoken of as if he were Hermes. For in the "Secret of Secrets" it is said: "I have seen it written in several books of Grecian history that God made a revelation to him, saying: Verily I prefer to call thee an angel rather than a man. Strange and marvellous things are related about him which are too numerous to mention. There are different traditions about his death. It is contended by some that he died a natural death and is buried in his tomb which is well known, while the others affirm that he was lifted up to Heaven in a column of light".

In Bacon's Latin version we have: "Quedam enim secta que dicitur peripathetica asserit ipsum ascendisse ad empireum celum in columpna ignis (1)". So Aristotle was lifted up in a "column of fire". Whether it was a "columpna ignis" or a "columpna luminis", is indeed immaterial for our present purpose. The ascension of Hermes, Aesculapius, Enoch or Idris, many names for the same hero, is an essentially Gnostic conception. Of Idris the Qoran says: "And mention in the Book Idris; verily he was a confessor, a prophet; and we raised him to a lofty

(1) Opera Inedita Rogeri Baconi, Fasc. V, "Secretum Secretorum", edidit Robert Steele, Oxford, Clarendon Press, 1920, vide Sections 32b and 33a, p. 36. The English translation is based on the Arabic Gotha Ms. (vide *Op. Cit.* fasc. V, p. 176).

one of the agents of Elijah. The pupils of Elijah never die unless they go over to black magic; but, when their mortal course is run, they are lifted up into heaven like their sublime master". The pattern is always the same and even the slight variations confirm their common descendance from Hermes Trismegistus. The essential Gnostic detests the essential Christian and despises him because Hermes is a saviour without a sense of guilt while Christ expiated on behalf of all the sinner. The strength of the one and the weakness of the other is the gnosis. The slighting terms St. Germain and Cagliostro used when Christ was discussed are but distant echoes of the greater quarrels of the Messianic Age.

Alchemists often called themselves the "Sons of Hermes" and called alchemy the "Hermetic Art", which establishes their direct descendance from Hermes Trismegistus. The very word "alchemy" comes from "khemi" the denomination of Egypt, mother of Hermetism, the Hellenized form of the cult of Thoth. The sealed egg-shaped pot in which alchemists performed their dangerous experiments of the Elixir Vitae was called the Vase of Hermes or the Hermetic Vessel. The Four Elements of Aristotle were eventually cut down by the alchemists to the "tria prima" or the "three hypostatical principles" or the alchemical triangle which was at the basis of all alchemical research from the Middle Ages onwards. Of Fire, Water, Earth and Air, fire and water were the elements that counted and their physical counterparts were sulphur and mercury respectively, commonly thought to be masculine (sulphur), feminine (mercury), and their conjunction produced the philosopher's stone which was sometimes represented as a child. Salt was the third element. The three elements were worked out as symbols of soul, which was sulphur, spirit which was mercury and salt which was body. "Know, then", wrote Paracelsus, (1493-1541), "that all the seven metals are born from a threefold matter... Mercury is the spirit. Sulphur is the soul and Salt is the body... the soul, which indeed is Sulphur... unites those two Contraries, the body and the spirit, and changes them into one essence". The

We have also seen how the theory of the Divine Right of Kings is more latent in Hermetic philosophy than in the original Christian dogma, and was therefore more suited to the needs of the feudal system and its Catholic Church than it was to the needs of the middle class and its Protestant Church. To sum up, between the Crusades and the great efflorescence of the Renaissance both the aristocracy and the bourgeoisie were equally interested in Hermetism, the ancient regime in its static, and the new order in its dynamic principles. The gnosis solved the problems of both classes, with one difference that the Catholic Church, unlike the Protestant Church, hampered by the spiritual communism of original Christianity never went as far as to accept the gnosis in theory though it accepted it in practice. Gerbert or Pope Sylvester II (999-1003) attests to the truth of this statement. Like Faust he had intercourse with Lucifer personified in a black dog, and like Friar Bacon who created a brazen head that told the future and answered any questions put forward to it he was accredited with the introduction of clocks and Arabic numerals from Islamdom into Europe, feats of magic also attributed to Roger Bacon. The agent between him and the devil was an Arab or a Jewish sage possessing a book of magic, following the traditional pattern of the magus. His charmed magical palace is only reminiscent of Solomon's own, and, like practically all the magi of history, a legend gathered around his death.

The Rosicrucians and Freemasons threw up similar creative types who triumphed over old age and even renovated their own bodies and tasted of deathlessness like Signor Gualdi, the Count of St. Germain and Cagliostro. They had laboratories in which they searched for the Elixir of Life and similar forbidden things. "I hold nature in my hands", said St. Germain, "and in the same way in which God created the world, so too I can conjure forth everything I wish from the void". The Grand Copht, Cagliostro, (1743-1795), was a living reality when Percy and Mary Shelley lived and wrote. Of him it was written in 1779 : "Cagliostro is

among the magi of the Renaissance, in which case the true beginnings of the Renaissance will have to be shifted back to such great historical landmarks as the Crusades and the disintegration of the Arab Empire. The toleration of magic, and even the participation in it, by the black popes indicates that the Hermetic tradition had by the Crusades penetrated into the inner circles of the Catholic Church. The theory of a Catholic Church admitting a form of gnosis or communion with the power of the beyond in its inner circles is not altogether a fantastic theory, considering that in the degraded Christianity of the close of the Middle Ages, chiefly concerned with the preservation of feudal interest, the spiritual brotherhood of man becomes itself a cumbrous dogma entailing formal and material concessions which the feudal aristocracy was not prepared to make. What was needed was a form of Christianity in which the privileged in worldly possessions were also privileged in spiritual dominion. The complete bankruptcy of human intelligence, postulated by Christianity in its militant phase, equalized all men in the virtue of ignorance and flattered the revolutinary aspirations of the slaves by removing at least one strong barrier between the rulers and the ruled, namely, the gnosis. In a fully consolidated feudal system admission of equality, even on a purely formal plane, was inconsistent with the social and economic structure based on irretrievable class distinction, if not a real menace to it. The pretence of spiritual equality was thus dropped, and a race of black popes possessed of the gnosis and having intercourse with Lucifer sprang into existence. In fact a Catholic Church supporting a vested hereditary aristocracy needed for its survival the rigid hierarchical system of Hermetism more than the dynamic and self-made bourgeosie. If predestination or spiritual determinism suited the revolutionary purposes of the nascent bourgeoisie as much as historical determinism suits the revolutionary purposes of the proletariat today, it also explained away an aristocratic society only hanging together by the ties of primordial privilege and divine discrimination between the different categories of mankind.

Simon Magus, Cyprian and Faust to Gerbert, Roger Bacon, the Rosicrucians, the Freemasons, Saint Germain, Cagliostro, Madame Blavatsky and Rasputin, not counting her minor magi. We have seen how Plato and Pythagoras and their progeny represented during the Messianic Age the Hermetic tradition based on the gnosis while Christ stood for the repentance of the gnosis as the original sin of humanity. The same applies to St. Cyprian whose repentance makes him no more a magus than Christ. It is only the accredited Gnostics who form the true line of the magi.

Similarly, à propos of the Rosicrucians and the Freemasons of the Renaissance onwards, Professor E. M. Butler fails to connect them with the Hermetic tradition and she shows preference for the theory of spontaneous generation. The fact that Hermetism had to go underground after its defeat by Catholic Christianity does not mean that it expired completely or that its revival in the Renaissance was not a revival but the spontaneous creation of a few gifted men thrown up by the new social currents of Renaissance Europe. The alchemists of the Renaissance represent a flourish of an already existing tradition and Hermetism had survived after its defeat in secret brotherhoods and underground societies whose spread during the Renaissance implied the coming into light of a sect that had once been forced into the darkness. At any rate the community of empirical thinkers from Roger Bacon to Goethe are known to have been initiated Rosicrucians, and in the list appear not only the names of Agrippa, Paracelsus and Jakob Boehme but also those of Francis Bacon and Descartes.

The difficulty is to define when the Renaissance really began and how far Hermetism was tolerated by Catholic Christianity in the days of the eighteen black popes between John XII (965-972) and Gregory VII (1073-1085). The list is generally extended by the Lutherans so as to include Alexander VI (1492-1503) and after. There is no reason whatever not to count the black popes

Carl Spitteler, author of "Prometheus and Epimetheus", also deals with the theme of robots in his "Olympian Spring" ("Olympischer Frühling"), but his robot is Ananke or Fate which is called the Automaton and which grinds both men and gods.

4

To return from literature to reality and from fiction to fact, we find that this creative urge in man and the desire to vie with the gods do not only find expression in the art of writing but also in the life of man, or rather in the lives of certain individuals, real individuals, who stand in symbolic relation to the ages they live in. We can also identify whole epochs of history as manifesting the same creative urge, the same desire to vie with the gods. Such individuals we have already denominated the Prometheans and such epochs Promethean epochs.

Between the Messianic Age and the Renaissance all varieties of Prometheanism disappeared. The ebbing away of Prometheanism in literature characterizes the whole cycle of history called the Middle Ages. In her admirable book "The Myth of the Magus" dealing with the Promethean personalities across the ages Professor E. M. Butler has given no names between the Messianic Age and the Renaissance. This can hardly be a coincidence. The "Downfall of the Magus", as she calls it, during the Middle Ages corresponds to a decline of the creative urge and a lack of desire to vie with the gods, *i.e.* an unconditional acceptance of the will of the Allfather caused by the truimph of Christianity. This is why we believe that Professor E. M. Butler has made an error by including Jesus Christ among her magi; though she explicitly states that "The downfall of the magus when antiquity waned was directly due to the appearance of Jesus Christ".

Simon Magus, yes, but not Jesus Christ. The line of magi as she traced them extends from Zoroaster, Moses and Solomon to Pythagoras, Apollonius of Tyana and Christ, and, from

years at the maximum after which period they become rusty and inefficient, are scrapped, smelted and refashioned. "The human machine", says one of the engineers, "is too imperfect and it was necessary to replace it... But it is a great progress to produce by the machine which is considerably more convenient and faster. Nature knows nothing about the rhythm of modern production, for, technically speaking, all childhood is altogether without sense. It is an intolerable waste of time". The same could be said of old age. Everything goes smoothly in this world of mechanical slaves. Humanity is spared all the drudgery of physical work to cultivate its higher parts. But instead of doing so, men indulge in indolence and sensuality, and in their egoism they even stop to procreate, and there comes a time when the race of robots outnumbers by far the race of men. To satisfy a caprice a certain Dr. Gall, one of the directors of the factory, is tempted by a woman called Helen to create robots endowed with consciousness, which he achieves after some labour, and that marks the beginning of the tragedy. For the new robots become conscious not only of their surroundings but also of themselves. Better organized and more numerous than men, the robots are led by their sentient fellows to revolt against the tyranny and egoism of man. The upsurge is dreadful, for the robots exterminate the human race and destroy the robot factory. It is like the first deluge, for only one man survives the universal destruction, namely Alquist, a savant and a sage through whom the race of robots is saved from utter extinction, for he alone knows the formulæ by which robots are manufactured. He chooses the best couple among the robots and endows them with Love and its natural corollary, Suffering. Intelligence alone is not enough, and if science is to bring new life into the world it can only be redeemed by Love.

Another drama by Karel Tschapek dealing with the same subject of creation is his "Adam Creator". It tells the story of an able inventor who fashions the superman and the superwoman. Being superhuman, the new creatures despise their own creator.

"Les Rubis du Tibet" by André Zwingelstein (1940), the "Ballet des Automates" by Daniel-Rops (1934), "Feu M. le Duc" by Paul Morand (1941) and a great many others, have all been discussed by Alfred Chapuis in his "Les Automates dans les Oeuvres de l'Imagination" (Neuchatel 1947). Though the theme of all such pseudo-scientific romances is the creation of robots, we refrain from giving detailed accounts of them as they have no special political significance.

Now we come to one of the greatest works dealing with robots in the twentieth century, namely Karel Capek's "R.U.R". We are in the year 2000 when a certain Rezon, a great physiologist-engineer, succeeds in producing living substance, the protoplasma, and is thus able to manufacture all varieties of organisms, soulless men included. Rezon himself, being a militant atheist, wishes to abolish God who becomes really superfluous after man's discovery of his only inscrutable secret: creation. However, Young Rezon, his nephew, uses his uncle's discoveries for more useful purposes, the creation of a class of living and intelligent robots to work in factories and relieve mankind of all mechanical labour. Nor is he satisfied with the creation of specimen beings; for him robots are of no value unless they are produced on a large scale: "'Tis folly to spend ten years on the construction of a single man", he said to his uncle. "If you can't produce men at a rate that beats the rhythm of nature, then go to hell with your invention". Young Rezon simplifies the process of production, then establishes a great robot factory in which he manufactures, then assembles, thousands of robots which are taught how to read and write, how to run the machines and, eventually, dressed up like men and women, according to the taste of the customers, when they are exposed for sale. The usefulness of robots is at once recognized by every one, and soon "Rezon's Universal Robots" is to manufacture automatons by the millions, not only to supply individuals with servants but also to supply governments with soldiers to fight their wars. The great thing about the robots is that, unlike human beings, their term of service is twenty

As the conception of machineless utopias by Butler and Morris expresses a profound political attitude, so does the conception of entire societies or entire classes of automatons contain a political significance.

"La Cité des Automates ou la solution inimitable" of Léon Massieu (1923) is to be found in an oasis in the desert of Westralia. The automatons of Massieu are a class of Androids performing the functions of the slave-caste. For the city of Vaucanson (this is the name of the utopia) is modelled after Plato's Republic, where men and women participate in the noble life of art while all the dirty work of the city (sweeping, cooking, building, etc.) is performed by automatons. There is a long tradition of creating Androids in the city, since its foundation by a descendant of Vaucanson, and the experiments of preceding generations are to be seen in the museum of the city. The greatest achievement of Vaucanson is a perfect Pandora who is a masterpiece of creation and the pride of the city, known as Astarte. A young French traveller who gains access to the city, beholding Astarte, is at once ravished by her beauty and decides to kidnap her. He carries her off on his horse and gallops away with her but, when he starts to make love to her, he realizes that she is only a pile of cogs and wheels. His bitterness is so great that he smashes Astarte and hurls her dismembered body into a deep precipice, then he returns to France to tell his story.

In "L'Ether-Alpha" of Albert Bailly (1929), a Jules-Verne prize winner, the servant class is also formed of mechanical Androids. Cecil Montcalm invents invisible flying machines that carry him and his fiancee to the moon which he finds inhabited by the sons of radium, a race more advanced than ourselves leading an electromagnetic existence. Montcalm is served by Diego a perfect automaton who sees and hears things only through the eyes of his master and has no brain of his own. Diego is nourished with electricity, and when he is drunk too much (with electricity) he appears phosphorescent.

Eugène Mouton (1881), "Jim Click ou la merveilleuse invention" by Fernand Fleuret (ed. Gallimard), etc.

Samuel, Butler's (1835–1902) "Erewhon" (1875) and William Morris's "News from Nowhere" will always remain the greatest protests against mechanical civilization. From both utopias the machine is utterly banished and Samuel Butler even had to give up his watch before he entered his great city.

The creation of masses of automatons, instead of individual Androids, characterized the establishment of mass-production in the fields of industry and regimented mass-movements in the field of politics. Hence it was not possible in the earlier stages of bourgeois society. Procreation, we must remember, was forbidden to the Being of Frankenstein by Mary Shelley for fear that he might people the earth with a monstrous and unwieldy progeny. The problem of the Homonculus thus remained an individual problem so long as the system of production as a whole was predominantly individual in execution or, at any rate, individual in enterprise. It must be noted, however, that as mass-production is latent in the nature of machanical production, so is the mass-creation of automatons latent in the conception of the mechanical Android. The Homonculus, on the other hand, lends itself less to propagation, though it is itself endowed with greater generative powers than the Android whose creation and multiplication depends entirely and at all times on the ulterior plans of its creator, man; and, although we can imagine with equal facility myriads of biochemical creatures incubating in myriads of test-tubes, yet, traditionally, the laboratory experiment has always had from the days of the Mediæval alchemists a very individual, even intimate, nature. For the alchemist's private knowledge of cabalistic formulæ, which constituted an important element in the creation of the Homonculus, is not required in the engineer. Physics was never an occult science except in so far as it shaded off into chemistry. There is no cabalistic tradition hanging about the creation of the Being by Frankenstein, and Mary Shelley has the merit of putting the creation of the Homonculus on a purely scientific basis for the first time in history.

is Hadaly and her description is given with more relish than the description of Pandora in Hesiod. It was the plan that Edison should change the countenance of Hadaly to make her look like Miss Alicia Clary, the superficial mistress of the young lord, but the young lord is so taken with Hadaly as she is that he no longer desires any change, but rather prefers the artificial to the natural creature. Hadaly could do what Alicia could not do, whisper enchanting words of love and adoration in the ears of her lover, words that had the magic of poetry and the poetry of magic. Hadaly first manages to say those things without feeling them as she is mentally controlled by another woman who inspires her not only with the words but also with the thoughts through some mysterious electro-magnetic contact. But in the end the miracle happens and Hadaly is able to think for herself and to speak for herself and feels every word she utters with passion far greater than the passion in the world of man. She is the Future Eve. Even Edison himself does not know how the transformation took place. Villiers de l'Isle-Adam, accepts the traditional attitude of mistrust in the works of man, for the Future Eve, on her way to England, sinks to the bottom of the Atlantic Ocean together with the ship carrying her. The ship founders in an accident and the secret is lost for ever, bewitching the imagination of modern man as that fabled island that gave the ocean its name charmed the mind of man in ancient days. The final destruction of the man-created creature indicates that Villiers de l'Isle-Adam followed the main tradition which attaches a profound sense of sin to the role of the Demiurge.

"L'Eve Future" has given rise to a great number of imitations, sometimes serious and sometimes facetious, such as "Monsieur Mézigue" of Clément Vautel and G. de la Fouchardière, "Aventures de Rouletabille" of Gaston Leroux as well as his "La Poupée Sanglante" and the "Machine à assassiner" (1924). Kindred types of modern fiction on the theme of robots and mechanical creation in general is "L'Homme truqué" by Maurice Renard (1921), "Le Voyage au pays de la quatrième dimension" by G. de Pawlowski (revised edition in 1923), "Contes" by

Thirty years later, Jules Verne, in 1880, returned to the creation of robots, on a strictly animal level. This time, in "La Maison à vapeur", the hero of the story is a mechanical steel elephant. In 1892 he wrote "Le Château des Carpathes", which deals with a similar theme.

The subject of Jules Verne's "La journée d'un journaliste américain en 2889" written in 1889 is an inventor of the future who arrives at resolving all the elements of nature to one simple element at the basis of all matter and is thus able to create a human being, human in every sense, except one, that he has no soul.

"The Future Eve" ("L'Eve future") of Villiers de l'Isle-Adam (1840-1889) is a magnificently written novel on the theme of Androids, but it does not follow the tradition which brings out the tragic element in mechanical civilization. On the contrary, it is full of hope for the new humanity. It ends with a miracle like most of the other treatments of the theme but it contains no crisis. For the "Future Eve" is the story of a certain engineer of singular genius called Edison, who, in the precincts of New York, successfully conducts his creative experiments. A young Englishman, Lord Edwald, who is a particular friend of the inventor Edison, passes through the most unpleasant experience of being in love with a woman who possesses all the physical charms but whose soul is insufferably shallow. There is no way out for the young lover, so after realizing the hopelessness of his situation he decides to commit suicide. He calls on his scientific friend Edison to bid him the last farewell, but Edison persuades him not to carry out his decision for there might be another chance yet, considering that Edison is already working on the creation of the New Eve who will at once combine physical excellence and the height of wisdom. The young lord gives his word. When the experiment is completed they both wait for her appearance with solemn anxiety. Edison bids his creature come out of a secret door, and instantly she appears before them and says "Eh bien ! mon cher Edison, me voici !". Her name

chronometric skill, and now the clocks of the town themselves stopped; so did the clock of the cathedral. Presently, a curious man, no taller than three feet, with a metallic head and a plated chest, a monstrosity of no definable age, but believed by many to have been centuries and centuries old, with a nose sticking out like the pointer of a sun-dial and a pendulum swinging inside his broad chest in place of the heart, paid Maître Zacharius a friendly visit and ended up by asking the hand of young Gérande in marriage. Young Gérande, said Maître Zacharius had already been promised to young Master Thün, his own apprentice, and nothing could be done to change that. The rebuff was too hard for the Pendulum Man, who threatened to frustrate all that Maître Zacharius had already achieved and all that Maître Zacharius aspired for, and he was capable of fulfilling his threat, for he was no other than the Regulator of the Sun. As the visitor went out Maître Zacharius heard his pendulum-heart tick six. His name was Signor Pittonacio and he lived in a secluded chateau on the topmost pinnacle of the Alps, where the only clock that still functioned was, the last remaining glory and by far the most finished handiwork of Maître Zacharius. Anxious over the immortality of his name, Maître Zacharius went up to the castle of that robot and promised to give him his daughter in marriage. He wound up the great clock and lo! as the clock announced every hour, there glittered on its dial profane mottos: "L'homme peut devenir l'égal de Dieu", "l'homme doit être esclave de la science, et pour elle sacrifier parents et famille", and so forth. But when the clock struck midnight there flashed the terrible warning and prophecy: "Qui tentera de se faire l'égal de Dieu sera condamné pour l'Eternité"! Then the clock burst and fell into a hundred pieces while its spring jumped across the hall, and the aged or ageless Pittonacio writhed with pain and cried "Mon âme, mon âme". Maître Zacharius was struck dead by the miracle while Pittonacio picked up his spring and vanished into nothingness.

l'Absolu, and in 1846–8 Alexandre Dumas dealt with the career of Allessandro Cagliostro in his *Mémoires d'un Médecin.*

The statue of Moloch and the animated mechanical figures with which the priests of Carthage inspired terror in the hearts of the people have no direct relation with the automatism of the century. It is only with Jules Verne that the treatment of automatic figures reaches its most memorable phase.

"Maître Zacharius" (1854) one of Jules Verne's best known stories develops the theme of the Android to its inevitable conclusions and puts forward the case of the robot with perfect clearness. Maître Zacharius, the hero of the work, is a sixteenth-century Geneva clock-maker who lives in the company of his unsophisticated and rather attractive daughter Gérande and his apprentice Albert Thün. Maître Zacharius is more than a common clock-maker, for in addition to his incomparable skill in his art, he has the gift of inventiveness which enables him to introduce new systems and overcome all the deficiencies in the world of clocks. Hence his pride and keen sense of creative originality. He goes as far as to see in his clocks a concrete realization of the perfect union of body and soul, which constitutes the very essence of life. "Un rapport intime" says Maître Zacharius, "existe entre l'oeuvre de Dieu et la mienne; c'est sur sa créature que j'ai copié la sucession des rouages de mes horloges". "Maître", answered his apprentice, "vous comparez une machine de cuivre et d'acier à ce souffle de Dieu qu'on appelle l'âme et qui anime le corps comme la brise communique le mouvement aux fleurs. Mais quelles pièces seraient si bien ajustées qu'elles engendrassent les pensées en nous". Gérande, too was terrified by the unholy thoughts of her father and argued as best she could to restore him to normalcy, but her efforts were all vain. One day, however, all the clocks of Maître Zacharius stopped at once for no knowable reason. Great was his rage and distress for he had earned for himself the reputation even of a magician by the wonders of his

Heinrich Heine (1799-1856) gives the story of an English mechanic whose great skill enables him to manufacture a robot that has and does everything a human being has or does, and his robot is even trained to be a perfect gentleman. The only thing, however, that robot lacks is a soul, and this supplies the crisis of the story, for Heine's robot is ever beseeching his creator to endow him with a soul, but in vain. K.L. Immermann (1796-1840) also treats the theme of living robots in his "Tulifäntchen".

Automatism finds its way into the work of Edgar Poe (1809–1849), particularly in his "Chess-Player of Maelzel". Dickens (1812–1879) was also attracted by the theme of living automatons, and, in his unfinished "Master Humphrey's Clock" he imagines the statues of Gog and Magog coming to life in the Guild Hall of London whenever the clock struck midnight, and exchanging memories of the long-forgetten history of London. But Dickens's interest in animated automatons is purely the interest of the narrator who animates the inanimate to provide himself with an untiring story-teller of the type known in the "Thousand and One Nights".

In French literature the tragic issue of mechanical civilization is discussed by Théophile Gautier (1811–1872) in his collected papers written between 1830 and 1837 and published under the title of "Fusains et eaux fortes". In the chapter entitled "De l'originalité en France" Gautier declares: "Voilà pourtant où la civilisation nous a menés. Je ne doute pas que d'ici à quelque cent ans, on n'en vienne à arranger la vie de façon telle qu'un automate puisse en remplir les fonctions. Nous aurons des hommes d'Etat à ressort, des armées sur roulettes, des commis à rouages et contrepoids, établis dans les systèmes des tourne-broches, etc. Les enfants et les livres se feront à la vapeur. Peut-être notre vieux monde n'en irait-il pas plus mal ! Oh ! malheureux peintres, malheureux poètes que nous sommes d'être nés dans ce temps où il n'y a plus ni poésie, ni peinture ! ..."

Not long after, in 1834, Balzac drew the portrait of the temperamentally alchemical Balthazar Claes in *La Recherche de*

creating the image of a beautiful damsel so perfectly wrought that men took it for a real creature, and her name was Olympia. Nathanael, a young student living next-doors, fell in love with her. When she appeared in society men were dazzled by her radiance and though she was a trifle stiff in her movements, her unusual gestures were attributed to her embarrassment in the presence of so many people. She played the piano with the perfection of a machine and she sang like a nightingale that rehearsed its songs. Yet when young Nathanael danced with her a cold shiver ran through his body at the mere touch of her icy hands, and he could never recover from his amazement at the impossible precision of her steps as she circled round and round with the regular cadence of the music. Whenever he whispered words of love in her ears, she only sighed back saying "Ha ! Ha !" She was like a fairy that had come out of fairyland. But alas ! the fairy was soon to depart. For one day Nathanael calling on his lovely Olympia, overheard angry voices and many buffets that tore the air: it was Spallanzani and Coppelius fighting over that remerkable creature, each claiming the authorship of certain parts of her body, and Nathanael only realized that she was a wax statue when he saw her two eyes rolling on the floor. The shock was too great for him and his mind gave way.

Lovely female automatons were common before Hoffman. Rousseau dealt with the theme I Pygnalion and Galatea. Jean Paul has a chapter in his "Teufels Papiers" (1789) on a new and charming wooden bride. There was also "Madame Du Bois" whose story was collected by Hoffmann himself in a volume of humorous anecdotes published at Erfurt in (1792). Hoffmann also has the story a future-telling Turk made of cogs and wheels. His Professor Abraham is the inventor of many mechanical creatures. But the underlying idea of the majority of these tales is the sordid position of man between illusion and reality. This tragic conflict between the world of dream and the world of fact constitutes a central theme of Romantic literature and finds adequate expression in the work of Gerard de Nerval.

indeed, will yield no individuals, no egos worse than the egos fabricated by the materialists. Creative nature will vanish into thin air: nothing will remain save artificial nature, when the machinists themselves become machines". This is one of the ealiest satires on the mechanical craze that has been moulding the destiny of men ever since the Industrial Revolution began. Goethe treated the same theme in his "Zauberlehrling" or "Apprentice Sorcerer", who, having provoked by his imperfect magic the elements of nature, was unable to control them, with the result the he was their first victim. This theme, which Goethe took over from Lucian, was eventually handled by the musical composer Paul Dukas and became one of the important episodes in Walt Disney's "Fantasia". Another instance of Goethe's handling of the theme of automatons is the story of Prince Oronaro who, in "Der Triumph der Empfindsamkeit" or "The Triumph of Sensibility", creates a statue of the queen he loves but finally prefers illusion to reality and falls in love with the statue itself. Wieland too (1733-1813) has a poem called "Idris" more or less on the same subject. As for Goethe's Promethean Trilogy it deals with the tragedy of the Demiurge in its bearings on the desting of the Creative Artist.

The inherently tragic situation implied in Jean-Paul's "Personalien vom Bedienten und Machinenmann" and in Goethe's "Zauberlehrling" demonstrates the deep suspicion with which many of the Romantics envisaged not only the civilization of the machine but also the cheerful dreams of creation that go along with it. The terrifying imminence of the on-coming catastrophe comes to the surface for the first time in Mary Shelley's *Frankenstein* where the symbol ceases to be a symbol and the inner crisis of our science-governed world is unfolded with brutal frankness.

In the famous "Tales" of Ernest-Théodore-Amédée Hoffmann (1776-1826) we have different specimens of Androids. We have the story of the Man of Sand in which Coppelius, an old lawyer, succeeds, with the help of the savant Spallanzani, in

this case, only that law of motion the sense-perceptible result of which is the formation of cells; for in this field, plant and animal meet. This law is an eternal one, coming everywhere to expression, when conditions occur under which it manifests itself". Virchow is equally categorical in his mechanical materialism: "It is apparent from this that I took up the mechanistic conception at an early period, that I even thrust aside all dynamic views and admitted in the whole realm of natural science only static and moving bodies. Consequently living bodies could also appear to one only as bodies in motion, and their difference from the lifeless seemed to me to consist only in the peculiarity of their mechanical motion in so far as this contributes to cell-formation. My 'Vitalism' had to develop consequently to a mechanical cell theory from which there resulted further a similar mechanical cell-pathology". Dr. Frankenstein no doubt worked on similar assumptions. Erasmus Darwin who was reported by the scientific superstition of his days to have turned a piece of vermicelli into a worm showed marked mechanistic leanings that brought upon him the ill-humoured ridicule of Goethe.

One of the earliest writers to deal with the subject of Androids is Jean-Paul Richter (1763-1825), who wrote in 1798 a section of his "Palingenesien" or "New Birth" called "Personalien vom Bedienten und Machinenmann", dealing with the story of a certain person he himself visited, called Magnus, who availed himself of the most up-to-date inventions by which he regulated and rendered comfortable his own life, down to his very servants who were so stylé that they resembled perfect automatons. A certain apparatus woke him up, lit his fire, pulled his curtains aside; another looked after his daily toilet without any intervention on his part; he had an orchestra of automatic musicians, etc. Scores of mechanical devices he possessed and Magnus explains half-ironically that in the machine lies the future of the world: "Everything will turn into statues or mannequins, even those who will have created the statues and the mannequins. That,

a new slave for the greater comfort of mankind than to match man's aptitudes against those of the gods.

The history of Androids in the modern sense takes us back to great empirical philosophers like Francis Bacon (1561-1626) and to the founders of mechanical theory like René Descartes (1596–1650) rather than to legendary characters like Faust or men of dubious reputation like Paracelsus.

The starting-point of mechanical science is that the entire universe is a machine in perfect order, man included, though he may be for irrelevant reasons the pet creation of God. Descartes goes as far as to declare that "s'il y avait de telles machines qui eussent les organes et la figure extérieure d'un singe ou de quelque animal dépourvu de raison, nous n'aurions aucun moyen pour reconnaitre qu'elle ne serait pas en tout de même nature que les animaux". Again : "Tout est mécanisme dans les corps, tout est pensée dans les esprits" affirmed Descartes [1]. To Pascal man is half an automaton, half a spirit, but he was of opinion that the spirit should dominate the automaton. The eighteenth century materialists notably Gassendi, La Mettrie and Diderot brought the mechanical conceptions of Cartesianism to perfection, so much so that La Mettrie, for one, stated that "Le corps humain est une horloge, mais immense et construite avec tant d'artifice et habileté que si la roue qui sert à marquer les secondes vient à s'arrêter, celle des minutes tourne et va toujours son train...". Laplace gave full expression to this attitude ; so did Lavoisier in his own field when he announced to his generation that "La vie est une fonction chimique". Lotze's words are typical : "The natural scientist knows only bodies and their qualities ; everything over and above this he calls transcendant, and he views transcendence as an aberration of the human spirit. If the natural scientist speaks af a life-force he understands, in

(1) Cf. La Bruyère in "Les Caractères" (1688) : "Le sot est automate, il est machine, il est ressort, le poids l'emporte, le fait mouvoir et toujours, et dans le même sens, et avec la même égalité : il est fixé et déterminé par sa nature et j'ose dire par son espace."

he reached America where he took away his own life. Simultaneously, the laboratory of Professor Pancrace at Paris is seen ablaze, the "egg of life" being destroyed. What happened was that Lazare, by committing suicide, gave up a soul which was not his but that of Professor Pancrace. Professor Pancrace did not die, however, but lived on in an animal existence devoid of the divine spark. It was he who destroyed the "egg of life" that succeeding generations may not not prie into his secret.

Le Singe is another French novel written jointly by Maurice Renard and Albert Jean dealing with the creation of Homonculi. The hero is Richard Cirigue who professedly follows in the wake of Faust, appeals to Prometheus the first creator and uses the authority of the early alchemists, Albertus Magnus, Raymond Lully, Flamel, Paracelsus, Quinton and Berthelot. His medium is physical chemistry through which he is able to create lower organic species, fruits, fish, quadrupeds and even those are created lifeless. Richard Cirugue dies before he reaches any definite results and his great task is cempleted by his brother, Claude Cirugue, who succeeds in creating a living double of his own person. The new being, though he has the physical semblance of Claude, possesses the soul of Richard. As soon as the being issues forth he springs on his own creator intending to destroy him, for in reality Claude is the deadly rival of Richard, whom Richard plans to remove at all costs. The double, Richard Cirugue tries to occupy his former place in life but he is soon found out and destroyed, dying for the second time.

3

To pass from the creation of organic Homonculi to the creation of mechanical Androids is to pass from the sphere of magic and quasi-scientific phantasy to that of more positive and disciplined experiment. The urge for creation and the desire to vie with the gods in their special art are present in the two types of thinking but with varing degrees. The conception of automatic robots is in the first place less ambitious and less heaven-defying than the creation of organic men, as it very often happens that the principle underlying the conception of robots is more to create

Burdon's future wife, Margaret Dauncy, and surrendering to Haddo's spells she goes so far as to marry him, but he spares her his contact in compliance with the rules of magic and only uses her to perform hazardous things. Haddo proceeds to reenact an old experiment made in 1775 by Johann-Ferdinand, Count of Küffstein, who succeeded in creating embryos that happened to be destroyed by accident. His explicit desire is to vie with God in creativeness. Even in the work of Somerset Maugham the alchemists of the sixteenth century are evoked, and, in an inaccessible villa, Haddo is able to produce embryos which he has to nourish with human blood. His victim is Margaret Dauncy herself. Arthur Burdon is too slow to save her but he finally destroys the magician Haddo, invades his mysterious laboratory and sets fire to the entire villa. A similar theme is the subject of a novel by the Spanish writer Jacintho Grau, and of a kindred nature are the stories of marionnettes coming to life, of which the best known is C. Collodi's *The Adventures of Pinocchio*, the Italian fairy tale translated into all the living languages.

L'œuf de vie of the French novelist Jean de Quirielle is the story of a certain professor named Pancrace who claims being able to kill a man by the mere exercise of his will and thus operating upon a criminal called Rouget achieves success. Eventually, Pancrace also succeeds in bringing Rouget back to life by the communication of his will, life and soul, and he rechristens him Lazare. "Avouez", says Dr. Pancrace to Dr. Silbourg, "que j'ai trouvé une partie du secret de Prométhée. Mais tout cela ne constitue qu'un commencement ; les organismes que je créerai en réalisant ma grande oeuvre, séront à la fois infiniment plus simples et plus intelligents que ceux de l'homme : cette misérable machine !" And it was no empty vaunt, for Pancrace did produce the "egg of life" from which the new humanity was to come out. Meanwhile Lazare, who had developed into a man of spotless moral conscience, cursed his own resuscitater for having endowed on him a pure soul without paying attention to his sinful body. Obsessed with this idea Lazare roamed about until

Of the same category are the Homonculi we read about in modern occult fiction and in the reports of modern occult science. The work of Pierre Devaux entitled "L'Avenir fantastique" is based on the experiments of Colonel de Roches, Paul Janet and others to endow with sense and sensitivity wax statuettes. G. de Pawlowski in his "Voyage au pays de la quatrième dimension" draws a picture of a new class of Homonculi who would replace the forced labour of feudal society and the paid labour of bourgeois society. In Pierre Devaux we have "le robot à moitié vivant, composé d'organes naturels accouplés avec des machines". His initial point is the revivification of the internal organs of a dead animal to which is attached the brain of a guillotined person: "Raccordé par des électrodes impolarisables à des conducteurs électriques, les tronçons du nerfs, tranchés par la guillotine, commanderaient des électro-aimants, des yeux électriques, des contacteurs, des moteurs, des porte-voix... Un robot effroyable s'avance, hybride de la machine et de l'humanité !"

Men of greater calibre in the world of science and thought such as Bergson have discussed the possibility of creating organic syntheses out of which could be obtained "le dessin extérieur de certains phénomènes d'organisation comme la circulation protoplasmique". Bergson, however, believes that the revivication of entire kidneys, livers etc. as well as the culture of tissues and their nourishment with synthetic blood which are accomplished results in the science of today, only yield "des déchets de l'activité vitale, les substances proprement actives demeurant réfractaires à cette synthèse".

A type of modern fiction dealing with the creation of organic Homonculi is Somerset Maugham's *The Magician* in which a young scientist of unusual abilities, Olivier Haddo, becomes versed in the occult lore and actually learns Arabic and Herbrew to study cabalistic formulae in their original texts. Wishing to avenge himself on a certain physician named Arthur Burdon, Haddo employs his forbidden knowledge to influence the mind of

Rabbi accepted to demonstrate his creature if he is promised utter silence during the performance. The promise granted, both creator and creature made their appearance in the Court but, unfortunately, the Court Jester whispered a joke in the ear of the Emperor's favourite mistress who in turn burst into profane laughter, and lo! a curse fell on the city. The insulted Golem turned into a devastating monster, and it was only by despoiling him of his amulet that he fell again into a lump of clay and peace reigned once more over the city. This legend attracted much attention lately, was the subject of a German silent film in which Paul Wagener played and a French talking film in which Harry Bauer performed the part of the Emperor. The theme was also handled by the German writer Meyrink in his novel "Der Golem" (Munich 1915).

Paracelsus has left us in several of his works, chiefly in his "De Natura Rerum", the formula for creating Homonculi. He is particularly important to us as he is the leading source from which Shelley drew the inspiration of his early life, and which underlies the entire scheme of Mary Shelley's *Frankenstein*.

The fabrication of Homonculi in the laboratory of Dr. Faustus and his disciple Wagner belongs to the same period, if not earlier, and, though there is no trace of it in the work of Marlowe, yet it is preserved in the second part of Goethe's *Faust*. An offshoot or an adaptation of the story of Faust and Wagner is the story of Friar Bacon and Friar Bungay.

Not before the *Frankenstein* of Mary Shelley is the theme of the Homonculus himself or itself treated. All preceding literature dealing with biological creation by man discusses the creator rather than the creature. The Being created by Dr. Frankenstein is the first complete picture of a Homonculus in action. The Golem of course operated long before in the city of Prague, but the Golem is not, strictly speaking, a biological creation, as his life is not inherent in his clay but depends on a cabalistic formula hidden in the star suspended on his chest.

strange realms of the impossible and the miraculous that makes the very wealth of Mediaeval literature. However, the close of the Middle Ages and the dawning of the Renaissance were marked by the revival of interest in Hermetism and the attempt to realize Hermetic dreams of creation. The full expression of this revival of interest in creativeness is of course the coming to surface of Faustianism in the European society of the sixteenth century and the restoration both in folk-lore and in great literature of the central creative theme of the Messianic Age, in its Gnostic version of Faustus and Helen as well as in its Christian obverse version of Cypriano and Justina as treated in Calderon's "Il Magico Prodigioso". This formally announced the return of the crisis to the soul of Europe, but in reality the Hermetic visions began as early as Gerbert.

2

The creative anxieties of modern Europe developed in two different directions: the realisation of the Homonculus or the Chemical Man and the realisation of the Android or the Mechanical Man.

The Homonculus was born from the alchemical visions of the masters of modern science, men of mysterious and exceptional talents versed in science, in magic and in legend when all three were aspects of the same tradition. The quest for the Elixir of Life was their concern, and they thought they had discovered it in the roots of mandragora distilled in dangerous phials, vitalized by wondrous abracadabra and administered with esoteric and cabalistic rites in which Mephistophiles himself was high-priest.

The oldest known specimen of the Homonculus was the Golem of Prague, a lump of clay brought to life by Rabbi Loew who endowed his creature with a soul by placing the written formula inside a star which he stuck on the Golem's chest, a perfect amulet. On hearing of this great event the Emperor sent for Rabbi Loew to present his Golem to the Court. The

containing wine distilled from and soaked with the herb of love, becomes indissolubly tied to Iseult. Separated from his fair Iseult, he marries another Iseult known as the white-handed, but his soul ever yearns for his first love:

"After this marriage, Tristan, conqueror of the Moldagogg giants, acquires from those much wealth and many workmen whom he bids construct in a hollow rock, shaped like a vault, a hall which he embellishes with lovely 'images' with the help of goldsmiths and other artisans.

"In the middle of the vault they erected an image whose proportions and countenance were wrought with such perfect art that no beholder ever doubted that life animated all its members, and endowed with such accomplished beauty that there was not her peer in the whole universe. Her lips exhaled such a sweet breath that its scent filled the hall with the aroma of all the rarest herbs blended together. It was by Tristan's cunning that under her breast, in the place of the heart, a cavity was made to hold a box full of musky herbs, the most precious in the world.

"From this box two little pipes parted, both of the purest gold, one conveying perfume to where the hair met the back of the neck, the other to the mouth. And the image resembled the Queen Isolt so much in attitude, in loveliness and in stature that they looked one and the same person. So blooming was she that she appeared alive".

The theme, which is reminiscent of the creation of Pandora in Hesiod and in Hermetic literature (*Vide* Mead's *Thrice Greatest Hermes*), was taken up by the Minnesingers and it also recurs in the legend of the Holy Grail. There are also in the Middle Ages and in the Renaissance episodes of wax images with a fetichistic value, to destroy which is to destroy their originals: statues coming to life to take revenge on Don Juan, theme eventually exploited by Molière and after him by Mozart, etc.

Such visions of a luxuriant imagination very often served no purpose other than that of idle phantasy or romancing in the

Later on, with the final establishment of monotheism all creativeness became the monopoly of the Allfather and the Symbol of Pandora, where it was no entirely assimilated in the conception of Eve. Pondered on, not as a feat of genuine creativeness, but as the work of magic. To allow for an enchantress not created by the Allfather was to allow for rival creators coexisting in the universe. Hence, from the Messianic Age onwards, through the Middle Ages, the creation of Pandora was replaced by the creation of the more humanized enchantress Helen, or Luna as she was sometimes called, the mistress of Simon Magus and the divine prostitute of the Gnostics.

Helen reappears in Mediaeval lore in association with practically all the converted Christian saints at the critical period of their lives, the temptation period. The classic pattern is the biography of saint Cyprian from which we know that before the issue was quite decided in his soul he evoked the phantasm of the beautiful Helen with the aid of the Devil. The anticlimax came when God made him realize that the Helen evoked by the Devil was not a real person but an empty phantom conjured up by black magic. Similarly, Helen appears in connection with Faustus who missed his sainthood by a hair's breadth, and would have been duly cononised like Cyprian if he had not signed the charter with his own blood. The beginnings of Faustus are in St. Augustine. In the Messianic Age, however, men were too near the source of wisdom not to understand that Helen symbolized the "gnosis", the enchantress who stood between two civilizations, enthralled with her bewitching smile half the world and would have entrhalled the other half had she not been surrendered by Prometheus to the Allfather.

The theme of the beautiful enchantress created by the power of magic reappears in the chivalric literature of the Middle Ages but gradually loses its original significance and acquires a more human value. In the story of Tristan and Iseult this tradition is preserved. Tristan, who partakes with Iseult of the magic philtre

two armed automatons who weave circles in the air with the iron instruments they carry. (See Léon Gautier, *Les Epopées françaises*, vol. III).

Similarly, in the French Mediaeval legend on the "Voyage de Charlemagne à Jerusalem et à Constantinople" we are told that "On his arrival at Constantinople the great emperor and his peers are received by King Hugues who introduces them into an immense hall constructed with magnificent craftsmanship and round which stood a hundred marble columns all encrusted with fine gold, each supporting a child in bronze blowing an ivory trumpet. When the storm rages all the palace is shaken and the bugles sound and turn like drums or peals of thunder or huge waving bells, and the children look at each other and laugh so naturally that you would think them all alive. The uncouth barons of the emperor go through the unpleasant experience and soon find themselves upturned on the floor, full amazed, while the statues bugle to one another and smile". Of the same pattern is the episode in the story of Parcifal of the two images, one of gold and the other of silver, placed outside the tent, the first to strike any "villain" who trespasses on those grounds the other to play false notes should a common maiden approach to the tent:

La harpe sonne la discorde,
De la harpe rompt une corde.

The creation of Pandora passed through devious transformations with the gradual change of the world from free polytheism to strict monotheism without losing any of its symbolic value. In the days of Hesiod it was possible that Pandora should be fashioned by the entire Greek pantheon. During the Messianic Age, when humanity narrowed down its polytheism to an Allfather, a Demiurge of Parts and a Winged Word flying upwards and downwards communicating Divine Will to the world of man, Pandora became the creation sometimes of Prometheus the Demiurge, at other times of Hermes the Logos.

day. This, however, was not the only creation of Hephaestus for the Iliad (Canto XVIII) tells us that he fashioned twenty three-legged stools, moving by themselves on wheels of gold to the meeting-place of all the gods, that the immortals might be royally seated. The palace of Hephaetus, the Iliad also tells us, was guarded by statues made of gold, "resembling animated youths to whom power, thought and speech have been given, the immortal gods having taught them their duty, ever to remain by by the side of their King".

The best known legend of animated statues in the ancient world is the legend of Pygmalion, King of Cyprus, who, having carved the statue of a lovely maiden and prayed to Aphrodite to breathe life into it, which prayer was granted, he fell in love with his own creation, Galatea. The identification made elsewhere of Aphrodite, Ishtar, Isis, Venus, with Pandora, Pallas and Minerva, or at any rate their fusion as symbols, shows that the legend of Pygmalion could have been an offshoot of the Promethean cycle and that Galatea is one of the many aspects of Pandora.

The Mediaeval world both in Christendom and in Islamdom, had its autokinetic figures some of which were survivals of the past while others were its own. In the "Thousand and One Nights" (Night 49) Prince Sharkan saw in one of his expeditions in Asia Minor, statues that spoke, sang and moved at the court of Queen Abrizah. The Europe of the same period, chivalric Europe, and hermetic Europe, was peopled with such autokinetic creatures. In the cycle of King Arthur and the Knights of the Round Table, there is the statue of a brazen knight, armed cap-à-pied, and stationed at the threshold of a castle, ready to strike with his uplifted axe at a glance from his master. Elsewhere in the Arthurian Romances Sir Launcelot of the Lake, the companion of King Arthur, saw at the entrance of a castle two mechanical guards each carrying a heavy sword with which he wove circles in the air to block the passage of any stranger. The French Mediaeval epopee of "Huon de Bordeaux" also has

THE ALCHEMIST IN ENGLISH LITERATURE

I.—FRANKENSTEIN

BY

LOUIS AWAD

A.—Background

1

The dream of creating autokinetic beings, whether organic or mechanical, is one of the oldest phantasies of humanity. The dream of creation betrays an inherent desire in man to vie with the gods. The fact of biological reproduction, itself a high form of creativeness, never fully satisfied the sense of divinity which humanity has always possessed, for biological reproduction, in addition to its animal basis, intensifies rather than does away with man's feeling of the First Cause or the primum mobile that moulded or animated the first prototype of the species. The desire to play the part of the First Cause is at the root of all human vision of a man-created creature. It is the very essence of Prometheanism.

Prometheus was not the only creator the ancient world knew. Ptah, the Egyptian Hephaestus, created men long before Prometheus did, not to mention the clay creatures of Khnum. Hermetic literature is full of the glorification of Ptah the creator. In the Greek world Hephaestus, we know, created out of a certain alloy an enormous giant named Talos and gave him as a gift to Minos, King of Crete to watch over the shores of that island, and the vigil made the round of the island three times a

CONCLUSION

Nous évoquons le cas de Joseph non sans arrière-pensée. Pour tout dire, il nous semble qu'il mérite d'être mis en regard de celui d'Emheb, *lui aussi Intendant en-chef d'origine palestinienne*, et d'être étudié d'une manière approfondie, ce qui ne pourra être fait que lorsqu'on disposera de *toute l'inscription biographique* de la stèle d'Edfou.

Nous ne croyons pas que même quand cela sera chose faite on ira jusqu'à *identifier* Emheb-Mahabeh avec le patriarche biblique. N'empêche point qu'*on relève chez les deux plusieurs points communs* et que l'on considère la stèle d'Emheb comme un document précieux pour les études bibliques et, en particulier, pour l'établissement des bases historiques de la légende patriarcale, *laquelle pouvait à la rigueur s'inspirer d'elle.*

DESIDERATA

Nous souhaitons donc deux choses et nous sommes sûr d'exprimer en même temps les vœux de nos collèges s'intéressant à l'inscription biographique du "*Nourricier universel—renouvelant la vie*" Emheb, à savoir :

1. Qu'on fasse un sérieux effort pour retrouver la stèle portée manquante tant dans les magasins de l'Institut Français d'Archéologie Orientale que dans ceux du Musée Égyptien (1) ;

2. Que soit publiée l'inscription intégrale, sans attendre la redécouverte de la Stèle, en se servant de la photographie, laquelle, abstraction faite de quelques collations, serait suffisante.

Le Caire, octobre 1950.

---

(1) Nous l'avons recherchée deux fois au Musée Égyptien avec l'aimable autorisation de sa Direction et avec l'assistance de ses fonctionnaires et de quelques collègues. Nous avons exploré les salles fermées, mais pas les sous-sols. Les réserves de l'Institut Français sont restées, elles aussi, hors de notre atteinte.

Nous nous bornerons donc à suggérer qu'au début du "nom" conféré par le Pharaon à Joseph il y avait, apparemment, le mot צָפְ qui pourrait être une transcription de *ḏ.f.'.y*, et qu'à la fin, il y avait le mot עְנֵחַ dans lequel on pourrait reconnaître à la rigueur *'nḫ*.

Ces deux mots figurent dans les titres d'Emheb.

Cependant ce n'est pas seulement sur cette évidence qui attend encore d'être fermement établie et complétée qu'on puisse faire un rapprochement entre le patriarche biblique et le prince égyptien. Il y a des faits beaucoup plus probants, à savoir que les deux étaient de provenance palestinienne, qu'ils occupaient le même poste d'intendant général et qu'ils avaient acquis une ascendance absolue sur ses subordonnés.

Tout cela, espérons-le, sera tiré au clair par la publication intégrale du texte biographique d'Emheb qui a eu le temps de bien mûrir depuis la date déjà ancienne de sa découverte.

Si les petits traits disent quelque chose—et en effet cela arrive souvent—nous n'aurions pas manqué, en guise de *post-scriptum*, de mettre en regard ce que dit le Pharaon à Joseph en conférant à celui-ci le poste exalté d'Intendant Général :

אֲנִי פַרְעֹה וּבִלְעָדֶיךָ לֹא־יָרִים אִישׁ אֶת־יָדוֹ וְאֶת־רַגְלוֹ
בְּכָל־אֶרֶץ מִצְרָיִם

"Je suis Pharaon ! Mais sans toi *personne ne bougera sa main* ni son pied dans tout le pays d'Égypte" (1).

Cette phrase nous rappelle de près ce qu'Emheb dit sur son compte dans la ligne 5 de son inscription. Nous l'aurions cité volontiers, mais encore ceci se trouve "au-delà de la limite" (nous faillîmes dire—de la "parallèle") !

---

(1) *Genèse*, XLI, 44.

surtout sous l'empire d'une vive émotion, aussi bien que par désir de mettre en relief telle ou telle chose, ou par snobisme. Le "camouflage" de notre prince cananéen naturalisé en Egypte pourrait bien faire droit à l'une de ces tendances.

La présence de mots sémitiques dans les textes du Nouvel Empire n'est pas d'ailleurs chose inconnue. A comparer, par exemple, les chefs des "Neuf Arcs" vaincus par le pharaon Minephtah qui crient [hiéroglyphes]. C'est bien le mot hébraïque שָׁלוֹם *shalom* (1). On trouve aussi des stèles où sous une figuration égyptienne, accompagnée d'hiéroglyphes, figure une prière en syriac. Ce sont des monuments commémoratifs de Cananéens, lesquels pareillement à Emheb résidaient en Egypte et y étaient ensevelis. Toujours est-il que comme notre prince-intendant ils s'étaient donnés des noms locaux. Citons comme exemple la stèle de la dame syrienne portant le nom parfaitement égyptien d'*Akhet-abou* (2).

Par contre, dans un texte hébraïque il n'y a pas lieu de s'étonner de trouver des mots égyptiens. Il suffit de se souvenir du cas célèbre de Joseph à qui le pharaon confère un "nom" lequel à l'examen s'avère être, tout comme dans notre cas, *une phrase*. La "Genèse" en parle en termes suivants :

(3) וַיִּקְרָא פַרְעֹה שֵׁם־יוֹסֵף צָפְנַת פַּעְנֵחַ

Il serait hasardeux de tenter à la légère la traduction de ce passage qui a résisté jusqu'à présent à de nombreuses tentatives de gens beaucoup plus compétents que nous en cette matière.

(1) *Stèle d'Israël*, l. 26.
(2) A. Erman, *Religion*, 2ème édition, p. 293 et fig. 121.
(3) *Genèse*, XLI, 45.

Nous nous représentons le mécanisme de la dissimulation dont il vient d'être question de la manière suivante. Notre prince, en composant sa notice biographique en langue égyptienne, conçoit la phrase suivante :

Il la voile ensuite en remplaçant les deux mots compromettants *ḥryt* et *tnwt* par des équivalents empruntés à sa langue maternelle, *yâraḥ* et *tnuât*, qu'il écrit, comme tout le reste en hiéroglyphes, cela va de soi, d'une manière alphabétique et non syllabique qui l'aurait trahi—en faisant croire à ses lecteurs persuadés que tout était écrit en langue égyptienne, qu'il s'agissait d'un nom propre. De la sorte le camouflage atteignait pleinement le but.

Ainsi, à la longue, nous revenons à la thèse d'un nom propre avec remplacement de celui-ci par une désignation d'un personnage anonyme.

Il est à remarquer toutefois que nous ne croyons pas pouvoir affirmer—tant que nous ne disposons pas de tout le texte biographique—que nous soyons en présence d'une *dissimilation intentionnelle.* Il se peut que les quelques mots sémitiques se soient glissés dans le texte biographique d'Emheb-Mahabeh grâce à l'habitude propre à tous les étrangers de mêler les mots de leur langue maternelle à celle du pays d'adoption. Cela se fait

---

là-dedans (*i.e.* dans le bateau) présentèrent l'hommage au seigneur de cette île".

Forme négative : "il (ne) resta (que) ce qui n'était pas" (i.e. il ne resta rien (ou personne) (*Sinuhé*, B, ll. 136–137).

chose" (1) et = "תְּנוּאָת avec ,

"entrer en compétition", "se mesurer avec quelqu'un (sur le champ de bataille ou ailleurs)" (2).

En définitive, les cinq mots faisant partie du prétendu nom propre dont le troisième et le quatrième sont de souche cananéenne (et le cinquième pourrait être autant cananéen qu'égyptien) se présentent de la manière suivante :

(יָרַה) (תְּנוּאָת") (i)

nty *m* *yârah* *tnuât* *ỉ (i)*

"*Celui qui était dans la crainte de mon opposition* (ou : *de ma compétition*)" (3).

---

(1) "Das Schrecken vor einer Person ... mit Genitiv oder Suff." *Wörterb.*, III, p. 148.

(2) *Ibid.*, V, p. 311, 4. Se dit aussi du roi qui est "grand" et "fort" (pendant la bataille), *l.l.*, et de la "muraille qui est solide", *l.l.*, 2.

(3) Il est à remarquer que la phrase *'ḥ'n ḏd nty m yârah tnuâti* ne soulève aucun doute du point de vue de grammaire, les pronoms relatifs positif (*nty*) et négatif (*iwty*), en tant que sujets des formes verbales *sḏm.f* et *sḏm.n.f* étant bien connus. Citons comme exemples :

Forme positive. On ne trouve aucune difficulté de concevoir le passage du "Naufragé" (l. 39), où il est question de la disparition du bateau, sous la forme suivante :

"Ceux qui étaient là-dedans (i.e. dans le bateau) moururent" (*cf.* Gardiner, *Grammar*, p. 155, *b*, 2 : "those who were in the ship died").

En éliminant dans un autre passage du même conte (l. 171-172) le page, on obtient cette phrase parfaitement correcte

"ceux qui étaient

aussi bien que le nom du propriétaire de la stèle lui-même, lequel bien que portant un nom d'apparence incontestablement égyptienne pouvait cacher derrière lui un nom de la même provenance que celui de sa mère.

En présence de ces antécédents il se posa devant nous la question suivante : *nos deux mots insolites, ne pouvaient-ils pas être, à leur tour, de la même nature ?*

Ils s'avérèrent, en effet comme tels.

Le mot *yrh* n'est autre que יָרֵה (¹) signifiant "crainte" ou "terreur" (²), et *tnt*, c'est le "תְּנוּאַת" *status pronom.* du mot תְּנוּאָה signifiant "opposition" (³). Un exemple biblique nous présente notre mot suivi du suffixe sing. masc. de la 1ère personne, exactement comme dans notre cas : תְּנוּאָתִי (⁴) (=), dans la phrase וִידַעְתֶּם אֶת־תְּנוּאָתִי (⁵) "vous saurez ce que vaut *mon opposition*".

Les deux mots hébraïques en question ont des équivalents égyptiens assez proches. A comparer avec "par crainte de quelqu'un ou de quelque

---

(¹) Cf. la forme néo-hébraïque יִרְאָה dans LAZER-TORCZYNER, *Deutsch-Hebräisches Wörterbuch*, Berlin und Wien. 1927, p. 235.

(²) W. GESENIUS, *Handwörterbuch*, édit. angl., p. 432.

(³) *Ibid.*, p. 626 : "my opposition".

(⁴) *Ibid.*, *l.l.*

(⁵) *Nombres*, XIV, 34.

nœud gordien dont le mystère ne pouvait être résolu qu'en le tranchant. ou il serait plus juste de dire—en le sectionnant.

Faisant confiance à cette supposition. nous décomposâmes le prétendu nom en cinq mots que voici :



De ces cinq mots, les deux premiers et le dernier étaient parfaitement clairs. Ce sont respectivement le pronom relatif *nty* (graphie archaïsante), la préposition *m* et le suffixe de la première personne du singulier *i*. Cela réduisait à moitié le mystérieux "nom". Mais il restait encore à identifier les deux mots médians, *yrh* et *t(i)nt*. Ceux-là semblaient plus résistants et mener vers une impasse la piste au début si promettante. Toutefois, à la longue il se présenta à nous une issue, et c'est le premier des deux mots insolites qui nous indiqua le chemin à suivre.

Le signe au début du mot nous parut étrange, ou en tout cas très rare, tant que nous tenions ce dernier pour un mot égyptien. C'était là une indication que nous avions devant nous très probablement *un mot étranger* (¹). Sous ce rapport, il nous souvint la mère du prince Emheb, laquelle portait, comme nous l'avons relevé plus haut un nom de souche sémitique.

(¹) Cf. *Ysrael*, יָבָל *yábal* "courant, rivière" (cf. la graphie égyp.), dans מגדל-ינת de la Stèle d'Aménophis II de Mit-rahineh l. 22, *yod* "sage", etc.

Il en est question dans le passage suivant faisant partie de la troisième ligne de l'inscription biographique (*v. supra*).

On croit devoir le transcrire de la manière suivante :

'ḥ'n ḏd n. (i) T (i) m (y) r (h) t (i) n (t)

et de traduire comme suit : "*Alors Tmrtn me dit ...*"

Le nom de l'adversaire d'apparence insolite est la pierre de touche de toute l'inscription. La manière apparemment syllabique dont il est écrit a fait penser à ceux qui se sont intéressés à l'inscription et nous en avaient fait part qu'on avait affaire à un *nom étranger*. Il restait à connaître le lieu de provenance de son mystérieux porteur.

Certains optèrent pour le Sud et crurent reconnaître dans *T (i) m (y) r (h) t (y) n (t)*, ou *Tmrtn* tout court, un *Nubien*. D'autres préférèrent l'Ouest et tinrent l'inconnu pour un chef *libyen* (de là il n'y avait qu'un pas à faire pour postuler la thèse d'une guerre nubienne ou libyenne). Mais pourquoi le chef barbare s'était-il pris à Emheb qui affichait ses occupations pacifiques, et non pas au batailleur sanguinaire, son maître ? Cela devait paraître étrange, mais n'était pas un obstacle insurmontable dans le cas où la provenance du personnage en question était sûre. Mais tel n'était aucunement le cas. Il en resulta qu'il y avait de ceux qui tournèrent leurs regards vers l'Est et le Nord pour faire passer l'inconnu pour un *Palestinien* ou un *Syrien*.

Nous n'avons pas fait exception à la règle et comme les autres nous avons accompli le long et pénible travail d'identification en nous orientant, à tour de rôle, vers les quatre points cardinaux. A la longue, nous nous sommes rendu à l'évidence qu'aucun lieu de provenance de notre mystérieux personnage ne tenait ferme, et l'un après l'autre nous avons abandonné les thèses, nubienne, libyenne et syro-palestinienne.

Que nous restait-il à faire sinon de supposer que le point de départ était faux et que la suite d'hiéroglyphes en question représentait aussi peu un *nom* que le *Kann-nicht-verstehen* du conte allemand, bien que quelqu'un, en toute simplicité, le tenait pour un tel. Nous nous dîmes que nous étions en présence d'un

avec le mot de genre masculin מַחְבֵּא (1). Le nom cent pour cent égyptien ne serait dans ce cas qu'un *camouflage*, pareil à celui dont il sera question plus loin. Notons que la signification du mot hébraïque *mâ-hâbâh* "refuge" irait fort bien à notre prince, *Nourricier-de-tout-le-monde*, qui s'est donné en guise de nom égyptien un mot qui pourrait signifier "Celui qui vient en triomphateur". N'a-t-il pas résolu avec succès la tâche ardue de l'approvisionnement et, *last but not the least*, n'est-il pas sorti vainqueur lors des compétitions avec le mystérieux personnage dont il est question dans la phrase



Voyons ce que cette dernière nous apprend sur le compte de l'adversaire de notre intendant en-chef.

Le nom présumé d'un quatrième personnage

Après nous avoir fait connaître dans des termes pittoresques qui lui étaient propres comment il arriva à bout de tous les fonctionnaires de l'approvisionnement (*rwdw nb*) et s'imposa comme dictateur en vivres, le prince Emheb nous parle du défi que lui avait lancé un certain personnage.

---

(1) Dérivé du mot חָבָא "cacher" (arab. خبأ, assyr. *habû*). A comparer ϩⲱⲡ signifiant également "cacher" et dont l'équivalent hébreu pourrait être חָפָה (arab. خفى).

ainsi [hieroglyphs]. En voici un autre exemple du même genre: [hieroglyphs] (1). Somme toute, la graphie des deux radicaux formant notre nom, de provenance cananéenne [hieroglyphs] est assez rare, mais aucunement impossible.

La mère du propriétaire de la stèle d'Edfou pouvait être Syrienne ou Palestinienne. Nous optons plutôt pour la dernière alternative étant donné que dans le texte biographique de son fils nous retrouvons des mots à racines hébraïques (v. *infra*). En ce qui concerne la signification du nom rappelons que dans la poésie le mot *bâmâ* veut dire "hauteur" et que dans la prose il a toujours une signification spéciale, celle d' "éminence" ou de lieu où l'on fait le sacrifice (haut-lieu) (2). Il veut dire également "champ de bataille", "montagne", etc.

Dans le cas où le nom de la mère d'Emheb signifiait "éminence" en tant que lieu de culte, on pourrait, peut-être, voir dans Hathor, figurant dans la stèle, une divinité à elle. La déesse se tient à côté d'Horus d'Edfou qui, lui, pouvait être la divinité titulaire de son fils. De l'autre côté, l'on se demande si ce n'était pas là une indication que la mère, une dame de souche cananéenne, ne provenait pas de Dendérah dont les rapports religieux avec Byblos sont connus et si derrière la déesse locale il ne se cachait pas, à son idée, la "Dame de la Montagne" (Hathor giblite) ou une Ashtarot palestinienne. Le chose nous paraît fort probable.

Le fils de la dame [hieroglyphs] בָּמָה *Bâmâ* porte un nom apparemment tout égyptien. Le choix de deux éléments le constituant, *Em-heb*, pouvait toutefois être dicté par leur similitude

(1) *Urk* IV, p. 790, No. 212.
(2) *Ibid.* (1899), p. 313.

אָבֵל) et .

Les deux sont des noms, respectivement d'une localité syrienne et d'un personnage syrien. On connaît deux autres cas où le groupe fait partie également de noms syriens (1).

Le *m* est accompagné dans la plupart des cas de ' et se présente sous la forme syllabique , , , ou autre.

On connaît aussi les combinaisons *m* + *l*, *m* + *w* et *m* + *y*, respectivement , et (2). Pareillement à il est rare que soit employé tout seul, au milieu et à la fin des mots, comme nous le voyons, par exemple, dans les noms des localités syriennes (3) et ירחם. Nous trouvons précisément ce cas dans le nom de la mère d'Emheb . Le sans complément phonétique est suivi ici du trait vertical | . Nous ne le trouvons pas ailleurs (4). Cependant avec certains autres signes alphabétiques cela arrive, surtout avec le . A comparer cet autre radical faisant partie du nom de la mère d'Emheb lequel, dans l'un des exemples cités plus haut, est accompagné d'unt trait,

(1) M. Burchardt, *op. cit.*, I, 15.
(2) *Ibid.*, p. I. 18 et suiv.
(3) *Urk* IV, p. 782, No. 36.
(4) Le cas de la localité n'est pas sûr. Voir le texte parallèle dans *Urk* IV. p. 784, No. 81.

En gardant tel quel, nous obtenons le mot *Bâmô*, le même que dans notre stèle d'Edfou et dans l'exemple biblique cité plus haut (Ézéchiel), avec cette seule différence que le trait unique | et les deux traits || (remplacés par) changent de radicaux : , dans un cas, et (écrit), dans l'autre.

En ce qui concerne la graphie du nom de la mère d'Emheb, nous devons relever ce qui suit. Il se compose de deux radicaux, *b* et *m*. D'ordinaire ils sont suivis de compléments phonétiques qui en font des syllabes. Pour le *b* les compléments en question sont ꜣ ou *w*, lesquels forment les syllabes *b*ꜣ et *bw*, écrites respectivement , , etc., et ou (faisant partie des mots courants, tels que BOΛ "dehors" et "char"). Il arrive parfois que *b* soit écrit sans complément phonétique (par exemple (1); (2), etc.) ou qu'il soit suivi du complément \\ . C'est précisément ce que nous avons dans notre cas. Les exemples connus sont de la même époque que notre stèle, c'est-à-dire, de la XVIIIème dynastie. Les voici : (var.

(1) *Urk.* IV, p. 788, No. 130.
(2) *Ibid.*, p. 790, etc.



Fig. 2.

A comparer le mot assyrien *bâmâti* dans les Psaumes babyloniens (1) et la forme hébraïque *bâmo-thê*, dans les textes poétiques (2). En tant que désignation de *nom* nous le trouvons dans *Ézéchiel*, XX, 29 : וַיִּקָּרֵא שְׁמָהּ בָּמָה "et le nom de *Bâmâ* (haut-lieu) lui fut donné".

Notre mot se rencontre dans les *Annales* de Thoutmès III. Il s'y présente sous la forme de (3). Burchardt qui l'a signalé croit être en présence d'une erreur et devoir corriger en (4). Il en résulterait le mot בָּמוֹת *bâmot.* On se demande s'il est vraiment nécessaire de changer quoi que ce soit dans la graphie du mot en question. Le groupe était employé plus d'une fois et faisait partie des mots où le changement proposé par Burchardt n'avait aucune raison d'être. Tels sont les mots de localités (5) et (6), etc. C'est une graphie syllabique du son *m*. Nous trouvons les deux manières d'écrire le *y* combinées ensemble dans le mot (7) (à lire) (8).

(1) H. Zimmern, *Babylonische Busspsalmen.*

(2) W. Gesenius, *Handwörterbuch*, 13 édit., p. 111-112 = *Hebrew Lexicon*, Oxford, 1929, p. 119.

(3) *Urk.* IV, p. 781, No. 7.

(4) M. Burchardt, *Altkanaanäische Fremdwörter*, etc., p. II, 19, No. 340.

(5) *Urk.* IV, p. 799, No. 160.

(6) *Ibid.*, p. 793, No. 308.

(7) *Ibid*, p. 793, No. 310.

(8) Burchardt ne rapproche pas de et suppose que le premier groupe est dû à une erreur de lecture du signe (*op. cit.*, p. I, 19-20).

A comparer le même signe aux lignes 2 et 3 (1). La présence du participe passif *mry* après les noms des deux divinités titulaires est attestée, de l'autre côté, par les titres [hieroglyphs] *ḏf,ꜣy* (2) et [hieroglyphs] *wḥm ꜥnḫ* lui faisant suite et se rapportant *incontestablement* à Emheb. Les mêmes titres se retrouvent à la ligne 3 du texte principal, et là leur appartenance à Emheb est égalemente de toute évidence. Dans ce dernier cas, le titre *ḏf,ꜣy* est suivi du complément [hieroglyphs] *ḥr-nb* (3) " (de) tout le monde". Celui-ci manque dans le cintre, tout simplement, faute de place.

Le nom de la mère d'Emheb [hieroglyphs] n'est pas ordinaire(4). Les listes onomastiques de l'Égypte ancienne l'ignorent. A part cela il est écrit *d'une manière syllabique*. Ceci et cela nous fait penser à *un nom étranger*. Les radicaux *b* et *m* évoquent dans notre mémoire [cuneiform] *ba-am-ma-a-tu-u* "haut lieu", "éminence", "montagne" (en tant que lieu de culte) (5). Le mot de la même racine se rencontre souvent dans la Bible et ailleurs. Il s'écrit בָּמָה. Au pluriel et au *stat. constr.* nous trouvons à la place de ה un ת (6). La signification du mot est la même qu'en assyrien. " L'inscription de Mesha" en fait également état (l. 3 et 27) sous la forme במת.

---

(1) Ceci ne peut être fait, pour le moment, que par ceux qui ont une photographie de la stèle.

(2) Un titre très ancien, figurant déjà dans la tablette en ivoire de Nakada, dite de Ménès (voir nos "Monuments archaïques", dans *Ann. Serv. Ant.* et *Bull. Inst. d'Égypte*).

(3) Voir notre "A propos d'un extrait, etc.", dans ce *Bulletin*, vol. IX, mai 1947.

(4) Le [hieroglyph] qui précède le nom de la mère appartient à son titre. Cf. la graphie [hieroglyphs] dans *Wörterb*, II, 416.

(5) W. Muss-Arnold, *Assyrian Dictionary*, p. 172.

(6) Cf. p. ex., le roi Josias qui nettoie le pays "des hauts-lieux" (I *Rois*, XIII, 2, 32, 38, II *Rois*, XXIII, 5-20, II *Chr.* XXXIV, 3).



Fig. 1.

principal, c'est-à-dire, de droite à gauche. L'inscription se rapporte *en entier* au propriétaire de la stèle. La voici :



(I-II) *D'Horus d'Edfou, dieu de la Ville* / *et d'Hathor, maîtresse de Denderah* } *l'Aimé, le Nourricier, Celui qui renouvelle la vie,*

(III) *l'Intendant en-chef de l'Administration des greniers, Emhèb,*

(IV) *né de la Princesse Bâmâ.*

Le dieu se tient sur un support ayant l'apparence d'un [hiéroglyphe]. Il se peut qu'il s'agisse d'Horus [hiéroglyphes] "qui est sur son tertre". Une autre particularité serait le [hiéroglyphe] et le [hiéroglyphe] tournés les deux non pas vers Emheb, mais vers le dieu. A moins que ce ne soit là une simple inadvertance de la part du graveur ou que celui-ci fût gêné par la colonne hiéroglyphique toute proche, nous pourrions l'interpréter comme signifiant que "toute vie et toute joie" appartiennent au dieu Horus.

Le participe passif [hiéroglyphe] *mry* est masqué par une éraflure dans la pierre, mais on voit tout de même le trait horizontal de la manche et quelques traces de la ligne inférieure sinueuse.

Or il nous semble qu'encore sous ce rapport on fait fausse route, le présumé quatrième nom étant en réalité *une phrase*. Et, bien qu'elle se rapporte à un homme, elle ne demande pas nécessairement l'introduction d'un nouveau personnage. Elle pourrait très bien viser le troisième, autrement dit, le "maître".

Nous ne le connaîtront définitivement qu'après la publication de toute l'inscription biographique. Tout ce que nous pouvons faire pour le moment, c'est de reparler du nom du prince Emheb, en y ajoutant celui de sa mère, et de tâcher d'en tirer quelques renseignements complémentaires.

LES NOMS ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

Les figures et les légendes se trouvant dans le cintre de la stèle sont encadrées de trois côtés des aîles rabattues du disque solaire (fig. 1-2). Celles-ci ont l'air de rideaux tirés faisant voir les "acteurs" comme sur une sorte d'avant-scène.

LES FIGURES. Ce sont, à droite, le dieu Horus d'Edfou et la déesse Hathor de Dendérah et, à gauche, le propriétaire de la stèle, Emheb. Horus debout sur un tetragone rayé tient à la main droite le sceptre 𓌀 surmonté de 𓋹, le tout tourné vers lui-même, et à la main gauche, pendant le long du corps, un autre 𓋹. Le dieu porte une chemise à bretelles et un pagne collant retenu par une ceinture. La déesse, les mains pendantes, est vêtue d'une longue chemise collante à bretelles. Sa tête est ornée du disque solaire avec uraeus entre deux cornes. Emheb se tient devant les deux divinités, le bâton de commandement à pommette papyriforme à la main droite et un *ankh* à la main gauche.

LES LÉGENDES. Le cintre contient quatre colonnes d'écriture hiéroglyphiques orientées dans le même sens que le texte

considération ou non par l'éditeur, elles sont utiles ne fût-ce que pour cette raison qu'elles rompent le silence planant sur un nouveau texte intéressant. Et c'est déjà quelque chose.

Dans cet esprit de loyale collaboration fut faite la traduction par M. Drioton de quelques lignes du texte biographique en question. Elle parut dans un ouvrage sur le théâtre égyptien étant donné que l'éminent auteur a cru reconnaître dans Emheb et dans son "maître" *deux mimes ambulants* (1). Si la chose était prouvée, ce serait là une indication directe que le théâtre populaire—et non pas seulement *les mystères*—existait déjà en Égypte ancienne.

La publication des quelques lignes en question et le fait que M. Drioton a mentionné le nom et les titres du propriétaire de la stèle donnèrent au monde savant la possibilité de se prononcer sur le contenu de la stèle, contenu partiel il est vrai, mais non dénué d'intérêt. Et cela sans enfreindre la coutume qui veut que ce soit le fouilleur lui-même qui publie le document qu'il a découvert, surtout s'il y tient.

Nous avons donné la replique à M. Drioton dans deux numéros de notre "Bulletin" (2) tout en suggérant qu'il s'agissait non pas de mimes ambulants, mais *d'un chef militaire et de son intendant en-chef*.

Cette fois-ci nous allons porter notre attention non seulement sur le nom et les titres d'Emheb, mais aussi sur le nom de sa mère, lequel, comme on le verra, ne manque pas d'intérêt. En parlant d'eux, nous nous verrons obligé de jeter un coup d'œil au-delà de la limite établie par la publication de M. Drioton et de citer une partie de la ligne 6 du texte d'Emheb. D'après l'avis général exprimé de vive voix il y aurait là *le nom d'un quatrième personnage*, les trois premiers étant Emheb, sa mère et son "maître".

---

(1) Et. Drioton, *Le Théâtre Égyptien*. Éditions de la "Revue du Caire", 1942, p. 15-16, 18 et 66.

(2) Vol. IX et X.

LE NOM ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

(*Suite et fin*) (1)

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

Les fouilleurs de l'Institut Français d'Archéologie Orientale ont découvert en 1922 à Tell Edfou plusieurs stèles publiées sans délai par feu Engelbach (2). A part ces documents d'une facture assez grossière et d'un intérêt plutôt restreint, il y avait une stèle au nom d'un certain [hieroglyphs] Emheb, aussi gauchement sculptée que les autres, mais qui se recommandait vivement à l'intérêt des savants par son contenu peu banal et par la mention de la ville d'Avaris. C'était de toute évidence une biographie où, à part le propriétaire de la stèle et sa mère, il était question de son "maître" (*nb.f*).

Qui était l'un et qui était l'autre ?

La stèle entretemps devenue introuvable et pour cette raison ou pour une autre tardant à être publiée par le directeur des fouilles qui se la réserva, on se livra à des essais d'interprétation en se basant sur la photographie très obligeamment mise à la disposition des personnes intéressées. Les échanges de vues sont désirables, surtout quand il s'agit d'un texte difficile, et celui d'Emheb l'était. Que les suggestions soient ensuite prises en

---

(1) Voir "Les titres d'Emheb", dans *Bull. Fac. Arts, Fuad I. Univ.* vol. X, Part I.

(2) R. ENGELBACH, *Stèles d'Edfou*, dans *Ann. Serv. Ant.*, vol. XXI, p. 61-67 ; XXII, p. 113-138, et XXIII, p. 183-186.

TABLE DES MATIERES

TABLE DES PLANCHES

Frontispice. Photographie de W. Golénischeff, que lui-même considérait comme la meilleure, avec sa signature en hiéroglyphes, en russe et en français.

Planche I. Une page de l'adresse présentée à W. Golénischeff à l'occasion de son 70-ème anniversaire (*D'après une gouache de l'Auteur*)

N.B.—Les deux têtes d'Hathor font allusion, l'une à Madame Cécile Golénischeff, la dévouée compagne du savant, et l'autre à sa science aussi inséparable.

Planche II. W. Golénischeff en tenue de professeur à Zaafarane.

Planche III. W. Golénischeff en tenue de chasseur à Louxor.

Planche IV. W. Golénischeff en tenue de momie dans son musée privé à St. Petersbourg.

N.B.—On aurait tort de voir dans cette photographie rien qu'une amusante plaisanterie de jeune savant. Si nous étions de cet avis, nous ne l'aurions pas reproduite dans notre article commémoratif. Nous y relevons quelque chose de beaucoup plus intéressant, à savoir le désir, cela va de soi inconscient, d'entrer *in medias res* de sa science *en s'identifiant* avec l'un de ses monuments les plus représentatifs. Il est parvenu à notre connaissance que d'autres égyptologues se voyaient en rêve *mangeant des hiéroglyphes.* C'est là une autre manière, elle aussi symbolique, de faire siens les secrets de notre science. D'ailleurs, ni la "tenue de momie" ni la "consommation d'hiéroglyphes" ne datent de nos jours. Il n'y a qu'à se souvenir, d'un côté, du héros du conte démotique de "Setné Khamouas" absorbant un texte ésotérique après l'avoir dilué dans une coupe de bière, et, de l'autre, de la pratique si répandue, tant dans les cérémonies sacrées que dans les représentations profanes, de s'identifier avec une divinité ou avec un héros en arborant son masque et son vêtement. La "plaisanterie" du jeune Golénischeff est ce qu'on appelle un "rêve éveillé" témoignant d'une manière éloquente de sa ferveur de néophyte.

Planche V. Stèle de Roussa II, roi d'Ourartou (partie supérieure) transcrite et interprétée par W. Golénischeff.

28. Papyrus hiératique de la Collection W. Golénischeff sur le voyage de l'Egyptien Ounou-Amon en Phénicie, *Rec. Trav.*, 1899 (t. XXI).

29. Nadpiss Vanskago Tzaria Roussi II, in 4°, St. Petersb., 1901.

30. Offener Brief an Herrn Professor G. Steindorff (die Libyerfrage betreffend), *Zeitscher. f. äg. Spr.*, 1902-3 (t. XL).

31. Die Landschaft , *ibid.*, 1904 (t. XLI).

32. Le Papyrus N° 1115 de l'Ermitage Impérial de St. Petersbourg, *Rec. Trav.*, 1908 (t. XXXIII).

33. Das Wort "der Feuerbohrer", *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1908-1909 (t. XLV).

34. Le Conte du Naufragé, *Bibliothèqûe d'Etudes*, t. II, in 4°. Le Caire 1912.

35. Eguipetskaïa mogilnaïa plita N° 4071 (*Pamiatniki Mouzeia Iziachtchnikh Iskousstv*, Moscou, 1912).

36. Les Papyrus hiératiques N° 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermitage Impérial, Fol., St. Petersb., 1913.

37. Quelques remarques sur la syntaxe égyptienne, *Recueil Champollion*, 1922.

38. Leçon inaugurale de Philologie Egyptienne à l'Université Egyptienne, Le Caire 1923 (traduction arabe).

39. Parallélisme symétrique en ancien égyptien. *Studies presented to F. Ll. Griffith.*

40. Le rôle de l'intonation dans quelques textes égyptiens, *Mélanges Maspero*, vol. I.

41. Deux dessins humoristiques anciens-égyptiens. *Zapiski Arkhéologuitcheskago Obchtchestva*, St. Petersb. (sans date).

42. A propos de l'exemplaire du "Livre des Morts" au nom d'Horus, fils de Nespaḥerân et Taḥapy, *ibid.* (sans date).

Frontispice



Photo de l'Auteur

В. Голенищевъ　　W. Golénischeff

13. Notice sur un ostracon hiératique du Musée de Florence, *ibid.*, 1882 (t. III).

14. Sur l'origine alphabétique de certains hiéroglyphes. Congrès des Orientalistes de Leide, 1884, in 4°.

15. Le cachet bilingue du roi Tarkutimme (dans *Proc. Soc. Bibl. Arch.*, mai 1888).

16. Opyt grafitcheski raspologennago assyriiskago slovaria, St. Petersbourg, 1888, in 4°.

17. Epigraphitcheskié resoultaty poezdki w Ouâdi Hammamât, St.Petersbourg, 1888, in 4° (dans *Zapiski Arkhéologitcheskago Obchtchestva*).

18. Lettre à M. G. Maspéro sur trois petites trouvailles égyptologiques, *Rec. Trav.*, 1889 (t. XI).

19. Arkhéologitcheskiyé resoultaty pouteschestviya po Eguiptou zimoi 1888-1889, St. Petersbourg, 1890.

20. Une excursion à Bérénice, *Rec. Trav.*, 1890 (t.XIII).

21. Stèle de Darius aux environs de Tell El-Maskhoutah, *ibid.*, 1890 (t. XIII).

22. Vingt-quatre tablettes cappadociennes de la Collection W. Golénischeff, in 8°, St. Petersbourg, 1891.

23. Inventaire de la Collection Egyptienne à l'Ermitage Impérial, in 8°, 1891.

24. Opissanié assyriiskikh drevnostéi w. Imp. Ermitagé (1892 ?).

25. Amenemhat et les Sphinx de San, *Rec. Trav.*, 1893 (t. XV).

26. Eguipto-saveïskii sarkophag w Guizehskom Museïé, in 8°, 1893.

27. Eine neue Darstellung des Gottes Antæus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1894 (t. XXXII).

de notes lexicographiques et grammaticales, qui exigent non seulement beaucoup de soins, mais aussi beaucoup de temps, et de plus en plus il s'adonne à l'étude minutieuse de la structure de l'ancienne langue égyptienne.

Liste des Publications (1)

1. Ueber die Aussprache des Wortes [hieroglyphs] und über das Wort [hieroglyphs], *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1874 (Tome XII).

2. Eine ältere Redaktion des 108 Kapitels des Todtenbuches, *ibid.*, t. XII.

3. Miscelenea, I, *ibid.*, 1875 (t. XIII).

4. Miscelenea, II, *ibid.*, 1876 (t. XIV).

5. Le Papyrus N° I de St. Petersbourg. Notice lue le 29 août/10 sept. 1876 au Congrès des Orientalistes à St. Petersbourg, *ibid.*, 1876 (t. XIV).

6. Ueber das Wort [hieroglyphs], [hieroglyphs], oder [hieroglyphs] *ibid.*, 1877 (t. XV).

7. Die Metternichstele, Leipzig, 1877, Fol.

8. Sur un ancien chapitre du Livre des Morts, 1878.

9. Sur un ancien conte égyptien. Congrès de Berlin, 1881, in 4°.

10. Ueber zwei Darstellungen des Gottes Antæus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1882 (t. XX).

11. Offener Brief an Herrn Professor H. Brugsch (Mariette, Karnak betreffend), *ibid.*, 1882 (t. XX).

12. Notice sur un texte hiéroglyphique de Stabel Antar (Speos Artemidos), *Rec. Trav.*, 1882 (t. III).

(1) Nous ne pouvons pas garantir qu'elle soit complète.

De 1869 à 1875 il fait ses études au Ier Gymnase (= Lycée) Classique et de 1875 à 1879 à l'Université, Section des Langues Orientales, où il termine avec le grade de "candidat" (ce qui à cette époque correspondait au M a g i s t e r des Universités Allemandes.

De ce titre il doit se contenter n'ayant pas la possibilité de présenter et de défendre aucune thèse égyptologique, puisque, à ce moment, il n'y a nulle part en Russie ni professeurs ni chaire d'Egyptologie.

Il n'abandonne pas pour cela ses études favorites sur la langue et les antiquités égyptiennes, et, pendant de multiples voyages en Egypte, forme pour lui une assez grande collection d'objets anciens et surtout de manuscrits.

Après le premier voyage en Egypte il est nommé Conservateur de la Collection Egyptienne et Assyrienne du Musée de l'Ermitage Impérial et y reste, comme tel, jusqu'en 1915. Pour comprendre les inscriptions, qui se trouvent sur les objets assyriens de la collection, il se voit obligé à s'adonner à l'assyriologie.

En Egypte il parcourt à maintes reprises la Vallée du Nil, du Caire jusqu'à Ouadi Halfa et même jusqu'à Khartoum, et fait des excursions dans le désert: à Ouâdi Hammamat, à mi-chemin de Kéneh à Kosseir, à Bérénice, au bord de la Mer Rouge, et à l'Oasis d'El Khargeh.

Depuis 1919, il collabore au Grand Catalogue du Musée du Caire, en faisant une transcription aussi exacte que possible des manuscrits hiératiques.

En même temps, de 1923 à 1924-1925, il fait des cours d'Egyptologie à l'ancienne Université Egyptienne, et un cours pendant la saison 1924-1925, à l'Ecole d'Archéologie.

Pendant sa longue carrière égyptologique, qui commença en 1870 avec l'étude du Prof. Reinisch sur les antiquités égyptiennes au Musée de Miramar, il amassa peu à peu une réelle collection

d'Archéologie à Mounira et chef de la Section Egyptologique de l'actuelle Université Fouad Ier, à Zaafaran (Abbassieh).

Après avoir démissionné en 1929 pour se consacrer entièrement à son œuvre magistrale sur la Syntaxe, il n'a cessé un seul instant de s'intéresser aux progrès de la jeune science philologique en Egypte et de prodiguer conseils et encouragements à ses anciens élèves qui semblaient être aussi attachés à leur vénérable Maître que lui était à eux.

A part le côté purement égyptologique, les entretiens avec Golénischeff étaient édifiants sous maints autres rapports. C'était un homme d'une vaste culture donnant replique à toute question d'ordre général ou spécial.

Golénischeff connaissait la langue accadienne aussi bien que celle de l'Egypte ancienne, sans parler du latin, du grec, de l'arabe, et de l'hébreu biblique. Tant qu'il s'agit de ses connaissances en cunéiforme, preuve en est la Stèle de Roussa II, roi du royaume d'Ourartou, publiée et interprétée par lui en 1901 (pl. V). La langue chalde de cette inscription étant alors fort peu connue, c'était une entreprise vraiment héroïque qu'il mena à bout avec le maximum de succès auquel on pouvait s'attendre,

Une autre preuve, s'il en faut, serait son "Dictionnaire assyrien" arrangé d'après le principe graphique. Il a fait aussi l'inventaire des antiquités assyriennes de l'Ermitage, publié des tablettes cappadociennes, etc.

17 décembre 1950

Curriculum Vitæ

Voici les données que W. Golénischeff lui-même communiqua à la Faculté des Lettres de l'Université Fouad Ier (alors Université Egyptienne) lors de sa nomination en 1925 au poste de professeur titulaire de philologie égyptienne.

Wladimir Golénischeff est né à Petersbourg le 17 janvier vieux style (= 30 janvier nouveau style) 1856.

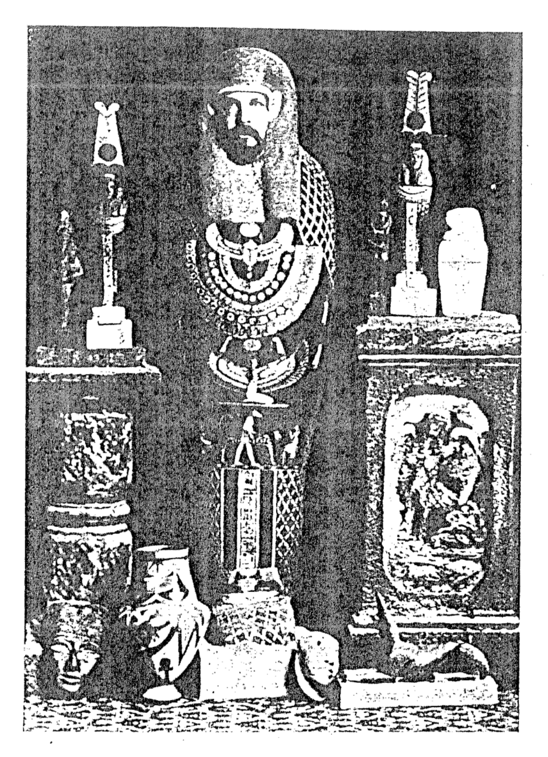
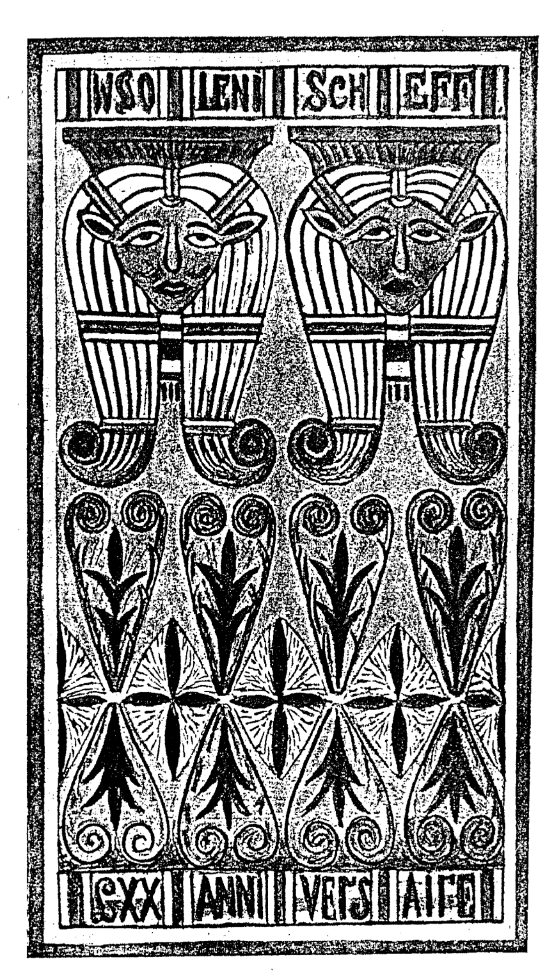




Planche II




LENI SCH
XX ANNI VErS AIrE

Saint Petersbourg en 1915. Il vint vers nous d'un pas alerte du fond d'une longue galerie. Cette première impression d'un homme en pleine vigueur ne se fit que s'accentuer quand nous entrâmes en conversation. Sa manière de parler pleine de verve nous a fait oublier d'emblée que nous étions en présence d'un sexagénaire. Et alerte il resta jusqu'à la fin de ses jours. Si ses pas se ralentirent, s'il a dû plus tard s'appuyer sur une canne, son esprit n'a jamais fléchi. En 1947 il était aussi éveillé—nous aimerions dire, aussi dynamique—qu'en 1915. Il l'était même à la date fatidique du 9 août où sans préavis la mort l'a surpris à sa table de travail penché sur une feuille de papier couverte de signes hiéroglyphiques de son écriture minuscule et nette.

Ainsi se termina la longue série de ses méditations jamais interrompues. Commencées en 1870, quand Wladimir Sémionovitch n'avait que quinze ans, *elles durèrent soixante dix-sept ans*. Et la dernière année était comme la première. Pensée vive attachée amoureusement—c'est bien le mot—à tout ce qui avait trait à l'Egypte ancienne.

Nous en avons une preuve dans la lettre par lui écrite quelques jours—même pas une semaine—avant sa fin. Elle pourrait faire honneur à un jeune savant par son enthousiasme.

Cet enthousiasme d'un homme à cœur d'or et de grand savant, il le mettait pendant trois quarts de siècle au service de tous ceux qui voulaient s'initier à la science dans laquelle il était passé maître.

En cette année et en ce mois de décembre 1950, quand nous fêtons le jubilé d'argent de notre Faculté des Lettres, il y a lieu de rendre hommage à Golénischeff en tant que l'un de ses fondateurs les plus éminents. Il a posé en 1923, à l'ancienne Université Egyptienne, la première pierre des études académiques en matière d'égyptologie, et il posa bien d'autres pendant les cinq ans qu'il fut consécutivement professeur à l'Ecole

WLADIMIR SEMIONOVITCH GOLENISCHEFF

(1856–1947)

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

Pour commémorer un grand disparu on garde une minute de silence. Pour nous qui l'avons connu de si près, la minute symbolique a duré trois ans. Ce n'est seulement maintenant que nous sommes à même d'admettre le fait et d'en parler. Et encore, en peu de mots.

Nous venons de dire que nous l'avons connu de près. A part l'affection mutuelle, le rapprochement était facilité par le fait que nous étions, tous les deux, dans des conditions assez semblables. Même patrie inaccessible. Même attitude envers notre peuple subissant une transfiguration extraordinaire. Malgré son apparence "européenne", Golénischeff était avant et après tout un Russe séparé de son pays d'origine non pas par des considérations idéologiques—les liens qui l'y unissaient étant combien plus profonds—mais, tout simplement, par des raisons d'ordre technique. Sans parler de l'Egypte où il est venu régulièrement chaque année, en tout soixante fois, pour y faire des séjours prolongés, nous l'avons vu souvent à Nice et nous aurions pu le voir autant de fois sur les bords de la Néva, si les voyages de ce côté ne présentaient tant de difficultés dont certaines insurmontables.

En effet, la première fois que nous l'avons rencontré, ce n'était pas au Musée du Caire, son centre de recherches égyptologiques préféré, ni dans sa bibliothèque niçoise. C'était à l'Ermitage de

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART I

MAY 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
Fouad I Univ. Press,
1951





المجلد الثالث عشر — الجزء الثانى

ديسمبر ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكى محمد حسن بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربي

زخارف وطرز سامرا

للدكتور فريد شافعى

تتميز سامرا بين سائر المدن التى نشأت فى العصر الاسلامى بعدة ظواهر هامة قل أن وجدت فى أى مدينة إسلامية أخرى . فقد سار العمران فيها بخطوات سريعة متلاحقة . وصار تخطيط المدينة أبعد ما يكون عن الاقتصاد فى التوسع . فقد ترامت رقعتها فى مساحة هائلة . إلا أنها لم تعمر طويلا إذ كانت السرعة فى خرابها وهجرانها تتناسب مع السرعة الجبارة فى نموها . فالفترة بين البداية والنهاية تكاد لا تتجاوز نصف القرن . وهى فترة ان كانت قصيرة الزمن فهى طويلة الأثر . إذ تم فيها على قصرها تطور ليس بالمألوف فى تاريخ الفنون والزخارف .

وأكثر معالم ذلك التطور وضوحا كان فى الزخارف النباتية بوجه خاص سواء فى المحفورة منها أو المرسومة .

واتفق علماء الآثار على تقسيم الزخارف النباتية المحفورة فى الجص الى ثلاثة طرز ولكنهم اختلفوا فى نظام الترتيب الزمني لتلك الطرز ، إلا أن الأدلة والتحليل الفنى والمنطق ترجح كلها النظام الذى اتفق عليه الأستاذ كريسول والدكتور زكى محمد حسن بك والدكتور كونل وهو عكس نظام الأستاذ هرتزفلد [1] .

وقد عرضت لنا فى دراساتنا بعض ملاحظات وتحليلات رأينا أن نضيفها الى تلك الأبحاث القيمة مساهمة منا فى دراسة الزخارف النباتية التى كانت ولا تزال تستدعى اهتمامنا .

فطرز سامرا — وخاصة الثانى والثالث منها — يتمثل فيهما بحق مظهر جديد لزخارف الفن الاسلامى ، بل ويتضح فيهما طابع مميز للفن كله بوجه عام

ولزخارفه النباتية بوجه خاص . إذ تحررت شخصيته من قيود الفنون السابقة التي كان يعتمد عليها كل الاعتماد منذ نشأته .

ويمكن تحليل هذه الطرز وتتبع تطورها كالآتي :

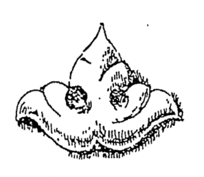
الطراز الأول (لوحات ١—٤) :

يمتاز بقرب عناصره من الطبيعة ، أو بمعنى أصح بقربها من أصولها الهلينستية إذ لم يتطرق اليها إلا التطور المنتظم المعتاد فى الفنون . وكانت عناصره لا تزال تخرج من عروق طويلة تمتد فى انحناءات وحلزونات كانت معروفة فى الزخارف الهلينستية وما تأثر بها من الفنون الاخرى :

وأهم العناصر النباتية فى هذا الطراز هى : ورقة العنب الخماسية (شكل ١) وقطاعها يميل الى التقعر والثلاثية (شكل ٢) وعناقيد العنب ذات المحيط المكون من ثلاث فصوص (شكل ٣) والعناصر الكأسية ذات الفجوات المعينة الشكل (شكل ٤) ويلاحظ فى الأشكال الأخيرة ميل قطاعها الى التحدب .



(شكل ١)
ورقة عنب خماسية ، سامرا طراز ١
Creswell, II, Pl. 78 d.



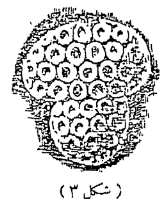
(شكل ٢)
ورقة عنب ثلاثية ، سامرا طراز ١
Creswell: II, Pl. 77 c.

ويتضح فى عناصر أوراق العنب ظواهر هلينستية صريحة هى التعرق النخيلى والعيون بين الفصوص (شكل ١) .

كما يتضح الطابع الهلينستى فى أسلوب الحفر من حيث تجسيم العناصر فى تقعر أو تحدب مما يضفى على التحفة ظلالا متفاوتة العمق .

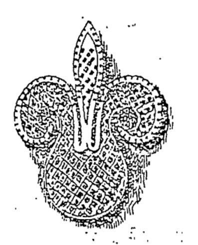
الطراز الثانى (لوحات ٥ — ٧):

تضاءلت الأرضيات الى أن صارت قنوات ضيقة تفصل مابين العناصر التى كادت أن تفقد ماألفناه من اتصال بعضها ببعض بواسطة عروق ، كما كان الحال فى الطراز الأول ؛ فتطورت العناصر الى وحدات كبيرة منبسطة لا تجسيم فيها وتمم بعضها البعض بحيث لا تترك أرضية أو فراغا بينها ونتج عن ذلك تصرف كبير فى أشكال كثير منها ، كى يساعد على تنفيذ الفكرة والذوق الجديدين الذين وضحا فى هذا الطراز بعد التمهيد لهما فى الطراز الأول ، كما نراه فى العناصر التى تملأ الأركان المحصورة بين المناطق أو الجامات الهندسية التى يقسم اليها السطح المزخرف (لوحات ١ و ٢).

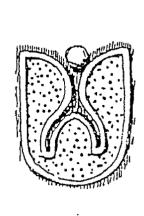


(شكل ٣)
عنقود عنب ، سامرا طراز ١
حفريات سامرا لوحة رقم ٣٢

وقد رأينا أن هناك عاملا هاما فى هذا المظهر الجديد يرجع الى أساليب الصناعة نفسها والى مطالب واتجاهات فى تلك الأساليب لم تكن هناك حاجة اليها قبل إنشاء سامرا ، وكان لزاما على الأساليب الصناعية أن تلبيها .

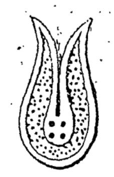


(شكل ٤)
ورقة كأسية ثلاثية ، سامرا طراز ١
Creswell, II, Pl. 52 c & Fig. 186.

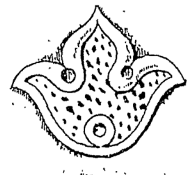


(شكل ٥)
ورقة كأسية ثنائية ، سامرا طراز ٢
حفريات سامرا لوحة رقم ٣٥

فلو قارنا زخارف الطراز الثانى بزخارف الطراز الأول لوصلنا الى نتيجة هامة، هى أن الفنان اذا كان عليه أن يملأ مساحة ما بالزخارف فيلزمه وقت معين لملئها بزخارف من الطراز الأول . ولكن يلزمه وقت أقل من ذلك بكثير إذا غطاها بزخارف من الطراز الثانى ، وهذا الاقتصاد فى الوقت — ويتبعه بداهة اقتصاد في التكاليف [٢] — كانت الحاجة اليه سببا فى الميل الى قلة التأنق فى التصميم والتوزيع والصناعة ومحاولات التبسيط فيها وفي المحيط الخارجى للعناصر والاختصار فى الحشو الداخلى فى بعضها ، إذ نرى مثلا



(شكل ٦)
ورقة كأسية ثنائية ، سامرا طراز ٢
Creswell : II, Pl. 78 b.



(شكل ٧)
ورقة كأسية ثلاثية ، سامرا طراز ٢
حفريات سامرا ، لوحة رقم ٦٠

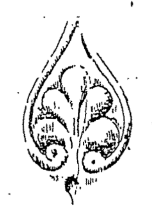
أن خلية النحل المكونة من معينات غائرة منتظمة ، كما كانت فى الطراز الأول (شكل ٤) ضاع منها التأنق فى الطراز الثانى وأصبحت عبارة عن حفر صغيرة متلاصقة على السطح فى غير نظام بل وفى اهمال ، كما نراها فى بعض عناصر الطراز الثانى الموضحة بالرسم (أشكال ٥ الى ٧) .

الطراز الثالث (لوحات ٨ — ٩) :

هو المرحلة الأخيرة لتطور الطراز الثانى بفكرته وعناصره مع تعديل فيها بحيث تصبح أكثر صلاحية لفكرة جديدة أخرى هى « الصب » فى قوالب واستخراج نسخ متعددة من الوحدة الزخرفية الواحدة . وأغلب ظننا أن ازدياد الميل إلى الاقتصاد فى الوقت والنفقة الذى تطلبه التوسع الكبير فى العمائر فى وقت قصير هو الذى أدى إلى التفكير فى استعمال

أساليب صناعية لها طابع آلى مبسط كان لها الفضل الأكبر فى تطور العناصر فى الطراز الثالث إلى أشكالها المعروفة فى ذلك الطراز (أشكال ٨ الى ١٣)

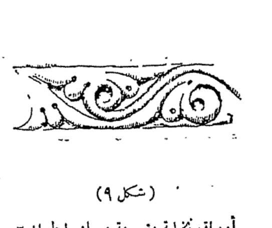
ولكن برغم ذلك كله فاننا نلاحظ شيئا هاما فى عناصر الطرازين الثانى والثالث هو أنها كلها لا زالت تحتفظ بملامح كثيرة من الأصول الهلينستية والساسانية وأننا لا نعثر على أى عنصر أجنبى خارج عن مجموعة العناصر المعروفة فى الشرق الأوسط حتى العناصر التي يخيل الينا لأول وهلة أنها غريبة كبعض أشكال المراوح النخيلية الكاملة (شكل ٨) والمقسومة (شكل ٩)



(شكل ٨)

ورقة نخيلية ، سامرا طراز ٣

Cresw ll, II, Pl. 72 e



(شكل ٩)

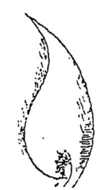
أوراق نخيلية مقسومة ، سامرا طراز ٣

Creswell, II, Pl. 74 c.

وكالورقة الجناحية (شكل ١٠) وكالعناصر الكأسية الكاملة (شكل ٤ — ٧) والمقسومة (شكل ١١ — ١٣) ، فكلها أو أصولها كانت موجودة إما فى الفنون الهلينستية والبيزنطية وإما فى الفنون الساسانية . والتغيير الذى طرأ عليها كان ناتجا من التصرف فى بعض الجزيئات الخارجية والداخلية فجعل لها ذلك الطابع الغريب الذى تم نضجه وتطوره فى الطراز الثالث . وهو طابع إسلامى صميم لا يوجد فى أى فن من الفنون الأخرى ، اللهم إلا ما تأثر منها بالفن الاسلامي [٣] .



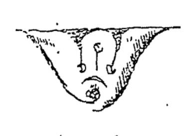
(شكل ١١)
ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣
Creswell, II. Pl. 74 c.



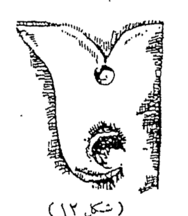
(شكل ١٠)
ورقة جناحية ؛ سامرا طراز ٣
Creswell, II. Pl. 67 b.

والحق اننا نشاهد فى الطراز الثالث ميزتين رئيسيتين تساعدان كثيرا على الحصول على ما يلائم الحاجة إلى أساليب صناعية لها طابع آلى مبسط هو الصب فى القوالب ، والميزتان هما : (أولا) الحفر بطريقة الشطف (ثانيا) التخلص من الأرضيات العميقة ، فكلاهما يسهلان كثيرا عملية الصب فى القوالب.

والصب فى القوالب طريقة سريعة لاستخراج نسخ متكررة من وحدة زخرفية تعطى فى مجموعها مساحات كبيرة فى وقت قصير ونفقة قليلة ويضايقها وجود أرضيات غائرة ضيقة بين العناصر ، كما يضايقها وجود زخارف محفورة أو محشوة بحفر دقيق إذ ينتج عنها صعوبات جمة فى تخليص الألواح المصبوبة



(شكل ١٣)
ورقة كأسية مقسومة ثلاثية
سامرا طراز ٣
Herzfeld: Wandschmuk. Abb. 213e.
Orn. 199e.



(شكل ١٢)
ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣
Herzfeld : Wandschmuck, Taf. XIV.

من قوالبها ، بل يتعذر أحيانا بدون إتلاف جانب كبير من الزخارف الدقيقة وحواف جانب آخر وخاصة ما كان منها حادا . ومن هنا جاءت فكرة الاستعانة بشطف الحواف وإلغاء الأرضيات .

ويصح أن نشرح شيئا من المتبع فى الوقت الحاضر فى عمل الزخارف وصبها واستخراجها من قوالب ، ولا نظن أن هناك اختلافا جوهريا بين المتبع الآن والمتبع فى البلاد الأخرى وفى أزمان قديمة ، وإذا وجد اختلاف فأغلب ظننا أنه يوجد فى التفاصيل الصغيرة . ونلخص طرق الصناعة فى الخطوات الآتية :

أولا — تعمل ألواح من الجص ويرسم عليها النموذج الزخرفى (PATTERN) المراد تكراره بسن مدبب أو قلم .

ثانيا — تحفر الأرضيات حول محيط العناصر الزخرفية فتظهر الأخيرة بارزة فوق الأرضية الغائرة . وتستعمل فى الحفر آلات حادة كالمثاقب والأزاميل المتفاوتة الغلظ وذات القطاع المستقيم أو المستدير حسب حجم ومحيط الزخارف المراد حفرها .

ثالثا — تملأ العناصر بالزخارف الداخلية من تعرق أو عناصر دقيقة نباتية أو هندسية أو عيون أو أقراص . . . الخ ثم تجسم فى مستويات متفاوتة .

وأغلب الظن أن الخطوات السابقة كانت متبعة فى عمل الزخارف فى سامرا من الطرازين الأول والثانى .

أما الطراز الثالث فله خطوات أخرى تتمم الخطوات السابقة وهى :

رابعا — كانت الزخارف الأصلية أحيانا تحفر على الخشب [٤] بدلا من الجص ويستخرج من هذا النموذج الايجابى إن كان من الخشب أو الجص قالب سلبى من إحدى مادتين :

(ا) الجص ، ويوجد منه أمثلة بدار الآثار العربية [٥] ومثل آخر بمتحف معهد الآثار الاسلامية بجامعة فؤاد الأول [٦] . ونظرة إلى هذين المثلين تعزز رأينا فى أن طريقة الحفر بالشطف فى الطراز

الثالث وانعدام الأرضية واتساع الزخارف فيه كل ذلك يسهل كثيراً انتزاع القالب الايجابي بعد صبه .

(ب) الطين ، وكانت تصنع منه قوالب سلبية تؤخذ من نماذج من الخشب ، كما سبق القول ، ثم تحرق القوالب الطينية لاكسابها الصلابة اللازمة لاستعمالها .

خامسا — يطلى القالب السلبي بمادة دهنية لتمنع التصاق الجص اللين الذي يصب فيه لاستخراج العدد المطلوب من النسخ الايجابية . وقد يتطلب الأمر أحيانا عمل أكثر من قالب سلبي إذا كان العدد المطلوب من القوالب الايجابية كبيرا . إذ أن القالب السلبي يتلف من تكرار الضب فيه وخاصة إذا كان مصنوعا من الجص .

أما من أين جاءت فكرة الصب في القوالب فمصدرها ليس بعيداً عن سامرا . إذ تدلنا الآثار الساسانية على أن الفنانين الفرس كانت لهم دراية واسعة بأساليب صناعة الجص ، فقد كان من المواد الرئيسية المستعملة عندهم في طلاء الواجهات الداخلية والخارجية للحوائط المشيدة بالآجر أو اللبن . وكانت هذه الطريقة أكثر انتشاراً في فارس منها في البلاد الاسلامية الأخرى وأغلب الظن أن تلك الأساليب كان لها فضل كبير في تزويد الفنانين في سامرا بما ساعدهم على إحداث تلك الثورة فيها .



(شكل ١٤)
أجنحة ساسانية

Erdmann, Ars Islamica, IV. Figs. 13-14



(شكل ١٥)
أوراق جناحية ساسانية

Orbeli & Trever: Orfevrerie Sasanide. Pl. 73

وإذا عدنا إلى المميزات والعناصر والظواهر المختلفة فى الطرازين الثانى والثالث والأخير منهما بوجه خاص وحللناها وجدنا أنها تتمثل فى النقط الرئيسية الآتية :

١ — عناصر الأوراق الجناحية (شكل ١٠) وهى فى الحقيقة أنصاف أجنحة ساسانية إذ أن مصدرها الرئيسى عناصر الأجنحة المنتشرة فى الرسوم الساسانية وزخارفها والتى كثيراً ما كانت تستعمل فى تيجان القياصرة الساسانيين كتاج خسرو الثانى مثلا (شكل ١٤) ثم تطورت الأجنحة باختزال الضلوع والاقتصار على المحيط الخارجى (شكل ١٥) ويسمى أمثالها الأستاذ هرتزفلد البالمت الجناحية (Flügel-palmette)[٧]..

٢ — عناصر أنصاف الكؤوس ، (أشكال ١١ — ١٣) وأصلها فى رأينا عناصر الكؤوس الكاملة المعروفة فى الفنون الهلينستية والساسانية ثم انحرف وضع العرق إلى جانب منها فنتجت الأشكال نصف الكأسية .

ولنا أن نعتبرها — حسب آخر المعلومات عن حفائر الآثار الاسلامية — عناصر إسلامية صميمة ولدت بالعراق فى الربع الثانى من القرن الثالث الهجرى (٩ م) .

ولايفوتنا احتمال وجود خطوات تمهيدية سابقة ، ولكن ليس لدينا فى أى فن من الفنون السابقة ما يصح أن يعتبر حلقة تمهيدية اللهم إلا عنصر فى صينية من الفضة تنسب إلى الفن الساسانى (شكل ١٦) . وهو فى الحقيقة ليس بنصف كأس على الهيئة الصريحة التى انتشرت فى الفن الاسلامى منذ سامرا . إذ تقع نقطة اتصال الساق بالعروق فى محور الكأس تماما كالمعتاد ، والذى حدث هو أن الساق انثنى أو ارتفع حتى امتد مع مستوى القاع ، فاختفت بذلك إحدى الزاويتين اللتين كان الساق يصنعهما عادة على الجانبين عند التقائه بالقاع واقترب العرق وجانب من الكأس من أن يشتركا فى خط منحن واحد . غير أننا لانستبعد أن يكون من هذا الوضع وأمثاله ماساعد على الايحاء للفنانين المسلمين بتلك الظاهرة لابتكار تلك العناصر الجديدة التى هى — إن شئنا

الدقة — هيئات جديدة لعناصر قديمة كانت موجودة فى زخارف الشرق الأوسط والأدنى .



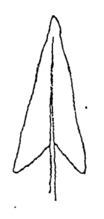
(شكل ١٦)
ورقة كأسية ساسانية
Survey. IV.Pl. 227 .



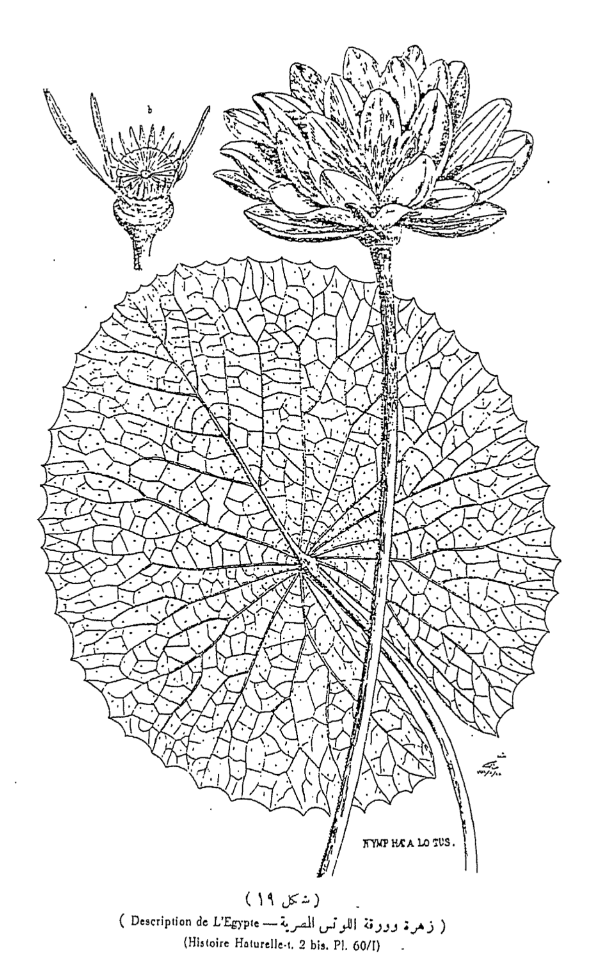
(شكل ١٧)
قاع مجوف ، سامرا

٣ ب- ظاهرة التجويف فى قاع العناصر الجناحية والعناصر الكأسية (شكل ١٧) .

وهى فى رأينا مشتقة من التجويف فى العناصر الجناحية التى انحدرت من الفن الساسانى كما سبق القول (شكل ١٥) ثم انتقلت من العناصر الجناحية إلى الزخارف الكأسية فى سامرا وذلك للاحتكاك المباشر بين هذه العناصر وبعضها ، أما احتمال اشتقاقه من مصادر أخرى ، فلا نميل إلى الأخذ به . فمثلا قد يكون المصدر من الطبيعة مباشرة ، إذ يوجد فى بعض الأوراق الطبيعية تجويف ضيق عند نقطة التقاء الساق بالورقة ومن أمثلتها أوراق نبات العليق (شكل ١٨) (Convulvulus) وأوراق اللوتس المصرى (Nymphaea) (شكل ١٩) إلا أنها أنواع بعيـــدة عن الزخارف الإسلامية ، ولكن النوع الأكثر اتصالا



(شكل ١٨)
ورقة العليق ، طبيعية



(شكل ١٩)

(زهرة وورقة اللوتس المصرية — Description de L'Egypte)

(Histoire Naturelle-t. 2 bis. Pl. 60/I)

بالفن الإسلامي ، هو ورق العنب (شكل ٢٠) ففيه عيون وفجوات بين فصوص الورق وبعضها، وكذلك بين الفصوص السفلى منها وبين الساق ، وأوراق العنب من العناصر الزخرفية المألوفة فى سامرا (شكل ١) ولكننا برغم هذا نعتبر هذا الاحتمال بعيداً لسببين : أولهما ، أن استلهام الطبيعة أو الاقتباس المباشر منها لم يكن من مبادىء المزخرفين والفنانين وخاصة فى العصور الأولى من الفن الإسلامى ، والسبب الثانى أنه بفرض حدوث تطور من ظاهرة طبيعية إلى أخرى زخرفية فان ذلك يتطلب وقتاً طويلا



(شكل ٢٠)
ورقة عنب خماسية طبيعية
Baily: Cyclopedia of Horticulture, Fig. 3953.



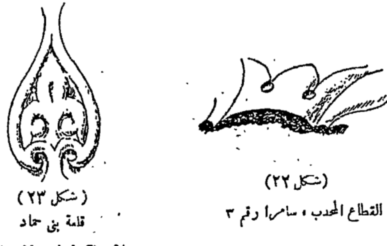
(شكل ٢١)
ورقة كأسية ثلاثية ، سامرا رقم ١
Creswell: II, pl. 78 d

وخطوات تدريجية لا تتفق مع القفزة التى رأيناها فى تطور زخارف سامرا . إذ لم يظهر التجويف صراحة فى العناصر الكأسية إلا فى بشائر الطراز الثانى (شكل ٢١) ، ولم يظهر فى العناصر الزخرفية التى تمت لورقة العنب بصلة النسب أو الشبه على كثرة أمثلتها فى الطرز الثلاثة فى سامرا وخاصة فى الطراز الأول منها .

٤ — فكرة تلاصق العناصر بحيث تتمم بعضها البعض ولا تترك فراغا بينها . وفى رأينا كما سبق القول أن السبب المباشر لهذا الأسلوب هو الحاجة

إلى الاقتصاد فى الوقت والنفقة ولانتاج كميات كبيرة من الزخارف فى أسرع وقت (Mass Production) . وكان الفنانون الفرس أكثر الناس فى ذلك الوقت دراية بأساليب الصناعة فى الجص .

٥ — ظاهرة القطاع المشطوف أو المحدب للعناصر (شكل ٢٢) وقد بدأ ظهوره فى بعض عناصر الطراز الأول [٨] ثم عاد ليصبح من أهم مميزات الطراز الثالث . وهى ظاهرة ليست بالجديدة فى العصر الاسلامى إذ نراها قبل ذلك فى عناصر زخرفية قريبة من زخارف الطراز الأول ،



(شكل ٢٢)
القطاع المحدب ، سامرا رقم ٣

(شكل ٢٣)
قلعة بنى حماد

Marcais : Manuel, I, Fig. 94 e

كشف عنها فى حفائر مدينة الحيرة . وتدلنا الأبحاث الأولية عن هذه العناصر أنها تسبق إنشاء سامرا [٩] ، ومهما يكن من الأمر ففى رأينا كما سبق القول أن أساليب الصناعة وعمل القوالب لزخارف الطراز الثالث مسئولة إلى حد كبير عن انتشار ظاهرة القطاع المشطوف في عناصر الطراز الثالث .

٦ — ظاهرة خروج العناصر النباتية من بعضها ، بمعنى أن يمتد طرف العنصر حتى يصبح عرقاً ينبت منه آخر قد يتحول طرفه إلى عرق وهكذا . وقد وجدت هذه الظاهرة قبل الاسلام فى فنون الشرق الأوسط وخاصة فى زخارف الشام من العصر المسيحى [١٠] ، ولكنها وضحت نهائياً وتم نضجها وانتشرت إلى حد كبير فى الفن الاسلامى وصارت من أهم مميزاته الصريحة

غير أنها على أى حال لم تقو على محو الفكرة القديمة وهى خروج العناصر مباشرة من العروق ، ومن الملاحظ أن الظاهرتين كانتا متلازمتين فى مدارس الفن الاسلامى فى الشرق الأوسط والأدنى بوجه عام . أما فى المغرب فكانت الفكرة القديمة أوسع انتشاراً من فكرة سامرا التى كانت نادرة هناك .

وإذن فكل هذه العناصر والظواهر المختلفة الخاصة بالزخارف تشعرنا بأن العوامل المحلية كانت تعمل فى قوة ليس من المنطق ولا من الانصاف أن نتجاهلها[11] وأن نرجح عليها عوامل أجنبية يحتمل مجيئها مع أقوام من الترك من أواسط آسيا ، كما يقول الأستاذان شترزيكوفسكى[12] وكونل[13] .

وتحليل العناصر والظواهر التى شرحناها فيما سبق تعزز الى حد كبير رأى الدكتور زكى محمد حسن بك[1] فى نشأة وتطور زخارف سامرا وتشجعنا على التمسك بالقول بأن زخارف سامرا قد تكون طابعها وتمت تطوراتها تحت تأثير عوامل فنية وصناعية معظمها إن لم يكن كلها محلى .

ولكننا نخالف الاستاذ الدكتور زكى بك فى أنه لا يرى فى ذلك ثورة زخرفية ونحن نعتبرها كذلك للسبب الآتى :

سبق القول بأن الأساتذة كريسول والدكتور زكى بك والدكتور كونل قد اتفقوا على نظام ترتيب الطرز الثلاثة بعكس نظام الأستاذ هرتزفلد[1] فاذا لاحظنا أن الطراز الأول يبدأ مع أقدم جزء من عمائر سامرا الأولى فى الجوسق الخاقانى أى فى باب العامة (٢٢١ هـ/٨٣٦ م)[14] وأن الطراز الثالث هو السائد فى زخرفة قصر بلكوارا الذى يؤرخه الأستاذ كريسول بين(٢٤٠ و ٢٤٥ هـ/٨٥٤ و ٨٥٩ م)[15] فالفرق بين التاريخين لا يزيد عن ٢٤ عاما وهو بلا شك يعتبر فترة قصيرة جداً فى تاريخ تطور الزخارف الذى نراه يأخذ أجيالا وقروناً فى بعض الأحيان لكى تتم فيه خطوات انتقال صريحة من حال الى حال . ومن الواجب اعتبار ماحدث فى سامرا من تطور فى تلك الفترة القصيرة ثورة فنية حقاً .

ولنحاول بعد استعراض تطور الزخارف فى الطرز الثلاث فى الجص أن نقارنه بتطورها فى الخشب .

وعبثاً نحاول أن نجد ما يهدينا إلى أن التطور فى الخشب كان يتمشى مع التطور في الجص. فبرغم وجود عدد كبير جداً من منتجات الخشب من الطراز الثالث فانه لا يوجد مثل واحد يصح اعتباره من الطراز الثانى أو اعتباره قريباً منه .

ولا نعتقد أن ذلك راجع لفقد المستندات الأثرية . فهى متوفرة فى معظم المواد . وحتى إذا فرضنا أن منها ما فقد في سامرا فان لدينا مصر وفارس وفيهما أمثلة عديدة من الطراز الثانى فى الجص ، ولا أقل من وجود قطع ولو نادرة من ذلك الطراز الثانى فى الخشب ، إن كان قد وجد فيه .

ولا مفر إذن من الظن بأن أسلوب الحفر فى الخشب فى مدرسة سامرا لم يتبع تماما خطوات التطور التى رأيناها فى الحفر فى الجص . وليس هذا بغريب ، إذ يمكن تفسيره بسهولة : فلم تكن للفنانين حاجة إلى التحايل فى أساليب صناعة الخشب كحاجتهم اليها فى الجص . والطراز الثانى الذى يعتبر مرحلة تبسيط للزخارف والذى يصل الطراز الأول بالثالث فى الجص لم تكن هناك ضرورة لوجوده فى الخشب ، فالخشب لم يكن من المواد المحلية فى العراق حتى يمكن استعماله فى الزخرفة باسراف كالجص .

والطراز الأول فى الخشب يمكن اعتباره ممثلا فى بضع تحف خشبية منها منبر جامع القيروان الذى جلب له من بغداد فى (٢٤٨ ﻫ ٨٦٢ — ٨٦٣م) وهو تاريخ يعاصر سامرا وازدهار البناء فيها ، ثم القطع الخشبية المشابهة لحشواته وعثر عليها فى تكريت[١٦] ، ثم الباب الخشبي الذى عثر عليه فى تكريت والمحفوظ الآن بمتحف بناكى في أثينا وينسب إلى القرن ٣ ﻫ (٩ م)[١٧] ، أى يصح اعتباره أيضاً معاصراً لزخارف سامرا . فأسلوبها كلها يتوازى

مع أسلوب الطراز الأول فى الحفر على الجص من حيث اتفاقها في احترام التقاليد الهلينستية مع بعض التطور الرزين

وأغلب ظننا أن التطور فى الخشب قد تحول من ذلك الطراز الأول إلى الطراز الثالث مباشرة عند ما بدأ الفنانون فى استعمال الخشب كأصل لزخارف الطراز الثالث ليستخرج منه القوالب السلبية (٤) كما سبق شرحه (صفحة ٥٥) ولا شك أن الفنانين لمسوا السهولة والسرعة الكبيرتين اللتين تتوفران فى طريقة حفر زخارف ذلك الطراز ، فضلا عن مظهرها وشخصيتها الجديدين — ولكل جديد طلاوة — فأقبلوا على ذلك الأسلوب وتوسعوا فى استعماله فى زخرفة الأخشاب .

زخارف الخزف ذى البريق المعدنى

أما الزخارف النباتية فى الخزف ذى البريق المعدنى فمن البديهى أن يختلف مظهرها لاختلاف المادة . والمشاهد أن الطرازين الثانى والثالث لا تختلف العناصر فيهما كثيراً فى الشكل والتخطيط الخارجى والفرق بينهما هو فى طريقة الحفر ، فهى فى الطراز الثالث مجسمة وفى الثانى منبسطة (Flat) وهى توافق الرسم على الخزف ، والحق أن كثيراً من زخارف الخزف نراه وثيق الصلة بعناصر محفورة فى الجص من الطرازين الثانى والثالث . وقد قارن الأستاذ مارسيه بعضاً منها ووضح صلات الشبه الكبيرة بينها[١٨] .

وإذن فزخارف الخزف ذى البريق المعدني من مجموعتين : احداها تشبه الطراز الأول ، والأخرى تشبه الطراز الثانى والثالث معا .

تطور زخارف سامرا

أما أهمية زخارف سامرا فلا تأتى من تطوراتها فى سامرا نفسها فحسب بل من تطوراتها خارج سامرا أيضاً .

فقد انتشرت تلك الزخارف فى بقاع الشرق الاسلامى واحتفظت بمميزاتها الأصلية فترات طويلة فى بعض تلك البقاع وقصيرة فى البعض الآخر.

ولكن كان لها فى كل الأحوال أثر كبير فى توجيه تطور الفن الاسلامى فى تلك البقاع ، وفى تطور زخارفها بوجه خاص .

ولكى يمكن تتبع نفوذها وآثارها جمعنا ما أمكننا من التحف والآثار التى بقيت محتفظة بميزاتها الأصلية وخاصة بأسلوب أحد الطرازين الثانى والثالث فى مختلف الأقطار الإسلامية ورتبناها حسب تسلسلها التاريخى كالآتى :

٢٢١ — ٢٦٩ هـ (٨٣٦ — ٨٨٣م) العراق : سامرا : زخارف القصور والمنازل فى الرخام والجص والخشب والخزف[١٩] .

٢٤٨هـ (٨٦٢ — ٨٦٣ م) المغرب : القيروان ، بلاطات من الخزف ذى البريق المعدنى بالمسجد الجامع[٢٠] .

٢٦٣ — ٢٦٥ هـ (٨٧٦ — ٨٧٩ م) مصر : جامع ابن طولون[٢١] . زخارف محفورة فى الجص والخشب .

نهاية القرن ٣ هـ (٩ م) مصر : محراب طولونى من الجص[٢٢] .

نهاية القرن ٣ هـ — مصر : المنزل الطولونى[٢٣] ، زخارف محفورة فى الجص .

نهاية القرن ٣ هـ — فارس : قرب سمرقند فى الشمال الشرقى فى نيسابور وافرازياب : زخارف محفورة فى الجص[٢٤] .

نهاية القرن ٣ هـ — الرقة : تيجان أعمدة من الحجر عليها زخارف من طراز سامرا الثالث ومن الطبيعى أن ينسبها هرتزفلد إلى عصر هارون الرشيد أى فى بداية القرن ٣ هـ (٩ م)[٢٥] لأنه كما علمنا كان يعتبر الطراز الثالث هو الأول[١١] .

نهاية القرن ٣ هـ — الشام : تيجان أعمدة من الرخام عليها زخارف من طراز سامرا الثالث نسبها ديماند إلى القرن ٢ هـ (٨ م)[٢٦] وهو خطأ واضح نشأ عن اعتماده على تقسيم الأستاذ هرتزفلد لطرز سامرا (أعلاه صفحة ١) وعلى تأريخه لتيجان الرقة السابقة .

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) العراق : افريز من الجص فى الكنيسة الكبرى فى الرصافة [٢٧] .

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع زجاجية عليها زخارف مجسمة تنسب إلى العصر الطولونى [٢٨] .

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع خشبية تنسب إلى فترة الدولة الطولونية وأوائل الدولة الفاطمية [٢٩] .

٣٠١ — ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) مصر : وادى النطرون ، زخارف جصية فى كنيسة العذراء بدير السريان [٣٠] .

القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : محاريب بجامع ابن طولون [٣١] .

القرن ٤ هـ — العراق : الموصل ، مار يعقوب ، حشوات فى محرابين على جانبي محراب كبير ينسبهم الأستاذ هرتزفلد إلى القرن (٩ م) [٣٢] ولكننا نلمس فيهم بعضاً من التطور يشجعنا على وضعهم فى القرن (١٠ م) .

القرن ٤ هـ — العراق : الغراء ، محراب مقام عبد العزيز [٣٣] .

القرن ٤ هـ — فارس : ماتشا ، تاج عمود وحشوة والاثنان من الخشب [٣٤] .

حوالى ٣٥٠ هـ (٩٦٠ م) فارس : زخارف جصية بجامع تايين [٣٥] .

٣٢٥ — ٤٠١ هـ (٩٣٦ — ١٠١٠ م) الأندلس : مدينة الزهراء ، حزف ذو بريق معدنى وزجاج ذو زخارف مجسمة فيها عناصر من الطرازين الثانى والثالث [٣٦] .

٣٥٩ — ٣٨٦ هـ (٩٧٠ — ٩٩٦ م) مصر : الجامع الأزهر ، زخارف جصية من عصر المعز والعزيز [٣٧] .

الربع الأخير من القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : المحراب المعروف بمحراب جيي الشبيه وينسبه الأستاذ فلورى إلى منتصف القرن (١٠ م) [٣٨]

ولكننا نفضل وضعه فى الربع الأخير من ذلك القرن للأسباب التى سنذكرها فيما بعد (صفحة ٧٨) .

٣٨٦ — ٤١١ ﻫ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م) مصر : الجامع الأزهر ، باب خشب باسم الحاكم بأمر الله[٣٩] .

٣٩٣ — ﻫ (١٠٠٣ م) مصر : جامع الحاكم بأمر الله ، الأربطة الخشبية للعقود الحاملة للقبة[٤٠] .

٤٢١ ﻫ (١٠٣٠ م) فارس : غزنة ، باب خشب لمدفن محمود الغزنوى فى حصن أجرا[٤١] .

٤٢٩ ﻫ (١٠٢٧ م) فارس : يزد ، دوازده أمام ، جص[٤٢] .

حوالى ٤٣٠ ﻫ (١٠٤٠ م) المغرب : القيروان ، مقصورة المسجد الجامع من الخشب[٤٣] .

٤٤٧ — ٤٥٠ ﻫ (١٠٥٥ — ١٠٥٨ م) فارس : أردستان ، محراب ذو زخارف من الجص فى المسجد الجامع[٤٤] .

نهاية ٥ ﻫ (١١ م) العراق : تكريت ، زخارف من الجص فى مشهد الأربعين[٤٥] .

٥ — ٦ ﻫ (١١ — ١٢ م) فارس : خيوه ، أعمدة من الخشب مزخرفة بالحفر فى المسجد الجامع[٤٦] .

٥ — ٦ ﻫ (١١ — ١٢ م) فارس : يزد ، محراب من الجص فى مسجد شاه أبى القاسم[٤٧] .

النصف الأول ق ٦ ﻫ (١٢ م) فارس : قزوين ، زخارف جصية فى مسجد حيدرية[٤٨] .

٥٢٨ ﻫ (١١٣٤ م) فارس : بزان ، امام زاده شاهزاده كرار ، جص[٤٩] .

٤٥٧ ﻫ (١١٥٢ م) فارس : إزجند ، جص فى مدفن جلال الدين[٥٠] .

النصف الثانى ق ٦ هـ (١٢ م) فارس : همدان : زخارف ومحراب من الجص فى علويان (٥١)

٥ هـ (١١ م) فارس : أبرقوه ، جص مدفن پير حمزة سبزپوش (٥٢) .

حوالى ٥٥٩ هـ (١١٦٣—١١٦٤ م) الشام : حماة ، المنبر الخشب فى جامع نور الدين الأوجه الداخلية لكوشات العقود المفصصة (لوحات ١١ : ١٢) .

٥٦١ هـ (١١٦٥ — ١١٦٦ م) العراق : الرقة : تيجان أعمدة من الجص فى الجامع داخل السور من عصر نور الدين (٥٣) .

٥٦٦ — ٥٦٨ هـ (١١٧٠ — ١١٧٢ م) العراق : الموصل : تيجان من الحجر لأكتاف بالمسجد الجامع (٥٤) .

حوالى التاريخ السابق ، العراق : الموصل ، تاج عمود من الجص من عصر نور الدين فى مارأحودمه (٥٥) .

حوالى التاريخ السابق ، العراق : الموصل : تاج عمود من الجص فى مشهد الشيخ فتحى (٥٦) :

٥٧٣ — ٥٩٠ هـ (١١٧٧ — ١١٩٦ م) — فارس : لوح من الجص عليه اسم أرطغرل (٥٧) .

٥٨٩ هـ (١١٩٣م) العراق : مشهد على : زخارف من الجص (٥٨) .

نهاية القرن ٦ هـ (١٢ م) فارس : ترمذ ، بقايا مبنى (٥٩) .

٦١٦ — ٦٣٤ هـ (١٢١٩ — ١٢٣٦ م) آسيا الصغرى : قونيا ، حفر فى حجر من الأسوار (٦٠) .

٧٠٣—٧١٢ هـ (١٣٠٣—١٣١٢م) — فارس ، جص فى پير بكران (٦١) .

٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) — فارس : ورامين ، جص فى امام زاده (٦٢) .

ق ٨ هـ (١٤ م) فارس : قم ، جص فى مدفن ولى بقرب بوابة قاشان (٦٣) .

٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فارس : أصفهان ، جص فى المسجد الجامع (٦٤) .

٧١٣ هـ (١٣١٣م) فارس : بسطام ، مشهد بايزيد المحراب الجص (٦٥) .

٧٣١ هـ (١٣٣٠ م) مرند : جص فى مدفن (٦٦) .

ويمكننا أن نستخلص من مجموعة الأمثلة السابقة ما يأتى :

أنه قد خرجت موجات محملة بمميزات طرز تلك الفورة الفنية من منبعها فى سامرا فوصلت فى قوة وعنفوان إلى فارس ومصر ، ومن البديهى أن تكون قد مرت بديار الشام بحكم موقعها الجغرافى فهى بمثابة الممر الذى تنحدر فيه الموجات الآتية من الشرق إلى مصر . إلا أنه ينقصنا للأسف كثير من المستندات الأثرية التى ترجع إلى ما قبل القرن ٦ هـ (١٢ م) فى تلك الديار لكى يمكن تتبع آثار تلك الموجات فيها .

* * *

وأول ما يستلفت نظرنا فى سير تلك الموجات فى الشرق الاسلامى أنه بمجرد خروجها من سامرا ووصولها إلى البلاد التى سبق ذكرها نراها قد بطأ سيرها وأخذ تطورها يتدرج بالسرعة المنتظمة المألوفة فى تطور الفنون وهى قد تبدو لنا كثيرة البطء إذا قسناها بالقفزة التى حدثت فى فترة ربع القرن التى رأيناها فى سامرا .

التطور فى مصر :

ونرى فى مصر بوجه خاص أن الموجة التى وصلتها بدأت تظهر فى زخارف جامع ابن طولون ثم زخارف البيت الطولونى فى العسكر ثم فى زخارف دير السريان بوادى النطرون ثم نجد فراغا فى صناعة الجص يستغرق نصف القرن تقريبا تقابله حلقات من زخارف محفورة فى الخشب وكلها من الطراز الثالث السامرى الى أن تأتى أول حلقة ثابتة التاريخ فى الحفر على الجص هى الزخارف الجصية فى الأزهر . وإذا بنا نشاهد فيها بدء تحول فى الذوق والمزاج الفنى يتضح فى ميل العروق — بعد قصرها فى طراز سامرا الثالث — الى الامتداد فى حركات تقرب من التثنيات والحلزونات التى كنا نشاهدها فى الأساليب الهلينستية البيزنطية قبل الفورة السامرية . كما تغير الذوق فى رسم بعض العناصر مع احتفاظها بآثار من سامرا وعادت الأرضيات إلى الظهور والاتساع تدريجياً . إلا أن أهم هذه الظواهر كلها هو

امتداد العروق وهى تامة الوضوح فى المحراب المحفوظ نسخة منه بدار الآثار العربية والمعروف باسم محراب يحي الشبيه . وينسبه الأستاذ فلورى الى منتصف القرن ١٠ م . ولكننا نفضل نسبته إلى الربع الأخير من ذلك القرن لأسباب سنشرحها فيما بعد (ص ٧٨) ومن بين تلك الأسباب وضوح ظاهرة امتداد العروق التى أشرنا اليها .

أى أننا نرى خطوات التطور قد سارت فى تمهل وانتظام فى مادتى الجص والخشب فى مصر ونمت وترعرعت فيهما أساليب وزخارف سامرا الاسلامية الصميمة . والدليل على ذلك تلك القطع الخشبية الكثيرة المتوفرة حتى نهاية عصر الحاكم بأمر الله . ولكن لا توجد للأسف زخارف جصية أخرى تأتى مباشرة بعد زخارف الأزهر حتى جامع الجيوشى لكى تتضح جليا خطوات تطور الزخارف فى الجص . أما الأشرطة الجصية فى جامع الحاكم فهى كتابات كوفية تتناثر فى أرضياتها بعض العناصر النباتية ، وبالنظر إلى أننا لا نعرف من العصر العباسى ولا من غيره أشرطة كتابية من الجص فيها زخارف من الطراز الثانى أو الثالث أو ما يقرب منها فلا يمكننا الاعتماد على أشرطة جامع الحاكم الكوفية فى تتبع تطور الزخارف النباتية على الجص .

أما المادة الجديدة وهى الحجر التى استعملت بتوسع واشتركت جنباً الى جنب مع الآجر فى بناء جامع الحاكم فانه لا يوجد فيها مثل واحد به زخارف أو مميزات من أحد الطرازين الثانى والثالث السامريين، وكل الزخارف المحفورة على الحجر فى ذلك الجامع فيها ارتداد صريح للأساليب الهلينستية[(٦٦)] فالأرضيات واسعة والعروق طويلة تمتد فى أمواج وتثنيات وحلزونات كما كانت قبل نفوذ سامرا . كما نرى بينها ظاهرة بزنطية كثيرة الانتشار فى زخارف المغرب والأندلس هى العروق المشقوقة الى اثنين أو ثلاثة ، ويمتزج بذلك كله عناصر اسلامية صميمة هى الورقة الجناحية والعناصر الكأسية الكاملة وأنصافها ثم القاع المجوف .

وتعين لنا زخارف الحجر فى جامع الحاكم نقطة البداية فى خروج فرع من المجرى الذى كانت تسير فيه زخارف سامرا وسلالاتها واتجه ذلك الفرع نحو المجرى القديم الذى كان يجرى فيه ذلك المزيج السابق من الأساليب البيزنطية والساسانية والهلينستية ، واجتذب معه الزخارف السامرية فى الجص والخشب . فأخذت الأساليب القديمة تطفو مرة أخرى شيئاً فشيئاً الى أن امتزجت الاساليب القديمة بالعناصر الاسلامية الجديدة المظهر والذوق وأخذت إحدى مميزات سامرا الهامة فى التكوين وهى تلاصق العناصر بحيث تمم بعضها البعض فى التلاشى ، ومشى المزيج من القديم والجديد فى خطوات تطور وئيدة منتظمة متصلة الحلقات تتوالى عليها تأثيرات تشتد وتضعف حسب الظروف بعضها واضح وبعضها محسوس وبعضها مستتر لا يكشف إلا بعد البحث الدقيق ؛ أو بمعنى آخر صار المجرى الجديد يقترب تدريجياً من المجرى القديم ويتجاذب معه التأثيرات وانتهى الأمر بأن تلاقى الاثنان وكونا مجرى واحداً جديداً جمع بين الاثنين وذلك فى حوالى منتصف القرن ٥ هـ / ١١ م .

التطور فى الشام :

أما فى الشام فيتضح من مجموعة الأمثلة التى سردناها أنها قليلة جداً فى الشام ولا تساعدنا على تتبع سير التطور هناك . ولكننا بالرغم من ذلك نميل إلى الظن بأنها لم تكن بتلك القوة التى سارت بها فى مصر ، وأنه قد حدث مزج بينها وبين الأساليب الهلينستية ولكن بعد فترة أقل من الفترة التى تم فيها الامتزاج فى مصر .

التطور فى العراق وفارس

ويختلف الأمر فى العراق وفارس عنه فى مصر والشام ، إذ انتشرت فيهما الموجات منذ سامرا وانحرف التيار الاسلامى فى المجرى الجديد الخاص به هناك ثم أخذ فرع منه — لا المجرى الجديد نفسه كما حدث فى مصر — يقترب تدريجيا من المجرى القديم الهلينستى ويتبادل معه التيارات والتأثيرات

كما كان الحال فى مصر حتى تلاقى الاثنان مرة ثانية فى وقت يعاصر الوقت الذى تم فيه ذلك فى مصر أى حوالى منتصف القرن ٥ هـ/ ١١ م هذا مع الفارق الطبيعى فى المزاج والذوق وحسب الجو الفنى المحلى فى كل قطر من الأقطار.

***

وإذن فهنالك فرق واضح بين سير التطور فى فارس والعراق وسيره فى مصر.

فأسلوب سامرا فى فارس والعراق لم يختف بعد امتزاجه بالقديم كما حدث فى مصر بل بقى منه مجرى ضيق احتفظ فيه أسلوب سامرا بجزء كبير من مميزاته القديمة من عناصر وتكوين مع تطورات خفيفة لم تؤثر على الهيكل ولا على الروح الأصليين فبقى سليما حتى القرن ٨ هـ/ ١٤ م، هذا وقد خرجت منه بعض التأثيرات فوصلت الى آسيا الصغرى فى القرن ٧ هـ/ ١٣ م (ص ٦٨).

سامرا والمغرب الاسلامى

أما علاقة سامرا بفنون الغرب الاسلامى فيمكن شرحها كما يأتى:

وقفت موجة سامرا الفنية التى وصلت الى مصر عند تخومها الغربية ولم تتعداها إلا فى حالات قليلة: منها مثلا تلك البلاطات الخزفية ذات البريق المعدنى فى جامع القيروان التى تنسب الى النصف الثانى من القرن ٣ هـ/ ٩ م ومنها خزف ذو بريق معدنى وزجاج ذو زخارف بارزة عثر عليهم فى خرائب مدينة الزهراء فى القرن ٤ هـ/ ١٠ م. وهى أمثلة ومستندات تؤيد المصادر التاريخية أصلها الشرقى، إذ تحدثنا عن المرة الاولى فتقول: إن بلاطات القيروان قد استوردت من بغداد مع منبر الجامع الذى لا يزال به حتى الآن. وعن المرة الثانية أنه كان من بين صناع مدينة الزهراء صانعاً أصله من الأسكندرية[٦٩]، ولا يستبعد بل ومن المرجح أن يكون معه صناع غيره. وفى هذه الأدلة التاريخية مايؤيد وجود صلة فنية بالشرق الاسلامى وبمصر خاصة كان من نتائجها وجود مثل تلك القطع الخزفية والزجاجية فى المغرب.

ومهما يكن من الأمر فقد كانت تلك التحف وأمثالها أشبه برذاذ فنى لم يترك أثرا محسوسا فى الفنون المحلية.

والتحف المتناثرة فى الغرب الاسلامى والتى يتضح فيها أساليب وجزئيات من سلالات أساليب سامرا ، بعد المثلين السابقين يمكن جمعها فيما يأتى :

القرن ٥ هـ (١١ م) الجزائر : قلعة بنى حماد ، عناصر زخرفية ذات قاع مجوف (شكل ٢٣) .

حوالى ٤٣٠ هـ (١٠٤٠ م) تونس : القيروان ، عناصر محفورة فى خشب المقصورة فى المسجد الجامع (٧٠) .

٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) تونس : باب تونس بالقيروان (لوحة ١٣) ، زخارف كأسية وأنصافها ذات تجويف وغيرها (أشكال ٢٤ — ٢٧) .

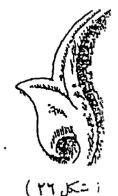


(شكل ٢٤)
القيروان ، باب تونس



(شكل ٢٥)
القيروان ، باب تونس

منتصف ٥ هـ (١١ م) تونس : جامع القيروان ، عناصر كأسية كاملة وأنصافها (أشكال ٢٨ — ٣٠) بها تجويف وحلزون فى قاعها وعناصر جناحية أخرى (أشكال ٢٨—٣١) .



(شكل ٢٦)
...ان ، باب تونس



(شكل ٢٧)
القيروان ، باب تونس



(شكل ٢٨)

القيروان

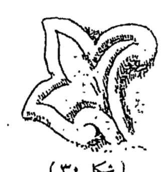
Marcais: Manuel. I. 94/M.



(شكل ٢٩)

القيروان

Marcais: Coupoles. pl. XXXI/994



(شكل ٣٠)

القيروان

Marcais: Manuel, I. Fig. 94 k.



(شكل ٣١)

القيروان

Marcais: Manuel. I, Fig. 94 k.



(شكل ٣٢)

المهدية

Marcais. Manuel, I, Fig. 94/I.



(شكل ٣٣)

المهدية

Marcais: Manuel. I. Fig. 94/I.

منتصف ٥ هـ (١١ م) المهدية : زاوية العيسوية ، زخارف أنصاف كأسية مجوفة وكأسيه مزدوجة القاع (أشكال ٣٢ — ٣٣) .

منتصف ٥ هـ (١١ م) تونس ، جامع القيروان : تاج عمود بصلي يصفه مارسيه بأنه طولوني[٧١] وهو شكل نعتقد أنه متسلسل من أصول من سامرا .

منتصف ٥ هـ (١١ م) تونس ، القصبة : تاج عمود بصلي فى أحد الشوارع[٧٢] .

٥٣٤ (١١٣٩م) تونس : شاهد قبر ، عنصر كأسي (شكل ٣٤)[٧٣] .

(شكل ٣٤)

تونس : شاهد قبر

. Marcais: Manuel, I, Fig. 93/3.

وقد نسب مارسيه تلك الظواهر فى جامع قيروان إلى تأثيرات فاطمية وفدت فى ذلك الوقت[٧٤] . ويعزز هذا الرأى عدم وجود حلقات صريحة تسبقها أو تلحقها . فهناك مثلا فجوة زمنية كبيرة تبلغ القرنين بين تاريخ البلاطات الخزفية حول محراب الجامع وبين هذه الأمثلة . وعلى كل حال فاننا لانجد فيها كلها استمرارا أو اثرا فى زخارف الغرب الاسلامي . وأغلب الظن أنها لم تجد ترحيباً من الفنانين المحليين فى تلك الأقطار فلم يحاولوا استعمالها أو التطور بها فى زخارفهم .

* * *

الطراز المتلاصق فى المغرب والاندلس

ويتصل بهذا الموضوع موضوع آخر نرى من الواجب الاشارة اليه وهو ظهور مميزات في المغرب والأندلس تشبه ميزتين من مميزات سامرا (ص — ٦١٦٠) وهما تلاصق العناصر وإتمام بعضها لبعض ، ثم تحدب قطاعها . وزاد عليها فى المغرب والأندلس ذوق جديد من التجسيم (Modelling) يتجلى فى تفاوت مستويات الزخارف وركوب بعض العناصر فوق البعض الآخر وتضافرها

أحياناً مما يعطى القطعة ظلالا متفاوتة العمق . ويسمى الأستاذ مارسيه هذا الأسلوب « بالطراز المتلاصق » (le décor floral compact) [٧٥] وهى ميزة مغربية أندلسية لم نرها فى سامرا . وقد بقيت تلك المميزات أو مابذكرنا بها حتى القرن ١٠ هـ/١٦ م[٧٦] فى أقطار الغرب الاسلامى .

وفيما يلى الأمثلة التى نرى فيها تلك المميزات أو بعضها منها :

القرن ٦ هـ/١٢ م ، رباط : باب قصبة عودايا [٧٧] .

٥٤٨/١١٥٣ م ، تنمل : تيجان أعمدة المسجد [٧٨] .

٥٩٠/١١٩٤ — توزر : محراب المسجد وأفريزفيه [٧٩] .

حوالى ٥٩٢/١١٩٦ ، مراكش : تيجان أعمدة فى مسجد الكتبية [٨٠] .

حوالى ٥٩٥/١٢٠٠ ، طليطلة : تيجان أكتاف كنيسة القديسة ماريا البيضاء [٨١] .

القرن ٧ — ٨ هـ/١٣ — ١٤ م ، تلمسان : تيجان أعمدة فى مدفن سيدي أبى مدين أصلها من المنصورة [٨٢]

٦٩٦/١٢٩٦ ، تلمسان : تاج عمود فى مسجد أبى الحسن [٨٣]

٧٠٢ — ٧٣٦/١٣٠٣ ، تلمسان : تاج عمود فى مسجد المنصورة [٨٤]

٧٢١ — ٧٢٣/١٣٢١ — ١٣٢٣ : فاس : مدرسة الصهريج [٨٥]

٧٢٣ — ٧٢٥/١٣٢٧ — ١٣٢٥ — فاس : تاج عمود فى مدرسة العطارين [٨٦]

٧٢٩/١٣٢٩ : رباط : باب شيلا [٨٧]

٧٥١ — ٧٥٦/١٣٥٠ — ١٣٥٥ ، فاس : تاج عمود فى مدرسة بو عنانية [٨٨] .

منتصف ٨ هـ/١٤ م ، غرناطة : تيجان أعمدة بقصر الحمراء [٨٩]

٧٥٣ — ٧٦٤/١٣٥٣ — ١٣٦٤ : اشبيلية : القصر [٩٠]

ولكن برغم التشابه بين مميزات هذه الأمثلة ومميزات زخارف سامرا فاننا لا نميل إلى الظن بأن الأخيرة كان لها أثر ما على الزخارف المغربية الاندلسية المتلاصقة ، وذلك لأن أساليب سامرا (كما رأينا فى صفحة ٦٥ وما بعدها) بقيت الى القرن ٨ هـ / ١٤ م فى فارس والعراق فقط . أما فى مصر — وهى الأقرب الى الغرب الاسلامى ؛ بل هى القنطرة الموصلة اليه — فكانت قد اختفت منها فى أول القرن ٥ هـ/ ١١ م . وليس من السهل الظن بأن تأتى موجة من فارس والعراق الى المغرب من غير أن تترك أثرا ولو عابرا فى مصر ، أضف الى ذلك أن الزخارف المتلاصقة فى المغرب والاندلس كان لها طابع خاص من حيث تفاوت المستويات ومن حيث عناصرها المحلية الأصلية ولا يوجد بينها أى عنصر من أصل سامرى .

ويمكننا إذن أن نقول بأن تلك الظاهرة فى المغرب والاندلس تعتبر إحدى الظواهر المحلية فى تلك البلاد .

أما كيف نشأت تلك الظاهرة فى المغرب والاندلس فانه ينقصنا الحلقات التمهيدية التى أنتجت فى تسلسلها تلك الظاهرة . ولا يمكننا لذلك أن ندلى برأى فى نشأتها فى الوقت الحاضر .

(ملحق)

محراب يحيي الشبيه

يوجد نموذج من الجص لهذا المحراب محفوظ بدار الآثار العربية (لوحة ١٠) وعرف فى الدار بأنه « محراب يحيي الشبيه » ولكنه فى الأصل لم يكن بمدفن يحيي الشبيه بل كان فى مدفن بجواره .

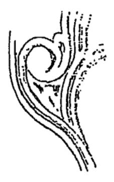
أما المحراب الأصلى نفسه فغير موجود الآن ولكن له صورة وهو على حالته الأصلية منشورة فى كتاب Strzykowsky : Asiens Bildende Kunst, Abb. 496.

واهتم به الاستاذ فلورى وأفرد له بحثا نشره فى مقالة ونسبه فيها الى منتصف القرن العاشر الميلادى أى فى العصر الأخشيدى . ويعتبره فى مرحلة بين الطرازين الطولونى والفاطمى . ولكنه لا يستبعد نسبته الى العصر الفاطمى (٣٨) .

ووضع الأستاذ كريسول المحراب فى العصر الأخشيدى اعتمادا على رأى الأستاذ فلورى (٤١) .

والأصح فى رأينا أن يستبعد وضعه فى العصر الاخشيدى إذ أن تحليل زخارفه وعناصره يرجح نسبته الى العصر الفاطمى الى حد كبير وقد تناول الأستاذ فلورى كثيرا من تلك العناصر والزخارف بالبحث إلا أن هناك ظاهرة هامة تنبه اليها الأستاذ فلورى ولكنه لم يستغلها الاستغلال الكافى وفي رأينا أن لها أهمية كبرى فى ترجيح التاريخ فى العصر الفاطمى .

والظاهرة الهامة هى العروق المزدوجة أو المقسومة (شكل ٣٥) . وهى منتشرة بشكل واسع جداً فى الزخارف النباتية فى الغرب الاسلامى ومن أمثلتها العديدة ما يوجد فى القيروان فى زخارف القبة فوق المحراب



(شكل ٣٥)
عروق مزدوجة ، محراب يحيي الشبيه

(٢٤٨هـ/٨٦٢—٨٦٣م)[٩٢] وفى جامع الثلاث بيبان (٢٥٢هـ/٨٦٦م)[٩٣] ثم فى مدينة الزهراء فى الزخارف الجصية (٣٢٥—٣٥٢هـ/٩٣٦—٩٦٣م)[٩٤] وفى جامع قرطبة حول المحراب وفى أماكن أخرى متعددة فى نفس الجامع (٣٥٠—٣٥٥هـ/٩٦١—٩٦٦م)[٩٥] وفى زخرفة حول شباك فى كنيسة تراجون (٣٤٩هـ/٩٦٠م)[٩٦] وعلبة من العاج أسطوانية الشكل فى كنيسة زامورا (٣٥٣هـ/٩٦٤م)[٩٧] وفى حوض من الرخام فى مدرسة بمراكش (٣٩٨هـ/١٠٠٨م)[٩٨] وعلبة من العاج فى مدينة بلنسيه (٤٤١هـ/١٠٤٩—١٠٥٠م)[٩٩] وغير ذلك من الأمثلة العديدة .

وظاهرة العروق المزدوجة نادرة ندرة واضحة فى زخارف المنتجات الفنية من مصر في العصر الأموى رغم كثرتها فى الفنون البيزنطية ولم يصادفنا منها شيء فى زخارف المنتجات الفنية فى العصر العباسى وما بعده الى أن نجدها فى الزخارف الجصية فى الجامع الأزهر فى حائط القبلة . وتنسب الزخارف الى العصر الأول من بناء الجامع (٣٥٩—٣٦١هـ/٩٧٠—٩٧٢م)[١٠٠] والمثل التالى له ذو تاريخ موثوق به فى جامع الحاكم بأمر الله ويوجد فى معظم الزخارف النباتية فى مئذنته وباب المدخل الرئيسى ٣٩٣هـ/١٠٠٣م[١٠١] وكلا الجامعين فيهما كثير من الظواهر المغربية .

وبمعنى آخر فان هذه الظاهرة لم تظهر فى مصر فى تاريخ مؤكد إلا بعد فتح الفاطميين لها ونزوح كثير من أهالى الغرب الاسلامي اليها . وفى الواقع أنه أخذت من ذلك الوقت تأثيرات مغربية كثيرة تظهر فى مصر وخاصة فى ناحية الزخارف المعارية[١٠٢] .

وبالاضافة الى ظاهرة العروق المزدوجة نجد ظاهرة أخرى هى العروق المتدة وقد أشار اليها الأستاذ فلورى أيضا ولكنه لم يستغلها الاستغلال الكافى فى مناقشة التاريخ .

وفى رأينا أنها تعزز نسبة المحراب الى العصر الفاطمى . فطراز سامرا الثالث كان من أهم مميزاته قصر العروق الى درجة التلاشي فقد أصبح العنصر

فى ذلك الطراز يخرج من طرف عنصر آخر مباشرة . واستمرت هذه الظاهرة واضحة فى مصر حتى سنة ٩١٤ م (١٠٢) فى زخارف دير السريان ولم تعد الى الامتداد والوضوح إلا فى زخارف الجامع الأزهر . وقد رأينا أنها فى زخارف محراب يحيى الشبيه أوضح منها فى الأزهر وأكثر تطورا .

ولم يكن الأستاذ فلورى متشدداً فى التمسك بنسبة محراب يحيى الشبيه الى منتصف القرن العاشر الميلادى فلم يستبعد إمكان نسبته الى أوائل العصر الفاطمى إذ لا تتعارض جزئيات بحثه مع التاريخ الأخير . واذا أضفنا الى ذلك ملاحظاتنا على الظواهر التى ناقشناها فيما سبق لرجحت كفة نسبته نهائيا إلى أوائل العصر الفاطمى. ولذا فاننا نضعه فى القرن الأخير من القرن العاشر الميلادى أى بين تاريخ البدء فى بناء الجامع الأزهر وتاريخ البدء فى بناء جامع الحاكم بأمر الله .

الحــواشي

(١) تقسيم الدكتور كونل ومساعديه — أنظر زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ٧٠ — ٧١ و Herzfeld: Wandschmuck; Creswell, vol. II, pp. 286-8.

(٢) لا شك أن عاملى الوقت والنفقة كان لهما قيمة لا يستهان بها فى انشاء مدينة كسامرا ؛ فاتساعها الهائل وترامى أطرافها — كما يتضح مما كشف منها الى الآن — والذى تم كله فى فترة لا تزيد على نصف القرن . كل ذلك لايدع مجالا للشك فى أن الصناع مهما بلغ عددهم من الضخامة فانهم كانوا فى أشد الحاجة الى ابتكار كل ما يوفر لهم الوقت . ولا نظن أن العملاء كان لديهم اعتراض على ذلك لما فيه من اقتصاد محسوس فى النفقة .

(٣) عثر على قطع معمارية بيزنطية فى الأكروبول بمدينة أثينا وبها زخارف تتجلى فيها نفس فكرة توزيع العناصر متلاصقة وتحدب قطاعها كما فى الطراز الثالث السامرى وتؤرخ فى وقت معاصر لزخارف سامرا وابن طولون . وأغلب الظن أن تكون هذه القطع البيزنطية قد تأثرت إلى حد كبير بأسلوب سامرا . أنظر : Strzygowsky : Altai Iran, Abb. 68, p. 47 ff.

(٤) Creswell, vol. II, p.287, quoting Herzfeld. . . . .
ويستعمل أحيانا فى الوقت الحاضر مادة الطين لعمل الزخارف كنموذج أولى يؤخذ منه قالب سابق ولكن ليس لدينا ما يدل على استعمال هذه الطريقة فى سامرا .

(٥) سجل دار الآثار العربية : ١ — ٥ / ١٤١٤٧ و ١٠٠٦ / ١٤١٤٧ و ٥٢٢٤

(٦) سجل رقم ١٠٤٦

(٧) Wandschmuck, Abb. 318, Orn. 284. . . . .

(٨) Creswell : E.M.A. vol. II, Pl. 52. . . . .

(٩) Rice, Ars Islamica, vol. I, Pt. I., pp. 51-3. . . . .

(١٠) Creswell : E.M.A. vol. I, Figs. 49-50. . . . .

(١١) هناك عناصر وظواهر معمارية وغيرها سردها الأستاذ هرتزفلد وزاد عليها الأستاذ كريسول تؤيد رأينا هذا : أنظر Creswell, II, pp. 186-8.

(١٢) المرجع السابق صفحة ١٨٧ حاشية (٤) إلى (٦)

(١٣) زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ص ٣١ وحاشية (١)

(١٤) Creswell, II, p. 186, Figs. 184-5. . . . .

(١٥) المرجع السابق صفحات ٢٦٨ — ٢٧٠ و ٢٨٧

(١٦) ينسب الأستاذ ديماند هذا النبر والقطع الخشبية الأخرى المشابهة له إلى عصر هارون الرشيد (٨٧٦ — ٨٠٨ م) أنظر Ars Islamica, vol. IV p. 32 ولكنه لم يبين أدلة واضحة على صحة هذا التأريخ ولذا فاننا نميل الظن بأن النبر عمل فى وقت قريب جداً من الوقت الذى جلب فيه من بغداد إلى القيروان كما نميل إلى تأريخ القطع الخشبية

الاخرى المشابهة وعثر عليها فى تكريت فى نفس تاريخ المنبر لاعتقادنا أن الصنع الذى قام بعملهم واحد أو على الأقل قد عملا فى مصنعين يتبعان أساليب صناعية واحدة وفى عصر واحد ، وأغلب ظننا أن خطأ الاستاذ ديماند نشأ عن اعتماده على تقسيم الاستاذ هرتزفلد لطراز سامرا الذى يضع طرازنا الثالث فى عصر هارون الرشيد . ومن عجب أن الاستاذ ديماند لا يزال متمسكا بهذا الوضع حتى فى آخر طبعة لكتابه Muhammadan Decorative Art, 1947

(١٧) Pauty, B.I.F.A.O., t. XXX, pp. 77-81,6 Pls.

(١٨) Creswell, II, p. 313, Fig. 234 ; Marcais : Les Faïences .. Pls. 22-30.

(١٩) Wandschmuck; Creswell, II, Pls. 53-58 a-c. 67 b, 74 d-e, 73 a-b.

(٢٠) Creswell, II, Pls. 86, 86 A ; Marcais : Les Faiences.

(٢١) محمود عكوش :- الجامع الطولونى ، أشكال ٤ — ٩ ولوحات ٦ — ٩ ، زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر لوحات ١٧—١٨ ، Hautecœur and Wiet: Les Mosquées du Caire, vol. II, Pls. 4,6,8 ; Creswell, II, Pls. 101 a-b, 102-114.

(٢٢) زكى محمد حسن : المرجع السابق لوحة ١٣ ، Creswell, II, Pl. 123 d

(٢٣) على بهجت وجبريل : حفريات الفسطاط شكل ٥ ولوحات ٢١ و ٢٥ ، زكى محمد حسن : المرجع السابق لوحات ١٤ — ١٦ ، Creswell, II, Pl.117 c-d; Al Hawary, B.I.E. vol XV (1932/3) pp. 79-87, 10 Pls.

(٢٤) Creswell, II, p. 356, ft.n. 5.

(٢٥) Archeologische Reise ..., Bd. II, Abb. 322-3, p. 353, and Bd. IV, Taf. CXL 2-4.

(٢٦) Ars Islamica, vol. IV, p. 323-4.

(٢٧) Creswell, II, p. 356, ft. n. 3 ; Arch. Reise, II, p. 13, Taf. LVIII, LIX.

(٢٨) زكى محمد حسن : المرجع السابق لوحة ٣٧

(٢٩) المرجع السابق لوحات ٣١—٣٧ ، Pauty : Bois Sculptés ... Pls. B,C, E,F, XII-XXII.

(٣٠) Creswell, II, p. 356 ; Flury, Der Islam. VI (1916), pp. 71-78 ; White : Monasteries of Wadi En-Natrun, Pls. LXVI A-C, LXVIII A-B, LXX A-B, LXXI B ; Monneret de Villard : Wadi-n-Natrun, Pls. 20-21, 23-27 ; Strzygowsky : Asiens Bildende Kunst. Abb. 463.

(٣١) Flury : Al-Hakim ... Taf. XI/2 ; Creswell, II, Pl. 123 a-d.

(٣٢) Arch. Reise, II, p. 295, III. Taf. CV.

(٣٣) Creswell, II, pp. 345, 396, Pl. 121 c ; Wandschmuck, Pl. LXXVIII, p.8 ; Herzfeld, Der Islam, I, pp. 53-56, Taf. IV-V.

(٣٤) Denike, Ars Islamica, II, Pt. I, Figs. 1-3, p. 171.

(٣٥) Survey, IV. Pls. 265-269 V, Pl. 511.

(٣٦) Bosco : Medinet az-Zahra, Pls. 51, 55, Fig. 46.

(٣٧) Mosquées, II, Pls. 12, 15 ; Flury: Al-Hakim, Taf. VIII-XIII, Abb. 7-8.

Flury: Ein Stück Mihrab des IV H./X Jh., in Beiträge zur Kunst des Islam, pp. 106-110. Professor Creswell translated this article in his new forthcoming book: Muslim Architecture in Egypt, Vol. I. (٣٨)

Pauty: Bois sculptés, Pls. XXIII-XXV. . . . . (٣٩)

Flury: Al-Hakim., Taf. I; Mosquées, II, Pls. 19, 23. . . . (٤٠)

Survey, vol. VI, Pl. 1462, ... (٤١)

Ibid, vol. V, Pls. 273 b, 274 c. . . . . (٤٢)

Flury: Amida, Abb. 10, Taf. XVI; Kühnel: Maurische Kunst Pl. 19. (٤٣)

Survey, vol. IV. Pl 324 B.. . . . . (٤٤)

(٤٥) تؤرخ جرترودبل مشهد الاربعين بأنه يعاصر امام دور نظر Bell: Amurath to Amurath, Fig. 130, p. 217; Arch. Reise, III, Pl. XXX
وله صورة أخرى فى Arch. Reise, III, Pl. XXX وهرتزفلد يؤرخ أمام دور
فى ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) أنظر Der Islam, vol. V, p. 360. بينما يؤرخه سميث فى
حوالى ١٢٠٠ م — أنظر Smith, Ars Islamica vol. VI, Pt. I, p. 7, ft. n. 45.

Denike, Ars Isl. vol. II, Pt. I, Figs. 5-8, p. 73. . . . (٤٦)

Survey. IV, Pl. 312 B. . . . . (٤٧)

Ibid. IV, Pls. 313-316, vol. V, Pls. 512 D, 524. . . . . . (٤٨)

Ibid. IV, Pls. 311 C, 312 A. . . . . (٤٩)

Cohn-Wiener: Turan, Taf. XIII-XIV. . . . . (٥٠)

Survey. IV, Pls. 330-332, vol. V, Pl. 513. . . . . . . (٥١)

Ibid., IV, Pl. 391. . . . . (٥٢)

Arch. Reise, II, p. 361, Abb. 334, 335, III, Pl. . . . . (٥٣)

Ibid. II, Abb. 230-233, III, Taf. CVI 5-7, XC. . . . . (٥٤)

Ibid. I, pp. 294-295, Abb. 282 . . . . (٥٥)

Ibid. II, Abb. 271, Taf. CVI/8-9. . . . . (٥٦)

Survey, IV, Pl. 517. . . . . (٥٧)

Herzfeld, Der Islam, V, pp. 358-369. . . . . (٥٨)

(٥٩) تائه من المرجع .

Sarre: Seld. Kunst, p. 3, Pls. A-B. . . . . (٦٠)

Survey, IV, Pls. 387-390. . . . . (٦١)

Ibid. V, Pls. 531 B, 532 B.. . . . . (٦٢)

Ibid. IV, Pl. 353. . . . . (٦٣)

Ibid. IV, Pls. 396-397. . . . . (٦٤)

Ibid. IV, Pls. 392-395. . . . . (٦٥)

Ibid. IV, Pl. 398. . . . . (٦٦)

Flury: Al-Hakim. Taf. XIX-XX; XXII/2, XXIV-XXXIV; Mosquées, II, Pls. 21-23. (٦٧)

(٦٨) أورد مارسيه نصا من ابن ناجى : معالم الايمان به ، هذا المعنى ، أنظر :
Marcais: Faïences, p. 10, ft. n. 3; Creswell, II, p. 314.

Marcais: Manuel, I, p. 246, ft. n. I. . . . . (٦٩)
Flury : Amida, Pl. XVI, Abb. 10 ; Kühnel : Maur. Kunst, Pl.19 (٧٠)
Marcais : Manuel, I, Fig. 8. . . . . (٧١)
Ibid. Fig. 85 B. . . . . (٧٢)
Ibid. Fig. 93. . . . . (٧٣)
Marcais : Coupoles.. p. 35. . . . . (٧٤)
Marcais : Manuel. I, p. 408. . . . . (٧٥)
Ibid. vol. II, Fig. 308. . . . . (٧٦)
Ibid. vol. I, Figs. 201, 237 : Terrasse : L'Art Hisp., Maur. p. 244, Fig. 45. (٧٧)
Marcais : Manuel, I, Fig. 206 ; Terrasse. Pl. 63 A-B.. . . . (٧٨)
Marcais : I, Figs. 236, 243, pp. 387-388, 404.. . . . . . . (٧٩)
Ibid. Fig. 200. . . . . (٨٠)
(٨١) Ibid. II, Fig. 370. ونشاهد فى هذه الزخارف شكل برعوم بجسم ذى قطاع عدب بارز وبه الثقوب المبينة الشكل التى تذكرنا بأشباه لها فى الحيرة (أعلاه صفحة ٦١ حاشية ٩) وفى سامرا .
Ibid. II, Figs. 326-328. . . . . (٨٢)
Ibid. Fig. 322. . . . . (٨٣)
Ibid. Fig. 325. . . . . (٨٤)
Ibid. Fig. 334. . . . . (٨٥)
Ibid. Fig. 323. . . . . (٨٦)
Ibid. Fig. 335. . . . . (٨٧)
Ibid. Fig. 324. . . . . (٨٨)
Ibid. Fig. 321. . . . . (٨٩)
Ibid. p. 663, Fig. 380. . . . . (٩٠)
Creswell : Muslim Architecture in Egypt, vol. I. . . . . . (٩١)
Marcais : Manuel, I, Figs. 32, 38 ; Creswell, II, Pls. 84-85, Figs. 235-237, (٩٢)
Marcais, I, Figs. 42 'd, 34.. . . . . (٩٣)
Bosco : Medinet az-Zahra, Pls. XXVII-XXXIII, Figs. 18 etc. ; Marcais, I, Figs. 52-58 ; Terrasse : L'Art H.M., Pls. X-XIII. (٩٤)
Marcais, I, Figs. 164-5 ; Terrasse, Pls. XV, XXII, XXVII, Figs. 24-25 : Kühnel : Maur. Kunst, Pl. 15. (٩٥)
Marcais, I, Fig. 141 ; Kühnel : Pl. 18. . . . . (٩٦)
Terrasse, Pl. XXVI. . . . . (٩٧)
Marcais I, Figs. 155 c, 156 : Terrasse, Pl. XXXCII.. . . (٩٨)
Terrasse, Pl. XL. . . . . (٩٩)
Flury : Al-Hakim. Pls. XII-XIII ; Creswell : Brief Chronology. pp. 50-51 ; Mosquées, II. Pl. 15. (١٠٠)
Flury: Al-Hakim. Pls. XIX-XX, XXII/2. XXIV) XXXI, XXXIII-XXXIV ; Mosquées, II, Pls. 21-22 (١٠١)
(١٠٢) سنجمعها وناقشها فى مقالة آتية إن شاء الله .
Creswell, II, p. 356. . . . . (١٠٣)

المـراجع

الفنون الاسلامية عامة

زكى محمد حسن . . : الفن الاسلامى فى مصر القاهرة ١٩٣٥

DIMAND (M.S.): A Handbook of Muhammadan Decorative Arts, 2 nd. ed. N.Y., 1944.

HERZFELD (E).: Die Genesis der Islamischen Kunst und das Mschatta Problem. (Der Islam. Bd. I, pp. 27-64, 105. 1910).

KÜHNEL (E).: Maurische Kunst. Berlin, 1924.

MARCAIS (G.): Manuel d'art Musulman. 2 vols. Paris. 1926/7.

POPE (A.U.) & ACKERMAN (Ph.): Survey of Persian Art. 6 vols. Oxford, 1938

SARRE (F.): Seldschukische KleinKunst. Leipzig. 1909.

Idem.: Beiträge Zur Kunst des Islam. Leipzig. 1925. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst. 1925).

STRZYGOWSKI (J.): Asiens Bildende Kunst, 1930.

Idem.: Altai Iran und Völkerwanderung. Leipzig, 1917.

TERRASSE (E.): L'art Hispano-Mauresque. Paris, 1932.

عمارة وآثار

على بهجت والبير جبريل : حفريات الفسطاط (ترجمة) القاهرة ١٩٢٨

محمود عكوش . . : الجامع الطولونى ، القاهرة ١٩٢٧

مديرية الآثار القديمة ببغداد : حفريات سامرا ، القاهرة ١٩٤٠

BELL (G.): Amurath to Amurath. London. 1911.

BOSCO (D.R.V.): Medina az-Zahra y Almeriya. Madrid.

COHN-WIENER (E.): Turan. Islamische Baukunst in Mittelasien. Berlin, 1930.

CRESWELL (K.A.C.): A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt. (B.I F.A.O. t. XVI-1919-p. 93 ff.). Le Caire, 1919.

Idem.: Early Muslim Architecture. 2 Vols. Oxford, 1932 & 1940.

FLURY (S.): Ein Stuckmihrab des IV H/X JH. (In Beiträge . . . . pp. 106-110) Leipzig, 1925.

HASAN MUHAMMAD al-HAWARY maison d'epoque Tulunide. (B.I E. t. XV/fasc, I pp. 79 87, & pls). 1932/3.

HAUTECOEUR (L.) & WIET (G.): Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris, 1932.

HERZFELD (E.): Der Wandschmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik. Berlin. 1923.

Idem.: Mashhad 'Ali: ein Bau Zingi's II. A.H. 589. (Der Islam. V, pp. 358 369). Berlin. 1914.

MARCAIS (G.): Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairawan. Tunis. 1903.

MARCAIS (W. & G.): Les monuments Arabes de Tlemcen. Paris, 1903.

RICE (T.): The Oxford Excavations at Hira, (Ars Islam., I/I, pp. 51-53), 1934.

SARRE (F.) & HERZFELD (E.): Archeolgische Reise im Euphrat—und Tigris Gebiet. 4 vols. Berlin, 1911-20.

SMITH (M. B.): Material for a corpus of early Islamic Iranian Architecture. (Ars Islamica. IV/ Art. II, Manar and Masjid Barsian, Isfahan, pp. 6-41. 1937.
, IV/I, Art. III, 2 dated Seljuk Monuments at Sin, Isfahan pp. 1-10. 1939.

VILLARD (M. de): Les eglises du Monastere de Syrians au Wâdi en-Natrun. Milan. 1928.

WHITE (E.): The Monasteries of Wadi-n-Natrun. N.Y. 1932.

الخزف

MARCAIS (G.): Les faiences a reflet metallique de la grande Mosquée de Kairawan. Paris. 1928.

SARRE (F.): Die Karamik von Samarra. Berlin, 1925.

نقوش وكتابات

FLURY (S.): Islamische Schriftbänder, Amida, Diarbakr. Anhang: Kairawan. Mayyafariqin, Tirmith. Basil, Paris. 1920.

زخارف

DIMAND (M.): Some Aspects of Omayyad and Early Abbasid Ornament. (Ars Islamica. IV. pp. 293-337. 62 Figs). 1937.

FLURY (S.): Die Ornamente der Hakim—und Ashar Moschee. Heidelberg. 1912.

Idem: Die Gipsornamente de Der as-Suriani. (Der Islam. VI. pp. 71-87). 1916.

أخشاب

DENIKE (B.): Quelques. monuments de bois sculpté au Turkistan Occidental. (Ars Islamica, II/I pp. 69-83, 18 Figs.). 1935.

PAUTY (E.): Sur une porte en bois sculpté. provenent de Baghdad. (B.I.F.A.O. XXX pp. 77-81. 6 Pls.). 1930

Idem. : Les Bois sculptées jusqu'à l'epoque Ayyoubide. Le Caire, 1931.

RUTHEVER (F.) : Some Egyptian Woodcarvings in the Collection of the University of Michigan. (Ars Islamica. IV, pp. 448-455). 1937.

فنون غير اسلامية

ERDMANN : Das Datum des Taqi Bustan. (Ars Islamica. IV,

GOODYEAR : Grammer of the Lotus.

ORBELI (J.) & TREVER (C) : Orfevrerie Sasanide. Objects en or, argent et bronze. (Musée de l'Hermitage). Moskou, Leningrad, 1935.

SMIRNOW : Argenterie Orientale. St. Petersburg, 1909.

نبات وعلوم

BAILEY : Cyclopedia of Horticulture. 3 vols.

نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم

رواية الحميدي

بتحقيق الدكتور شوقي ضيف

مقدمة

هذا نَصٌّ نَفِيس سبق أن نشره الأستاذ زَيْبولد سنة ١٩١١ م فى مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة من نسخة عثر عليها فى مكتبة ميونخ . غير أن هذه النسخة لم تكن كاملة إذ تنقص من الأصل نحو ثلثه ، وأيضا بها تحريفات غير قليلة . وتصادف أن معهد المخطوطات بالجامعة العربية صَوَّر بين ما صوَّر من مكتبة بايزيد عمومية بإستانبول نسخة كاملة من هذا الكتيِّب برواية أبى عبد الله محمد بن فَتُّوح الحُمَيْدىّ المَيُورْقى المحدِّث المشهور صاحب كتاب جذوة المُقْتَبس ، وهو أحد تلامذة ابن حَزْم ، ومن أجل ذلك تكون روايته ذات قيمة حقيقية . ولعل ذلك ما جعلنى أعيد نشر هذا النص ، لأنه من جهة تكامل ، ومن جهة ثانية جاء عن طريق عال من الصحة والتوثق فى الرواية ، إذ أجاز ابنُ حزمٍ الحميديَّ روايةَ جميع كتبه . وأيضا فإن ابن حزم يُعَدُّ فى طليعة المفكرين الذين ظهروا فى الأندلس ، وكلُّ عمل له جديرٌ بالعناية والاهتمام .

وهو على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، وفى الجذوة أن جده كان مولى ليزيد بن أبى سفيان . ومن ثَمَّ قال المؤرخون إنه يرجع إلى أصل فارسى ، غير أن ابن بسام فى الذخيرة وابن سعيد فى المغرب يردَّانه إلى أصل أسبانى ،

ويظهر أنه حاول أن يُخفى هذا الأصل ، أو لعل أباه هو الذى حاول ذلك بعد أن وصل إلى الوزارة فى عهد المنصور بن أبى عامر حتى لا تُخْدَش كبرياؤه .

وإذن فابن حزم من أصل مسيحى أسبانى ، وقد رحل جده سعيد من قرية منْت ليشَم من قرى وَلْبَة فى كورة لَبْلَة إلى قرطبة ، وكان ذلك أيام عبد الرحمن الناصر . وفى قرطبة عنى بتربية ابنه أحمد الذى أظهر تفوقا وامتيازا على أقرانه ، ولم يلبث أن أصبح شخصية خطيرة فى بلاط المنصور بن أبى عامر رئيس وزراء الخليفة الأموى هشام الملقب بالمؤيد . ولما بنى المنصور مدينة الزاهرة نزل أحمد بالقرب منه فى حى يجاوره ، واستمر يخدمه ويحظى برضاه ، حتى تُوُفِّى ، فخدم من بعده ابنه المظفر . ومازال فى خدمة هذه الأسرة ، وفى نفس الوقت كان يؤيد بقلبه الأمويين ولاءً لجيلهم ، إذ قدموه ، واستوزروه ، وجعلوه شخصية بارزة . ولا نكاد نتقدم فى القرن الخامس للهجرة حتى يهاجم البربر قرطبة ويُتَوَفَّى أحمد بعد ذلك بقليل سنة ٤٠٢ هـ .

ورُزِقَ أحمد بابنه علىّ سنة ٣٨٤ هـ ، فاهتم بتربيته أشد اهتمام ورَصَدَ له مجموعة من العلماء يقومون على تثقيفه وتهذيبه ، ونجد عليا يذكر طائفة منهم فى كتابه (طوق الحمامة) من مثل عبد الرحمن بن أبى يَزِيد الأَزْدِىّ وأبى الخيار مسعود بن سليمان بن مُفْلِت وأحمد بن الجَسُور ، وهو أول من سمع عليه الحديث ، وكان ذلك قبل الأربعمائة .

وكان ابن حزم حتى وفاة أبيه — كما يبدو فى كتاب طوق الحمامة — يعيش فى الحريم وبين الجوارى والنساء ، وكن مثقفات يتقنَّ الشعر والأدب ، فكان لذلك تأثير على مزاجه . وكان من سوء حظه أن شبَّ فى هذه الفترة التى كانت فيها الخلافة الأموية تتهيأ للسقوط ، والتى أصبحت فيها قرطبة

مسرحا لثورات البربر وفتنهم (ويمكن الرجوع فى الحوادث السياسية حينئذ إلى تاريخ مسلمى أسبانيا لدوزى والمراجع الموجودة به) . وكان ابن حزم مثل أبيه يُظْهِرُ ولاءه للبيت الأموى ، ولعل ذلك هو الذى اضطره إلى الرحيل عن قرطبة إلى المرِيَّة حيث ظلَّ يعمل لإعادة العرش الأموى وجَمْع الأمر له والتفِّ الصفوف حوله ، وتنبَّه له خَيْرَان حاكم المرية ، فسجنه ثم نفاه ، فولَّى وجهه شطر بَلَنسيَة . وهناك التقى بالمرتضى الأموى ، وخرج معه لطلب الخلافة ، واتفق أن خيران رغب فى مساعدة المرتضى ، وكذلك مجاهد العامرى حاكم دَانيَة . فأعدالمرتضى جيشا يغزو به قرطبة ، غير أنه رأى البدء بزاوى بن زيرى حاكم غرناطة ، وكان فى ذلك حتفُه ، وتفرَّقُ أنصاره . واستمر ابن حزم فدخل قرطبة سنة ٤٠٩ هـ ورجع يَدْرُسُ الحديث وغير الحديث ، حتى إذا وَلِىَ صديقه المستظهرُ الخلافةَ فى رمضان سنة ٤١٤ هـ استوزره وحلَّق نجم سَعْدِه فى السماء ، إلا أن ذلك لم يستمر أكثر من شهر ونصف ، إذ قُتِل المستظهر فى ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ وسُجِن ابنُ حزم ، ثم عُفِى عنه ، فخرجَ من قرطبة إلى شاطبة .

وهنا نراه يبدأ حياة علمية وأدبية نشيطة ، ويترك السياسة وما كان له ولأبيه من الرياسة ، وكأنه رأى من المستحيل إعادة الأمر إلى نصابه . ويقول ياقوت إنه وزر لهشام المعتد آخر خلفاء الامويين فى الأندلس ، وإن كان ذلك يَبْعُدُ فى رأينا . على كل حال رافق ابنُ حزم سقوطَ الخلافة الأموية ، ولا شك فى أن هذا السقوط يرجع إلى عدم الاستعداد الحربى وضعف الجيش ، كما لاحظ ذلك ابنُ حوقل . ومهما يكن ، فقد انصرف ابن حزم إلى حياة أدبية وعلمية خالصة ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه القمة التى وصلت إليها الآداب والثقافة فى عصر الخلفاء والشطر الأول من عصر ملوك الطوائف إذ توفى سنة ٤٥٦ هـ . ويذهب

دوزى إلى تأثيرات وراثية مسيحية فيه جاءته من أصله الأسبانى ، ويقلل آسين بلاسيوس من أهمية ذلك وخاصة أنه يهاجم المسيحية مهاجمة شديدة (راجع كتاب الشعر الأندلسى لنيكل ص ٧٥) كما فى كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل . وفى كتاب الفِصَل آثار واضحة من ذلك .

والحق أن ابن حزم سواء فى شخصيته أو فى ثقافته وأدبه ثمرة قرطبة العربية ، وهى خير ثمرة قدمتها حتى عصره للناس . ولا تتسع هذه المقدمة لتفسير خصائص هذه الثمرة سواء من الوجهة العقلية أو الأدبية فقد كان ابن حزم نشيطاً إلى أبعد حدود النشاط ، فألف فى مختلف فروع الثقافة وأظهر عبقرية فذة فى كل ما ألف ودوّن فى الفقه (وقد اعتنق مذهب الظاهرية بعد أن كان شافعياً) وفى الأصول وفى المنطق والكلام وفى الفِرَق وفى التاريخ . وله فيه كتاب جمهرة أنساب العرب الذى نشره الأستاذ بروفنصال حديثاً فى دار المعارف بمصر . وله هذا الكتيب أو هذه الرسالة : نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، وقد ألفها فى حدود العشرين وأربعمائة ، كما يقول الحميدى فى مطلع هذه الرواية التى ننشرها .

والرسالة لا تحوى تاريخاً مفصلاً للخلفاء ، وإنما تحوى بعض حقائقهم وأخبارهم الشخصية والسياسية ، وهى لذلك تعد نصاً نفيساً ، إذ ضمت الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم سواء ما اتصل بإقامة هذا النظام وانتقاله من عصر إلى عصر ، ومن خليفة إلى خليفة بتوريد أو مغالبة ، أو ما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد ، شهد ابن حزم بعينه جوانب منه فى بلده .

وتفيض الرسالة فى تفاصيل شخصية كثيرة عن الخلفاء وأبنائهم ونسائهم ، وحتى مَنْ تسمَّى بالخلافة من غير قريش ومَنْ أراد أن يتسمى بها ثم امتنع من مثل المنصور بن أبى عامر . كل ذلك يعرض له ابن حزم فى تفصيل . وقد عنى عناية خاصة بالألقاب سواء ألقاب الخلفاء أو الوزراء والأمراء ، وأرانا كيف نشأت كل مجموعة منها . وأضاف إلى ذلك إحصاءات بديعة عن أعمار الخلفاء وأخلاقهم ومن جاهروا منهم بالانهماك فى الملذات ومشائهم وعُورِهم وذوى السَّعْد منهم وعلمائهم وجهالهم .

وأهميةُ هذه الرسالة ترجع فى الحقيقة إلى أنها خير معين لمن يريد أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ويطلع على حسناته وعيوبه ، فإن ابن حزم لم يترك من ذلك شيئاً إلا أحصاه عدًّا . وله فى ذلك عقلية ممتازة إذ يستطيع الجمع والإحصاء إلى أقصى طاقة ممكنة .

من أجل ذلك كله رأيت أن أعيد نشر هذه الرسالة كاملة من نسخة مكتبة بايزيد التى أشرت إليها وهى محفوظة بها تحت رقم ٥٢١٤ فى مجلد ، يضم رسائل أخرى ، وقد كُتِبَ على الورقة الأولى منه أنه لمحمد بن أحمد بن أحمد أبن عبد الرحيم البيسانى . وواضح أنه من سُلالة القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى . والنسخة قديمة ، إذ ترجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهى بخط نسخ وكتبت العُنْوَانات بخط كبير ، واستغرقت النسخة فى المجلد المذكور من الورقة ٤ إلى الورقة ٣١ وطول الصفحة ١٦ سم وعرضها ١٠ سم والمكتوب منها ١٣ سم طولا فى ٧ سم عرضا . وخطها واضح إلا فى بعض مواضع قليلة .

وقابلت فى هذه النشرة بين الأصل الذى أنشره وبين نسخة زيبولد التى سبق أن نشرها ، ورمزت إليها بالحرف م إشارة إلى أنها نسخة ميونيخ .

واتخذت رمزاً آخر هو الحرف ز للدلالة على أن العبارة التالية زائدة ، وتوجد في نسخة ميونيخ ، ولا توجد في رواية الحميدى . وقد وضعت على الهامش صفحات الأصل فى المخطوطة ورمزت بالحرف (و) لوجه الصفحة وبالحرف (ظ) لظهرها .

ويظهر أن نسخة ميونيخ عُمِلَت فى عصر متأخر ، أو بعبارة أصح ترجع من حيث تأليفها إلى عصر متأخر عن رواية الحميدى ، فقد عاش ابن حزم حتى سنة ٤٥٦ هـ ولقى الحميدى بين سنتى ٤٣٠ هـ و ٤٤٠ هـ حين اضطره اضطهادُ الفقهاء له أن يذهب إلى ميورقة . ومن أجل ذلك كنا نظن أن ابن حزم أعاد تأليف هذه الرسالة وزاد فيها هذه الزيادات التى نراها فى نسخة ميونيخ ، وخاصة أن بها فقراً لم ترد بتاتاً فى نسخة الحميدى . ولو أن نسخة ميونيخ كاملة لأعدنا نشرها واتخذناها أصلا وقارنا بينها وبين رواية الحميدى فى الهامش ، ولكن كما قدمت هى ناقصة ، تنقص أكثر من ثلث الأصل ، وأيضاً ففيها اضطراب واختلاط كثير .

والله ولى التوفيق ؟

شوقى ضيف

[٤ و]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله الحميدى : قال الإمام أبو محمد على بن أحمد ابن سعيد الحافظ ، وكان تأليفه لهذا الكتاب فى حدود العشرين وأربعمائة ، ولقيناه فيما بعد الثلاثين رحمه الله :

أما بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد والطيبين من أصحابه والفاضلين من ذريته وأفضل التسليم [١] .

أول الأسماء التى وقعت على الخلفاء رضى الله عنهم : الصديق . سمى به أبو بكر [٢] . الفاروق عمر بن الخطاب . ذو النورين عثمان بن عفان [٣] . ثم لم يسم [٤] أحد من الخلفاء باسم لازم [٥] حتى ولى بنو العباس [٦] . السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أول خلفاء بنى العباس ، المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد أخو السفاح ، وهو أول من تسمى بهذا الاسم ، وتسمى به بعده [٧] إسماعيل بن أبى القاسم ابن عبيد الله الشيعى [٨] ، ثم محمد بن أبى عامر [٩] ، ثم زاوى [١٠] وسابور [١١] والى بطليوس وابن الأفطس/ وعبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية [٤ ظ]

---

(١) هذه الديباجة فى النسخة م مختلفة (٢) فى م ز : رضى الله عنه (٣) فى م ز : رضى الله عنهما (٤) فى م ز : ولا سمى (٥) فى م ز : له (٦) فى م ز : ونحن الآن ذاكرون أسماءهم على نسق ونذكر الأسماء التى اشترك فيها اثنان وإن كان الأمر قد رذى الآن غاية الرذالة فى المشرق والمغرب والله المستعان ، فيتسمى بأسماء الخلفاء من ليس منهم (٧) فى م ز : أبو طاهر (٨) فى م ز : صاحب إفريقية (٩) فى م ز : المعافرى بالأندلس (١٠) فى م ز : ابن زيرى بن مناد الصنهاجى صاحب غرناطه بالأندلس (١١) فى م ز : وسابور وعبد الله بن مسلمة الأفطس صاحبا بطليوس .

ومنذر بن يحيى بن منذر بن يحيى [1] صاحب سرقسطة . المهدى أبو عبد الله محمد بن أبى جعفر المنصور ، وكان تسمى به قبله محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب القائم [2] على أبى جعفر بالمدينة ، فلم يتم له أمر ، وكان [3] سُمّى به قبل ذلك كله محمد بن الحنفية ، ثم رجل من بنى على قام باليمن ، ثم عبيد الله الشيعى بالقيروان [4] ، أول قائم بالقيروان منهم ، ثم محمد بن هشام بن عبد الجبار [5] ، ثم عبد العزيز بن الاصبغ [6] المعروف بابن المسن-أخو-الفقيه-، وكان قام بمليلة من بلاد البربر ، ثم محمد ابن إدريس الحسنى بمالقة . الهادى أبو محمد موسى بن المهدى بن المنصور ، ثم رجل من بنى على [7] قام بصعدة فى اليمن . الرشيد أبو جعفر هرون بن المهدى ابن المنصور [8] . الأمين أبو عبد الله محمد بن الرشيد ثم سمى به صالح ابن حاجب [9] المعتضد ومولى والده . المأمون أبو العباس عبد الله بن الرشيد ، ثم تسمى به عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر ، ثم القاسم بن حمود [10] ثم يحيى ابن إسماعيل بن ذى النون . المعتصم أبو إسحق محمد بن الرشيد ، ثم محمد [11] ابن المظفر بن أبى عامر ، ثم محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر . الواثق أبو جعفر هرون [12] بن المعتصم . المتوكل أبو الفضل جعفر بن المعتصم . المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل . المستعين أبو العباس أحمد بن محمد ابن المعتصم ، ثم سليمان بن الحكم ، ثم سليمان بن هود الجذامى بسرقسطة . [٥ و]

(١) فى م ز التجيبى (٢) فى م : إذ قام (٣) فى م : وكانت الشيعة تسمى بهذا الاسم قبل هذا كله محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفية (٤) فى م : بافريقية (٥) فى م ز : ابن الناصر بالأندلس (٦) فى م ز : ابن الحكم الزبفى . (٧) فى م : رجل حسنى (٨) فى م ز : ثم تسمى به هشام بن سليمان بن الناصر حين قيامه (٩) فى م : صاحب . (١٠) فى م ز : الحسنى (١١) فى م : ثم تسمى به محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبى عامر . (١٢) زيادة من : م .

المعتز أبو عبد الله محمد بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر [1] . المهتدى أبو عبد الله محمد بن الواثق . المعتمد أبو العباس أحمد بن المتوكل ، المعتضد أبو العباس بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عباد بن محمد بن عباد اللخمى صاحب إشبيلية [2] . المكتفى أبو محمد على بن المعتضد . المقتدر أبو الفضل جعفر ابن المعتضد . القاهر أبو منصور محمد بن المعتضد . الراضى أبو العباس محمد ابن المقتدر . المتقى أبو إسحق إبراهيم بن المقتدر . المستكفى أبو القاسم [٥ ظ أ] عبد الله بن المكتفى ثم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن [3] ، وكانا رَذْلَىْ قومهما [4] . المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر . الطائع أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع . القادر أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر . القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو الخليفة اليوم [5] . ومنهم وإن كان لم يُذْكَر فى الخلفاء وقد ولى الأمر ببغداد عاما كاملا : المبارك أبو إسحق إبراهيم ابن المهدى .

وأما الخلفاء بعد الحسن [6] بن على إلى أبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس فالصحيح الذى لا شك فيه أنه لم يقع على واحد منهم لقب معروف إلا أن بعض الرواة قد ذكر أنهم كانت لهم ألقاب واقعة عليهم . ونحن نذكر [7] .....

(١) فى م : صاحب شاطبة (٢) فى م ز : وغرب الأندلس (٣) فى م ز : ابن عبيد الله ابن الناصر المروانى (٤) فى م ز : ومن العجب اتفاقهما فى الأخلاق الرذلة وفى غاية من لا خير فيه من الفسـاء عليهما وفى كمية العمر ، كلاهما عاش اثنتين وخمسين سنة ، وفى مدة ولايتهما ، فان كل واحد منهما ملك سنة واحدة وخمسة أشهر ، وفى أن كل واحد منهما متغلب عليه ، وفى أن كل واحد منهما خلع ، وفى أن كل واحد منهما تركه أبوه صغيراً (٥) فى م ز : وقد تسمى بهذا الاسم قبله جعفر بن أبى جعفر المنصور فلم يتم له أمر ثم أبو القاسم صاحب إفريقية (٦) فى م : بعد عثمان رضى الله عنه (٧) فى م : نذكرها .

ذلك وإن لم يصحّ عندنا لنطّلع على الألقاب لا غير ، وبالله نستعين .

الناصر لحق الله معاوية بن أبي سفيان . المنتصر [1] على أهل الزيغ يزيد بن معاوية . الراجع إلى الله معاوية بن يزيد . / المؤتمر بالله مروان [٦ و]
ابن الحكم . الموثق لأمر الله عبد الملك بن مروان . المنتقم لله الوليد ابن عبد الملك . المهدى بالله والداعى إلى الله سليمان بن عبد الملك . المعصوم بالله عمر بن عبد العزيز بن مروان . القادر بصنع الله يزيد ابن عبد الملك . المنصور هشام بن عبد الملك . المكتفى بالله الوليد ابن يزيد . الشاكر لأنعم الله يزيد بن الوليد . المتعزز [2] بالله إبراهيم ابن الوليد [3] . القائم بحق الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية بالمشرق .

وأما بنو أمية بالأندلس فإنهم لم يتلقّبوا [4] إلا هشام بن عبد الرحمن الداخل ، فإنه كان يقال له هشام الرضا ، ولم يتسمّوا [5] بإمرة المؤمنين إلى [6] أن كان عبد الرحمن بن محمد [7] . فأولهم [8] عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ثم ابنه [9] هشام الرضا ، ثم الحكم الرَّبَضى [10] بن هشام [11] ، ثم [12] عبد الرحمن بن الحكم [13] ، ثم [14] محمد بن عبد الرحمن ، ثم [15] المنذر بن محمد ، ثم عبد الله أخوه ابن محمد ، ثم ابن ابنه [16] عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر ، وهو أول

(١) فى م : المستنصر (٢) فى م : المعتز (٣) فى م ز : ابن عبد الملك (٤) فى م : يلقبوا (٥) فى م : يتسم (٦) فى م : إلا وهو تحريف (٧) فى م ز : إلا أنى رأيت شعراً لأبى عاصم المحشى بن زيد التيمى يخاطب فيه عبد الرحمن بن معاوية بإمرة أمير المؤمنين (٨) فى م ز : أبو المطرف (٩) فى م ز : أبو الوليد (١٠) هكذا فى م ، وفى الأصل : المرتضى ، هو تحريف (١١) فى م ز : عرف بالربضى لقتله أهل الربض (١٢) فى م ز : ابنه (١٣) فى م ز : أبو المطرف (١٤) فى م ز : ابنه أبو عبد الله (١٥) فى م ز : أبو محمد (١٦) فى م ز : أبو المطرف .

من تسمى منهم بالخلافة وإمرة أمير المؤمنين الناصر وهو القائم أيضا [1] .
قبله أبو أحمد بن المتوكل ، ولم يل الخلافة / ثم رجل من بنى على بطبرستان ، [٦٠
ثم على بن حمود [2] . المستنصر [3] أبو العاصى الحكم بن الناصر ، ثم تسمّى
بهذا الاسم بعده معَدّ [4] بن على بن منصور الشيعى بمصر ، وحسن بن يحيى
ابن على بن حمود الحسنى . المؤيد [5] أبو الوليد هشام بن [6] المستنصر ،
وقبله أبو إسحق إبراهيم بن [7] المتوكل ، ولم يل الخلافة . المهدى قد ذكرنا
المهدى [8] . الظافر وهو المستعين بالله أيضا أبو أيوب سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن الناصر . المستظهر [9] أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام
بن عبد الجبار بن الناصر أخو المهدى . المستكفى وقد ذكرنا المستكفى .
المعتد [10] أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر [11] .

ومن بنى على رضى الله عنه المعتلى يحيى بن على بن حمود . أخوه إدريس
ابن على المتأيد بالله . الحسن بن يحيى بن على المستنصر بالله وقد تقدم اسمه .
أخوه إدريس بن يحيى [12] العالى بالله وكان قد تسمّى بهذا الاسم قبل إدريس
ابن ليحيى آخر كان اسمه عليا / وكان يحيى قد ولاه عهده ، ثم مات فى حياته .

---

(١) فى م ز : إلا أنه لم يتسم على هذه التسمية الثانية . وهكذا أنفذ كتابه إلى قسطنطين ملك الروم بالاثنين جميعاً وكان تسمى بالناصر (٢) فى م ز : الحسنى بالأندلس ثم عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر (٣) هكذا فى م ؛ وفى الأصل : المنتصر وهو تحريف (٤) فى م : سعد وهو تحريف واضح (٥) فى م ز : بالله (٦) ، (٧) فى م : ثم وهو تحريف (٨) يريد ابن حزم أنه ذكره فى ألقاب العباسيين وذكرته نسخة م هكذا : أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصر (٩) فى م ز : بالله (١٠) فى م ز : بالله (١١) فى م ز : وهو آخر ملوكهم بقرطبة وكان قد قام قبل ذلك أخوه عبد الرحمن بن محمد وتسمى بالمرتضى فلم يتم أمره (١٢) فى م : ويسمى الشامى ولم يل . ويلاحظ أن الألقاب فى هذه الفقرة تأتى تالية على خلاف ما فى نسخة م .

محمد بن إدريس بن على المهدى وقد تقدم ذكره. ومن [1] الأدعياء إليهم القائم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله قتله ابن المنصور ولم يل الخلافة، وتسمى بهذا الاسم عبد الرحمن الناصر بالأندلس — قال أبو محمد: وأنا رأيت بعيني نيفا وخمسين كتابا كتبها بالزهراء، وكلها مُعَنْوَنة من عبد الله عبد الرحمن الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان — ثم أبو جعفر عبد الله ابن القادر وقد ذكرناه. المعز [2] أبو تميم معد بن إسماعيل. العزيز نزار أبو المنصور بن أبي تميم. الحاكم أبو على منصور بن نزار. الظاهر أبو الحسن أو أبو الأشبال على بن الحاكم. ثم أبو تميم معد بن على الملقب بالمستنصر وهو واليهم الآن.

ومن [3] ولى العهد وتسمى أو لم يتسم ولم يتم له أمر ومن [4] قام يطلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم له أمر وقد تسمى [5] أو لم يتسم: عبد العزيز بن مروان / كان ولىّ عهد عبد الملك أخيه ولم يتم له أمر، مات فى حياة [6] عبد الملك. أيوب بن سليمان بن عبد الملك مات فى حياة أبيه [7] وكان ولى عهده، وقيل [8]: قتله سرًّا لأنه ارتدّ إلى النصرانية. الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك قُتِلا فى السجن وكانا وليَّىْ [9] عهد أبيهما. عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان كان ولى عهد ابن عمه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، قُتِل يوم خلع إبراهيم [10]. [٧ظ]

(١) سقطت من م هذه العبارة وما تبعها من الكلام من عبد الرحمن الناصر
(٢) العبارة فى م: وكان بمصر أبو تميم معد الخ والألقاب هنا فى م تأتى تالية للأسماء
(٣) فى م: من (٤) هكذا فى م، وفى الأصل: وأقام (٥) فى م: يسمى (٦) فى م ز: أخيه (٧) فى م ز: سليمان بن عبد الملك (٨) فى م ز: إن أباه (٩) فى م: ولِيا
(١٠) فى م ز: وقيل إن عبد العزيز هذا هو أخو أبى العباس السفاح لأمه، أمهما جميعا ريطة الحارثية تزوجها محمد بن على بعد الحجاج بن عبد الملك.

عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد [١] كانا وليي [٢] عهد أبيهما قتل عبيد الله بأرض النوبة [٣] وعاش عبد الله زمانا [٤] ومات بمكة [٥] . ومن بنى العباس : عيسى بن موسى [٦] كان ولىّ عهد المنصور ثم صيّره على العهد بعد ابنه المهدى ، ثم خلعه المهدى [٧] . جعفر بن الهادى [٨] ولاه أبوه العهد ، لم يتم له أمر [٩] . القاسم بن [١٠] الرشيد المؤتمن ولاه أبوه العهد بعد المأمون ، ثم خلعه المأمون . وسُمِّى بهذا [١١] / الاسم بعد ذلك محمد بن ياقوت [١٢] وسلامة أخو نجح الطولونى [١٣] وعبد العزيز بن عبد الرحمن [١٤] بن أبى عامر فى بعض [١٥] الأوقات . منصور بن المهدى ولاه [١٦] إبراهيم عهده ، وتسمى [١٧] بالمرتضى بالله ، اضمحلّ أمره ، وتسمى بهذا الاسم علوىٌّ باليمن . علىّ بن موسى [١٨] الرضا ولى عهد المأمون ، مات فى حياته ، وسُمِّىَ بهذا الاسم هشام بن عبد الرحمن بالأندلس والحسن بن زيد بطبرستان موسى الناطق بالحق ابن الأمين وَلِىَ [١٩] عهد أبيه ، ولم يتم له أمر [٢٠] . إبراهيم المؤيد ولى [٢١] عهد المتوكل بعد المعتز ، خلعه المعتز وقتله . الموفق أبو أحمد [٢٢] بن المتوكل وهو الناصر ولى عهد أخيه [٨ و]

(١) فى م ز : ابن مروان (٢) فى م : وليا (٣) فى م : الروم ولعله تحريف وبعده : ولا عقب له (٤) فى م : دهرا (٥) فى م ز : وله عقب ومن ولده كان أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى (٦) فى م ز : ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس (٧) فى م ز : جلة (٨) فى م ز : موسى (٩) فى م : أمره (١٠) فى م ز : هرون (١١) فى م : بالمؤتمن بعده (١٢) فى م ز : ثم سمى بعده (١٣) فى م ز : ثم تسمى به (١٤) فى م ز : أخو محمد (١٥) فى م : برهة من دهره (١٦) فى م ز : أخوه (١٧) فى م : وسمى (١٨) فى م : على بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب ولاه المأمون عهده ومات إلى مديدة فى حياة المأمون وقيل انه سمه وكان سماه الرضا وتسمى به أيضاً الحسن بن زيد (١٩) فى م : ولاه أبوه عهده (٢٠) فى م ز : ومات وله أربع عشرة سنة ولا عقب له (٢١) فى م : ولاه أبوه العهد بعد المعتز أخيه ولم يتم له أمر ، خلعه الخ (٢٢) فى م ز : محمد .

المعتمد ، مات في حياته [1] . المفوض إلى الله بن [2] المعتمد ولى عهد أبيه المعتمد قبل [3] الموفق ، خلعه أبوه ، ثم قتله المعتضد بعد موت أبيه . الغالب عبد الكريم بن القادر ، ولى عهد أبيه ، مات في حياته [4] .

[٨ظ] ومن بني أمية بالأندلس : المغيرة بن الحكم / الربضي ولى عهد أبيه بعد عبد الرحمن أخيه ، خلعه عبد الرحمن أخوه . محمد بن سليمان بن الحكم ولى عهد أبيه ، قُتِل بعد قتل أبيه بدهر ، وذلك أنه فزع إلى منذر بن يحيى مستنصرا به ، فأحياه مدة ، ثم أمر بقتله رجلا يعرف بالطرسوسي ، فقتله سرًا . وممن تسمى منهم بالعهد دون أن يسميه به خليفة ولم يتم له شيء : سليمان بن هشام بن سليمان ابن الناصر تسمّى بالعهد في أيام محمد بن هشام المهدي ، ثم قُتِل حين قيام أبيه [5] على المهدي وقتل معه أبوه ، ومن [6] بني عمه عِدّة . سليمان ابن هشام بن عبيد الله بن الناصر تسمّى بالعهد في أيام [7] المستكفي ابن عمه . محمد بن الحكم بن محمد بن عبد الملك بن الناصر تسمى بالعهد دون أن يسميه عمه هشام المعتد [8] . وكان هشام بن الحكم قد ولّى عهده عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب بالناصر وهو من معافر ، وكانت فعلة خارجية ، فَقُتِل [9] في حياته ولم يتم له أمر .

(١) في م : حياة أخيه (٢) في م : جعفر بن المعتمد (٣) في م : مقدما على (٤) في م : حياة أبيه (٥) في م : ابنه وهو تحريف (٦) في م : وقتل معهما عدد (٧) في م ز : ولاية (٨) في الأصل وفي م : المعتمد ، (٩) في م : فقتل إلى شهر ولم يتم أمره .

ومن بنى على : على العالى بن يحيى المعتلى / مات فى حياته [1] ، [٩ و]
فلما ولى الأمر أخوه إدريس بن يحيى بن القاسم بن حمود اضمحل أمره بخلع أبيه . الحسن بن إدريس بن على بن حمود الملقب بالشامى ولاه أخوه عهده ، ثم نفاه إلى العدوة . وممن [2] تسمى منهم بالعهد دون أن يسمى به : إدريس ابن على ادعى العهد بسبتة . ومن الأدعياء إليهم : قاسم بن أبى القاسم بن عبيد الله الشيعى مات فى حياة أبيه ، وكان ولى عهده . تميم [3] بن أبى تميم كان ولى عهد أبيه فخلعه فى حياته . عبد الرحيم ابن إلياس بن أحمد بن عبيد الله الشيعى كان [4] ولى عهد الحاكم ، فلما قُتِل الحاكم قُبِض عليه وقُتِل .

ومن ولى الخلافة بعهد : اختلف الناس فى أبى بكر رضى الله عنه . والذى أعهد [5] أنه إنما ولى [6] بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم [7] ونَصٍّ منه عليه ، لإجماع المسلمين [8] على تسميته خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم [9] ، والحديث [10] الوارد فى ذلك ، رواه البخارى وغيره ، وهو قصة المرأة التى قالت يا رسول الله : فإن رجعتُ ولم أجدك كأنها

(١) فى م : حياة أبيه . وبعد ذلك : وقد رأيت بعض من يعانى علم التواريخ ينكر هذا وهو خطأ منه ولم أكتبه إلا موقناً بالقصة ، وليس من لم يعلم حجة على من يعلم . محمد بن القاسم بن حمود اضمحل أمره بخلع أبيـــه ثم تسمى بالخلافة ثم مات . (٢) العبــــارة المقابلة فى م : مضطربة (٣) فى م ز : ومن ولاة مصر تميم (٤) فى م : ولاه العهد ابن عمه منصور بن نزار بن معد بن اسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله فلما نقتل الحاكم منصور بن نزار قتل هو (٤) فى م ز : الصديق (٥) فى م : أدين الله به (٦) فى م ز : الخلافة (٧) فى م ز : إليه (٨) فى م : أهل الاسلام (٩) فى م ز : ولم يسم بهذا الاسم أحد غيره ولا ممن استخلفه عليه السلام على المدينة فى أسفاره ولا ممن استخلفه على الصلوات فى غزواته وحجته عليه السلام (١٠) فى م : والخبر الثابت الذى رويناه من طرق ثابتة .

[٩ ظ] تريد الموت / هكذا فى نص الحديث ، فقال : عليه السلام فأبى أبا بكر ؛ وكذلك الحديث من قوله عليه السلام فى مرضه الذى مات فيه : لقد هممت أن أكتب كتابا أو أعهد عهداً لئلا يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ويأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ، أو كلاما هذا معناه . وهو لا يهم عليه السلام إلا بالحق ١ . عمر ، يزيد بن معاوية ، معاوية بن يزيد ، عبد الملك ، ابنه الوليد ، سليمان ، عمر ، يزيد ، هشام ، الوليد ، إبراهيم ، المنصور ، المهدى ، الهادى ، الرشيد ، الأمين ، المأمون بعهد أبيه ، الواثق ، المنتصر ، المعتضد ، المكتفى ، المقتدر ، الطائع ، القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الآن ببغداد ، ولى عهد أبيه . ومن بنى أمية بالأندلس : هشام الرضا ، الحكم الربضى ، عبد الرحمن ، ابنه محمد ، المنذر ، عبد الله ، المستنصر ، المؤيد .

من وليها بتشاور : عثمان ، الحسن ، مروان بن الحكم ، المتوكل : [١٠ و] المستعين ، المعتز ، المهتدى ، المعتمد / القاهر ، الراضى ، المتقى ، المطيع ، القادر . ومن بنى أمية بالأندلس : الناصر ، المعتد .

ومن ٢ وليها مغالبة : على ، معاوية ، ابن الزبير ، يزيد بن الوليد ، مروان بن محمد ، السفاح ، إبراهيم بن المهدى ، المعتصم ٣ ، عبد الرحمن ٤ الداخل ، المهدى ، سليمان ، المستظهر ، المستكفى .

من طلبها ٥ ولم يتم أمره وتسمى بالخلافة من قريش ، وأما الخوارج فشأنهم ٦ غير هذا : عمرو بن سعيد بن العاص

(١) فى م ز : ولنيرهذا مما ذكرناه فى كتاب الفصل ولله الحمد (٢) يريد ابن حزم : من ولى الخلافة (٣) فى م : ومن بنى أمية بالأندلس (٤) فى م ز : ابن معاوية (٥) فى م : طلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره من قريش (٦) فى م : فأمرهم

خرج على عبد الملك بن مروان بدمشق وتسمى بالخلافة، ثم انخلع، وسلّم الأمر لعبدالملك، وقتله عبدالملك. وقيل إن سليمان بن هشام بن عبد الملك تسمّى بالخلافة فى بعض قيامه [1] على مروان بن محمد، وأخوه مسلمة حينئذ حيّ وهو أسنّ منه، ثم انخلع [2] ودخل فى طاعة الضحاك [3] الخارجى [4]، ثم [5] فى طاعة السفاح، ثم قتله السفاح. دحية بن المصعب بن سهيل بن عبد العزيز ابن مروان قام بمصر على المهدى وقتل. / على بن عبد الله النفيلى من ولد خالد [١٠ ظ]

ابن يزيد بن معاوية قام على المأمون بدمشق ثم انحل أمره.

وقام غير من ذكرنا منهم ولم يتسم بالخلافة: عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر [6]. قام على مروان بن محمد بفارس وتسمى بالخلافة، ثم ظفر [7] به أبو مسلم، فقتله [8]. ومن بنى العباس: عبدالله بن على [9]. قام على أبى جعفر المنصور بالشام وسليمان أخوه حى، وهو أسنّ منه، وتسمّى بالخلافة [10]، وظفر به وقتله. عبد الله بن المعتز قام على المقتدر وتسمى بالمنتصف، ظفر به وقتله، قُتل فى صهريج ماء [11].

ومن بنى على: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن [12] قام على أبى جعفر المنصور بالمدينة وأبوه عبد الله حى [13]، فقتله. محمد بن جعفر بن محمد قام على المأمون بمكة فظفر به، فلم يكلّف

(١) فى م: خروجه (٢) فى م: ترك ذلك (٣) فى م: ابن قيس الشيبانى الخارجى العنزى. (٤) فى م ز: وسلم عليه بالخلافة (٥) فى م ز: دخل (٦) فى م: ابن أبى طالب (٧) فى م: أسره (٨) فى م ز: وكان عبد الله بن معاوية هذا فاسد الدين مذكورا بالالحاد والتعطيل. وقد ذكر بعض الناس أن صاحب الزنج تسمى بالخلافة ولم يصح هذا إنما كان يتسمى بالامام وكان أيضاً من عبد القيس لم يكن من قريش أصلا (٩) فى م ز: ابن عبد الله بن العباس (١٠) فى م ز: وبقى خمسة أشهر فقط (١١) فى م ز: بارد وقتل أبوه فى حمام (١٢) فى م: الحسين بن على بن أبى طالب (١٣) فى م ز: فى حبس أبى جعفر المنصور، فقتل رحمه الله بمكة شرفها الله.

أكثر من أن يصعد المنبر ويشهد على نفسه بالكذب فى حديثه ، وكان قبل ذلك محدِّثا [١] . أبو الفتوح [٢] الحسينى قام بمكة وتسمى [٣] بالراشد ، ثم رجع إلى طاعة الحاكم . ولم يتسمَّ أحد من ثوّار / بنى على [٤] بالخلافة [١١ و] على كثرة القائمين منهم حاشا [٥] محمد بن جعفر [٦] هذا ومحمد بن عبد الله الذى [٧] ذكرنا قبل ، وحسُبك بعلى بن حمود لم يتسمَّ فى قيامه على سليمان بالخلافة إلا بعد استيلائه على دار المملكة بقرطبة ، وقتْل سليمان ، إلا ما ذكر لى بعض أهل الأخبار من أن رجلا منهم بويع بالخلافة بنيسابور من ولد محمد بن زيد الداعى [٨] واضمحل أمره [٩] ، وقيل لى إنه مات بوادى الحجارة [١٠] فى جملة خِساس الجند عند ابن باقى والله أعلم . وكذلك المنتمون إليهم كصاحب الزنج الذى قام بالبصرة وغيره . ولم يتسمَّ عبيد الله بالخلافة إلا بعد استيلاء جنده على إفريقية وذهاب بنى الأغلب .

ومن بنى أمية بالأندلس : هشام بن سليمان بن الناصر قام على المهدى وأخوه الحكم حى ، وهو أسنّ منه وتسمى بالمعصوم ، ظفر به وقُتل ثانى [١١] قيامه . عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن الناصر قام على علىّ والقاسم ابنى حمود [١٢] وتسمى بالمرتضى [١٣] ، قتل غدراً سرًّا ، وخفى أمره وكان قيامه وأخواه الحكم [١٤] وهشام المعتد حيان / وهما أسنّ منه بسنتين . عبيد الله بن المهدى قام على المستكفى [ظ]

---

(١) فى م ز : وكان ابنه على من أفسق الناس وأشدهم إعلاناً بالقبائح (٢) فى م : أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى (٣) فى م : وتسمى بالخلافة وتلقب بالراشد (٤) فى م ز : رضى الله عنه (٥) فى م : إلا (٦) فى م ز : والحسن بن جعفر (٧) فى م : المذكورون آنفاً (٨) فى م ز : القائم بطبرستان (٩) فى م ز : ودخل فى غمار الناس (١٠) فى م ز : من الأندلس (١١) فى م ز : يوم (١٢) فى م ز : الحسنيين (١٣) فى م ز : وكان رجلا فاضلا (١٤) فى م ز : المكفوف .

بجريط وُثب به وقُتِل . قال أبو محمد : صحّ عندنا أنه لم يكن عبيد الله بن المهدى وإنما كان غلام[١] العطار المعروف بالفصيح وادعى أنه عبيد الله بن المهدى . عبد[٢] العزيز بن الاصبغ قام بعليلة[٣] وتسمى بالخلافة ثم اضمحلّ أمره[٤] ، وقام وأخواه عبد الملك[٥] وهشام حيان أسنُّ منه بسنين[٦] كثيرة . وتسمّى محمد بن زيد[٧] بطبرستان بالداعى دون أن يتسمّى بالخلافة .

تسمية من ولى الخلافة فى حياة أبيه :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ورثه أبوه أبو قحافة[٨]. سليمان بن الحكم ابن سليمان بن الناصر ورثه أبوه الحكم وقُتل بعده بساعة ، قتله على بن حمود . عبد الرحمن بن الحكم الأوسط بويع له بالخلافة وأبوه مريض[٩] ، وعلم بذلك ولم يشاور فيه إلا أنه قد كان ولاه عهده قبل ذلك وعاش ثلاثة أيام ثم مات متبرما بالحياة . عبد الكريم الطائع انخلع له أبوه المطيع[١٠] وعاش بعد انخلاعه أربعين يوماً ومات ./ وأخبرنى مخبر ، وليس [١٢ ·
عندى بالصحيح[١١] ، أن أحمد القادر ولى الخلافة وأبوه إسحق[١٢] حى .

من ولى وأخوه أسنّ منه حى :

على بن أبى طالب كان أخوه عقيل أسنّ منه ومات[١٣] بعده بزمان يزيد بن معاوية كان أخوه عبد الله أسنّ منه ، وكان يضعف وكان يوم

---

(١) فى م : مملوكا للعطار (٢) فى م : عبد العزيز بن احمد بن محمد بن محمد بن الاصبغ ابن الحكم الربضى (٣) فى الأصل بهابل والتصحيح من م (٤) فى م ز : وعاش فى غمار الناس سنتين (٥) فى م ز : الفقيه (٦) فى م : بسنتين وعاشا بعده دهرا (٧) فى م ز : القائم (٨) فى م ز : عثمان بن عامر رحمه الله (٩) فى م : حى قد يئس منه (١٠) فى م ز : باختياره (١١) فى م : ولم يصح عندى (١٢) فى م ز : ابن المقتدر (١٣) فى م : وعاش بعد أخيه على دهرا .

مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما هزم أهل دمشق أدركه عبيد الله ابن زياد فأردفه ، وتخلّصه ، وأراد عمرو بن سعيد بن العاص قتله ، فسبّه عبيد الله ومنعه من ذلك [1] . هشام بن عبد الملك ولى الخلافة ومسلمة أخوه وهو أسنّ منه ، حى . الوليد بن يزيد ولى الخلافة وله أخ أسن منه . يزيد بن الوليد وإبراهيم أخوه وليا [2] الخلافة ، والعباس أخوهما وغيره من إخوتهما [3] أسن منهما . وبالأندلس : عبد الرحمن بن معاوية الداخل ولى وله إخوة [4] أسن منه ؛ منهم الوليد بن معاوية ، واتهم [5] عبد الرحمن ابن أخيه هذا المغيرة بن الوليد بن معاوية ، فقتله ، ونفى أخاه الوليد ، وجمع ولده وأخرجهم عن الأندلس ، / ومن ولده أبو المطرف المغيرى إمام مسجد [١٢ ظ] طالوت بمدينة قرطبة . هشام الرضا ولى الخلافة وأخوه سليمان أسن [6] منه ونازعه [7] طول حياته وقد أُخبِرْتُ أن غيره من إخوته كان أسن منه أيضاً . الحكم بن هشام ولى الخلافة وأخوه عبد الملك أسن منه حيٌّ فى المطبق وبقى فيه سبعة عشر عاما إلى أن مات فيه فى حياة أخيه . عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ولى الأمر وأخوه هشام بن الحكم [8] أسنّ منه ، سخط [9] عليه أبوه إذ بلغه أنه يتمنى موته .

ومن بنى العباس : أبو العباس السفاح ولى وأخوه أبو جعفر المنصور حى أسنّ منه بسنين [10] وأعتل [11] ، وولى بعده الرشيد ولى وأخوه على ابن المهدى حى وهو أسن منه ، وأمه [12] رائطة [13] بنت أبى العباس السفاح .

---

(١) فى م ز : ولا عقب لعبد الله (٢) فى م : كلاهما ولى (٣) فى م ز : أحياء
(٤) فى م ز : أحياء (٥) العبارة مضطربة هنا فى م (٦) فى م ز : بأربعة عشر عاماً
(٧) فى م : ولم يزل محاربا له (٨) فى م ز : حى (٩) فى م : وكان أبوهما قد سخط على هشام المذكور (١٠) فى م : بسنتين (١١) فى م ز : منه (١٢) فى م : وأم على هذا
(١٣) فى م : ريطة .

الأمين ولى وأخوه المأمون حى، أسنّ منه بستة أشهر وأعقل وولى بعده، ورأيت فى بعض الأخبار أن الواثق ولى، وأخوه محمد والد المستعين، وهو أسن منه، حى/ وأن المتوكل ولى وأخوه أحمد [1] أسن منه وأعقل [2] حى [3]، ولم يتحقق عندى كلا الخبرين، وما أبعدهما، وهما عندى إلى الحق أقرب والله أعلم. [١٣ و]

المعتز ولى الخلافة وأكثر [4] إخوته أسن منه، وهم أحياء، منهم المؤيد المعقود له بالأمر [5] بعده كان أسنّ منه بلا [6] شك فى ذلك لأن [7] المؤيد شقيق الموفق لأمه وأسن منه، ومولد الموفق يقيناً سنة تسع وعشرين ومائتين، ومولد المعتز سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وذُكِرَ [8] فى بعض الأخبار أن الموفق كان أسن من المعتمد، ولم يصح ذلك، بل الأصح أن المعتمد كان أسن منه بستة أشهر، وأظن أبا عيسى أو غيره من ولد المتوكل كان أسنّ من المعتمد [9]. وأظن القاهر ولى الخلافة وأخوه هرون أسن منه وهو حى، وكذلك الفضل المطيع مع إخوته العباس وعبد الواحد وعلى والمتقى [10]، كلهم أسن منه بسنين [11]. وأما الطائع فولى الخلافة وأخوه عبد العزيز حى وهو أسن منه إلا أنه [12] كان دهره هاربا عن أبيه المطيع مع أمه [13]. ومن بنى علي: على بن حمود

---

(١) فى م: محمد (٢) فى م ز: منه (٣) فى م ز: يومئذ (٤) فى م: وجماعة من إخوته أسن منه منهم الأحدب موسى شقيق المنتصر ومنهم إبراهيم المؤيد الخ (٥) فى م: بالعهد (٦) فى م: بنحو أربع سنين (٧) العبارة فى م: ومنهم الموفق شقيق المؤيد (٨) العبارة فى م: ومنهم المعتمد كان مولده سنة تسع وعشرين قبل الموفق بستة أشهر. ومنهم أبو عيسى وكان مولد المعتز سنة إحدى وثلاثين فى أولها وإنما مال إليه بسبب أمه قبيحة وكان المتوكل فى آخر أمره قد بنى على خلع المنتصر وإقرار المعتز بالأمر فعاجله المنتصر فدس عليه من قتله (٩) فى م ز: وولى المعتمد وأبو عيسى حى ولم يكن فى ولد المتوكل أعف ولا أحسن دينا من أبى عيسى هذا (١٠) فى م: والمتقى (١١) فى م ز: وهم كلهم أحياء (١٢) فى م: وكان عبد العزيز هذا (١٣) فى م ز: غير أبيه.

[١٣ ظ] ولى الخلافة [١] وأخوه القاسم أسن منه / بسنتين [٢] أو نحوها وولى بعده [٣] .

ومن المنتمين إليهم : نزار [٤] ولى الخلافة وأخوه تميم أسن منه وهو حى .

أربعة أخوة ولوا الخلافة [٥] : لا يعرفون إلا الوليد وسليمان ويزيد وهشاما بنى عبد الملك [٦] . وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل ، والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد [٧] ، والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر . وأما أخوان فيزيد وإبراهيم ابنا الوليد ، والمنذر وعبد الله ابنا محمد ، ومحمد المهدى وعبد الرحمن المستظهر ابنا هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ومن بنى العباس : السفاح والمنصور ابنا محمد ، الهادى والرشيد ابنا المهدى ، الواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، ومن بنى على : على والقاسم ابنا حمود .

من كان له اسمان [٨] من الخلفاء : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر [٩] القائم بدين الله ، وسليمان بن الحكم المستعين بالله الظافر بحول الله .

[١٤ و] ومن ولاة العهود : الموفق بالله / الناصر لدين الله أبو أحمد [بن] المتوكل .

أكثر ما اجتمع فى عصر واحد ممن سبق لهم فى علم الله عز وجل أن يلوا الخلافة :

كان ذلك فى ثلاثة أوقات : أحدها آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٠] ،

(١) فى م : الأمر (٢) فى م : بعشر سنين (٣) فى م ز : وحسن بن يحيى بن على ابن حمود ولى وأخوه إدريس حى وهو أسن منه وولى بعده . مروان بن محمد ابن مروان ولى عهده ابنيه عبد الله ثم عبيد الله وابنه عبد الملك أسن منهما . ولم يوله (٤) فى م ز : ابن أبى تميم (٥) فى م ز : كلهم (٦) فى م ز : ابن مروان (٧) فى م ز : ودعى أخوهم هرون بن المعتضد إلى الخلافة فامتنع ولم يكن للمعتضد ابن ذكر غيرهم أربعتهم (٨) فى م : لقبان (٩) فى م : الناصر لدين الله القائم بأمر الله ثم اقتصر على الناصر فقط (١٠) فى م ز : اجتمع فى ذلك أحياء .

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ومعاوية وعبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم [1] . والوقت الثانى آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، فإنه اجتمع فيها [2] أحياء موجودين الوليد وسليمان ويزيد وهشام وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وأبو جعفر المنصور وكل هؤلاء ولوا [3] الخلافة . والوقت الثالث آخر أيام هشام المؤيد بن الحكم فإنه [4] اجتمع فيها أحياء موجودين هشام والمهدى والمستظهر وسليمان والمستكفى والمعتد وعلى والقاسم ويحيى وإدريس ومحمد بن القاسم والمرتضى ، وكل [5] هؤلاء ولوا الخلافة .

ومن [6] ولى منهم صبيا :

جعفر المقتدر ولى ولم يستكمل أربع [7] عشرة سنة . هشام المؤيد ولى لم يستكمل إحدى عشرة سنة . وولى [8] معاوية بن يزيد وله تسع عشرة سنة ، ولم يَلِ / أحد الخلافة دون العشرين إلا [9] هؤلاء [10] . [١٤ ظ]
قال ابن حيان : ذكر نفطويه فى كتابه أنه لم يل الخلافة قبل المعتز بالله أحد كان أصغر سناً منه ، مولده فى شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قبل خلافة والده المتوكل بمائة يوم محصاة ، وبويع بالخلافة بسُرَّ مَنْ رأى صدر المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، قال : وسنه ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر .

---

(١) فى م ز : نعم وكان منهم يومئذ حياً عبد الله بن وهب الراسبى ، وكان قد بايعه الخوارج بالخلافة وسموا بإمرة أمير المؤمنين (٢) فى م : فيه (٣) فى م : ولى (٤) فى م ز : كان (٥) فى م : وكلهم سلم عليه بإمرة أمير المؤمنين (٦) ابتداء من هنا يختلف ترتيب النسختين : الأصل وم (٧) فى م : إحدى (٨) عبارة م : وأما معاوية بن يزيد فإنه ولى (٩) فى م : غير (١٠) فى م : حكاية مضطربة على هذا النحو : وقد غلط قوم فأدخلوا المعتز فى هذه الجملة ، وهذا باطل ، ما ولى (ولد) المعتز إلا أول سنة إحدى وثلاثين وبلغ الحكم (الحلم) فى رأس عين فى سفرة أبيه إلى الشام وولد له المعتضد فى أولها ، هذا كله لا شك فيه .

وقال ابن كامل : قُتل المعتز وله عشرون سنة كاملة بعد خلعه بأيام أربعة . ويلحق بهؤلاء المقلدين فى الصغر منصور بن نزار الملقب بالحاكم بأمر الله صاحب مصر ، فهو يلى هشاما صاحب الأندلس فى هذه الخصلة ، مولده فى عقب ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتقليده بعد والده نزار فى عقب رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وكانت سنه إحدى عشرة سنة وستة أشهر غير عشرة أيام . ومن الغرائب أن يتناسق بعده ولده على الظاهر وولد ولده المستنصر فى مثل هذه الولاية فى الصغر . على أنى / لم أُخض أمدهما [١٥ ب]
من مواليدهما ، واعترفت ، للإجماع على تقليدهما فى حد الأبناء ، ولا سيما أحدهما معد بن على المستنصر الباقى فى هذا الوقت ، وكان أقرب للطفولة منه إلى الصبا ، وفى هذا الباب بقية .

من ولى منهم مسنًا قد تجاوز الستين :

أبو بكر الصديق[١] إحدى وستون سنة . عبد الله بن الزبير[٢] أربع وستون سنة . مروان بن الحكم[٣] إحدى وستون سنة . مروان ابن محمد[٤] إحدى وستون سنة . ومن بنى على : القاسم بن حمود ولى[٥] وقد دخل فى إحدى وستين سنة . واختلف[٦] فى عثمان رضى الله عنه ، فقيل إنه ولى وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وخمسين سنة ، وقيل أقل من ذلك ، لا أشك[٧] فيه أنه لم يكن له ، إذ ولى[٨] ، ستون سنة .

---

(١) فى م ز : رضى الله عنه ولى الخلافة وله (٢) فى م ز : ولى الخلافة وله (٣) فى م ز : بويع له ، وله (٤) فى م ز : ولى الخلافة وله (٥) فى م : ولى الخلافة وله إحدى وستون سنة (٦) فى م : واختلف فى عثمان بن عفان رضى الله عنه من إحدى وخمسين إلى ثمان وسبعين سنة (٧) فى م : والذى لا أمترى فيه (٨) فى م : إلا أقل من ستين سنة .

ومن ولى وله خمسون سنة إلى أقل من الستين : عمر ، وعثمان ، وعلى ، ومعاوية [1] ، وهشام ، [و] المعتمد ، وأحمد القادر .

ومن ولى منهم وله ما بين الأربعين سنة إلى الخمسين [2] : أبو جعفر المنصور / المعتصم ولى وهو فى الأربعين وعبد الله المستكفى المنذر ، [١٥ ظ] عبد الله أخوه ، الحكم المستنصر ، سليمان الظافر ، محمد المستكفى [3] .

ومن ولى منهم وله ما بين الثلاثين إلى أقل [4] من الأربعين : الحسن بن على [5] ، عبد الملك بن مروان ، الوليد [6] ، سليمان ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، هشام أخوه ، الوليد ابن يزيد ، يزيد بن الوليد ، ابراهيم أخوه . هشام الرضا ، عبد الرحمن ابن الحكم ، محمد ابنه ، محمد بن هشام المهدى . ومن بنى العباس : السفاح ، المهدى ، الواثق ، المهتدى ، المعتضد ، القاهر ، المتقى ، المطيع ، الطائع . ومن بنى على : يحيى بن على ، وسائر [7] الخلفاء إنما وليها دون الثلاثين وفوق العشرين سوى من ذكرنا .

أكثر [8] الخلفاء عمرا :

القادر بلغ ثلاثا وتسعين سنة ولم [9] يصح عن خليفة غيره أنه بلغ الثمانين ، ولا تجاوز السبعين ، ولا بلغها منهم أحد إلا عثمان ومعاوية وعبد الله ابن الزبير / وعبد [10] الله بن محمد وعبد الرحمن الناصر والطائع والقاسم . [١٦ و]

(١) فى م ز : رضى الله عنهم (٢) فى م ز : ولم يتمها (٣) فى م ز : على بن حمود (٤) فى م : ما دون (٥) فى م ز : رضى الله عنهما يزيد بن معاوية (٦) فى م : الوليد ابن سليمان وهو تحريف (٧) فى م : وأما سائر الخلفاء فانما وليها كل منهم دون الثلاثين وفوق العشرين (٨) فى م : أطول (٩) عبارة م : وذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه تجاوز سبعين وتجاوزها معاوية الخ (١٠) فى م : وبلغها عبد الله بن محمد وتجاوزها الطائع وعبد الله بن محمد الناصر والقاسم بن حمود .

أقصر الخلفاء عمرا :

معاوية بن يزيد لم يبلغ العشرين سنة . والذين [1] تجاوزوا العشرين ولم يبلغوا خمسة وعشرين عاما موسى الهادى لم يستكمل أربعا وعشرين سنة . محمد المنتصر نقصه [2] من خمسة وعشرين عاما شهران أو نحوهما . المعتز لم يستكمل خمسة وعشرين عاما [3] . المستظهر لم يستكمل ثلاثا وعشرين سنة . وممن [4] تجاوز الخمسة والعشرين ولم يستكمل الثلاثين : الأمين بن زبيدة . والذين [5] لم يبلغوا الأربعين منهم وتجاوزوا الثلاثين : سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، الوليد ابنه ، يزيد بن الوليد [6] ، وأظن أخاه إبراهيم كذلك ، أبو العباس السفاح ، الواثق ، المستعين ، المهتدى ، المكتفى ، المقتدر [7] ، هشام الرضا ، محمد المهدى بن هشام [8] .

ذكر من خُلع من الخلفاء وسلم :

الحسن بن على [9] ، معاوية بن يزيد [10] ، ابراهيم بن الوليد ، ابراهيم بن المهدى ، محمد المستكفى [11] ، ومات إلى أيام من خلعه حتف أنفه ، المطيع [12] ومات إلى أربعين يوما من خلعه حتف أنفه .

---

(١) فى م : ومن لم يستكمل خمساً وعشرين عاماً (٢) فى م : لم يكمل خمساً وعشرين سنة (٣) فى م : سنة (٤) عبارة م : الذين تجاوزوا خمساً وعشرين ولم يستكملوا ثلاثين (٥) فى م : الذين تجاوزوا الثلاثين ولم يبلغوا الأربعين (٦) فى م ز : إبراهيم بن الوليد (٧) فى م ز : الراضى (٨) فى م ز : ابن عبد الجبار (٩) فى م ز : رضى الله عنهما انخلع مختاراً (١٠) فى م ز : انخلع مختاراً لم يضطر واحد منهما إلى الخلع (١١) فى م ز : اضطروا إلى الخلع كلهم وماتوا حتف أنوفهم إلا أن إبراهيم غرق فى الهزيمة مع مروان ، وقيل إن المستكفى سمه بعض من كان معه (١٢) فى م ز : انخلع لابثه بين الطوع والكراهة .

/ من خُلع وسَلِم [1] وبقى معتقلا : [١٦ ظ]

هشام المؤيد إذ خلعه المهدى ، القاسم إذ خلعه ابن أخيه [2] ، المقتدر ، إذ خلعه أخوه [3] أول مرة ، القاهر إذ خلعه المقتدر .

من خُلع وسُملت عيناه :

القاهر إذ خلعه الراضى ، المتقى ، المستكفى [4] ، المستعين ببغداد ، هشام إذ خلعه سليمان .

من [5] خُلع وقُتل إثر خلعه :

الأمين ، المعتز . ومن بنى أمية سليمان [6] إذ خلعه على بن حمود .

وممن لم يجب إلى الخلع وصبر حتى قتل أو قاتل حتى أُثخن ، ثم أخذ وقتل : عثمان صبر حتى قتل ، عبد الله بن الزبير قاتل حتى قتل [7] مروان بن محمد كذلك [8] ، المهتدى قاتَل ثم [9] جرح وسلم [10] ، فترّ وظُفر به فقتل ولم يجب إلى الخلع .

من قِيمَ عليه بخَلع [11] دون أن يطالب بخَلع ولم يدافع : الوليد ابن يزيد ، المقتدر ، المهدى ، محمد بن هشام ، المستظهر أخوه .

من ولى أياما من الخلفاء أو شهورا [12] ما دون السنة :

الحسن بن على [13] ولى ستة أشهر . معاوية بن يزيد ولى أربعين يوما .

(١) فى م : واعتقل (٢) فى م ز : يحيى (٣) فى م : المهدى والعبارة مضطربة فى م
(٤) فى م ز : الطائع (٥) فى م : من خلع ثم قتل إلى مدة المستعين من بنى العباس
(٦) فى م ز : ابن الحكم (٧) فى م ز : مقبلا غير مدبر (٨) فى م : قاتل حتى قتل مقبلا غير مدبر (٩) فى م : حتى (١٠) فى م : ثم ولّى فأدرك وقتل ولم يجب إلى الخلع
(١١) فى م : فقتل (١٢) [illegible] سنة (١٣) فى م ز : رضى الله عنهما .

[١٧ و] / مروان بن الحكم ولى عشرة أشهر . يزيد بن الوليد ولى ستة أشهر . أخوه إبراهيم ولى ثلاثة أشهر . محمد [١] بن هشام المهدى ولى أحد عشر شهراً فى خلافتيه معا . المستظهر ولى سبعة وأربعين يوما . محمد المهتدى [٢] ولى أحد عشر شهراً . المنتصر ولى ستة أشهر .

من طال عمره [٣] فولى عشرين سنة فصاعدا :

معاوية بن أبى سفيان [٤] ولى الخلافة عشرين سنة بعد على [٥] . عبد الملك بن مروان سُلِّم عليه بها عشرين سنة [٦] . المعتمد وليها عشرين سنة . المنصور أبو جعفر وليها إحدى وعشرين سنة . الرشيد وليها ثلاثا وعشرين سنة . المقتدر وليها خمسا وعشرين سنة . الحكم الربضى وليها ستا وعشرين سنة . عبد الرحمن ابنه وليها ثمانيا وعشرين سنة . عبد الله وليها خمسا وعشرين سنة . المطيع وليها ثلاثين سنة [٧] عبد الرحمن ابن معاوية وليها أربعا وثلاثين سنة . محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وليها خمسا وثلاثين سنة . هشام المؤيد وليها ستا وثلاثين سنة . القادر وليها ثلاثا وأربعين سنة . عبد الرحمن الناصر وليها خمسين سنة [٨] .

[١٧ ظ] / المعرقات فى الخلافة من النساء :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة على وأم [٩] الحسن .

---

(١) فى م : وقد عد فيهم محمد بن هشام بن عبد الجبار وليس كذلك لأنه قام إلى أن قتل ، خطب له بالخلافة وسلم عليه بها سبعة أشهر منها ستة أشهر بالثغر خاصة قطعت بين دواتيه بقرطبة (٢) فى م ز : رحمه الله (٣) فى م ز : منهم (٤) فى م ز : رضى الله عنه (٥) فى م ز : عليه السلام (٦) فى م ز : المأمون وليها عشرين سنه (٧) فى م ز : أبو جعفر القائم ابنه له منذ ولى ثلاثون سنه ، وأما ما ولى لأنه أسن فأكثرم ملك أكثر من عشرين سنة ومن ثلاثين سنة (٨) فى م ز : وستة أشهر متصلة (٩) فى م : وابنها الحسن رضى الله عنهم .

أم كلثوم بنت على [1] زوجة عمر [2] وأخت الحسن، وبنت لعلى أخرى تحت [3] عبد الملك. عائشة بنت الواثق [4] أخت المهدى زوجة [5] المستعين. عاتكة بنت يزيد بن معاوية جدها خليفة وأبوها خليفة وزوجها خليفة [6] وابنها خليفة وابن ابنها خليفة وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان جدها خليفة وأبوها خليفة وإخوتها الأربع [7] خلفاء وبنو إخوتها ثلاثة خلفاء وابن عمها وزوجها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز [8]. ودون هؤلاء عائشة بنت عثمان [9] زوجة عبد الله بن الزبير [10]. أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب [11] جدها خليفة وابنها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز، ولذلك قال فيه الشاعر: بين أبى العاص وآل الخطاب. زبيدة بنت جعفر [12] بن أبى جعفر المنصور جدها خليفة وزوجها [13] خليفة الرشيد وابنها خليفة وهو الأمين. رائطة [14] بنت السفاح زوجة [15] المهدى. فاطمة بنت المنذر زوجة [16] الناصر. أم الحكم بنت سليمان الظافر زوجة [17] المستظهر / وهى التى يقول فيها: [١٨ و]

وماذا على أم الحبيبة إذ رأت [18] جلالة قدرى أن أكون لها صهرا
حمامة بيت العبشميين حلقت فطرت إليها من سراتهم [19] صقرا

---

(١) فى م ز: ابن أبى طالب (٢) فى م ز: ابن الخطاب وأبوها على وأخوها الحسن رضى الله عنهم وجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فى م: تزوجها (٤) فى م ز: ابن المعتصم (٥) فى م: وتزوجها (٦) فى م ز: وأخوه خليفة (٧) فى م: أربعه (٨) فى م ز: ولم يخلف عبد الملك ابنة غيرها وخلف أربعة عشر ذكراً (٩) فى م ز: رضى الله عنه (١٠) فى م ز: رضى الله عنهما (١١) فى م ز: رضى الله عنه (١٢) فى م ز: الملك جعفر (١٣) فى م ز: ابن عمها (١٤) فى م: ريطه (١٥) فى م: زوجها (١٦) فى م: زوجها (١٧) فى م: زوجها (١٨) فى م: إذا رأت وهو تحريف (١٩) فى م: سراتها.

فاطمة بنت القاسم [1] زوجة يحيى [2] . وأما من تزوجها خليفة وولدت خليفة فكثير جدا لا معنى لذكر ذلك والمراد بهذا من أعتق خادمة وتزوجها وولدت خليفة كرجان وصبح والخيزران وغيرهن .

امرأة ولدت خليفتين : ولادة بنت العباس [3] العبسية ، ولدت الوليد وسليمان ، والخيزران ولدت موسى [4] وهرون ، أم القاسم وعلى [5] . امرأة ولدت وليّ عهد [6] : أندلسية ولدت وليّ عهد : إبراهيم المؤيد وأبا أحمد الموفق [7] . أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها أم خالد بنت هشام [8] بن عتبة [9] أم معاوية بن يزيد تزوجت بعد موت ابنها [10] مروان بن الحكم . امرأة [11] أخرى اسمها عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها ثلاثة خلفاء ، الوليد وهشام ومروان بن محمد . ويقول قائلون إن أم هشام المؤيد استحلها ابن أبي عامر بنكاح سر ، والله أعلم . وحكى أن عريب / المأمونية، قيل إنها كانت بنت جعفر بن يحيي ابن برمك، كانت تقول : دخل [12] لى سبعة خلفاء ، فإن كان [13] هذا حقًّا ، فقد كان منهم الوالد [14] والولد والله أعلم . أسماء بنت هشام أخت خليفتين : [٢٨ ظ]

(١) فى م ز : ابن حمود (٢) فى م : تزوجها يحيي بن على . بنت إدريس بن على تزوجها حسن بن يحيي بن على بن حمود وأخوها محمد بن إدريس ولما قتل زوجها أخاها يحيي بن إدريس المعروف بحيون سمت زوجها فقتلته ، فهذه امرأة سلم على أبيها وجدها وعمها وأخيها وزوجها بالخلافة . بنت على بن حمود تزوجها محمد بن القاسم وسلم على أبيها وعمها وزوجها وأخويها وبنى أخويها بالخلافة (٣) فى م ز : ابن جزء بن الحارث ابن زهير بن جذيمة (٤) فى م : الهادى (٥) فى م ز : ابن حمود سلم عليهما بالخلافة ، لبونة بنت محمد المرتزل بن حسن بن القاسم فنون ولدت يحيي وإدريس ابنى على سلم عليهما بالخلافة (٦) فى م ز : إسحق (٧) فى م ز : لم يتم لهما أمر (٨) فى م ز : هاشم (٩) فى م ز : ابن ربيعة (١٠) فى م ز : معاوية (١١) فى م ز : من غرائب المناكح امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء عبدة الخ . أخرى تزوج عبد الملك بن مروان بن عثمان (هكذا) بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية الخ . والنص هنا فى م : مختلط (١٢) فى م : ركبنى (١٣) فى م : صدقت (١٤) فى م : فيهم الأب والابن .

المهدى والمستظهر تزوجها أحمد بن رشيق الكاتب مولى بنى شهيد .

المرزبانة بنت قديد بن منيع السعدى بن سعد بن زيد مناة بن تميم تزوجها نصر بن سيار أمير خراسان ، ثم مات [1] ، ثم تزوجها أبو مسلم [2] والى خراسان ، ثم قتل ، فتزوجها أبو داود خالد بن إبراهيم النهشلى [3] والى خراسان بعده ، فجرت هذه المرأة مجرى ولاية خراسان ، مَن [4] ولى خراسان تزوجها [5] .

منيعة العربية تزوجها يعقوب بن الليث ثم أخوه عمرو بن الليث .

ثلاثة [6] رشحوا للخلافة ماتوا فى أربعين يوماً :

عبد الرحمن بن هشام المستظهر وسليمان بن المرتضى ومحمد ابن عبد الرحمن المعروف بابن العراقى [7] . قتل عبد الرحمن [8] لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ومات سليمان بن المرتضى بعده بنحو من عشرة أيام حتف أنفه ، ومات [9] محمد بن عبد الرحمن حتف أنفه لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من العلم المؤرخ .

/ نَوْكَى الخلفاء : [١٩ و]

من بنى العباس : الأمين بن زبيدة : المعتمد ، القاهر ، المستكفى . ومن بنى أمية : المستكفى إلا أن القاهر من بين هؤلاء كان نوكه ممزوجاً بسلاطة . وما كان هشام المؤيد بدونهم إلا أنه كان

(١) فى م : فلما خرج عن خراسان ومات (٢) فى م ز : السراج (٣) فى م : الذهلى (٤) فى م : كل من (٥) فى م ز : هند بنت أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارية تزوجها عبيد الله بن زياد أمير العراقين ثم تزوجها الحجاج بن يوسف أمير العراقين . (٦) فى م : ترشحوا (٧) فى م ز : ابن هشام بن سليمان بن الناصر (٨) فى م ز : المستظهر يوم السبت (٩) فى م : وقتل العراقى بعده خنقاً .

متنسكا لا يؤذى أحداً ، ولا يمنع أحداً من أن يُؤذَى . كان أبعدهم من كل خير وأجمعهم لكل خلة سوء المستكفى والمستكفى .

خَرَمتهم [1] بعد الصحابة رضى الله عنهم :

مروان بن محمد ، مروان بن الحكم ، عبد الملك بن مروان ، هشام ابنه ، عبد الرحمن بن معاوية ، أبو جعفر المنصور وما كان المعتصم والمعتضد بعيدين ممن ذكرنا .

ذوو الفتوح منهم :

أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم معاوية [2] والوليد وسليمان فإن خيله كانت [3] بآخر الأندلس وبأوائل الهند وفى بلاد الترك وعلى القسطنطينية . ولقد كانت للمعتصم فتوح كثيرة . نجدهم : المستكفى [4] بقرطبة ، أقام سبعة عشر شهراً لا تتجاوز طاعته فرسخا .

عالمهم بعد الصدر الأول : المأمون وكان أخوه المعتصم أمياً لا يقرأ ولا يكتب [5] .

---

(١) فى م : خيرهم وهو تحريف (٢) فى م ز : رضى الله عنهم (٣) فى م : كانت تحارب الفرنج فى ثغور الأندلس وعسكر له آخر يحارب النوبة فى عقر ديارهم وعسكر له آخر يحارب القسطنطينية قد أشرف على فتحها ويسكنها المأمون لولا موته وجيوشه تحارب الترك والخزر والهند وهو ساكن فى قريته ابن سبع وثلاثين وحمل إليه رأس عبد العزيز بن موسى بن نصير صاحب الأندلس ورأس قتيبة بن مسلم صاحب خراسان إذ هما خالفاه. هشام أخوه بلغت خيله أقاصى أرض السودان خلف فرغانة إلى معادن الذهب وفتحت صقلية وإقريطش وأسلم ملك كابل أيام المأمون . ثم عبارة مضطربة (٤) فى م : محمد عبد الرحمن المستكفى (٥) فى م ز : وكان الحكم المستنصر من أشد الناس صبابة بالعلوم لاسيما بالأخبار والمقالات .

/ عدولهم بعد الصحابة رضى الله عنهم : معاوية بن يزيد ، [١٩ ظ]
عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن الوليد ، هشام الرضا ، المهدى ١ .

مسرفوهم ٢ : يزيد بن معاوية ، الوليد بن عبد الملك ٣ ، أبو جعفر المنصور ، موسى الهادى ٤ ، الحكم الربضى ، عبد الرحمن الناصر ، سليمان ٥ الظافر إلا أنه كان من بينهم إسرافه وجوره ممزوجين بضعف وخساسة نفس وقلة سياسة .

أدباؤهم وشعراؤهم : الوليد بن يزيد ، إبراهيم بن المهدى ، الراضى ، سليمان ٦ الظافر .

مجاهروهم بالانهماك فى المعاصى ٧ :

يزيد بن عبد الملك ، ابنه الوليد ، الأمين ، المتوكل إلا أن إظهاره السنة وسعده ٨ سترا عليه ، المقتدر ، المستكفى ، القاهر ، الحكم الربضى ، وكان يخصى من اشتهر بالجمال من أبناء أهل بلده ، منهم طرفة ابن لقيط أخو عبد الله بن لقيط ، تصرف أبوه وإخوته وآله فى الولايات الرفيعة ، ومنهم نصر صاحب منية نصر ، كان أبوه من أسالمة أهل الذمة من أهل قرمونة ، ومات قبل موت ابنه نصر بأيام ، / ومنهم شريح صاحب مسجد [٢٠ و]
شريح ، عبد الرحمن الناصر وله تعليق أولاد السودان فى الناعورة وركوب رسيس بقلنسوة وسيف فى موكبه . قال أبو محمد : ورسيس هذه كانت امرأة من دار الجراح رفيعة مهيبة اتصلت بالناصر وخفت عليه حتى حمله ذلك على أن أركبها مكشوفة فى موكبه بقلنسوة وسيف تقلدته ، على بغل خلفه ،

(١) فى م : محمد بن المهدى (٢) فى م : مربدم وهو تحريف (٣) فى م ز : السفاح (٤) فى م ز : المتضد (٥) فى م : سليمان بن الحكم (٦) سليمان بن الحكم (٧) فى م ز : واللذات (٨) فى م : وسعادته .

بينه وبين الأولاد، فى يوم سرور، وشقّ هكذا قرطبةَ على باب العطارين الرَّبَضَ الغربيَّ كله إلى الزهراء. حدثنى بذلك الوزير أبو عبدة رحمه الله وأبو عبد الله بن الغليظ كلاهما عن مالك بن الحسن والد أبى عبدة أنه سلّم على الناصر فى جملة الموالى فى ذلك النهار ورأى هذه الحال.

ذوو[1] السَّعد منهم:

أريد بذلك من أسعد بلا استحقاق ولا تعب ولا عناء: السفاح، المتوكل.

مشائيمهم على قومهم وعلى الناس: سليمان[2] الظافر، محمد المستكفى[3].

العوز منهم: المهدى بن المنصور، الواثق، عبد الرحمن بن معاوية.

خليفة أبخر[4]: عبد الملك بن مروان. خليفة ألثغ: المستعين[5] كانت لثغته[6] فى السين يجعلها ثاء. / خليفة ممرور: عبد الرحمن بن الحكم. [٢: ظ]

من لم يكن[7] بيده من الخلافة إلا الرسم:

هشام بن الحكم المؤيد، ومحمد المستكفى. ومن بنى العباس: المطيع والقادر والمعتمد فى آخر أيامه والمستكفى فى أولها.

من غاب عن موضع خلافته: المأمون بويع له ببغداد ولم يدخلها إلى[8] نحو من عشرين شهرا. المعتد بويع له بقرطبة ولم يدخلها نحو[9] ثلاثة أعوام.

---

(١) فى م: من سعد منهم بغير استحقاق الخ (٢) فى م: سليمان بن الحكم (٣) فى م ز: ومن بنى العباس الراضى فانه أبطل جند الخلافة جملة فضعفت الخلافة حينئذ وبطل رسمها ولم يبق منها إلا اسمها (٤) فى م: أسخر وهو تحريف واضح (٥) فى م ز: ابن محمد ابن المعتصم (٦) فى م: يجعل السين ثاء (٧) فى م: المتغلب عليهم: المطيع القادر القائم أبو جعفر الراضى فى آخر أيامه المتقى المعتمد فى آخر أيامه القاهر فى أول أيامه المستكفى، ومن بنى أمية: المؤيد المستكفى المعتد (٨) فى م: إلا عشرين شهرا وهو تحريف (٩) فى م: إلا وهو تحريف.

من ولي مرتين : المأمون بويع[1] ببغداد ثم خلع منها[2] ثم بويع الأمين .

من بويع ثم خُلع ثم رُدَّ : المقتدر ، القاهر . ومن بني أمية : هشام المؤيد ، المهدي ، سليمان . ومن بني علي : القاسم ويحيي[3] .

ومن ولي منهم بعد عمه : الوليد[4] بعد هشام ، المعتضد بعد المعتمد[5] ، يحيي بعد القاسم . ومن ولي بعد جده : عبد الرحمن الناصر بعد عبد[6] الله . وسائرهم إنما ولي بعد أب أو أخ أو ابن عم قريبا أو من بعيد .

أكثر[7] الخلفاء ولدا : عبد الرحمن بن الحكم كان له[8] خمسون ذكرا وخمسون أنثى . / من لم يكن له منهم ولد : معاوية بن يزيد ، هشام [٢١ و]
ابن الحكم . من انقرض عقبه منهم : الحكم المستنصر[9] ، محمد المهدي[10] ، عبد الرحمن المستظهر[11] ، محمد المستكفي[12] . وقد انقرض عقب المنذر . ومن بني العباس : أبو العباس السفاح .

من خَطب لبني العباس أو لبني علي بالأندلس :

عبد الرحمن بن معاوية خطب لأبي جعفر المنصور أعواما . العلاء بن مغيث اليحصبي خطب لأبي جعفر المنصور بباجة وأُكشونبة . عمر بن حفصون خطب بِبُبَشْتَر لإبراهيم بن القاسم بن إدريس صاحب البصرة[13] .

(١) في م ز : له (٢) في م : بها (٣) في م ز : ابن علي (٤) في م : الوليد بن يزيد بعد عمه هشام (٥) في م ز : عمه (٦) في م ز : جده (٧) في م : أكثرهم (٨) في م ز : مائة ولد (٩) في م ز : بالله (١٠) في م : المهتدي (١١) في م ز : ابنا هشام بن عبد الجبار (١٢) في م ز : المنذر ابن محمد (١٣) إلى هنا تنتهي المقابلة بين الأصل والنسخة م . وقد بقيت فقر قليلة في النسخة م لم ترد في رواية الحميدي، وهي: أعرق الناس في الخلافة ص ١١ ومن تزوج من الكبراء والعلية منكحا ساقطا ص ١٣ ومن تزوج من غمار الناس في الخلفاء ص ١٤ ومن كان يظهر التعبد والخشوع وهو من الطغاة ص ١٤ وأول من اتخذ من الخلفاء قاعدة ص ١٤ وأول من ذكر من الخلفاء ذكراً فاشياً بشرب الخمر ص ١٥ . وبقية رواية الحميدي من هنا حتى نهاية الكتاب ليست في النسخة م إذ هي ناقصة كما ذكرنا في المقدمة .

من قام بدعوة خلفاء بنى أمية بالأندلس فى المشرق :

تمام بن تميم التميمى بالقيروان أيام الرشيد . رافع بن الليث بن نصر ابن سيار بسمرقند من خراسان أيام الرشيد ، وكان عجيف بن عنبسة وطاهر ابن الحسين من قواده .

من تسمَّى بالخلافة من غير قريش وهو غير خارجى :

يزيد بن المهلب حين قيامه على يزيد بن عبد الملك . محمد بن الفتح المعروف بالأمير ابن مدرار صاحب سجلماسة وكان فى غاية إظهار العدل وتسمى بالشاكر لله ، وإليه تُنْسَب المثاقيل الشاكرية ، وذلك سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، أسره جوهر / قائد أبى تميم وحمله إلى المهدية ، ومات بها ، وكان آباؤه كلهم صُفْرِيَّة حاشاه وحده ، فإنه أظهر السنة وخالف آباءه فى المذهب ، ولم يكن خارجيا . [٢١ ظ]

عبد الرحمن بن أبى عامر تسمَّى بها يوما واحدا فى غزاته الشتوية ، وخَرق ثيابه طربا ، إذ سمع النداء بذلك ، ثم بداله ، فترك ذلك . وما هذا عندى من الفعل الجيد .

من أراد أن يتسمى بها من هؤلاء ثم منعه مانع :

فناخسرو بن الحسن متولى الأمور ببغداد وأعمالها . أخبرنى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى قال : أراد فناخسرو أن يتسمَّى بالخلافة وأوصى إلى الُجعل الحسن بن على البصرى أن يؤلف له كتابا فى تخوِلة هذا الأمر فى غير قريش واستكثره ذلك جدا ، فألف الجعل هذا الكتاب ودفع نسخة منه إلى تلميذ له كان يثق به ، فانتشر الأمر من قِبَل ذلك التلميذ إلى أن بلغ الخبر إلى خراسان ، فصاحوا صيحة واحدة فى مجالس الفقهاء وا إسلاماه وا محمداه ، فبلغ ذلك فناخسرو فقامت عليه الفتن وخشى إجلاب أهل خراسان كلهم عليه ،

فكان هذا سبباً لأن تمّ الجمل، وقنع الناس بموت الجمل وسكن الأمر.
والمنصور محمد بن أبي عامر أراد ذلك وجمع للمشورة فيه قوما من خواصه
فيهم ابن عياش وابن فطيس وأبي رحمه الله، / ومن الفقهاء محمد بن يبقى [٢٢ و]
ابن زرب وأبو عمر بن المكوى والأصيلي. فأما ابن عياش وابن فطيس
فصوّبا ذلك له، وأما أبي رحمه الله فقال له: إني أخاف من هذا تحريك ساكن،
والأمور كلها بيدك، ومثلك لا ينافس في هذا المعنى وأما محمد بن يبقى بن زرب
فإنه قال له: وصاحب الأمر ما شأنه؟ فقال له: لا يصلح لهذا، فقال له:
يُرَى ويجرَّب، فقال له: أفي مسائل الفقه؟ يريد أن يسأله، قال: لا،
ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة، قال: فإن لم يتم، قال: يُنْظَرُ
في قريش. فأعرض عنه مغضبا ونظر إلى الأصيلي وإلى ابن المكوى،
فقال له الأصيلي: يامولاي عربيٌّ ضابط خير من قرشي مضيِّع، قال، فنظر
إلى ابن المكوى، فجعل يضحك له، ويقول: يامولاي ومثلك يفكر في هذا
وأنت الكل وكل شيء بيدك، وإنما يرغب في الأسماء من لا يحقّق، والمدار
على الحقيقة، وهي بيدك. فسكت ابن أبي عامر، وقاموا واحدا واحدا.
فلما قام القاضي وسلم عليه قال: اخرجوا بين يدي الفقيه، فعظم ذلك
على ابن زرب، وقال: لا بأس هذا ما لاتقدرون على عزلنا عنه، ونهض
إلى منزله، فمات بعد أيام يسيرة جدا. وأبو تميم المعز بن باديس صاحب
القيروان أراد ذلك فكرّه إليه الفقيه أبو عمران الفاسي ذلك، وبين له أن النص
لم يجوّز الخلافة إلا في قريش، فقال: إنك إنما تريد بهذا / الشقاق [٢٢ ظ]
والارتفاع عن المسالمة، وهذا لا يتم لك؛ لأنك إذا فتحت هذا الباب تسمى بها
كل من أردت التفوق عليه من مصاقبيك وغيرهم، فبطل ما اختصصت به،
وهان هذا الأمر ولم تفد شيئا، فسمع المعز له، وترك ما أراد.

من قتل أباه من الخلفاء المتغلبين :

المنتصر قتل المتوكل أباه . زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب . أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء بن حمدان خلع أباه وأدخله الحمام ، ثم أغلق الباب عليه وخلاه حتى مات . ولد محمد بن يعفر صاحبُ اليمن قتل والده وعمه أبا الحسن وابن عمه عبد الواحد ابن أبي الحسن وجدته أم أبيه . قال ابن حيان : ولد ابن يعفر هذا صاحب اليمن اسمه إبراهيم بن محمد لم يسمع في الملوك أجرأ منه على القتل ، قتل أباه محمد ابن يعفر وعمه المكني بأبي الحسن وابن أبي الحسن الذين كانوا رضوه للأمر بمكانه في مشيخة معهم من جماعة قومه في المسجد بصنعاء رافضة .

وهذا باب في الأمراء من غير قريش يتسع ، لأن قتلهم الأقارب كثير . منوشهر بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير صاحب خراسان / صعد أبوه في قلعة له كانت عادته أن يصعد فيها ، وقد كان تقدم ولده [٢٣ و] منوشهر في أن ترتق أبوابها ، فلما صار فيها أغلق الباب عليه حتى مات ، فتُتِح الباب بعد أيام ، فوُجد قد أكل يده ، وقد مات . اذكوتكين ابن أساتكين صاحب الري وقزوين وما هنالك ، خلع أباه واعتقله حتى مات ، [وقيل إن] اذكوتكين ولي ابنه مطهرًا موت جده ، وقيل إنه قتل نفسه . محمد بن عيسى بن محمد بن مزين بشلب الآن اعتقل جده بعد موت أبيه بحين ، مات في معقله .

من قتل ابنه :

سليمان بن عبد الملك قتل ابنه أيوب سرًا . عبد الله بن محمد قتل ابنيه المطرف ومحمدا . عبد الرحمن الناصر قتل ابنه عبد الله . إبراهيم

ابن الأغلب قتل ابنا له رجلا . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل ابنه إسماعيل . خلف صاحب سجستان قتل ابنه ولم يكن له غيره . محمد بن أبي عامر قتل ابنه عبد الله وابن أخيه عبد الله بن يحيى وابنى عمه عسقلاجه وأخاه . عمر بن حفصون قتل ابنه أيوب .

من قام على أبيه وحاربه :

سليمان بن عمر بن حفصون ثار على أبيه بأُبَدَّة ، وحاربه ، وصده ، وضرب أباه عمر بالسيف ، وجرحه ، فأعجب عمر بذلك ، وفخر به . / إبراهيم بن إسماعيل [٢٣ ظ] ابن ذى النون حارب أباه بسُرته .

من قتل أخاه :

المأمون قتل الأمين أخاه وخلعه . المعتز قتل أخاه المؤيد وخلعه عن العهد . عبد الله بن محمد قتل أخويه هشاما بالسيف والقاسم بالسم . أبو الجيش [بن] أحمد بن طولون قتل أخاه العباس قيل إنه حقنه بماء مغلى حتى مات . أبو تغلب بن حمدان قتل أخاه حمدان . عبد الله ابن زيادة الله قتل جميع إخوته . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل أخاه صالحا بمَصْر خُصاه ، وقتل أخاه أبا زكريا بالسم . أبو عبد الله بن البريدى قتل أخاه أبا يوسف . ابراهيم بن الحجاج قتل أخاه سليمان . يحيى بن بكر قتله أخوه خلف . عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد قتل أخاه عبد الله .

ومن قتل عمه أو خلعه :

أبو جعفر المنصور قتل عمه عبد الله بن على . المعتضد غرّق عمه أبا عيسى وقتل عمه المعتمد ، قيل سمّه ، وقيل إنه كان إذا رقد فتح فاه ، فأفرغ فى حلقه

رصاصاً مذابا ، وقيل غير ذلك . عبدالواحد بن الموفق قُتِلَ إثر بيعة ابن أخيه . المكتفى بن المعتضد . الحكم الربضى قتل عميه : سليمان بن عبد الرحمن ومسلمة / وابنة عمه أيضاً . عبد الرحمن الناصر قتل عمه العاصى بن عبد الله . [٢٤ و]
المغيرة بن الناصر قُتِلَ يوم بيعة ابن أخيه هشام المؤيد . يحيي بن على خلع عمه القاسم فلما ولى أخوه إدريس قتله . زيادة الله بن عبد الله قتل جميع أعمامه . جيش بن أبي الجيش قتل عمه مضر . هرون بن أبى الجيش قتل عمه ربيعة بالسياط . نصر بن أحمد قتل عم أبيه إسحاق بن أحمد ، خاطه فى غرارة ، قيل إنه ناطه بكلب ، ودفنه فى الرمل حيًّا . ناصر الدولة بن حمدان قتل عمه أبا العلاء . تاج الدولة أبو محمد جعفر بن يوسف قتل عمه على بن عبد الله . حماد بن بلقين قتل عمه ماكس أطعمه الكلاب حيًّا .

من قتل ابن أخيه :

أبو جعفر المنصور قتل محمد بن السفاح بالسم . المعتصم قتل العباس ابن المأمون بالمزارق . القاهر قتل ابن أخيه أبا أحمد بن المكتفى بعصر خُصْيِيه عبد الرحمن بن معاوية قتل ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية . شيبان بن أحمد بن طولون قتل ابن أخيه هرون .

خليفتان تصالحا : وهذا أمر لم يُسْمَع فى الدنيا بأشنع منه ولا بأدلّ على إدبار الأمور : يحيي بقرطبة والقاسم بإشبيلية .

/ من قتله عبيده : [٢٤ ظ]

المتوكل . على بن حمود قتله ثلاثة صقالبة فى الحمام دفاعا عن أنفسهم . أبو سعيد الجنابى صاحب القرامطة قتله صقالبته فى الحمام ، وما أعلم أحداً أعظم يدا عند المسلمين منهم ، رضى الله عنهم . مرداويج قتله أيضا عبيده

فى الحمام. عبد الله بن إبراهيم قتله فتيان كان يثق بهما. احمد بن إسماعيل قتله أيضا عبيد خاصة كانوا له. أبو الجيش بن أحمد بن طولون ذبحه فتى حجام فى حين تقصيصه إياه، حمل الموسى على أوداجه. رافع بن هرثمة قتله عبيده غدرا. أبو عبد الرحمن العمرى القائم فى أعمال النوبة قتله عبدان كانا له خاصين به. عبد الملك بن عبد الرحمن بن متيوه صاحب طليطلة وغيرها قتله صقلبى له ذبًا عن نفسه.

رجل أتته منيته فى الحرب فمات وهو على ظهر دابته دون أن يصاب بشئ: غالب يوم حربه مع ابن أبى عامر وقد أشفى على الظفر. قال أبو محمد: فحدثنى وهزّنى الوزير والدى نضّر الله وجهه قال: كان المنصور ابن أبى عامر فى القلب وجعفر بن على المعروف بالزابى فى الميمنة / قال: وأبوك [و] أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى والحسن [٢٥و]
ابن عبد الودود السلمى فى الميسرة. قال: وكأنى أنظر إلى غالب وهو شيخ كبير قد قارب الثمانين عاما وهو على فرسه وفى رأسه طرطور عال، وقد عصب حاجبيه بعصابة، قال: ثم قال لمن حواليه، وكان قد جمع جموعا عظيمة من المسلمين والنصارى: مَنْ هؤلاء؟ وأشار إلى الميمنة، فقيل له جعفر بن على وأخوه يحيى والبربر، قال: فحمل عليهم حملة قَصَمَهم فيها قصفا، لم يثبت منهم أحد على صاحبه واصطكت الهزيمة على الميمنة، قال: ثم انصرف، فقال: مَنْ هؤلاء؟ وأشار إلى الميسرة، فقيل له: أحمد بن حزم وحسن بن عبد الودود ومعن ابن عبد العزيز، قال: فحمل علينا حملة فانفلتنا بين يديه ولم يُلْوِ أحد منا على صاحبه، قال: وابن أبى عامر فى القلب يصفق بيديه، وتضطرب رجلاه فى ركائبه، وقد أيقن بالهلاك، قال: فانصرف غالب إلى أصحابه، فقال لهم:

قد هزمنا الميمنة والميسرة ، وإنما بقى لنا القلب وحده ، وفيه هذا الأجرب الملعون يريد ابن أبى عامر فالآن نحمل عليه ونهلكه ، وكان فى أول الحرب قد دعا ، وقال : اللهم إن كنت أصلحَ للمسلمين من ابن أبى عامر فانصرنى

[٢٥ ظ] / وإن كان هو أصلح لهم منى فانصره ، قال : ثم همز فرسه ، وترك جهة القتال ، وأخذ ناحية إلى خندق كان فى جانب عسكره ، فظن أصحابه أنه يريد الخلاء ، فلم يتبعه أحد ، فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط إلى الأرض ميتا ، وقد فارق الدنيا بلاضربة ولاطعنة ولارمية ولا أثر ، وفرسه واقف بناحية يعلك لجامه ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، إلا أن الناس ظنوا ظنا وهو أن القربوس ضرب صدر هذا الذى قد رُز[ئَ] من قدر . فلما رأى ذلك أصحابه سُقِط فى أيديهم وطلبوا حظ أنفسهم ، فبادر مبادر منهم بالبشرى إلى ابن أبى عامر ، فلم يصدِّق حتى وافى مواف بخاتمه ، ووافاه آخر بيده ، ووافاه آخر برأسه ، ووقعت الهزيمة على النصارى ، وكان غالب قد استمد ملوكهم فقُتلوا أشنع قتل ، وقُتِل فى جملتهم رذمير بن شانجة ملك البشاكس المعروف براى قرجه[١] ، وسلخ جلد غالب وحُشِى قطنا وصُلب على باب القصر بقرطبة ، وصلب

[٢٦ و] رأسه على باب الزاهرة . قال أبو [محمد] : فأنا أذكرته بها إلى أن هبط / يوم هَدْم الزاهرة ، وكانت هذه الحرب التى هلك فيها غالب سنة إحدى وسبعين .

ومن غرائب الدهر :

أن زاوى بن زيرى رئيس البرابر كان فى الدنيا أزيدُ من ألف امرأة لاتحل له منهن واحدة ، كلهن من نسل إخوته ، وكذلك مثل هذا العدد من الرجال .

---

(١) هكذا فى أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب نشر بروفنسال ص ٧٢ وفى الأصل قريب .

من نسل إخوته. اجتمع في عصر واحد: الفضل بن جعفر بن العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن على وعبد الصمد بن على. اجتمع أيضاً في عصر واحد عبد الرحمن بن الزبير بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن محمد وسليمان بن محمد. ومن مليح ما ذكره أصحاب الخبر في هذا الباب قالوا: سلم على الرشيد بالخلافة يوم بيعته سليمان بن المنصور وعمر بن [أبي] العباس ابن محمد وعم جده عبد الصمد بن على. واتفق مثل هذا بعينه يوم بيعة نزار ابن معد بمصر، سلم عليه بالخلافة عمه حيدرة بن المنصور وعم أبيه أبو الفرات ابن القائم بأمر الله وعم جده أبو على بن المهدى بالله، فهذا هذا. وممن توافر أهله يوم بيعته جعفر المتوكل على الله سلم عليه بالخلافة ثمانية من أولاد الخلفاء: محمد بن الواثق، وأحمد بن المعتصم، وموسى بن المأمون وعبد الله بن الأمين وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن الهادى، / ومنصور بن المهدى وثامنهم [٢٦ ظ] محمد بن المتوكل ابنه، وفي الباب زيادة. بايع عمرو بن الأمير عبد الرحمن ابن الحكم عبدَ الرحمن الناصر وهو عم جده. وبايع منصور بن المهدى المعتز بالله وقبّل يده.

أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها:

ظهر رجل حصرى بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد، وادّعى أنه هو، فبويع له، وخُطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى وسفكت الدماء، وتصادمت الجيوش في أمره.

فضيحة لم يقع في العالم إلى [...] مثلها:

أربعة رجال في مسافة ثلاثة [...] كلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين، ويُخْطَبُ لهم بها في زمن واحد: خلف الحصرى بإشبيلية على أنه

هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن إدريس بن على بن حمود بمالقة ، وإدريس بن يحيى بن على بن حمود ببُبَشْتر .

امرأة قعدت للظالم : ثمل القهرمانة أيام المقتدر وحضر مجلسها القضاة والفقهاء .

الأسماء التى تَصلح للخلفاء ولم تستعمل بعد :

[٢٧ و] المعول على الله ، المؤمل لله ، الراغب إلى الله / الساعى لله ، المحيى لدين الله ، الفاضل بالله ، المستجيش بالله ، المؤثر للحق فى الله ، المرتقب فى الله ، المراقب لله المستعد بالله ، المتأيد بالله ، المسترشد بالله ، المسدَّد بالله ، السديد ، الشديد فى الله ، المستهدى ، المستعصم بالله ، القاصد للحق ، السامى بالله ، المستعلى بالله ، المنان بالله ، الكافى فى الله ، المظهر لدين الله ، الحامى فى الله ، المجتبى فى الله ، الراجى لله ، المرتجى لله ، المتقى بالله ، المكتفى بالله ، الرضىّ لأمر الله ، المسلم لله ، المستسلم لله ، المؤتمر لله ، المحامى فى الله ، المرشد إلى الله ، الحافظ لدين الله ، المحافظ فى الله ، المحفوظ بالله ، الفائز بالله ، العائذ بالله ، المستعيذ بالله ، اللائذ بالله ، الصادع بالحق ، المسند إلى الله ، الذاب عن دين الله ، المخلص لله ، الخالص لله ، المخلَّص لله ، المصفَّى لله ، الصافى لله ، الصفىّ لله ، المعتنى بأمر الله ، المنتَفَى لدين الله ، / المستولى بالله ، المتولى لأمر الله ، المُفْتتح بالله ، [٢٧ ظ] الفاتح بالله ، المستفتح بالله ، المتبع لأمر الله ، الآمر بأمر الله ، القاصد إلى الله ، الموفى بأمر الله ، المعلى لدين الله ، المرتقى بالله ، الراقى بالله ، المجتهد لله ، المدرك بالله ، الناجى بالله ، الساعى لله ، المتعاق بالله ، الناشر لدين الله ، السائق بأمر الله ، المقوى لأمر الله ، المقتدى بأمر الله ، الطيب بالله ، الطاهر لله ، الزاكى بالله ، المستعدى بالله ، المبتهل بأمر الله ، المستفيد لله ،

المختار لدين الله ، المحتسب لله ، القاضي بأمر الله ، المعتضد لله ، المستمد بالله ، المتضلع بأمر الله ، المتقدم بالله .

أول من سمي بالأذواء :

المأمون سمى الفضل بن سهل ذا الرياستين ثم تسمى بهذا الاسم منذر ابن يحيى . وسمى المأمون هرثمة ذا الحكمين ، وسمى على بن سعيد ذا القلمين وسمى طاهر بن الحسين ذا اليمينين . وسُمّي عندنا بالأندلس عبد العزيز ابن أبي عامر ذا السابقتين وإبراهيم بن الطيب ذا المجلسين . / وَرذُلَ الأمر [٢٨ و] بالمشرق الآن وكَثُرَ ، حتى كادت الأسماء تعدم ، وتسمّى بها كل من لا وجه للاشتغال بذكره .

وأول من تسمى باسم مضاف إلى الدولة :

الوزير القاسم بن عبيد الله ، سُمِّي وليّ الدولة أيام المكتفي ، ثم سمى ابنه المقتول على الزندقة الحسن بن القاسم المعروف بأبي الحمد أيام وزارته للمقتدر عميد الدولة . فلما ولى المتقي سمى الإخوة الثلاثة الديالمة وهم على والحسن وأحمد : عليا عماد الدولة والحسن ركن الدولة وأحمد معز الدولة ، ثم سَمّى الحسن ابن عبد الله أبا الهيجاء بن حمدان ناصر الدولة وأخاه عليا سيف الدولة . ثم كان بعد ذلك فناخسرو عضد الدولة وبويه أخوه مؤيد الدولة وعلى أخوه فخر الدولة ، وبختيار عز الدولة بن معز الدولة وإبراهيم أخوه عدة الدولة والمرزبان إعزاز الدولة بن بختيار ، وشمس الدولة ومجد الدولة ابنا فخر الدولة ، والمرزبان صمصام الدولة بن فناخسرو ، وأبو الفوارس شيرزيل[1] شرف الدولة ، وأبو نصر خسرو فيروز[2] أخوه بهاء الدولة وغياث

(١) ... في ابن الأثير وفي الأصل : شير ديلم . (٢) في النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ٤ / ٢٣٢ : وقيل اسمه خاشاد .

[٢٨ ظ] الأمة / وسيف الملة . وقابوس بن وشمكير صاحب طبرستان شمس المعالى ومولى الموالى وزين الأيام والليالى ، ومحمود بن سبكتكين نصير الدولة وأبو تغلب عمدة الدولة وعمران معين الدولة صاحب البطائح . قال أبو محمد : عمران هذا ، كان نبطيا يدعى أنه عربى سُلَمِى ، وكان لعنه الله رافضيا غاليا ، ولى البطائح ، وهى قرى فى نجدات بين البصرة وبغداد ، اثنتين وأربعين سنة ، وعطلت المساجد فى أيامه لشدة كفره . والناصح محمد بن بقية وزير بختيار بن أحمد بن بويه . وبلتين بن زيرى ظهير الدولة . وسعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان . والمظفر مؤنس وهو أول من تسمى بهذا الاسم ثم توزون التركى أبو الوفا ، ثم عبد الملك بن أبى عامر . ثم انحرف الأمر واتسع ، ثم رذل الإمر بالمشرق والمغرب جدا ، حتى تسمى هذه الأسماء السماسرةُ ورذالاتُ الناس ليُرِى الله عز وجل عباده هَوَانَ ما تنافسوا عليه ، وغالوا به . وصحَّ قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حقيقا على الله أن لا يرفع الناس شيئا إلا وضعه الله أو كلاما هذا معناه .

[٢٩ و] / واستبان أن الحقيقة هى العمل لله عز وجل والعدل فى البلاد والعمل بمكارم الأخلاق وحَمْل الناس على الكتاب والسنة . فذلك الذى لا يقدر عليه سخيف ، ولا يطيقه ضعيف . وبهذا يتبين فضل القوى على الساقط المهين ، لا بأسماء يقدر على التسمى بها كل خسيس واهن ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولقد كانت دولة عبد الملك وسليمان والوليد وعمر وهشام لا عضد لها ولا عماد ولا لقب إلا أسماؤهم ، وكانت قد طبّقت الدنيا طاعة واستقامة ، والدولة الآن أكثر ما كانت أعضاداً وعمدا وقد طبّقت الدنيا ضعفا ومهانة والله المستعان .

من مات من الخلفاء مقتولا وأنواع قتلهم :

عمر رضى الله عنه طعن بخنجر . عثمان رضى الله عنه قُتِل بالسيف . علي رضى الله عنه قتل بالسيف . عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قتل بالسيف وصلب منكسا . مروان قيل غمته امرأته أم خالد بمخدة . عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه ، قيل إنه سُمَّ . الوليد بن يزيد قتل بالسيف

[٢٩ ظ / إبراهيم بن الوليد مات غرقا . مروان بن محمد قتل بالسيف . السفاح قيل : سمَّه المنصور ، وقيل مات بالجدرى . المهدى أرادت إحدى حظيتيه طلَّة وحسنة أن تسم الأخرى فى حلواء ، فأكلها هو فمات ، فكانت تقول فى بكائها إياه : أردتُ الانفراد بك فأوحشتُ نفسى منك أو كلاما نحو هذا . الهادى دفع جليسا له من جرْف على أصول قصب فارسى قد قطع ، فتعلق الجليس به فوقعا جميعا ودخلت فى مخرجه ، فمات منها . الرشيد أخطأ عليه الطبيب جبريل فى العلاج من دُبَيْلة كانت به فكانت سبب منيته . الأمين قتل بالسيف . المتوكل قتل بالسيف . المنتصر قيل سمَّ فى كمثرى ، وقيل فى مبضع فصد به ، وقيل رمى الزئبق فى أذنه وهو يقتل العلة . المستعين قتل بالسيف . المعتز أدخل فى حمام وأغلق عليه حتى مات . والعجب أن ابنه رُمى به فى صهريج ماء فى شدة البرد فمات فيه . المهتدى قتل بخنجر . المعتمد قيل سُمَّ ، وقيل رمى فى حلقه رصاص مذاب ، وقيل : ملئت له حفيرة

[٣٠ و من ريش ومشى عليها فسقط فيها فمات غما . / المقتدر قتل بالسيف . المنذر قيل سمه أخوه فى مبضع فصد به . هشام المؤيد قتل خنقا . المهدى قتل بالسيف . سليمان الظافر قتل بالسيف . المستظهر قتل بالسيف . على بن حمود قتل بالخـ . .

لم يل الخلافة فى الصدر الأول من أمه أم ولد : حاشا يزيد وإبراهيم ابنى الوليد . ولاوليها من بنى العباس من أمه حرة حاشا السفاح والمهدى والأمين . ولا وليها بالأندلس من بنى أمية من أمه حرة أصلا .
وأبو على والقاسم ويحيى بنو حرة .

خليفة استجدى بعد الخلافة : القاهر فى خلافة المطيع ابن أخيه .
وقد قيل إن المستكفى خاطب برقعة مستجديا ، وقيل ذلك عن المتقى ولم يصح .
نعوذ بالله من البلاء .

وممن استجدى قبل الخلافة : على بن حمود وقد أخبرنى الكاتب الشيخ الحسن [بن] عبد العزيز [بن] بقى أنه رآه يستجدى عبد العزيز بن المنذر ابن الناصر ، ثم ولى الخلافة وأزال دولة بنى أمية / وأبو جعفر المنصور [٣٠ ظ] استجدى الأمراء فقط قبل خلافته ، وكان فى شُرَط خالد بن عبد الله القسرى بثمان وستين درهما فى الشهر ، وولى بعض المحال بالأهواز لسليمان بن حبيب ابن المهلب .

من جُلد قبل الخلافة :

أبو جعفر المنصور ضربه سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، لأنه استعمله على بعض كور فارس ، فاحتجن المال لنفسه ، فضربه سليمان بالسياط ضربا شديداً وأغرمه المال ، فلما ولى الخلافة ضرب عنقه .
وكان المنصور يقول : ثلاث كنّ فى صدرى شفى الله منها : كتاب أبى مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من السوء ، ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية ، وضَرب سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط . المأمون جلده أبوه .

الرشيد الحد فى الزنا بعض حُرَمه ، وفى ذلك يقول الشاعر مادحا لأخيه الأمين ومعرِّضا بالمأمون :

لم تَلِدْهُ أَمَةٌ تَعـــرِفُ فى السُوقِ التِّجَارا
لا ولا خانَ ولا حُـــدَّ ولا فى الحُكْمِ جارا

ومن الغرائب :

أن موسى بن محمد بن حديد كان من أخصِّ الناس بالمطرف بن الأمير عبد الله ، والمطرف / هذا هو قاتل أخيه محمد بن الأمير عبد الله ، ثم لما صارت [٣١ و] الخلافة إلى عبد الله بن محمد المقتول المذكور كان موسى بن محمد بن حديد من أخصِّ الناس به وولاه حجابته وأموره كلها بيده حياةَ موسى . وقد شاهدنا مثل ذلك وهو أن محمد بن سعيد التاكُرُنى كان أحد القائمين مع محمد ابن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر ، ومن الشاهدين لقتل عبد الرحمن وصلبه والساعين فى القيام عليه ، ثم لما ولى عبد العزيز ابن عبد الرحمن المذكور بلنسية كان محمد بن سعيد المذكور أخصَّ الناس به ومتولى تدبير أموره إلى أن مات .

آخر كتاب نقط العروس
والحمد لله والصلاة على
سيدنا محمد النبى
وآله وسلم

تحف جديدة

من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى

للدكتور زكى محمد حسن بك

كانت الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى أعظم ما تجلت فيه عبقرية الفنانين المسلمين فى صناعة الخزف ، فقد استطاع هؤلاء الفنانين — فيما بين القرنين الثالث والحادى عشر بعد الهجرة (٩ — ١٧م) أن يكسبوا الخزف بريقا معدنياً تنوعت درجات ألوانه من الأصفر الليمونى الشاحب والأصفر الضارب للخضرة إلى اللون الأحمر النحاسى .

وانتشر هذا النوع من الخزف فى أنحاء العالم الاسلامى من إيران إلى الأندلس . وقد فسر بعض مؤرخى الفنون إقبال المسلمين على هذا الخزف بأنهم اتخذوه عوضاً عن الأوانى الذهبية والفضية التى كان الفقهاء فى الاسلام يكرهون استعمالها لما فيه من ترف وإسراف .

ولسنا نريد أن نعرض هنا لما بين مؤرخى الفنون من خلاف فى تحديد الموطن الأول لصناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى ديار الاسلام[1]. وحسبنا أن نذكر أن أقدم ما نعرفه من الخزف ذى البريق المعدنى فى مصر إنما يرجع إلى بداية العصر العباسى الثانى ، وإن كان من الصعب أن نحدد تماما التاريخ الذى بدأت فيه هذه الصناعة بمصر . وذلك أن أقدم الخزف ذى البريق المعدنى فى وادى النيل لا يختلف كثيراً عن الخزف ذى البريق المعدنى الذى عثر عليه فى سامرا وفى الرى وفى السوس وفى قلعة بنى حماد وفى مدينة الزهراء . بل إننا فى كثير من الأحيان لا نستطيع التمييز بين المنتجات العباسية بعراقية

(١) راجع زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٥٩ — ٢٦٠

والمنتجات العباسية المصرية فى هذا الميدان ، إلا بما بينهما من خلاف فى « العجينة » . فبينا الطين الخزفى العراقى منخول نخلا جيدا وشديد التلاحك والاندماج وأحمر وردى أو مائل إلى الصفرة ، نرى الطين الخزفى المصرى رمليا وأقل تلاحكا ونعومة . ومهما يكن من الأمر فان الخزف ذا البريق المعدنى الذى عثر عليه فى مصر من بينه خزف مستورد من العراق كما أن من بينه خزفا صنع فى مصر ولكنه متأثر فى أساليبه الصناعية والزخرفية بالخزف العراقى أشد التأثير[1] .

والمعروف أن الخزف ذا البريق المعدنى الذى وجد فى سامرا والمدائن لا يضم فى زخارفه رسوما آدمية وحيوانية ، وإنما نرى هذه الرسوم فيما عثر عليه فى مصر وإيران .

وقد تطورت صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى مصر تطوراً طبيعياً حتى بلغت أوج ارتفاعها فى العصر الفاطمى . والغريب أن هذه الصناعة أفل نجمها فى العراق منذ القرن الرابع الهجرى (١٠م) وحدث أن بدأ تطورها فى سبيل الازدهار بمصر وإيران منذ ذلك التاريخ ، حتى تساءل بعض مؤرخى الفنون عما إذا كان لهذا الاضمحلال من ناحية والازدهار من ناحية أخرى صلة بهجرة فنانين من الخزفيين العراقيين إلى مصر وإيران . ولاحظ بعضهم أن أوجه الشبه كبيرة بين المنتجات الخزفية المصرية فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة (١٠ و ١١م) وبين المنتجات العراقية فى الخزف ذى البريق المعدنى . وفى اعتقادنا أن تفسير هذه الظاهرة لا يتطلب نسبتها إلى هجرة الفنانين ، وإنما الصحيح أن أوجه الشبه طبيعية لأن الخزف الفاطمى كان فى أساليبه الصناعية والزخرفية تطوراً طبيعياً للخزف العباسى الذى كان الشبه كبيراً بين منتجاته فى العراق ومصر وإيران .

والذى يعنينا هنا أن الخزف الفاطمى ذا البريق المعدنى قد وجدت منه كميات هائلة فى حفائر الفسطاط ، نقل بعضها إلى دار الآثار العربية وتسرب

---

(١) راجع زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ١٠١ — ١٠٨

القليل إلى تجار العاديات ومنهم إلى متاحف أوربا ، ولكن أكثره لايزال محفوظا فى المخازن التى أعدتها دار الآثار لهذا الغرض فى مدينة الفسطاط نفسها .
ولا ريب فى أن هذه الكميات الهائلة تزيد عن المعروف من الخزف الايرانى ذى البريق المعدنى . ومع ذلك فان الخزف الأخير ممثل أحسن تمثيل فى متاحف العالم المختلفة ، بينما التحف الفاطمية من الخزف ذى البريق المعدنى فى تلك المتاحف كانت لاتزال قليلة إلى السنوات الأخيرة . ويرجع ذلك إلى أمور ، أهمها طبيعة الحفائر فى إيران ومصر ، فقد أتيح لايران أن تفيد من عدد من الحفائر المنظمة وساعدت على ذلك طبيعة مواقعها الأثرية ، فكان يعثر فى معظم الأحيان على التحف الخزفية سليمة إلى حد كبير أو يعثر عليها مكسورة قطعا يمكن جمعها ولصقها وإصلاح التحفة لتبدو كاملة كما كانت .

وفضلا عن ذلك فقد حدث كثيراً أن كانت التحف الخزفية الثمينة فى إيران تدفن فى أزيار ضخمة كأنها تخبأ عمداً ، وظلت محفوظة سليمة كاملة حتى كشفت عنها بعض أعمال الحفر الحديثة (١) .

أما فى مصر فان طبيعة تلال الفسطاط جعل من العسير على دار الآثار العربية أن تقوم فيها بحفائر علمية منظمة ، إذ أن هذه التلال لا تمثل طبقات متتالية خلفها العمران وإنما الحقيقة أنها أكوام من مخلفات مدينة القاهرة فى العصور الوسطى ألقيت فيها ، بعد خراب مدينة الفسطاط ، وتراكمت فى غير نظام أو تتابع ، وقد نجد فى أسفل طبقات بعض التلال تحفا أحدث عهدا من تحف فى أعلى الطبقات فى تلال مجاورة (٢) . وفضلا عن ذلك فان التحف التى يعثر عليها تكاد تكون كلها مكسورة ونكاد لا نوفق إلى العثور على أجزائها كلها ليمكن لصقها وإصلاحها .

ومما يؤسف له أن مصر لم تظفر بطائفة من العلماء والهواة وتجار العاديات تنفق الوقت والمال فى جمع أجزاء التحف المكسورة ولصقها والتأليف بينها للوصول إلى إصلاح التحف واعطائها المظهر الكامل .

---

(١) أنظر Mehdi Bahrami: Gurgan Faïences p. 16
(٢) أنظر على بك بهجت والبير جبرييل : كتاب حفريات الفسطاط ص ٤ — ٥

وهكذا ظلت التحف المصرية الكاملة من الخزف المصرى نادرة جداً فى المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة . وكان زوار دار الآثار العربية فى القاهرة لا يرون من آثار صناعة الخزف فى مصر إلا بضع مئات من أجزاء صغيرة من الأوانى الخزفية رتبها أولو الأمر فى الدار بحسب أساليبها الصناعية أو عناصرها الزخرفية . وكانت هذه الأجزاء عظيمة الشأن للاختصاصيين الذين ينشدون البحث والدراسة ، ولكنها كانت أبعد الأشياء عن الدلالة — لغير الاختصاصيين — على ما وصلت اليه صناعة الخزف من إتقان وازدهار على يد المسلمين .

ومن حسن الحظ أن عناية التجار والهواة بالتحف الخزفية الفاطمية زادت فى السنين الأخيرة زيادة ملحوظة وأن حفائر الفسطاط كشفت عن عدد كبير من القطع الخزفية ذات البريق المعدنى أمكن أن تؤلف منها تحف كاملة واستطاعت دار الآثار العربية أن تعرض منها نخبة طيبة ، كما وفق أصحاب المجموعات الفنية فى مصر والخارج إلى اقتناء بعضها .

والمعروف أن أشكال الأوانى الخزفية بمصر فى العصر الفاطمى كانت أقل تنوعاً من أشكال الأوانى المعاصرة لها فى إيران . ولكننا نستطيع أن نقرر فى ثقة واطمئنان أن الخزف الفاطمى ذا البريق المعدنى امتاز فى كثير من النواحى على الخزف الايرانى الذى كان يعاصره . وكان هذا الامتياز واضحاً فى رسوم الكائنات الحية وفى اتقان الزخارف النباتية والكتابية . وقد وصل الخزفيون الفاطميون فى دقة التعبير فى الرسوم الآدمية إلى حد قد يبعث على الظن بأنهم تأثروا فى بعض الأحيان برسوم هلينستية أو بيزنطية[1]، وهى الرسوم التى قامت — كما نعرف — على الأسس الاغريقية التى تحترم الطبيعة وتتقن تمثيلها وتصل إلى تصوير المشاعر والأحاسيس المختلفة والتعبير عنها ، فضلا عن إدراكها لتفاصيل التشريح فى أجسام الكائنات الحية .

---

(١) أنظر Aly Bahgat et F. Massoul : La Céramique Musulmane de l'Egypte pls. 24 et 32 وزكى محمد حسن : فى الفنون الاسلامية ص ٣٠ شكل ٩ وأحمد تيمور باشا وزكى محمد حسن : التصوير عند العرب ص ١٦٢ (شكل ٤) .

وقد وصلت الينا امضاءات طائفة من الخزفيين الفاطميين على تحف من الخزف ذى البريق المعدنى ، وعلى رأسهم سعد ومسلم وابراهيم المصرى وطبيب على وأبو الفرج وسامى والدهان وابن نظيف ويوسف ولطفى الحسينى ، ولكنا لم نعثر فى المراجع التاريخية على ما يكشف عن شىء من سيرة أولئك الفنانين [1]. ومهما يكن من شىء فان مسلما وسعدا كان لهما نشاط ملحوظ واشتغل باشرافهما ونسج على منوالهما عدد كبير من الخزفيين ، فكان لكل منهما مدرسة فى صناعة الخزف لها ذاتيتها ومميزاتها . والراجح أن مسلما عاش فى بداية العصر الفاطمى ، فان منتجاته أشد شبها وتأثراً بمنتجات العصر الطولونى وعليها طابع البساطة والقوة والحرية فى الزخرفة . أما سعد ففى طرازه شىء من الرقة والرشاقة والتناسق ، والراجح أنه عاش بعد مسلم بقليل . ومع ذلك فاننا لانستطيع أن نجزم بشىء فى هذا الشأن . والواقع أن من الصعب أن نصل الى ترتيب تاريخى لأنواع التحف الخزفية ذات البريق المعدنى فى العصر الفاطمى . ولافائدة فى هذا الميدان من تلمس أوجه الشبه بين المنتجات الفاطمية فى الخزف ومنتجاتهم فى سائر الفنون كالنسج والحفر فى الخشب . فاننا لانكاد نخرج من مثل هذه الموازنة بنتائج علمية دقيقة .

ومما يؤسف له أن الذى وصل الينا من التحف الخزفية الفاطمية ليس من بينه ما يمكن تأريخه على وجه التحقيق ، اللهم إلا أجزاء من إناء كبير عليها كتابة بالخط الكوفى باسم الخليفة الحاكم بأمر الله [2] (٣٦٦ — ٤١١ هـ و ٩٩٦ — ١٠٢٠ م)

والتحف الجديدة التى ننشرها فى هذا المقال غنية بدلالتها على ما وصل إليه الخزفيون الفاطميون من إتقان فى الصناعة وإبداع فى الزخرفة وتوفيق فى الذوق والتعبير الفنى . وقد أصبحت دار الآثار العربية فى القاهرة بفضل هذه التحف أغنى متاحف العالم بالخزف الفاطمى . وإذا كنا لا نستطيع

(١) أنظر زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٦٧٣ — ٦٧٤

(٢) راجع G. Wiet : Deux Piecès de Çéramique Egyptienne (Ars Islamica vol. III part 2 page 179, fig. 4).

أن نرتبها ترتيباً تاريخياً فلا بأس من أن نؤلف منها مجموعات بحسب رسومها ليسهل أن نتحدث عنها الواحدة بعد الأخرى .

أما المجموعة الأولى فذات الرسوم الآدمية . وليس غريبا أن تكثر الرسوم الآدمية على الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ، فقد عرف الطراز الفاطمى عامة بشدة إقباله على رسوم الكائنات الحية ، كما يبدو ذلك واضحاً مما جاء فى المراجع التاريخية والأدبية [١] . ومن زخارف التحف الخشبية التى وصلت إلينا من العصر الفاطمى [٢] .

ففى الشكل رقم ١ صورة سلطانية من الخزف ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٥٥٠١) عليها رسم شخص جالس القرفصاء يمسك بيده اليمنى كأساً وفى يده اليسرى فرع نباتى ، وأراد الفنان أن يملأ الفراغ فزاد رسوم بضعة فروع نباتية أخرى ورسم إبريقاً على يمين الشخص الجالس [٣] . والملاحظ فى رسوم هذه السلطانية أن الرأس يبدو صغيراً بالنسبة لباقى الجسم وأن زخارف الملابس قوامها مناطق بيضاء شبه مستديرة أو بيضية وتتوسطها نقط سوداء مما ألفناه فى زخارف الخزف العباسى ذى البريق المعدنى . ويبدو من الوجه ثلاثة أرباعه ، أما الجسم فمرسوم من الأمام . والزخرفة فى مجموعها شديدة الشبه بزخرفة جزء من صحن خزفى ذى بريق معدنى محفوظ الآن فى دار الآثار العربية أيضاً ، وقد سبق أن نشرناه فى كتابنا « كنوز الفاطميين » (اللوحة رقم ٣٢) . وفضلا عن ذلك فانها تشبه الرسوم التى وجدت منقوشة على الجص فى أطلال الحمام الفاطمى الذى كشفته حفائر دار الآثار العربية فى منطقة أبى السعود جنوب شرقى القاهرة [٤] . والمعروف أن هذه الرسوم نقلت إلى دار الآثار

(١) راجع زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٩٠ — ٩٥

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٨ وما بعدها .

(٣) أنظر صورة إناء إيرانى فيه رسم إبريق لملء الفراغ فى الزخرفة وكان محفوظاً فى مجموعة كلكيان The Kelekian Collection of Persian and Analogous Potteries pl. 12.

(٤) أنظر زكى محمد حسن : التصوير فى الاسلام ص ٢١ واللوحة رقم ١

العربية وقد عرضت حديثاً فى قاعة الطراز الفاطمى . ومما يستحق الذكر أن زخرفة السلطانية التى نحن بصددها تذكر بزخارف سلطانيات أخرى من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى وجدت مثبتة فى الجدران الخارجية لبعض كنائس إيطاليا وفى دار المحافظة (hotel de ville) بمدينة سانت انطونان (Saint Antonin) من أعمال جنوب فرنسا . وترجع هذه الدار إلى القرن الثانى عشر الميلادى [١] . والراجح أن هذه السلطانيات قد نقلت إلى أوربا على يد الصليبيين أو الحجاج المسيحيين الذين حصلوا عليها فى الشام أو مصر . ولم يكن الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى نادراً بالشام فى ذلك الحين ، فقد كان ينقل إليها من مصر ، كما كان الخزفيون ينتجونه فيها متأثرين بالأساليب الصناعية والزخرفية السائدة فى مصر [٢] .

وفى الشكل رقم ٢ صورة صحن من الخزف ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٧) عليه رسم فارس على جواد وفوق يده اليسرى طائر من الطيور الجارحة التى تستخدم فى الصيد[٣]. وليس هذا الرسم غريباً فى الفن الفاطمى فاننا نراه مكرراً فى حجاب الهيكل الخشبي الذى نقل من كنيسة الست بربارة إلى المتحف القبطى بمصر القديمة[٤]، ونراه فى التحف الخشبية الفاطمية التى عثر عليها فى مارستان قلاوون والمحفوظة الآن بدار الآثار العربية[٥] . كما أن رسوم الصيد بالباز معروفة فى التصوير الإسلامى ، ولا سيما فى المدرسة الهندية المغولية [٦] . وقد انتشرت هذه الرسوم من الفن

---

(١) A. Lane: Early Islamic Pottery p. 22 and plate 27 A.

(٢) عثر فى مدينة المعرة بالشام على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى عليه رسم أرنب وهو محفوظ الآن فى متحف اللوفر بباريس .
أنظر G. Migeon: Manuel d'art Musulman vol. 2 page 187, fig. 336

(٣) أنظر Zaky M. Hassan: Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages, pl. 3

(٤) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٢٠٤ و ٢٠٥ و E. Pauty: Bois Sculptés d'Eglises Coptes. pls. 2-3..

(٥) أنظر E. Pauty: Les Bois Sculptes jusqu'à [illegible] que Ayyoubide pl. 56.

(٦) L. Mercier: La Chasse et les S[illegible] chez les Arabes p. 96 et fig.4

الفاطمى إلى الفنون التى تأثرت به أو كانت ذيلا له كما يتبين من الرسوم المماثلة التى نراها فى سقف الكابلا بالاتينا بمدينة بلرمو [1] وهى التى أمر بها الملك النورمندى رجار (روجر) الثانى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى [2] والتى يبدو من طرازها ووجود بعض الكلمات العربية فى صورها ومن الكلمات العربية الدعائية التى اتخذت إطارا لبعض المناطق الزخرفية فيها أن الذين رسموها كانوا متأثرين بالأساليب الفنية الفاطمية ، على الرغم من أن نفوذ الفاطميين السياسى كان قد زال عن صقلية منذ مدة [3] .

وقد وصل إلينا رسم الفارس حاملا الباز فى يده على تحف خزفية مملوكية [4] وعلى تحف أخرى من الخزف الايرانى [5] .

وفى الشكلين رقمى ٣ و ٤ صورتا صحنين من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٣ و ١٤٩٣٥) على كل منها رسم شخص جالس يعزف على عود وحوله رسوم فروع ووريقات نباتية ودوائر فى وسطها نقط داكنة . وهى الزخارف التى ألفناها رئيسية فى الخزف العباسى ذى البريق المعدنى وألفنا وجودها لملء الفراغ حول الرسوم الرئيسية فى الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى . ورسم العازف على العود أو ما إليه من الآلات الموسيقية انتشر انتشاراً كبيراً فى العالم الاسلامى فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة [6] (٩ – ١٢ م) ، وقد عرفناه مكرراً فى نقوش الألواح الخشبية الفاطمية التى عثر عليها بضريح السلطان الناصر

---

(١) أنظر Ugo Monneret de Villard : Le Pitture Musulmane al Soffito della Capella Palatina in Palermo p. 40 fig 247-248

(٢) راجع زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٦٨ و ٤٥٠

(٣) وازن بين الشكل رقم ١ فى هذا المقال والشكل رقم ٢٢٩ فى كتاب الأستاذ مونريه دى فيلار عن نقوش الكابلا بالاتينا .

(٤) أنظر Aly Bahgat et Massoul : La Céramique Musulmane de l'Egypte pl. 51

(٥) أنظر M. Riefstahl : The Parish—Watson Collection of Mohammadan Art, fig 5?, 42, 58.

(٦) أنظر زكى محمد حسن : الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ، شكل ٧٩ و A Survey of Persian Art. vol. v pl. 633

محمد بن قلاوون وبمارستان قلاوون والمحفوظة الآن بدار الآثار العربية بالقاهرة[1]، كما نراه أيضاً في نقوش سقف الكابلا بالاتينا[2] .

وفي الشكل رقم ٥ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٨) عليه رسم سيدة جالسة القرفصاء وعلى رأسها شبه تاج وقد انحدرت ضفيرتاها على كتفيها وفي يدها كأسان ، وحول هذا الرسم الزخرفة العباسية المألوفة على الخزف ذي البريق المعدني . وقوامها الدوائر البيضاء التي تتوسطها نقط داكنة . ومما يلفت النظر في رسوم هذا الصحن أن زخارف الرداء الذي ترتديه السيدة تتألف من بضعة فروع نباتية تضم بينها نحو عشر وريقات ومراوح نخيلية كبيرة مما امتاز به الطراز الفاطمي . ويندر أن نرى في الزخارف الاسلامية رسم شخص يمسك بكل يد كأساً . ومن الأمثلة القليلة التي نعرفها من هذه الزخرفة رسم آخر في سقف الكابلا بالاتينا[3] . ومما تمتاز به رسوم الصحن الذي نحن بصدده أن حافته مزينة بسلسلة من قطاعات صغيرة من دوائر ، على النحو المألوف في الأواني المصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة[4] . كما أن على هذا الصحن إمضاء الصانع جعفر ولكننا لا نعرف من سيرته شيئاً .

وفي الشكل رقم ٦ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥١٦) عليه رسم رجلين متواجهين ويرقصان رقصاً لا نتبين نوعه . ولكنه على كل حال ليس الرقص الذي ألفناه على التحف الفاطمية الخشبية والعاجية[5] وإنما هو أشبه شيء برقص

(١) راجع زكي محمد حسن . كنوز الفاطميين ص ٢٠٩ — ٣١٤ واللوحات ٤٤ و ٤٦ و ٤٧

(٢) راجع Ugo Monneret de Villard : op. cit. fig 200-206, 238. 240

(٣) U. Monneret de Villard: op. cit. fig. 199.

(٤) R. Kœchlin und G. Migeon: Islamische Kunstwerke, Tafel 1. 6. 8, 18

(٥) Georges Marçais: Les Figures d'Hommes et de Bêtes dans les Bois Sculptés d'Epoque Fatimite Conservés au Musée Arabe du Caire (Mémoire de l'Institut Français. t. 68 Mélanges Maspero. Vol. 3) pp 249-252.

حربي قوامه المبارزة بالعصى (١) . والملاحظ أن كلا الشخصين يبدو عارى الرأس وإن أحدهما قد رسم رسما جانبياً بينما يبدو الآخر في وضعة ثلاثية الأرباع أما الفراغ في زخرفة هذا الصحن فمشغول برسوم فروع نباتية ومراوح نخيلية . ومما يستحق الذكر أن في دار الآثار العربية بالقاهرة جزءا من إناء من الخزف ذى البريق المعدنى صوّره على بك بهجت وماسول في كتابهما عن الخزف الاسلامى في مصر (اللوحة ٢٤ رقم٣) ويحتمل من تصور زخرفته كاملة أنها كانت تتألف من رسوم رجال يرقصون .

وفي الشكل رقم ٧ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٨٨) قوام زخرفته رسم طائر ذى رأس آدمى على مهاد من الوريقات النباتية والرسوم العباسية المؤلفة من الدوائر البيضاء تتوسطها نقط سوداء ، فضلا عن أن حافة الصحن مزينة بستة قطاعات من دوائر . ورسوم الطيور بالرؤوس الآدمية (harpie) معروفة على تحف أخرى فاطمية الطراز ، فنراها على آنية خزفية أخرى (٢) ، ونراها على قطعة من النسيج الفاطمى محفوظة في متحف بناكى بمدينة أثينا (٣) وعلى التحف الخشبية التى عثر عليها في مارستان قلاوون والمحفوظة بدار الآثار العربية (٤) ، كما نراها بين الرسوم المنقوشة في سقف الكابلا بالاتينا في بلرمو (٥) . ونراها على خزف مصرى من عصر المماليك ذى زخارف مرسومة تحت الدهان (٦) ، وفضلا عن ذلك فهى معروفة في طرز أخرى من الطرز الفنية الاسلامية (٧) .

---

(١) L. Mercier: La Chasse et les Sports chez les Arabes pp 163-165

(٢) أنظر Aly Bahgat و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Mulsulmane, pl 3:
A. J. Butler: Islamic Pottery pl. 36 و et F. Massoul: op. cit. pl. XI.

(٣) The. Macridy: Le Musée Benaki d'Athènes (dans Mouseion, XI. 1937) p. 147

(٤) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، اللوحة ٤٥

(٥) A. Monneret de Villard: op. cit. p 44. figs. 241- 244

(٦) Aly Bahgat et و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pl. 122
Massoul: op. cit. pl. 38.

(٧) F. Sarre: Seldschukische Kleinkunst pp 15. 17 figs. 18. 21; J. Strzygowski & van Berchem: Amida p 99: A. Gabriel. Monuments Turcs d'Anatolie. I. p. 147 fig. 100 et pl. L; Mehdi Bahrami: op. cit. p. 103 fig. 22: Hobson: Islamic Pottery of the Near East plates 5, 14; Armenag Sakisian: Thèmes et Motifs d'Enluminures (Ars Islamica. vol. VI, part I) p. 82 fig. 27.28.

وفى الشكل رقم ٨ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٧) تتألف زخرفته من رسم طائرين متظاهرين (ولى كل واحد منها ظهره للآخر) ولكل منهما رأس آدمى وبينهما شجرة [١] وينتهى ذيل كل منهما بعقد كأنه ذنب الضب ويلتقى الذيلان وينتهيان فى وضع زخرفى جميل .

وفى الشكل رقم ٩ صورة قدر من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار ١٥٧١٢) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق رئيسية وعريضة وتفصل كل منهما عن التالية منطقة ضيقة فيها رسوم أنصاف مراوح نخيلية (بالمت) . أما المناطق الرئيسية الثلاثة فقوام الزخرفة فى كل منها رسم حيوان ينقض على أرنب ليفترسه وتحيط بهذا الرسم زخارف نباتية ثانوية من فروع ووريقات . ورسم الحيوان أو الطائر الجارح ينقض على فريسته موضوع زخرفى أقبل عليه الفنانون المسلمون فى العصور المختلفة [٢] ولاسيا فى العصر الفاطمى [٣] ، كما نراه أيضاً فى الرسوم المنقوشة فى سقف الكابلا بالاتينا [٤] .

وفى الشكل رقم ١٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٢) وفى وسطها رسم أرنب حوله خمسة رسوم نباتية منحدرة من رسوم الطراز الثالث فى زخارف سامرا ويتدلى أحدها من فمه . وعلى حافة الاناء رسوم خمسة أرانب أخرى تتدلى من فم كل منها فروع نباتية مماثلة . ورسوم الأرنب على هذا الاناء فيها كثير من الجلال والروعة على الرغم من بعدها عن الطبيعة إلى حد قد يجعل

---

(١) راجع البحث الذى كتبه عن شجرة الحياة الأستاذ جورج لشلر
George Lechler: The Tree of life in Indo-European and Islamic Cultures (Ars Islamica vol. IV pp. 369-420.

(٢) أنظر بعض الأمثلة فى زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٥٣ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٧٤ و ٣٦١ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٥٩٦

(٣) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، اللوحات ١٧ و ٣٨ و ٥٧

(٤) Monneret de Villard: op. cit. fig. 246.

من الصعب تمييزها إذا لم نكن قد ألفنا رسم الأرنب على مثال هذا النحو في كثير من التحف الاسلامية المصرية في عصري الفاطميين والمماليك (١) .
وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذي البريق المعدني ، كان قبل ذلك في مجموعة المرحوم الدكتور علي إبراهيم باشا ، وقوام زخرفته رسوم أربعة أرانب لا تختلف كثيراً عن الرسوم في السلطانية التي نحن بصددها (٢) . ولكن هذا الصحن الأخير يمتاز بأنه يجمع بين الزخرفة بالبريق المعدني والزخرفة باللون الأخضر العادي على النحو المعروف في الخزف الاسلامي الذي ينسب إلى إقليم الفيوم في العصور الوسطى والذي عرفناه كذلك في إقليم التركستان وما وراء النهر .

ونرى رسم الأرنب في زخرفة أربعة صحون أخرى من المجموعة التي نتحدث عنها في هذا المقال (٣) . ففي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١١ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٤) نجد أن قوام الزخرفة رسم أرنب يتدلى من فمه فرع نباتي قصير ويحيط به شريط دائري يتألف من رسوم ورقة نباتية تتكرر وتتصل فتبدو كأنها جديلة . وحول هذا الشريط زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١٢ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٧) نرى رسم الأرنب في منطقة شبه نجمية ويتدلى من فمه فرع نباتي . وفي الشكل رقم ١٣ نرى صحناً آخر (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٨٠٦) عليه رسم الأرنب في وسط الاناء وتتدلى من فمه ورقة نباتية وحوله شريط

(١) أنظر زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين اللوحة رقم ٢٩ و Cleves Stead : Fantastic Fauna pls. 117. 119, 128, 134..

(٢) أنظر زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٦ شكل ٢٤٧ .

(٣) وازن بين رسم الارنب في الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني ورسمه على نجمة من القاشاني الايراني ذي البريق المعدني محفوظة بالمتحف المتروبوليتان في نيويورك A Survey of Persian Art II p. 1556, fig. 543. وعلى سلطانية من الخزف الايراني ذي الدهان الابيض والزخارف القليلة التي تبدو كأنها رسوم تخطيطية مختصرة ، وهذه السلطانية محفوظة في المتحف البريطاني A Survey of Persian Art II. p. 1618. fig. 563

دائرى من حروف بالخط الكوفى المزهر على مهاد من الوريقات والفروع النباتية . وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذى البريق المعدنى عليه مثل هذا الشريط الدائرى من الزخرفة الكتابية [1] .

وفى الشكل رقم ١٤ صورة صحن رابع من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤١) قوام زخرفته ثلاث مناطق مستديرة فى كل منها رسم أرنب يتدلى من فمه فرع نباتى . وهى تذكر إلى حد كبير بزخارف صحن آخر فى دار الآثار العربية [2] . كما نذكر أيضاً بزخارف صحن من الخزف العباسى ذى البريق المعدنى كان محفوظاً فى القسم الاسلامى من متاحف الدولة فى برلين [3] .

وفى المجموعة التى نحن بصددها اليوم خمس تحف قوام الزخرفة فيها حيوان خرافى مجنح وهو موضوع زخرفى عرفته الفنون القديمة ومنها الفن الساسانى [4] ورأيناه فى قصر المشتى [5] ، كما نعرف أن الفنانين المسلمين أقبلوا على استعماله فى العصور التالية [6] .

ففى الشكل ١٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٧) قوام الزخرفة فيها رسم رئيسى

---

(١) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين اللوحة رقم ٢٤

(٢) المرجع نفسه ، اللوحة رقم ٢٣

(٣) انظر Ernst Kühnel: Islamische Kleinkunst p. 77.

(٤) انظر A Survey of Persian Art. I, p. 720

(٥) انظر K.A.C Creswell: Early Muslim Architecture. I pls 57, 66, 68, 71

(٦) Cleves Stead: op. cit. plates 172-177; Glück und Diez: Die kunst des Islam. Tafel 314 fig. 454: Heinrich Kohlhaussen: Islamische Kleinkunst, abb, 6; M. Dimand: Handbook of Muhammadan Art, figs. 64, 113:

E Knhnel: Maurische Kunst. Tafel 145; W.Pézard: Le Céramique Archaïque de l'Islam, pl.99; M. Riefstahl: The Parish Watson Collection of Mohammaden Art, fig. 74, 84

R. Ettinghausen: Kashan Pottery (Ars Islamica. III, part 1) fig 35: F. Sarre: Eine Seltene Lusterschale der Rayy-keramik (Ars Islamica vol IV p. 193 fig 4; C. J. Lamm: Cotton in Mediæval Textiles of the Near East p. 125 fig. 61: R. Ettinghausen: The Unicorn pls. 1, 2, 5: Aly Bahgat et Massoul: op. cit. pl. 9 No. 2: Hobson: Islamic Pottery of the Near East p. 34 fig. 41.

يتوسطها ويمثل حيوانا خرافياً له جناح ينتهي بزخرفة نباتية على هيئة نصفي مروحة نخيلية ويتدلى من فم الحيوان فرع نباتي تمتد منه وريقات تنثني نحو اليمين فيبدو ذيل الحيوان والزخرفة النباتية كأنها تحيط بالرسم الرئيسي فتكسبه رونقاً وتناسقاً ملحوظين . أما العنصر الزخرفي الآخر في هذه السلطانية فيتألف من شريط فيه حروف كوفية متكررة ؛ ويمتد هذا الشريط وينثني بحيث يدور حول حافة الاناء ويؤلف أربع جامات صغيرة في كل منها وريقة نباتية وتفصل كل جامة عن الأخرى منطقة فيها رسم يشبه الزخارف المشتقة من قشر السمك .

وفي الشكل رقم ١٦ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح تحيط به فروع نباتية ووريقات وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح فغر فمه فبدت أنيابه . ويقوم هذا الرسم الرئيسي على مهاد من الزخرفة العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية . وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٨ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٠) قوام زخرفتها رسم في قاعها يمثل حيوانا مجنحا يتدلى من فمه فرع نباتي . وفي حافة الاناء شريط عريض من رسوم نباتية مشتقة من رسوم الطراز الثالث في زخارف سامرا تؤلف أربع جامات بيضية الشكل ويفصل كلا منها عن الأخرى رسم مكرر . وبين إحدى الجامات وهذا الرسم كتابة نصها « عمل مسلم بن الدهان »[1] .

(١) في دار الآثار العربية قطعة خزفية عليها امضاء بهذا النص كما أن فيها سلطانية كانت في مجموعة المرحوم على ابراهيم باشا وعليها مثل هذا الامضاء . انظر جمال محمد محرز : الخزف الفاطمي ذو البريق المعدني في مجموعة على ابراهيم باشا (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد . المجلد ٧ يوليه سنة ١٩٤٤) ص ١٦ .

وقد مر بنا أن مسلماً كان من أعلام الخزفيين في العصر الفاطمي . والمعروف أنه وتلاميذه استعملوا في منتجاتهم الزخارف الحيوانية والآدمية والنباتية فضلا عن الحروف الكوفية ، ولكنهم كانوا يفضلون رسم الحيوان أو الطائر يتصدر الموضوع الزخرفي وتحيط به أو تتفرع منه خطوط متداخلة ومتشابكة وفروع نباتية تزين المهاد الذي يقوم عليها . وقد وصلت الينا تحف خزفية كثيرة عليها اسم مسلم ، وأكثر ما نرى هذا الاسم إنما على قاعدة الأواني وبخط كوفي بسيط . ويندر أن نراه مكتوبا على وجه الاناء كما هو الحال في الاناء الذي نحن بصدده الآن . ولا يفوتنا أن نذكر أن قطعاً خزفية تالفة في الفرن قد وجدت في حفائر الفسطاط ، ويرجح أنها من صناعة هذا الخزفي الممتاز ، مما يثبت أن مصنعه كان في مدينة الفسطاط نفسها [1] .

وفي الشكل رقم ١٩ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٣) . وقوام زخرفته حيوان مجنح وله رأس طائر ، ويقوم على مهاد من الزخارف العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية ، وحافة الصحن ليست تامة الدوران وإنما تزينها فصوص تمرج محيطها .

وفي المجموعة التي نحن بصددها اليوم ثلاث تحف قوام الزخرفة فيها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتي على النحو الذي عرفه الفن الساساني [2] وأقبل عليه الخزفيون المسلمون أيما إقبال .

ففي الشكل رقم ٢٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني [3] (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣١) وقوام زخرفتها رسم عصفور بين فروع ووريقات نباتية في منطقة تحدها نجمة مسدسة

---

(١) إنظر .Aly Bahgat et Massoul : op. cit. p. 59

(٢) انظر .A Survey of Persian Art. IV, pls. 202, 215, 216

(٣) وازن : M. Pézard : La Céramique Archaique de l'Islam pl. 84; Evans : Lustre Pottery pl. I. وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، اللوحة ٢٤

الأركان وحولها زخارف عباسية الطراز ثم شريط عريض فى حافة الاناء تتألف زخرفته من كتابة بالخط الكوفى على مهاد من الفروع والوريقات النباتية . وفى الكتابة بعض أخطاء ولكن يمكن أن تقرأ من عبارتها الكلمات الآتية : « نعمة شاملة له وغبطة لصاحبه كاملة » .

وفى الشكل رقم ٢١ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٩) تتألف زخرفتها من رسم طاووس رافع ذيله إلى أعلى ويتدلى من منقاره فرع نباتى ويحيط بهذا الرسم شريط عريض فى حافة الاناء يضم حروفاً بالخط الكوفى فى منطقتين تفصلهما ورقتان نباتيتان من النوع المألوف فى الطراز الفاطمى . وتقوم هذه الحروف على مهاد من الفروع والوريقات النباتية . ورسم الطاووس ليس نادراً فى الزخارف الاسلامية ، فاننا نراه على قطع خزفية أخرى من البريق المعدنى[1] كما نراه فى زخرفة مشهورة على شباك قلة فى دار الآثار العربية [2] ، وعلى تحف من الخزف الايرانى فى العصور الوسطى[3] . والواقع أنه معروف فى إيران منذ العصر الساسانى [4] وأنه ظل مستعملا فى الزخرفة حتى رأيناه على صحن من خزف كوبچه فى القرن السابع عشر الميلادى محفوظ بمتحف الارميتاج فى ليننغراد [5] .

وفى الشكل رقم ٢٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠١) قوام زخرفتها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتى ويحيط بهذا الرسم شريط عريض على حافة الاناء يجرى فيه فرع نباتى يدور وينثنى وتخرج منه وريقات نباتية . وحول رقبة الطاووس عبارة فيها اسم الصانع ونصها « عمل الحسين بن نظيف الامرى

---

(١) Aly Bahgat et Massoul : op. cit. pls. 10, 18. Butler : op. cit. pl. 10 .

(٢) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٧٢ واللوحة ٣٦

(٣) زكى محمد حسن : الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ص ١٩٦ واللوحة ٧٢ A Survey of Persian Art. V. pl. 635 A.

(٤) أنظر A Survey of Persian Art. I. p. 741

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص ١٦٥٤ شكل ٥٧٤

(أو الامين ؟) » والمعروف أن ابن نظيف كان من تلاميذ الخرفي المشهور مسلم أو الناسجين على منواله [١] .

وفى الشكل رقم ٢٣ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٢٠٥) قوام زخرفته رسم ثور كبير يعدو إلى اليسار وحول هذا الرسم فروع نباتية ووريقات تملأ الفراغ . ويمتاز الرسم بمظهر العنف والقوة ودقة تصوير الطبيعة في معظم أجزاء الحيوان. على الرغم مما فى بعض الأجزاء الأخرى من عيوب فى الرسم [٢] . وهو فى ذلك كله يكاد يمتاز عن رسم ثور على سلطانية من الخزف الايرانى فى القرن العاشر أو الحادى عشر محفوظة فى متحف اللوفر [٣] .

وفى الشكل رقم ٢٤ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٦) وهو آية من آيات الاتقان فى الصناعة والزخرفة ويشهد بما استطاع الخزفيون الفاطميون تحقيقه فى هذا الميدان . وقوام الزخرفة فى هذا الاناء رسم غزال على مهاد من الفروع والوريقات النباتية [٤] ، وفى حافة الاناء ثلاث مناطق صغيرة تضم زخرفة من فروع نباتية وبين هذه المناطق بحور فيها زخرفة من خطوط متوازية وتنتهى بنقط تشبه رأس الدبوس . وأبين ما فى زخرفة هذا الاناء أن رسم الغزال قد وصل إلى درجة من الاتقان والتحديد جعلته يبدو أقرب إلى الناظر وكأنه فوق مستوى الرسوم النباتية التى اتخذت مهاداً له ، كما أن ذلك كله أكسبه من قوة التعبير ماجعله يبدو كأنه يولى هاربا مذعوراً من شيء يطارده .

---

(١) انظر Aly Bahgat et Massoul : op. cit. p. 60

(٢) فى متحف الآثار الاسلامية بجامعة فؤاد الأول صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى عليه مثل هذه الزخرفة . أنظر : Zaky M. Hassan : Moslem Art. in The Fouad I University Museum I pl 42

(٣) أنظر A Survey of Persian Art. II, p. 1534 fig. 539

(٤) Cleves Stead : op. cit. pls. 144-154, A Survey of Persian Art. V pl. 719, Mehdi Bahrami : Gurgan Faiences p. 110-111. pls. 50. 55, 56, Zaky Hassan : Some Persian Lustre Ceramics in Dr. Ali Pasha Ibrahim's Collection, pl. 3.

وفى الشكل رقم ٢٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠٢) تتألف زخرفتها من أربع مناطق ، فى اثنتين منهما رسم طائر بين ورقتين نباتيتين ويتدلى من منقاره فرع نباتى وفى اثنتين أخريين رسم ورقة نباتية ، وبين هذه المناطق رسم طائرين متقابلين وفوقهما إناء على هيئة مشكاة [١] . ويذكر ما فى زخرفة هذا الاناء من تماثل وتراصف وتوازن بما نراه فى رسوم إناء آخر من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى كان فى إحدى المجموعات الخاصة [٢] .

وفي الشكل رقم ٢٦ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٦) قوام زخرفته رسم نسر ناشر جناحيه وحول رأسه هالة [٣] . ويقوم هذا الرسم على مهاد من الفروع النباتية والزخرفة العباسية المؤلفة من خطوط حلزونية رفيعة ودوائر بيضاء ذات نقط سوداء . وفي حافة الاناء زخرفة على شكل أسنان المنشار .

أما باقى التحف فى المجموعة التى نتحدث عنها فى هذا المقال فليس فيها رسوم آدمية أو حيوانية ، وإنما قوام الزخرفة فيها عناصر نباتية وكتابات زخرفية .

ففى الشكل رقم ٢٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٨) وتتألف زخرفتها من منطقتين يفصلهما خطان على شكل أسنان المنشار ، وفى كل منطقة رسم ورقة نباتية كبيرة من المألوفة فى العناصر الزخرفية الفاطمية [٤] ، وتحف بها رسوم فروع ووريقات نباتية دقيقة وعلى حافة الاناء زخرفة أخرى على هيئة أسنان المنشار .

---

(١) أنظر رسم مثل هذه المشكاة على جزء من تحفة من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى محفوظة فى دار الآثار العربية أيضا ومصورة فى Aly Bahgat et Massoul : op. cit. pl. 26 no 6.

(٢) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين اللوحة رقم ٣٣ و Lane : op. cit pl. 28

(٣) أنظر A Survey of Persian Art, V, pls 611-612 : Evans : Lustre Pottery pl. 17; M. Pezard ; op. cit. pl. 54 : A. Butler : op; cit. pl. 75; U. Monneret de Villard : op. cit. fig 245. Cleves Stead : op. cit. pls. 110,111, 114.: La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pls. 38. 106.

(٤) أنظر زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٧ و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane, pls. 5—7.

وفى الشكل رقم ٢٨ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٧) . ولهذا الصحن حافة متموجة وتتألف زخرفته من ساحة يقسمها شريطان إلى أربع مناطق ربع دائرية تضم كل منها وريقة فاطمية الطراز تخرج من فرع نباتى يلتف حولها فى أسلوب زخرفى جميل . وعلى حافة الاناء شريط من حروف كوفية زخرفية مكررة .

وفى الشكل رقم ٢٩ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٠) قوام زخرفتها ساحة تشبه فى رسومها التحفة التى رأيناها فى شكل ٢٨ ، ولكن تمتاز هذه السلطانية بأن على جدارها شريطاً عريضاً من كتابة كوفية زخرفية على مهاد من الفروع والوريقات النباتية .

وفى الشكل رقم ٣٠ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٦) وقوام زخرفته عناصر نباتية محوّرة عن الطبيعة ومشتقة من زخارف الطراز الثالث فى سامرا ومرتبة فى أوضاع هندسية جميلة [1] ، وحولها شريط فى حافة الاناء يجرى فيه فرع نباتى من طراز الزخرفة فى ساحة الاناء [2] .

وفى الشكل رقم ٣١ صورة صحن من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٩) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق لوزية الشكل تفصلها ثلاث مناطق أخرى على هيئة شرفات . وتضم كل من هذه المناطق الستة شريطاً من كتابة كوفية على مهاد من الفروع والوريقات النباتية [3] .

---

(١) نرى إحدى وحدات هذه الزخرفة على جزء من تحفة من الخزف ذى البريق المعدنى بدار الآثار العربية فى القاهرة ومصورة فى Aly Bahgat et Massoul : op. cit. pl VI. No. 7 ونرى وحدة أخرى فى المرجع نفسه ، اللوحة رقم ١٧ والقطعة رقم ٣ ، كما نرى وحدة ثالثة على قطعة مصورة فى La Ceramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pl. 31

(٢) أنظر أيضا A-Survey of Persian Art pl. 559, 697 و Lane : op cit. pl. 75 A. و Pezard : op. cit. pl. 95.

(٣) أنظر A Survey of Persion Art, V, pl. 566 و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane. pl. 27.

وفى الشكل رقم ٣٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥٢٣) معارة الآن من دار الآثار إلى متحف الحضارة بالقاهرة . وتتألف زخرفتها من شريط من شبه كتابة كوفية يدور وينثنى فى جديلة طويلة تكون شبه نجمة سداسية الأركان وخطوطها غير مستقيمة وبين أركانها زخارف نباتية فاطمية الطراز وفى مناطق الفراغ الداخلية بين خطوطها زخرفة من تظليلات وتهشيرات تشبه قشر السمك .

وإلى هنا ننتهى من عرض هذه المجموعة الطيبة من الخزف ذى البريق المعدنى ، بعد أن رأينا أنها تضيف جديداً إلى ما كنا نعرفه عن صناعة هذا الخزف الفاطمى فى العصر الفاطمى ، وتشهد بأن الخزفيين الفاطميين بلغوا شأواً بعيداً وتجعل دار الآثار العربية فى القاهرة أعظم مركز لدراسة هذا الميدان فى الفنون الاسلامية .

علم ما قبـــل التاريخ

نشأته ومنهجه

للدكتور ابراهيم احمد رزقانه

تفسير تعبير ما قبل التاريخ

دلت هياكل الانسان القديم ومخلفاته الأثرية على أنه وجد منذ أوائل عصر البليستوسين الجيولوجي أي منذ حوالى مليون سنة . ولم يكن وجوده فى هذا العصر قاصراً على قارة معينة وإنما كان ينتشر فى كل قارات العالم القديم . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها إنسانى جاوة والصين بالقارة الآسيوية ، وإنسانى بلتدون ونياندرتال بالقارة الأوروبية ، وإنسانى روديسيا وطنجة بالقارة الأفريقية .

وقد كانت أدوات الانسان خلال هذه الفترة الطويلة من العظم والخشب والحجارة ، فأما أدوات العظم والخشب فقد بلى معظمها بمرور الزمن ولم تبق إلا الأدوات الحجرية . ولذلك أطلق على هذه المليون سنة من حياة الانسان إسم العصور الحجرية .

ثم عرف الانسان النحاس حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م . وعرف البرنز حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وعرف الحديد حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م .

ثم وصل الانسان إلى كشف هام ألا وهو التعبير عما يدور بذهنه بواسطة رموز يخطها بيده وهو ما نسميه الكتابة . وقد عرفت الكتابة فى بعض بلاد الشرق الأدنى والأوسط مثل مصر والعراق قبيل سنة ٣٠٠٠ ق . م ولكنه لم يعرفها فى أوروبا إلا فى وقت متأخر ، فعرفها فى إيطاليا حوالى

سنة ٦٠٠ ق . م ، ولم يعرفها فى فرنسا وبريطانيا إلا مع الفتح الرومانى لتلك البلاد .

وقد اصطلح الباحثون على وضع حضارات الانسان السابقة لمعرفة الكتابة فى مرحلة حضارية خاصة يطلقون عليها « عصر ما قبل التاريخ » سواء استخدم فى هذه المرحلة الحجر أو النحاس أو البرنز أو الحديد ، وأما مرحلة ما بعد الكتابة فيطلقون عليها العصر التاريخى . وواضح من هذا أمران : الأمر الأول أن نهاية عصر ما قبل التاريخ وبداية العصر التاريخي لا ترتبطان بتغير معين فى معالم حضارة الانسان فيما عدا معرفة الكتابة ، والأمر الثانى أنه بينما يتناول علم التاريخ دراسة حضارات الانسان فى مرحلة طولها خمسة آلاف سنة على أكثر تقدير ، نجد أن علم ماقبل التاريخ يتناول حضارات الانسان فى مرحلة طولها مليون سنة على وجه التقريب .

على أن بعض الباحثين لا يعجبه تعبير « ما قبل التاريخ » ويقول إن دراسة حضارات الانسان فى العصور الحجرية ما هى إلا تاريخ أيضاً ، وأن تاريخ الانسان وحدة متصلة لا فرق فى ذلك بين المرحلة السابقة لمعرفة الكتابة وبين المرحلة اللاحقة لها . وأن الاختلاف بين المرحلتين قاصر على وسيلة جمع المادة التاريخية ، ففى المرحلة الأولى يستمد المؤرخون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان وحدها ، وأما فى المرحلة الثانية فيستمدون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان بالاضافة إلى قراءة وثائقه المدونة على الأوراق واللوحات والمعابد والمقابر . وهذا فرق طفيف لاينفى أن تاريخ الانسان وحدة لا تتجزأ وأن الكتابة لا تعدو كونها إحدى المظاهر التى جدت فى تاريخ الانسان ، فلا ينبغى أن تتخذ هى نفسها بدءاً لهذا التاريخ .

وفى الحق أن الكتابة لم تكن على الاطلاق فاصلا بين عهدين لأن الفائدة المستمدة من معرفتها لم تتم دفعة واحدة ، بل اقترنت بها وتبعتها عدة اختراعات لولاها لكانت معرفة الكتابة فى حد ذاتها أمراً قليل القيمة ، من ذلك معرفة المصريين للفائف أوراق البردى سنة ٣٠٠٠ ق . م ، ومعرفة الهنود للفائف

سعف النخل ، ثم تبع ذلك اتخاذ جلود الحيوان كصحائف للكتابة سنة ١٤٠٠ ق ٠ م ٠

ولقد كانت صحائف الكتابة ثمينة للغاية مما جعل استخدامها قاصراً على طبقة خاصة وفى نطاق ضيق . وظل الأمر كذلك إلى أن عرفت صناعة الورق ، فانفتح بذلك المجال أمام نشر المادة التاريخية وجعلها فى متناول عدد كبير من الناس . ولم تعرف صناعة الورق إلا فى القرن الثانى الميلادى ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الصينيين ، إذ تمكن تساى لون (Tsai Lun) من صناعة الورق بطبخ عدة مواد كقشر الشجر وخرق القماش وعيدان القنب. ثم انتقلت هذه الصناعة إلى تركستان فى القرن الثامن الميلادى على يد أسرى الحرب من الصينيين . ثم عنيت الحكومة فى بغداد بهذه الصناعة فى سنة ٧٩٤ ميلادية وزرعت نباتات خاصة لهذا الغرض . ثم انتقلت هذه الخبرة بصناعة الورق إلى القارة الأوروبية بواسطة العرب ، وأسس أول مصنع للورق فى أوروبا فى بلدة فابريانو بايطاليا سنة ١٣٤٠ ميلادية . ثم عرفت الطباعة بعد هذا التاريخ بحوالى قرن من الزمان فوجدت وسيلة أخرى من أعظم الوسائل للتعريف بالتاريخ ؛ إذ وجد الكتاب وأصبح يحتل منزلة كبيرة فى تاريخ الانسان . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدت الصحف وكان ظهورها لأول مرة سنة ١٦٠٩ ميلادية فى أوجزبرج (Augsburg) وستراسبورج (Strasbourg) . وبذلك تمت الفائدة من الكتابة كوسيلة من وسائل التعريف بتاريخ الانسان .

ومعنى هذا أن تدرج قيمة الكتابة منذ معرفتها قبيل سنة ٣٠٠٠ ق ٠ م حتى تمام الفائدة منها فى القرن السابع عشر الميلادى استغرق العصر التاريخى كله فكيف نتخذ الكتابة اذا بدءاً للعصر التاريخى ؟

أراد الباحثون الألمان تلافى هذا العيب فأطلقوا على مرحلة ما قبل التاريخ وهى الـ (Prehistoire) عند الفرنسيين والـ (Prehistory) عند الانجليز تعبير فجر التاريخ (Urgeschichte) ؛

ولكن رغم هذا العيب الخطير في تقسيم الحضارة البشرية إلى تاريخ وما قبل التاريخ ، فان لكل من هذين التعبيرين فى أذهان الباحثين معنى محدداً من حيث الزمن ومظهر الحضارة .

نشأة علم ما قبل التاريخ

لفت النظر الى آثار ما قبل التاريخ وجود قطع من الصوان مشكلة بطرق خاصة يستحيل أن تكون من عمل الطبيعة لأن أثر العقل والارادة واضحان فى أشكالها . فأخذ هواة الآثار فى جمع هذه القطع وأخذ الباحثون فى التفكير فى العصر الذى صنعت فيه . وفى القرن السادس عشر كلف ميشيل ميراكتوس (Michel Meractus) طبيب البابا كلمنت السابع (Clement VII) بترتيب المجموعة الأثرية فى الفاتيكان فوصف الفؤوس والأسهم الحجرية فى هذه المجموعة . ثم فى سنة ١٧٢٣ قدم برنارد دى جوسيو (Bernard de Jussieu) بحثا الى المجمع العلمى بفرنسا على أثر عودته من رحلات طويلة بين بعض الشعوب البدائية قارن فيه بين أسلحة هذه الشعوب الحديثة وبين الآلات التى جمعت من جهات كثيرة فى القارة الأوروبية . ومنذ ذلك الوقت والأبحاث تتتابع فى هذا الموضوع حتى اذا كانت أوائل القرن التاسع عشر كانت أذهان الباحثين قد استعدت لمولد « علم ما قبل التاريخ » . غير أن مكتشفات هؤلاء الباحثين وآراءهم لم تستلفت أنظار الجمهور كثيراً ، فلم يكن عجيباً أن يقال للناس أن الانسان كان يصنع آلاته من الحجارة قبل أن يعرف استخدام المعادن . غير أن باحثين من هؤلاء لم يثنيهما فتور الناس عن متابعة البحث ومحاولة جذب الأنظار الى آثار عصر ما قبل التاريخ وبذلك استحقا لقب مؤسسى « علم ما قبل التاريخ » . أما الأول فهو فرنسوا جوانيت (Francois Jouannet) الذى عثر على منطقة أثرية من العصر الحجرى الحديث بفرنسا وأعلن للناس أن هذه المنطقة كانت محلة لانسان ما قبل التاريخ . وأما الثانى فهو بوشيه دى برث (Boucher de Perthes) الذى استهوته القطع الصوانية التى جمعها العمال من محاجر الرمل فى بلدة ابفيل (Abbeville) بفرنسا فعكف على دراستها ،

ثم قام بالبحث فى رواسب نهر السوم فعثر على قطع أخرى وانتهى به الأمر الى الاعتقاد عن يقين تام بأن هذه القطع الصوانية ما هى إلا أدوات وأسلحة صنعها الانسان فى عصر سابق للتاريخ ، ثم نشر آراءه ونتائج أبحاثه بين سنتى ١٨٤٧ و ١٨٦٤

وبطبيعة الحال قوبل الأوائل من مؤسسى هذه الدراسة بالسخرية والتهكم، سخر منهم الجمهور وتهكم بهم زملاؤهم العلماء ، ولولا المثابرة والجلد لتأخر مولد هذا العلم فترة أخرى من الوقت .

جاء بعد فرنسوا جوانيت وبوشيه دى برت الدكتور ريجوللوت (Rigollot) الذى عنى بالبحث عن هذه الأدوات والأسلحة وكون منها مجموعة كبيرة وعضد الرأى القائل بأنها من صناعة انسان قديم . ووقف الى جانبه الباحثان الانجليزيان جون ايفانز (John Evans) وجوزيف برسوتش (Joseph Preswich) فكان هذا نهاية عهد الشك فى حقيقة علم ما قبل التاريخ . ويعبر عن هذا أحد الكتاب الفرنسيين بقوله « إنه بمجرد أن تكلمت انجلترا قبل العلماء الفرنسيون بلا تردد النظريات التى أعلنها مواطنوهم من قبل والتى كانوا يحقرونها ويسخرون منها » .

بهذا تم مولد علم ما قبل التاريخ وكان مولده فى فرنسا فى منتصف القرن التاسع عشر واعترف به الناس جميعا ، وأصبح ميدانا خصبا للبحث يستهوى عدداً كبيراً من الباحثين ، وقد صاحب هذا اعتراف الناس بوجود الانسان منذ أوائل عصر البليستوسين أى منذ حوالى مليون سنة .

ولم يولد علم ما قبل التاريخ فى فرنسا فحسب بل ظل بعد مولده يعيش فى حضانة الفرنسيين حتى بلغ مرحلة الشباب . ومن أجل هذا نجد أسماء حضارات هذا العصر التى يستخدمها العالم أجمع أسماء فرنسية صرفة . وأول تصنيف للمراحل الحضارية بالعصر الحجرى القديم هو من عمل العالم الفرنسى دى مورتيليه (De Mortillet) . وما زلنا نتبع هذا التصنيف مع بعض

التعديلات . ثم يأ من بعده جوزيف ديشيليت (Joseph Déchellete)
فأخرج للناس دراسة علمية منظمة لعصور الحجر والبرنز والحديد .

بعد هذا أصبح علم ماقبل التاريخ من العلوم المحبوبة لدى الجمهور الأوروبى ، وأصبحت آثاره تستهوى الناس من كل الطبقات ، وأدخلت دراسته فى الجامعات الأوروبية ، وأخذت تلقى فيه المحاضرات العامة .

وتبدأ العناية بهذا العلم فى مصر فى أواخر القرن الماضي ويرجع الفضل فى ذلك إلى فلندرز بترى الأنجليزى وجاك دى مورجان الفرنسى ، فهما اللذان افتتحا هذه الدراسات فى مصر . وكان بحثهما منصبا على الصعيد وعلى منطقة قنا بصفة خاصة وإليهما يرجع الفضل في الكشف عن حضارة نقادة المشهورة .

وقد أخرج بترى كتابه عن نقادة وبلاص سنة ١٨٩٥
(Petrie, Nagada & Ballas, 1895)

وأخرج دى مورجان فى سنة ١٨٩٦ كتابه عن عصر الحجر والمعدن فى مصر
(De Morgan, Recherches sur les Origines de L'Egypte, l'age de la pierre et les metaux 1896.)

ثم أتبعه فى السنة التالية بكتابه عن مقابر نقادة (Ethnographie prehistorique et tombeau royales de Negadah, 1897.)

فلما بدأ القرن الحالى يظهر شفينفرت الألمانى فى الميدان ويجمع من الصحارى المصرية عدداً كبيراً من أدوات الانسان فى العصر الحجرى القديم ويفتتح فى سنة ١٩٠٣ سلسلة أبحاثه بمقال عن العصر الحجرى فى مصر العليا (Schweinfurth, Steinzeitliche Forchungen in Ober-Aegypten.) ثم يبحث فنيار منطقة كوم امبو ويخرج لنا كتابه عن الحضارة السبيلية سنة ١٩٢٣ ، ثم يبحث بوفييه لابيير منطقتى حلوان والعباسية ويخرج نتائج أبحاثه فى سنة ١٩٠٠ ، وهكذا أصبح علم ما قبل التاريخ الشغل الشاغل لكثير من العلماء والهواة فيكشف برنتون عن حضارة البدارى وكيتن تمسون عن حضارة الفيوم وينكر عن حضارة مرمدة ، ويقوم سانفورد

وآركل بدراسة عملية جامعة للقطر المصرى وقد نشرا أبحاثهما فى سلسلة من المجلدات .

أما جهود المصريين في هذا الميدان فيفتتحها أمين العمرى الذى ساهم مع بوفييه لابيير فى بحث منطقة حلوان قبل سنة ١٩٢٥ ، ثم يأتى بعد ذلك مصطفى عامر فيكشف عن حضارة المعادى يساعده فى السنوات الأولى من العمل العالم النمساوى أزوالد منجين . ثم يظهر فى الميدان سليمان حزين ويساهم فى دراسة مناطق أرمنت والفيوم وسينا ويخرج لنا كتابه الجامع (The Place of Egypt in Prehistory) . وقد عنيت الجامعة المصرية منذ سنة ١٩٣٠ بهذا العلم فأدخلته فى برامج دراستها وتولت الاتفاق على حفائر المعادى . ثم فى سنة ١٩٥٠ يقوم معهد فؤاد الأول للصحراء بالحفر فى منطقة هليوبوليس فيكشف عن حضارة جديدة من حضارات عصر ما قبل التاريخ .

منهج البحث فى علم ما قبل التاريخ

يجمع الباحث فى هذا العصر معلوماته من مصدرين : المصدر الأول بقايا هياكل الانسان ، فمنها يستطيع تحديد سلالته الجنسية ويعرف هل هو أصيل فى هذه الجهة أو وافد إليها من مكان آخر . والمصدر الثانى صناعة هذا الانسان ومخلفات طعامه وبقايا مساكنه ومواقده . ثم بعد أن يجمع الباحث معلوماته من هذين المصدرين يعتمد على أربع أسس فى إبراز الصورة النهائية للحضارة من حيث عصرها ودرجة رقيها وصلتها بغيرها من الحضارات المحلية أو الخارجية .

أما هذه الأسس الأربعة فهى :

أولا — موضع الأثر فى الطبقات .

ثانياً — شكل الأثر وطريقة صناعته .

ثالثاً — علاقة هذا الأثر بالأشياء الأخرى التى وجدت معه .

رابعاً — درجة احتفاظ الأثر بجدته .

أما الأساس الأول وهو موضع الأثر فى الطبقات فنبنى على القانون الجيولوجى المعروف باسم قانون الارساب . فاذا تكونت طبقات بفعل الارساب أو التراكم ولم تتعرض لاضطرابات تالية فان الطبقات السفلى تكون أقدم من التى تعلوها . فاذا وجدت مخلفات بشرية فى هذه الطبقات يمكن ترتيبها ترتيباً طباقيا من أسفل إلى أعلى واتخاذ هذا الترتيب الطباقى مقياسا زمنياً ، فيكون الأسفل هو الأقدم ويكون الأعلى هو الأحدث . ومن أجل هذا وجب على الحفار فى عصر ما قبل التاريخ أن يزيل الطبقات الأثرية طبقة طبقة بمقياس منتظم يتخذه لنفسه . والمقياس الذى اتبع فى حفائر جامعة فؤاد الأول بالمعادى وفى حفائر معهد فؤاد الأول للصحراء بعصر الجديدة هو ٢٠ سنتيمترا ، فتزال العشرين سنتميترا العليا وتسجل محتوياتها الأثرية ثم العشرين سنتيمترا التالية وتسجل محتوياتها كذلك ، وهكذا حتى يصل الحفار الى التربة الأصلية التى سكنها الانسان لأول مرة ، وبذلك نحصل على ترتيب طباقى لمخلفات الانسان . ثم تقارن محتويات الطبقات ببعضها . ولكن ينبغى أن يلاحظ أن ترتيب الطبقات فى المنطقة الواحدة لا يدلنا وحده على تتابع الحضارات ، بل لابد لذلك من دراسة عدة حفائر وعقد مقارنة بين ترتيب الطبقات فى كل منها .

وبعد أن ينتهى عالم ماقبل التاريخ من ترتيب الطبقات يلجأ إلى الأساس الثانى من منهجه وهو دراسة المكتشفات من أدوات وأسلحة وغير ذلك ، ويصنفها إلى عائلات حسب الشكل العام وطريقة الصناعة وحسب الغرض الذى يعتقد أنها صنعت من أجله . فاذا كان يتناول بالتصنيف الآلات الحجرية مثلا ، يضع الآلات المصنوعة من النواة فى ناحية والمصنوعة من الشظايا فى ناحية أخرى ، ثم يضع الآلات المثلثة الشكل فى مجموعة والآلات المستطيلة فى مجموعة ثانية ، ثم يضع الآلات المصقولة فى ناحية وغير المصقولة فى ناحية أخرى ، ثم يضع الفؤوس فى مجموعة والمثاقب فى مجموعة ثانية والسهام فى مجموعة ثالثة ... وهكذا ، وسيجد نفسه فى النهاية قد حصل على عدد من المجموعات أو العائلات متشابهة فى شكلها ووظيفتها وطريقة صناعتها . ثم بطول المران

يجد أن الأمر أصبح آليا فبمجرد أن يلتقط الأداة يستطيع أن يضعها فى عائلتها على الفور ، وقد وجدنا بالتجربة أن أدوات الانسان القديم محدودة العائلات .

أما الأساس الثالث وهو الأشياء المرافقة فوظيفته مراجعة النتائج التى وصل اليها الأثرى بمقتضى الأساسين الأولين للتأكد من صحتها . فهو لا يعطى لعالم ما قبل التاريخ نتائج جديدة وإنما يجعله يطمئن إلى صحة النتائج التى وصل اليها ، ويصبح هذا العامل عظيم الفائدة فى حالة الشك ، ثم هو عديم الفائدة في حالة الآثار التى توجد على السطح : لأن معظم آثار هذا العصر قابلة للنقل إما بفعل العوامل الطبيعية أو بفعل الانسان ، ولهذا قد نجد أشياء عظيمة القدم بجوار أشياء عظيمة الحداثة . وأما فى الآثار غير السطحية كالتى توجد فى الكهوف والرواسب النهرية والطبقات الأثرية التى لم يعبث بها عابث فاننا نستطيع أن نطمئن إلى قيمة الأشياء المرافقة في تحديد عمر الأثر ونوع المناخ فى عهده وغير ذلك . ولعل من أحسن الأمثلة على ذلك أنه وجدت فى كهوف أوروبا هياكل انسان نياندرتال ومعها أسلحة موستيرية . وقد تكررت هذه الظاهرة فى عدة كهوف ، مما أكد ارتباط هذه الهياكل البشرية بهذا النوع المعين من الآلات ، فاذا وجدنا بعد ذلك عظاما بشرية لم نستطع تحديد شكلها لأنها مهشمة ووجدنا معها آلات من النوع السابق فاننا من شكل هذه الآلات نستطيع أن نحدد نوع الانسان المرافق لها ، ونحن مطمئنون تمام الاطمئنان إلى صحة النتيجة التى وصلنا اليها .

وتزداد قيمة هذا الأساس فى دراسة العصر الحجرى الحديث وما بعده . إذ ابتداء من هذا العصر وجد التبادل التجارى والتبادل الثقافى بين الجماعات . وقد استطعنا بمقتضى هذا العامل تحديد عصر الهياكل البشرية التى كشفنا عنها فى حفائر مصر الجديدة فى العام الماضى . وذلك اننا عثرنا فى هذه الحفائر على الجبانة ولم نعثر على محل السكنى حتى الآن . فكيف نحدد عصر هذه الجبانة ؟ وكيف نحدد المرتبة الحضارية لأصحابها ؟

وجدنا من بين الأوانى الفخارية العديدة المدفونة مع الهياكل البشرية من النوع السائد فى حفائر المعادى ، والذى لا يوجد فى أى مكان آخر ،

فاستطعنا أن نقول ونحن مطمئنون اطمئنانا تاما إلى صحة مانقول إن سكان مصر الجديدة الذين كشفنا عن حيا كلهم كانوا معاصرين لسكان المعادى وأنهم عاشوا فى مرتبة حضارية قريبة من مرتبة أهل المعادى الذين عرفت حضارتهم من مدينة الأحياء ومدينة الموتى على حد سواء (أنظر شكل ١) .

وأخيراً ننتقل الى الأساس الرابع فى منهج عالم ما قبل التاريخ وهو درجة احتفاظ الأثر بجدته فنجد أن آثار هذا العصر لقدمها قد تعرضت لعوامل التعرية من رياح ومياه جارية ، ويدل درجة تآكل الآلة أو الأداة على مدى تعرضها لهذه العوامل ولكنه لا يدل على مدى قدمها بصفة قاطعة ، ومن أجل هذا ينبغى ألا ينخدع الأثرى بمظهرها . فكثيرا ما يحدث فى آثار ماقبل التاريخ أن الآلات التى تبدو جديدة فى مظهرها تكون هى القديمة فعلا ، وأن الآلات التى تبدو بالية فى مظهرها تكون هى الحديثة فعلا . والسبب فى هذا أن الآلات الأولى رغم قدمها لم تتعرض لعوامل التعرية فبدت جديدة ، وأن الآلات الثانية رغم حداثتها تعرضت لعوامل التعرية فبدت قديمة .

على أن تآكل الآلات بفعل المياه الجارية يتخذه الأثرى دليلا على أن هذه الآلات لاتتبع المكان الذى وجدت فيه ، وإنما هى مجروفة مع المياه الجارية من مكان آخر . ثم بناء على درجة تآكل هذه الآلات يستطيع الأثرى أن يقدر موضع المكان الأصلى لها هل هو قريب أو بعيد من المكان الذى وجدت فيه . ومن أمثلة ذلك الآلات التى وجدت فى طبقات العباسية فقد تبين من درجة تآكلها أن بعضها منقول بواسطة النهر من أماكن بعيدة فى الجنوب وأن بعضها منقول بواسطة السيول المحلية من سطح الهضبة القريبة من العباسية .

تطبيق هذا المنهج على الحضارات المصرية

دلت الأبحاث على أن الحضارات المصرية فى عصر ما قبل التاريخ تسير فى مبدأ الأمر فى نفس خط التطور الذى تسير فيه الحضارات فى جهات العالم الأخرى مثل غرب أوروبا . ومن ثم أمكن تقسيم حضارات المرحلة الأولى الى نفس أدوارها فى غرب أوربا وعلى الأخص فرنسا ، بل أطلق الباحثون

على الأدوار المصرية في هذه المرحلة نفس الأسماء الفرنسية التي أطلقت على حضارات غرب أوربا.

ولكن ابتداء من العصر الحجرى القديم الأوسط تسير الحضارات المصرية فى خط من التطور خاص بها هو الخط الذى انتهى بها الى العصر التاريخى حوالى سنة ٣٢٠٠ ق. م بينما ظلت أوربا ومعظم جهات العالم فى عصر ما قبل التاريخ الى قبيل الميلاد.

ونستطيع أن نقسم الحضارات المصرية فى عصر ما قبل التاريخ الى الأقسام الرئيسية الآتية :

أولا — العصر الحجرى القديم (Palaeolithic)

ثانياً — العصر الحجرى الحديث (Neolithic)

ثالثاً — عصر النحاس (Chalcolithic)

أولا — العصر الحجرى القديم

يقسم هذا العصر فى مصر، كما فى أوروبا الى ثلاث مراحل، أسفل، وأوسط وأعلى، فأما الاسفل فيشمل الحضارتين الشيلية والاشولية، وأما الاوسط فيشمل الحضارة الموستيرية المصرية (الليفلوازية)، وأما الاعلى فيشمل الحضارة السبيلية. وواضح من أسماء هذه الحضارات أن تطور الصناعات الحجرية فى مصر يسير جنبا الى جنب مع تطورها فى أوروبا حتى بداية العصر الحجرى القديم الاوسط، ولذلك أطلقت على الحضارات المصرية حتى هذه المرحلة نفس الاسماء الاوروبية ولكن ابتداء من العصر الحجرى القديم الأوسط تتطور الصناعات الحجرية المصرية فى طريق مختلف. ولذلك أخذت حضارتها ابتداء من هذا العصر أسماء خاصة.

وسنتتبع فيما يلى خط تطور هذه الحضارات مبينين المرحلة التى اشتركت فيها مصر مع أوربا فى المعالم الحضارية. ثم نقطة التحول ثم المرحلة التى ظهرت فيها مصر بطابعها الحضارى الخاص (انظر الجدول فى شكل ٢).

جدول يبين العلاقة بين العصور الجيولوجية والعصور البشرية

العصر الجيولوجي	العصر البشري	تواريخ تقريبية
العصر الحديث	العصر التاريخي	من ٣٢٠٠ إلى الوقت الحاضر
	عصر ما قبل الأسرات	من ٤٥٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق . م
	الحجري الحديث	من ٨٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ ق . م
	" القديم الأعلى (السبيلي)	من ٢٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ق . م
البليستوسين	الحجري القديم الأوسط (الموستيري)	من ٥٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق . م
	الحجري القديم الأسفل (الشيلي والأشولي) .	انتهى سنة ٥٠٠٠٠ ق . م
	عصر ما قبل الإنسان في مصر .	

(شكل ٢)

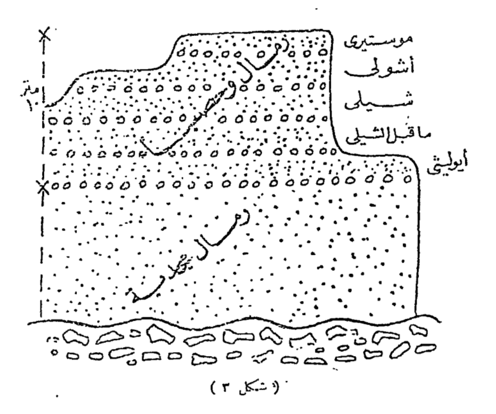
(١) العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط :

يمكن تتبع الرواسب التي كان يلقيها نهر الزمن الرابع على جوانب التلال الممتدة على طول نهر النيل الحالي . ولقد بلغ عرض مجرى النهر في الزمن الرابع عدة كيلومترات وبذلك كان ينشر ما يحمله من حصى ورمل وطين في مساحات واسعة وعلى مسافة كبيرة من المجرى الحالي فكون ما نسميه بالمدرجات النهرية . وقد بلغ سمك مدرجات الحصباء هذه من عشرة أمتار إلى خمسة عشر مترا ومما يستلفت النظر أن مدرجات النيل تشبه مدرجات السوم والتيمس — التي تضم أقدم الآثار البشرية — في سمكها وأشكال آلاتها .

وينحدر السطح من الهضبة البليوسينية على ارتفاع مائة متر إلى أعلى هذه المدرجات على مستوى ٤٥ متراً فوق مستوى ماء النهر الحالى . وقد درس ساندفورد وآركل مجموعة المدرجات القريبة من الأقصر وتلك الواقعة بينها وبين أسيوط فلم يعثر على آلات فى مدرج الخمسة وأربعين متراً . ثم يستمر انحدار السطح إلى مدرج الثلاثين متراً حيث توجد آلات مصنوعة بالطريقة الشيلية ، ثم إلى مدرج الخمسة عشر متراً حيث الآلات الأشولية الدقيقة الصنع ثم إلى مدرج الثلاثة أمتار حيث الآلات الموستيرية .

وكذلك بالقرب من قمة الدلتا — فى محاجر العباسية — تظهر رواسب نهر الزمن الرابع فى شكل مدرجات أو شطوط ضخمة وقد درس هذه المنطقة بوفيه لا بيير فتحقق من وجود إرساب موستيرى فوق إرساب شيلى وأشولى (انظر القطاع فى شكل ٣) .

تتابع الطبقات والحضارات فى رواسب سهل العباسية



(شكل ٣)

جدول يبين تتابع الظروف الطبيعية والحضارات البشرية
فى منطقة الواحة الخارجة خلال البليستوسين

ترتيب الدور	حالة السطح	حالة المناخ	الحضارة البشرية
العاشر	تعرية فى نطاق ضيق أيضا تلاها تكون مدرج الخمسة أمتار .	ذبذبة أكثر بساطة فى الرطوبة تلتها فترة جفاف تامة هى التى استمرت حتى الوقت الحاضر .	حضارة الخارجة (٣) مع بعض تأثيرات من الحضارة العاطرية .
التاسع	تعرية فى نطاق ضيق تلاها تكون مدرج السبعة أمتار .	ذبذبة بسيطة فى الرطوبة تلتها فترة جفاف .	خليط بين الحضارة الليفلوازية وحضارة الخارجة (٢) .
الثامن	أرساب طمى خشن وحصباء يتلوه ارساب طوفا .	مطر قليل .	الحضارة الليفلوازية الحديثة (٢) .
السابع	تعرية .	مطر متزايد . النهاية العظمى الثانية لخط المطر البيانى .	
السادس	أرساب طمى خشن وحصباء يتلوه ارساب طوفا .	مطر أقل .	
الخامس	تعرية شديدة .	النهاية القصوى للظروف الرطبة فى عصور ماقبل التاريخ .	الحضارة الأشولية الليفلوازية (١) .
الرابع	ارساب طوفا وحصباء وطمى خشن فوق البرشيا	بعض المطر والتزايد النباتى .	الحضارة الأشولية العليا .
الثالث	تكوينات برشيا .	مطر نادر أو معدوم .	لاحضارة .
الثانى	تعرية شديدة .	مطر كثير .	لاحضارة .
الأول	ارساب طوفا على الهضبة	مطر قليل .	لاحضارة .

(١) الحضارة الأشولية فى مصر كما هى فى أوروبا تمثل آخر حضارات العصر الحجرى القديم الأسفل وأما الحضارة الليفلوازية فى مصر فتمثل العصر الحجرى القديم الأوسط الذى تمثله الحضارة الموستيرية فى أوروبا .

(٢) أطلقت الباحثتان على الحضارة الليفلوازية الحديثة وعلى حضارة الخارجة اسم ما قبل السبيلية فى مبدأ الأمر ثم عدلتا أخيراً عن هذه التسمية .

(٣) توجد بعض وجوه شبه بين حضارة الخارجة فى مراحلها الأخيرة وبين حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فى شمال أفريقيا (الحضارة القفصية) وفى شمال غرب أوروبا (الحضارة التردنوازية) .

وكذلك فى الواحة الخارجة استطاعت الآنستان كيتون تومسون وجاردنر أن تصنفا التغيرات التى تعاقبت على هذه المنطقة خلال عصر البليستوسين سواء فى السطح أو المناخ أو الحضارة البشرية على النحو المبين بالجدول .

ويستخلص زويثر من هذا الجدول أنه وجدت خمسة أدوار رطبة بالواحة الخارجة هى الأدوار ٢ و ٥ و ٧ و ٩ و ١٠ وأن هذه الأدوار الخمسة تنقسم الى مجموعتين يمثل الدور الثانى منها مجموعة قائمة بنفسها وتمثل الأدوار ٥ و ٧ و ٩ و ١٠ مجموعة أخرى ويفصل بين المجموعتين فترة جفاف طويلة يمثلها الدور الثالث .

كما يحاول زويثر أن يربط بين الأدوار المناخية بالخارجة وبين الأدوار الجليدية بأوروبا فيقول إن الدور الثانى (وهو دور رطب) يقابل أحد الأدوار الجليدية الأوروبية الأولى (جنز أومندل أورس) وأن الدور الثالث (وهو دور جاف) يقابل فى أوروبا الفترة الدفيئة الأخيرة (فترة رس — فرم) وأن الأدوار من الخامس الى العاشر تقابل الدور الجليدى الأخير (دور فرم) .

فاذا صح هذا الربط بين الأدوار المصرية والأدوار الأوروبية يكون الدور الجليدى الأوروبى الأخير ممثلا فى مصر فى هذا الجزء الصحراوى الواقع على خط عرض ٢٥ شمالا بأربعة أدوار رطبة تتدرج نحو القلة بينما لا يمثله فى اقليم البحر الأبيض المتوسط إلا ثلاثة أدوار فقط .

(ب) العصر الحجرى القديم الأعلى :

لاتكاد توجد فى مصر حضارة من العصر الحجرى القديم الأعلى تقابل الحضارة الأورينياسية الأوروبية . ولقد وجد فنيار فى قرية السبيل بالقرب من كوم امبو صناعة اعتبرها معادلة للأورينياسية الوسطى والعليا فى أوروبا . ولكن لا يمكن الجزم بهذه المعادلة بين السبيلية المصرية والأورينياسية الأوروبية لأن وجوه الشبه بين آلات الحضارتين لاتقطع بهذه المعادلة، يضاف الى هذا أنه لم تكتشف مع الآلات الحجرية بقايا حيوانات يمكن أن تتخذ مفتاحا لتحديد عصر هذه الحضارة على وجه التحقيق .

على أن ڤنيار تمكن من تتبع صناعة الشظايا في مصر وتطورها من العصر الحجرى القديم الأوسط (الموستيرى) الى أواخر العصر الحجرى القديم الأعلى (الصناعة الحجرية القزمية). ولاشك أن هذا التطور واضح فى شكل الآلات فنجد فى مبدأ الأمر شظايا موستيرية قطعت من القاعدة قطعا مستقيما يزيل منطقة البصلة ثم نجد شظايا قطعت قاعدتها بنفس الطريقة السابقة ولكن من جانب واحد فقط وبذلك اتخذت شكل شبه المنحرف، وتقابل هذه المرحلة فى أوروبا من حيث شكل الآلات الحضارة التردنوازية (أواخر الحجرى القديم الأعلى) حيث الآلات ذات الأشكال الهندسية فمنها المستدير ومنها المثلث ومنها شبه المنحرف.

وقد حاول ڤنيار أن يثبت أن هذا التطور الشكلى تطور زمنى فى نفس الوقت. وذلك لأنه وجد هذه الآلات فى شواطىء بحيرة قديمة كانت تجف بالتدريج حتى تم جفافها.

ويرى ڤنيار أن الانسان كان يسكن هذه الشواطىء بحيث كان ينحدر نحو قلب البحيرة كلما ازداد جفافها وانخفض مستواها لكى يظل قريبا من الماء. ومعنى هذا أن الآلات التى فى الشواطىء العليا أقدم زمنا من التى فى الشواطىء السفلى. وهذا هو ما استند اليه ڤنيار فى محاولته تأريخ هذه الشطوط والآلات التى وجدت فيها، وفعلا قسمها الى ثلاثة مستويات يضم المستوى الأخير منها فى معظمه آلات قزمية بها كثير من المحتات. وترجع هذه المحتات القزمية الى أصل محلى فهى مأخوذة عن الآلات التى أزيلت منطقة البصلة منها.

ولكن مما يشكك فى هذا التقسيم الزمنى الذى وضعه ڤنيار أن الفرق بين أعلى مستوى للبحيرة وبين أقل مستوى لها لا يتعدى بضعة أقدام، كما أن الخطوط الكنتورية لشواطىء البحيرة شديدة التقارب أى أن المسافة الرأسية لهذه الشطوط كانت صغيرة مما يرجح القول بأن الانسان حينما سكن الشطوط السفلى كان فى نفس الوقت مازال يسكن الشطوط العليا لقرب المسافة

بين هذه وتلك . وهذا من شأنه أن يقلل من صلاحية الآلات كمقياس زمنى ، ومن ثم لا يمكن اتخاذ مستويات تيار الأترية مراحل زمنية متعاقبة .

ولكن الحضارة السبيلية ككل لا شك في نسبتها إلى العصر الحجرى القديم الأعلى . فأشكال آلاتها وطرق صناعاتها تؤكد أنها تقع بعد الحجرى القديم الأوسط . ثم أنها خالية من الآنية الفخارية والحجارة المصقولة مما يحتم وضعها قبل العصر الحجرى الحديث . فالحضارة السبيلية إذاً تمثل حضارة مصر فى العصر الحجرى القديم الأعلى .

ثانياً — العصر الحجرى الحديث

لا تتضح فى مصر الصلة بين العصر الحجرى الحديث وبين العصر السابق له رغم كثرة ما كشف من آثار العصر الحجرى الحديث . ومنذ أن ظهرت مكتشفات دى مورجان وبترى فى القرن الماضى والمحاولات تبذل لتأريخ هذا العصر والتعرف على مراحله المختلفة ، تلك المراحل التى دخل المدن فى أواخرها بالتدريج والتى انتهت أخيراً بقيام عصر الأسرات . ولم تنجح هذه المحاولات إلا نجاحا جزئياً أحياناً ومحلياً أحياناً أخرى . وسبب ذلك عدة أمور ، الأمر الأول أن الصلة بين آثار العصر الحجرى الحديث وبين آثار العصر الحجرى القديم ليست صلة طباقية لاختلاف المناطق التى كان يسكنها إنسان كل منهما ، فانسان العصر الحجرى القديم كان يعيش صياداً متجولا فوق الهضبة الممتدة بحذاء النهر حيث كانت وفرة المطر تسمح بذلك ، وأما إنسان العصر الحجرى الحديث فقد هجر هذه الهضبة بسبب موجة الجفاف التى كانت آخذة فى الشدة واقترب من مجرى النيل يعيش بقربه فى قرى ثابتة معيشة استقرار . والأمر الثانى أن مواطن إنسان العصر الحجرى القديم الأعلى لم تفحص على نطاق واسع بل إن محلات العصر الحجرى الحديث نفسه لم يكشف معظمها بعد ، والأمر الثالث أن تطور المظاهر العامة للصناعات ليس واضحا ، إذ ما زالت هناك حلقات كثيرة

مفقودة فى سلسلة تطور الصناعات بين العصر الحجرى القديم وبين العصر الحجرى الحديث .

ويشك بعض علماء ما قبل التاريخ فى وجود حضارات مصرية من العصر الحجرى الحديث الصرف أى ليس فيها أدوات نحاسية ولا أدلة على استخدام النحاس ولكن هذا الشك ليس له ما يبرره فقد وجدت فى جهات كثيرة من مصر حضارات ليس هناك شك فى نسبتها للعصر الحجرى الحديث الصرف . ومثال ذلك مرمدة بنى سلامة فى غرب الدلتا ثم شاطئ العشرة أمتار بالفيوم ثم منطقة مستجدة بمصر العليا . وقد قام بالحفر فى هذه الجهات علماء ممتازون اتبعوا أحدث الطرق العلمية مما يجعلنا نطمئن إلى النتائج التى وصلوا إليها .

ويظهر أن حضارة العصر الحجرى الحديث بدأت تستقر فى وادى النيل فى دور الارساب الثانى[1] حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمى الناعم الذى بلغ منذ العصر الحجرى الحديث سمكا كبيراً استحال معه الوصول إلى قاعدته فى كثير من الحفر والآبار ، وأما خارج الوادى فقد وجدت آثار هذا العصر فوق الهضبة الليبية ، وكذلك وجدت مخلفاته فى المعصرة ووادى الشيخ . ولكن الحفاير لم تجر فى هذه الجهات بطريقة منظمة . ففى المعصرة الواقعة جنوب القاهرة بقليل لم تجر حفاير منظمة بقصد الكشف عن حضارة هذا العصر ، وإنما عثر على آثاره عرضاً فى عمليات استخراج الرمال والحجارة اللازمة لأعمال البناء من هذه المنطقة . وكذلك فى وادى الشيخ ووادى سجور المجاور له — وهما واديان يصبان فى الجانب الأيمن للنيل بين الفنت ومغاغه — وجد سيتن كار مناجم من الصوان فى الحجارة الأيوسينية فيها آلات كثيرة غير تامة الصنع معظمها من التى تستعمل فى الأغراض الزراعية . وتوجد بعض وجوه الشبه بين صناعة وادى الشيخ وبين الصناعة الكمبينية فى أوروبا . وكذلك وجدت كيتن تمسون على طول الخط الحديدى بين أبيدوس والواحة

(١) كان دور الأرساب الأول فى العصر الحجرى القديم حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمى الخشن .

الخارجة آلات من العصر الحجرى الحديث مصنوعة من الصوان ومختلطة بقشر بيض النعام الذى تزداد كثرة كلما اقتربنا من الواحة ، ثم بالقرب من الواحة وجدت مناجم من حجر الصوان استغلت فى العصر الحجرى الحديث . وكذلك فى منطقة الواحة الخارجة وجد الأمير كمال الدين حسين عدة محطات من هذا العصر تزداد اتساعا وتزداد آلاتها اتقانا كلما اقتربنا من منخفض الواحة . ويوجد تشابه بين هذه الآلات وبين آلات الفيوم التى من نفس العصر .

ومنطقة الفيوم من المناطق التى بحثت بالتفصيل والتى يتمثل فيها منهج علم ما قبل التاريخ أحسن تمثيل . فالفيوم منخفض فى الهضبة الليبية مفصول عن وادى النيل بخط من التلال الواطئة ، ويشغل قاع هذا المنخفض بحيرة قارون التى كانت تسمى قديماً بحيرة موريس . وتصل مياه النيل إلى الفيوم بواسطة أحد فروعه المسمى بحر يوسف وتنفذ إلى المنخفض من خلال ممر ضيق منحوت فى الحافة الليبية وهو الخانق المحصور بين اللاهون وقناة الهوارة . وقد وجد ساندفورد وآركل على ضفاف قناة الهوارة شاطئا من الحصباء ارتفاعه ٣٦ مترا فوق مستوى سطح البحر عند طرفه القريب من النيل بينما يبلغ ارتفاعه عند الطرف الآخر ٣٤ متراً . وقد عثرا فى هذه الحصباء على آلات موستيرية مما يدل على أنه فى فترة الحضارة الموستيرية كانت قناة الهوارة تجرى بالماء فتغذى بحيرة قارون .

والبحيرة حاليا على مستوى ٤٥ مترا تحت سطح البحر ، ولكن الرواسب البحيرية المنتشرة فوق سفوح المنخفض تدل على أن مستوى البحيرة كان قديماً أعلى منه فى الوقت الحاضر . وتنتظم هذه الرواسب البحيرية فى سلسلة من الشواطىء متدرجة فوق الشاطىء الحالى . وأعلى هذه الشواطىء ما وجده ليتل على مستوى ٤٣ مترا فوق مستوى سطح البحر ، ويقابل هذا من الناحية الطبوغرافية مدرج ١٦ مترا من مدرجات النيل وهو مدرج الحضارة الأشولية[1] . ومعنى هذا أن مستوى البحيرة انخفض من عهد

(١) يلاحظ أن شواطىء الفيوم تقاس بالنسبة لمستوى سطح البحر وأن مدرجات النيل تقاس بالنسبة لمستوى السهل الفيضى .

الحضارة الأشولية حتى الوقت الحاضر ٨٨ مترا . ونجد بين أعلى هذه الشواطئ (+ ٤٣) وبين مستوى بركة قارون الحالى (— ٤٥) بقايا حوالى ٣٠ شاطئاً أهمها الشواطئ ٤٠ ، ٣٤ ، ٢٨ ، ٢٣ ، ١٨ ، ١٠ ، ٤ من الأمتار فوق سطح البحر ثم الشاطئ ٢ متر تحت سطح البحر . وقد تعرف ساندفورد وآركل على بقايا الشاطئين ٣٤ ، ٢٨ فى جنوب شرق البحيرة ، كما تعرفت الآنستان تومسون وجاردنر على بقايا سائر الشواطئ فى شمال البحيرة (انظر شكل ٤).

وقد أمكن تحديد عمر هذه الشواطئ بما تضمه من حفريات وصناعة بشرية . ففيما يختص بالصناعة البشرية أخرج الشاطئ ٤٠ صناعة لفلوازية ، والشاطئ ٣٤ صناعة موستيرية ، كما أخرج الشاطئان ٢٨ ، ٢٣ آلات من أواخر العصر الحجرى القديم الأعلى ، وأخرج الشاطئان ١٠ ، ٤ آلات من العصر الحجرى الحديث ، وأخرج الشاطئ — ٢ آثاراً من أواخر العصر الحجرى الحديث وكذلك أخرجت من نفس الشاطئ آثار من عصر ما قبل الأسرات بل وجدت فيه آثار من الأسرة الرابعة الفرعونية . ولا تفسير لهذا إلا بأن هذا الشاطئ يمثل فترة طويلة من فترات استقرار البحيرة على هذا المستوى ، ثم بعد الأسرة الرابعة أخذ مستوى البحيرة فى الانخفاض سريعاً حتى وصل إلى المستوى الحالى وهو — ٤٥

هذا التدرج السلمى بالفيوم يمكن أن يتخذ مفتاحا لمعرفة تدرج الحضارات بوادى النيل إذا ما قورنت آثار الوادى بآثار المنخفض . كما يمكن أن يتخذ هذا التدرج السلمى مقياسا زمنيا تحدد بمقتضاه أعمار الحضارات بالنسبة لبعضها فى الوادى والمنخفض .

والفيوم غنية بآثار العصر الحجرى الحديث ، وقد جمع كثيراً من هذه الآثار كل من دى مورجان وشفينفرت وسيتون كار وبيدنل ، ولكن أحداً منهم لم يقم بحفائر منظمة فى هذا المكان ، كما أنهم لم يكتبوا عنه إلا قليلا ، إلى أن جاءت الآنستان كيتن تمسون وجاردنر فقامتا بحفائر منظمة ونشرتا نتائج أبحاثهما بالتفصيل .

والمحلات التى كشفنا عنها تقع شمال بركة قارون فوق الشواطئ البحرية ١٠ ، ٤ ، — ٢ من الأمتار . وقد أطلقنا على حضارة الشاطئ ١٠ اسم حضارة الفيوم ا وعلى حضارة الشاطئ ٤ اسم حضارة الفيوم ب وأما الشاطئ — ٢ فيتبعه فرع من حضارة الفيوم ب أحدث فى الزمن من الحضارة الأصلية .

وفى الحق أن حضارة فيوم (ب) — أصلها وفرعها — ليست بحضارة متميزة عن فيوم (ا) وما هى إلا مرحلة تدهور حضارى من فيوم (ا) . ويظهر أن شاطئ البحيرة لم يستمر كثيرا على مستوى ٤ متر مما لم يساعد على الاستقرار الطويل على هذا الشاطئ ، وهذا بدوره لم يساعد على الازدهار الحضارى بحيث تنشأ عليه حضارة متميزة عن الشاطئ ١٠ متر . ويؤيد هذه الحقيقة فحص الآلات الحجرية فقد دل ذلك على أن آلات الفيوم ب أقل اتقانا فى تشذيبها وصقلها وتنوعها من آلات الفيوم (ا) الأقدم منها ، كما لا نجد فى الفيوم (ب) من الآلات الجديدة ما يبرر اعتبارها حضارة قائمة بذاتها ومن أجل هذا حق علينا القول بأنها ما هى إلا حضارة متدهورة من الفيوم (ا) .

وأما الشاطئ (٢) حيث تستقر حضارة الفيوم (ب) الحديثة فترجع أهميته الى دلالته على استقرار سطح البحيرة عند مستواه فترة طويلة من الوقت تمتد من هذا العصر حتى الدولة القديمة . وأما من الناحية الأثرية فليس هناك مبرر الى اعتبار هذا الشاطئ وحدة حضارية قائمة بذاتها . ومما يضعف كيان الفيوم (ب) — أصلها وفرعها — كحضارة مستقلة أنه لم يعثر بها على بقايا المساكن أو على آثار ثابتة من أى نوع ، كما لم يعثر بها على أوانى فخارية ، بل إن القول بوجود هذه الحضارة لا يعتمد إلا على الآلات الحجرية وهى من الآثار القابلة للنقل التى لا يعتمد عليها وحدها فى إقامة حضارة من حضارات العصر الحجرى الحديث ذى الحياة المستقرة والقرى الثابتة التى يعتمد أهلها على بعض الزراعة واستئناس الحيوان .

اذا تركنا الفيوم وانتقلنا الى مناطق أخرى من مناطق العصر الحجرى الحديث التى أجريت فيها حفائر منظمة مثل ديرتاسا والعمرى ومرمدة بنى سلامة

تحديد عصر هذه الحضارات لايقوم على الوضع الطباقي لآثارها ولا على موقع المنطقة بالنسبة المناطق المجاورة لها ، وانما يحدد عصر هذه الحضارات بناء على نوع آثارها . ومثال ذلك أن حضارة ديرتاسا عرفت من جبانة تشتمل محتويات مقابرها على أحجار لطحن الغلال وعلى فؤوس حجرية مصقولة وعلى ألواح حجرية لإعداد مواد الصباغة وعلى أوانى فخارية ، وكل هذه الآثار من علامات العصر الحجرى الحديث . ومع أن حضارة ديرتاسا لم تعرف إلا من المقابر بينما عرفت حضارة الفيوم (ا) من المساكن إلا أنه أمكن القول بأن الحضارتين ترجعان لعصر واحد وأنهما متشابهتان فى مظاهرهما الحضارية ومتقاربتان فى المستوى الحضارى ، ومن ثم يمكن إكمال احداها بالأخرى أو ضم مساكن هذه إلى مقابر تلك لتكوين صورة تامة عن حضارة مصر فى العصر الحجرى الحديث .

وكذلك تقع حضارة مرمدة بنى سلامة فى مستوى حضارتي ديرتاسا والفيوم . وقد عرفت المميزات الحضارية لمرمدة من المساكن والمقابر معا لأن أهل مرمدة كانوا يدفنون موتاهم داخل المساكن . وطريقة الدفن واحدة فى كل من ديرتاسا ومرمدة والعمرى ، ويدل شكل الجماجم على أنهم من أصحاب الرؤوس الطويلة

وهذه الحضارات المصرية فى العصر الحجرى الحديث التى لا يمكن تتبع جذورها فى العصر الحجرى القديم الأعلى تتشابه فى كثير من المظاهر الرئيسية مع حضارة روبنهاوزيان (Robenhausian) فى أوروبا ، فهل كانت الحضارة المصرية فى العصر الحجرى الحديث أصلا للحضارة الأوروبية فى هذا العصر؟ أو أن كليهما يرجع الى أصل مشترك فى مكان ما بغرب آسيا أو شمال افريقية ؟

ويدل موقع قرى العصر الحجرى الحديث بعيداً عن النهر على أن ظروف مصر المناخية كانت أقل صحراوية مما هى عليه الآن ، ومما يعزز ذلك بقايا جذور الأشجار بهذه المناطق ثم عظام الحيوانات المختلفة التي تدل على وفرة الرطوبة قديما فى هذه الجهات الواقعة على حافة الصحراء فى الوقت الحاضر .

ثالثاً — عصر النحاس

عرف النحاس لأول مرة فى مصر فى حضارة البدارى حوالى سنة ٥٠٠٠ ق م واستمر استخدامه غير مخلوط بغيره من المعادن حتى الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق. م. إذ عرف البرنز ابتداء من هذه الفترة. فكأن عصر النحاس استمر قائما بمصر مدة ثلاثة آلاف عام فاشتمل على المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ وعلى المرحلة الأولى من العصر التاريخى ولا يعنينا هنا إلا مرحلته الواقعة فى عصر ما قبل التاريخ.

ومحلات عصر النحاس التى ترجع لما قبل التاريخ فى مصر كثيرة العدد وواسعة الانتشار فى أجزاء القطر المختلفة نسردها فيما يلى:

١ — الكوم الأحمر (هيراكونبوليس) حيث حفر كويبل وجرين فكشفا عن آثار القرية والجبانة.

٢ — أرمنت وحفر فيها روبرت موند ومايرز فكشفا عن القرية والجبانة.

٣ — نقادة وبلاص حيث حفر بترى وكويبل فكشفا عن قريتين شمالية وجنوبية ثم عدة جبانات تضم حوالى ثلاثة آلاف مقبرة.

٤ — هو والأبعدية وسمانية فى اقليم ديوسپوليس پارڤا حيث حفر بترى فكشف عن خمس جبانات تضم ألفى مقبرة.

٥ — العمرة وحفر فيها مورجان وأميلينو حفراً غير منظم ثم حفر فيها ماك أيفر وميس حفراً منظماً فكشفوا عن جبانتين تضم كل منهما حوالى ٤٠٠ مقبرة.

٦ — أبيدوس وحفر فيها ماك ايفر وميس ثم نافيل وپيت فكشفوا عن أربع جبانات تضم حوالى ٢٥٠ مقبرة.

٧ — المحاسنة وحفر فيها جارستانج فكشف عن القرية وعن جبانة تضم حوالى ٥٠٠ مقبرة، كما حفر فيها أيرتون ولوت فكشفا عن جبانة تضم حوالى ٦٠٠ مقبرة

٨ — نجع الدير وحفر فيها ليثجو فكشف عن جبانة تضم ٧٠٠٠ مقبرة.

٩ — البدارى وقاو الكبير وهمامية ومستجدة حيث توجد عدة قرى من هذا العصر وعدة جبانات تضم حوالى الف مقبرة، وقد حفرها جميعا برنتون فيما عدا قرية واحدة شمال الهمامية حفرتها كيتون تمسون .

١٠ — حراقة حيث توجد جبانتان صغيرتان تضم حوالى ٣٠ مقبرة وقد حفرها انجلباخ .

١١ — أبوصير الملق حيث توجد جبانة تضم حوالى ألف مقبرة وقد حفرها مولر ونشر أبحاثها شارف .

١٢ — جرزة حيث توجد جبانة تضم حوالى ٣٠٠ مقبرة وقد حفرها ويثريت .

١٣ — واطفة بالفيوم (فيلوتيرس) حيث توجد قرية حفرتها كيتون تمسون .

١٤ — المعادى حيث توجد قرية وجبانتان وأول من عرف بهـا بوفييه لا بيير ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر وأزوالد منجين وابراهيم رزقانه ومازالت الحفائر قائمة حتى الآن فى القرية والجبانتين .

١٥ — حلوان ب (أو العمرى ب) حيث توجد قرية وجبانة وحفر فيها دى بونو ولم يتم حفرها حتى الآن .

١٦ — هليوبوليس حيث توجد جبانة وقد أخرج بعض هياكلها زكى نور ودى بونو ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر وابراهيم رزقانه ومحمد متولى .

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن هذه القرى والجبانات تتجمع فى مجموعتين ، مجموعة جنوبية تنحصر بين الجندل الأول وبين مركز البدارى ومجموعة شمالية تنحصر بين عرض الفيوم وبين قمة الدلتا . ويفصل بين المجموعتين مسافة ٢٥٠ كيلو متراً لم تكشف فيها أية آثار من فترة عصر

النحاس السابقة للتاريخ فيما عدا زاوية الميتين التى كشفها ثيل ولم تنشر النتائج الكاملة لحفائرها بعد (أنظر الخريطة فى شكل ٥) .

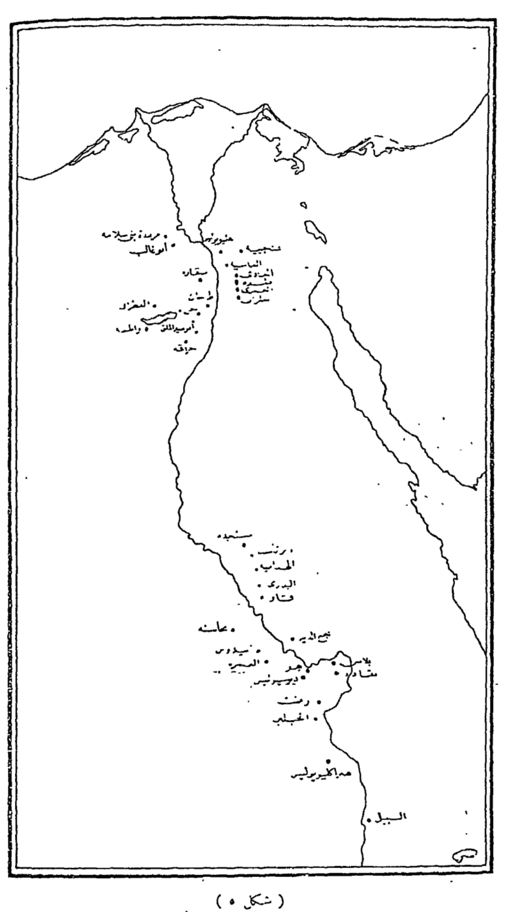
وقد اصطلح علماء الآثار المصرية على وضع حضارات عصر النحاس السابقة للتاريخ فى مرحلة حضارية خاصة أطلقوا عليها أسم عصر ماقبل الأسرات ، غير أنهم يختلفون فى تقسيم عصر ماقبل الأسرات نفسه ، فالبعض يقسمه تقسيما زمنياً الى قديم ومتوسط وحديث ؛ وقد قسمه بترى فى بادئ الأمر الى مرحلتين سماها الحضارة الأولى والحضارة الثانية ، ثم عاد فقسمه إلى ثلاث مراحل سماها العَمْرَة وجرزة وسماينة .

وقد أطلق شارف على عصر ماقبل الأسرات اسم عصر نقادة وقسمه تقسيما ثنائياً إلى نقادة الأولى وتشمل حضارة العمرة عند بترى وإلى نقادة الثانية وتشمل حضارتى جرزة وسماينة عند بترى ، أى أن شارف اتبع تقسيم بترى الثنائى مع اختلاف فى التسمية .

وأما مايرز فيأخذ بالتقسيم الزمنى لهذا العصر فيقسمه الى قديم ومتوسط وحديث ، غير أن مدلول هذه الألفاظ مختلف عنده عن غيره من الكتاب . فهو يجعل عصر ما قبل الأسرات القديم شاملا لمرحلة طويلة ويقسمه إلى اقسام فرعية يعطيها الأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ . فأما رقم ١ فقد تركه بلا حضارة تقابله انتظاراً لما عساه أن يكتشف من آثار أقدم من ديرتاسا . وأما رقم ٢ فقد جعله ممثلا لحضارة ديرتاسا ، وأما ٣ و ٤ فقد جعلهما ممثلين للبدارى والعمرة على الترتيب . ولكن لا يأخذ أحد من الكتاب بتقسيم مايرز.

وفيما يلى جدول يبين تقسيمات هذا العصر عند الكتاب المختلفين :

بترى	بترى	شارف	مايرز
	سماينة		عصر ما قبل الأسرات الحديث
الحضارة الثانية	جرزة	نقادة الثانية	عصر ما قبل الأسرات المتوسط
الحضارة الأولى	العمرة	نقادة الأولى	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٤
			عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٣
			عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٢
			عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ١



(شكل ٥)
خريطة تبين محلات عصر النحاس فيما قبل التاريخ

والتقسيم الشائع لحضارات هذا العصر هو ما أثبتناه فى الجدول المبين فى شكل ٦ مع اختلاف يسير هو أن معظم الكتاب فى الوقت الحاضر لا يعترفون بأن حضارة سمانية حضارة قائمة بنفسها وذات مقومات خاصة وإنما يرون أنها ماهى إلا مرحلة متدهورة من حضارة جرزة . ولذلك يفضلون إلحاقها بحضارة جرزة وبذلك يعودون للتقسيم الثانى لعصر ما قبل الاسرات وهو :

١ — عصر ماقبل الاسرات الأول أو نقادة الاولى أو العمرة .

٢ — عصر ماقبل الاسرات الثانى أو نقادة الثانية أو جرزة .

جدول يبين تتابع الحضارات فى مصر منذ العصر الحجرى الحديث حتى الاسرة الأولى

الوجه القبلى	الوجه البحرى والفيوم	التاريخ
الأسرة الفرعونية الأولى	الأسرة الفرعونية الأولى	٣٢٠٠ قبل الميلاد
حضارة سمانية (ماقبل طيبة)		
حضارة جرزة		
	حضارة المعادى	٤٠٠٠ قبل الميلاد
	« مصر الجديدة	
	« حلوان الثانية	
حضارة العمرة	(حلوان ب)	
حضارة البدارى	حضارة الفيوم الثانية (فيوم ب)	٥٠٠٠ قبل الميلاد
	« مرمدة بنى سلامة	
	« الفيوم الأولى (فيوم ا)	
حضارة دير تاسا	« حلوان الأولى	٦٠٠٠ قبل الميلاد
	(العمرى أو حلوان ا)	

(شكل ٦)

نظام التأريخ التتابعى

ابتدع بترى نظاما لتأريخ حضارات عصر ما قبل الأسرات يقوم على أشكال القطع الأثرية . وحاول أن يحدد التاريخ النسبى لحوالى ٩٠٠ مقبرة كشفها فى نقادة وهو والأبعدية . ولما كانت الأوانى الفخارية هى أكثر القطع الأثرية شيوعا فى المقابر ، هذا الى كثرة تنوع أشكالها فقد وجد بترى فى هذه الأوانى أحسن مقياس لتأريخه التتابعى . فأخذ فى تصنيف هذه الأوانى الى مجموعات أو الى عائلات بلغ عددها تسعا ورمز لكل مجموعة بحرف هجائى يمثل أول حرف فى اسم المجموعة باللغة الانجليزية فيما عدا المجموعة الخامسة وذلك على النحو الآتى :

B عائلة الأوانى ذات القمة السوداء . (black topped)

P عائلة الأوانى المصقولة . . . . (polished (red))

F عائلة الأوانى ذات الاشكال الغريبة (fancy (black)

C عائلة الاوانى ذات الخطوط المتقاطعة (cross-lined (white).

N عائلة الاوانى ذات الخطوط المحفورة (incised (black)

W عائلة الاوانى ذات المقابض المموجة (wavy handled)

D عائلة الاوانى المزدانة برسوم . . (decorated).

R عائلة الاوانى الخشنة (طينة رديئة واحتراق ردىء) . . . . . (rough)

L عائلة الاوانى الحديثة . . . . . . (Late)

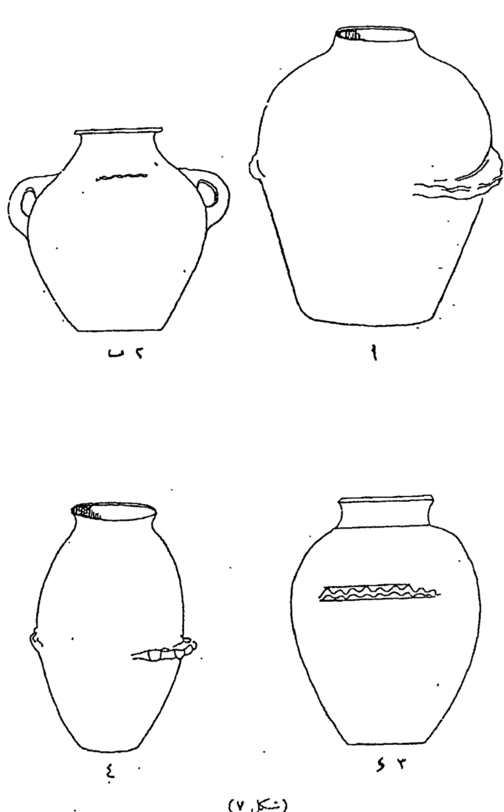
وتضم كل عائلة من هذه العائلات عددا كبيرا من الاشكال ، فقام بترى بوضع الحرف الذى يمثل العائلة على كل آنية وبجانبه رقم لكل شكل لكى تعرف به داخل عائلتها ، وبذلك حصل على سجل وافى بأوانى عصر ما قبل الاسرات . ثم وزع محتويات التسعمائة مقبرة بين العائلات التسع فتبين له من أول وهلة أنه لاتوجد مقبرة من المقابر تجمع بين عائلة C وعائلة W ومعنى هذا أن هاتين العائلتين لم تكونا معاصرتين لبعضهما . ولما كانت العائلة W توجد أيضاً بمقابر الأسرات الاولى بينما لا توجد العائلة C بمقابر هذه الاسرات اطلاقا

فقد استنتج بترى من هذا أن المقابر المحتوية على العائلة C أقدم وجودا من المقابر المحتوية على العائلة W .

كما لاحظ بترى أن العائلة W تضم عدداً كبيراً من الأشكال التى يظهر أنها كلها ترجع إلى أصل واحد ثم تسلسلت عن هذا الأصل بالتغير التدريجى وبذلك تعددت أشكالها . وقد أعطى بترى للشكل الأصلى الرقم ١ وبذلك يكون رمزه الكامل W1 ويعتبره بترى أكمل أشكال العائلة W وأقدمها فى نفس الوقت ، ثم أخذت تتسلسل منه أشكال أخرى اعتبرها أحدث زمنا وأقل اتقانا ووصل فى تعداده لهذه الأشكال المتسلسلة إلى الرقم ٩٠ ومعنى هذا أنه بينما الآنية W1 أقدم أوانى هذه المجموعة زمنا وأتمها شكلا نجد الآنية W 90 أحدث أوانيها زمنا وأحطها شكلا ثم تتدرج بينهما سائر الأرقام . (أنظر شكل ٧) .

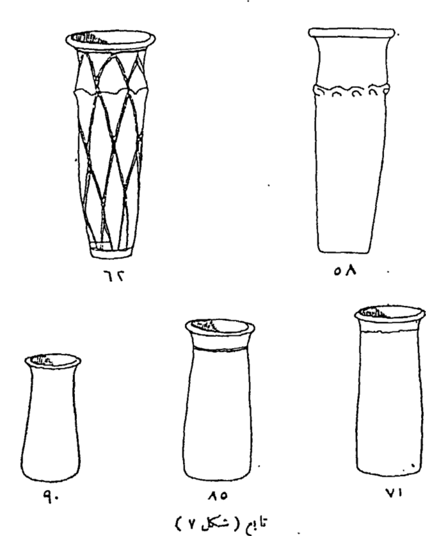
ثم عمد بترى إلى عائلات الأوانى B و P و R فرتبها ترتيبا زمنيا حسب وجودها مع أرقام العائلة W . كما اعتبر بترى العائلة L أحدث عائلات الأوانى لأنها تشترك فى الشكل مع أوانى عصر الأسرات . وأما العائلة D فقد رتبها بترى حسب الرسوم التى عليها وقسمها إلى مجموعات بحيث توضع الأوانى ذات الرسوم المتشابهة فى مجموعة واحدة .

وبعد أن انتهى بترى من ترتيب العائلات C و W و B و P و R و L و D على النحو السابق بقيت لديه بضع مئات من الأوانى لم يستطع تحديد تاريخها بالنسبة للعائلة W ولا بالنسبة للعائلة L لأنها لم توجد مختلطة مع هذين النوعين . فعمد بترى الى ترتيبها بحسب رقم أشكال العائلات B و P و R التى سبق أن حدد تاريخها بالنسبة للعائلة W فحصل بذلك على مجموعة من البطاقات تضم صفر ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ من هذه الأشكال . فاذا عملت نسبة أوانى العائلة C التى تحتويها كل مجموعة من هذه المجموعات لوجدناها تكون $\frac{1}{2}$ المجموعة صفر و $\frac{1}{16}$ من المجموعة ١ و $\frac{1}{35}$ من المجموعة ٢ ثم تختفى الأوانى C فى المجموعات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فخرج بترى من ذلك بنتيجة هى أنه مضت مدة بين اختفاء الأوانى C وبين ظهور الأوانى W وأن أشكال العائلات B و P و R المرافقة للعائلة C هى أكثرها قدما .



(شكل ٧)

يبين تدهور المقابض المموجة بين الرقم ١٧٠١ والرقم ١٧٩٠.



تابع (شكل ٧)

يبين تدهور المقابض المموجة بين الرقم W71 والرقم W 90

وفى البطاقات السابقة المحتوية على الأرقام صفر و١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ من أشكال الاوانى B و P و R المختلطة بالشكل W وجد أن نسبة الاوانى R و P و B المختلطة بالاوانى C بالترتيب الآتى ٢ و١,٢ و٠,٦٧ و٠,٢٥ و٠,١٠ و صفر ، وفى حين أن الاشكال B و P و R المختلطة بالاوانى C يقل عددها تدريجيا ، نجد أن هذه الاشكال المختلطة بالشكل W يزداد عددها تدريجيا . فتمكن بترى من ذلك من ترتيب تتابع هذه الاشكال الثلاثة B و P و R السابقة لظهور الشكل W وبطبيعة الحال سابقة لجميع الاشكال المرتبطة بها .

وأخيرا قسم بترى أوانى مقابر التسعمائة ألى خمسين مجموعة بحسب المقياس السابق وأعطاها أرقاما تبدأ برقم ٣٠ وتنتهى برقم ٧٩

وهذه الأرقام هي ما سماها بترى بالتأريخ التتابعى (Sequence Dating) . فالرقم ٣٠ يمثل أقدم المقابر بين التسعمائة مقبرة التى فحصها بترى وبنى عليها تأريخه ، وأما الأرقام من ١ إلى ٢٩ فقد تركها بترى لما عساه أن يظهر من مقابر أقدم من مقابر التسعمائة المشار إليها . ولقد كان هذا الاحتياط من بترى عظيم الفائدة فقد كشف برنتون بعد ذلك حضارة البدارى التى دلت دراستها على أن مقابرها أقدم من أية مقبرة فى مجموعة بترى أى أقدم من الرقم ٣٠ . وأما الرقم ٧٩ فقد جعله بترى معاصرا لحكم الملك مينا أى لسنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ؛ وهذه هى الصلة الوحيدة بين تأريخ بترى التتابعى وبين التاريخ العام . وقد لاحظ بترى بحق أنه من الصعب أن يربط أرقامه — فيما عدا الرقم ٧٩ — بالسنوات ، فالزمن ليس واحداً بين كل رقم ورقم ، وكل ما فى تأريخه التتابعى أنه عبارة عن ترتيب ، فهذا يسبق ذاك وهذا يأتى بعد ذاك ولكن لا يمكن إعطاء سنوات ولو تقريبية لهذا وذاك .

وقد أخرج بترى فى ١٩٠١ كتابه (Diospolis Parva) الذى يضم سجلا بأشكال الأوانى الفخارية فى عصر ما قبل الأسرات وأتبعه بسجل آخر فى سنة ١٩٢١ (Corpus of Prehistoric Pottery) أعطانا فيه شكل كل آنية معروفة حينذاك وبيان موقعها من التأريخ التتابعى ، ونستطيع بفضل هذا السجل أن نضيف إليه ما كشف من أوانى بعد نشره ، كما نستطيع أن نحدد بمقتضاه تاريخ المقابر التى كشفت من بعده .

والنظرية التى قام عليها تأريخ بترى التتابعى مقبولة لأنها تنبنى على أن تقليد الشىء أقل كمالا من الأصل ، ثم إن تقليد التقليد أكثر بعداً عن الأصل ، وهكذا كلما تدرجنا فى الحداثة ابتعدنا عن الأصل . ولكن وجد أن هذه النظرية التى انطبقت على الأوانى الفخارية لم تنطبق على الأشياء الأثرية الأخرى كاللوحات الحجرية المشكلة على هيئة حيوانات ، فإن اللوحات الأحدث تكون أكمل تصويراً لشكل الحيوان من اللوحات الأقدم بسبب رقى الفن ،

ومن ثم كانت أكل اللوحات الحجرية موجودة فى المقابر مختلطة بأحط الاوانى الفخارية . ومع أن هذا الارتباط ليس مضطرداً فى جميع الاحوال إلا أنه يدل على أن المقابر لو رتبت بحسب هذه اللوحات الحجرية لكان ترتيبها مغايراً لترتيبها حسب الاوانى الفخارية . ومعنى هذا أن المقياس الذى اتخذه بترى لتأريخه التتابعى ليس بلا عيوب ، يضاف إلى هذا أن العمليات التى قام بها للوصول الى هذا التأريخ معقدة وكثيرة العدد . ويبلغ عدد هذه العمليات ثمانية عشرة على الأقل ، منها العملية السادسة عشرة التى تقوم على المراجعة الموضوعية والفنية للاوانى الفخارية . والمراجعة الموضوعية والفنية تقديرية تختلف نتيجتها باختلاف ذوق الاثرى ووجهة نظره . فلو قام أثرى آخر بعمل التأريخ التتابعى معتمداً على نفس القواعد التى وضعها بترى فانه سيصل حتما الى نتائج مختلفة عن النتائج التى وصل إليها بترى ، إذ من المستحيل أن نجد اثنين يتفقان مع بعضهما اتفاقا تاما فى النظرة الموضوعية والتقدير الفنى للآثار .

ولقد قبل معظم الأثريين تأريخ بترى التتابعى ولكن بعضهم لم يتقبله إلا بتحفظ ، فقالوا إنه من الجائز أنه ينطبق على الاقليم الذى فحصه بترى وهو الصعيد الجنوبى ولكنه لا ينطبق على جهات القطر الاخرى سواء فى الصعيد الشمالى أو الدلتا أو النوبة . ولقد قال كل من ريزنر وفيرث وينكر وشارف بأنهم لا يستطيعون استخدام تأريخ بترى التتابعى لتأريخ الجبانات التى كشفوها فى شمال مصر وبلاد النوبة إذ وجد أنه لا ينطبق عليها .

وقد رتب بترى ومدرسته حضارات عصر ما قبل الأسرات تبعا للتأريخ التتابعى على النحو الآتى :

حضارة البدارى تمتد من ٢١ الى ٢٩

حضارة العمرة تمتد من ٣٠ الى ٣٧

حضارة جرزة تمتد من ٣٨ الى ٦٠

حضارة سماينة تمتد من ٦١ الى ٧٨

وقد وجد أن هذا التوزيع العددى بين الحضارات لا يتفق مع الترتيب الطباقى فى الهمامية ، إذ وجد بين طبقة البدارى وبين طبقة العمرة ثم بين طبقة العمرة وبين طبقة جرزة طبقة متوسطة تختلط فيها آثار أقدم الحضارات بآثار أحدثها ، وهذا أمر طبيعى لأن الانتقال الحضارى يكون متدرجا فى العادة ولا يتم فجأة كما تفرض الأرقام التى وضعها بترى . فنحن لا نستطيع اطلاقا أن نقول هنا تنتهى حضارة كذا وتبدأ حضارة كذا . يضاف الى هذا أمر هام هو أن بترى لم يراع التوزيع الجغرافى لحضارات العصر الذى أراد تأريخه . فمن الثابت أن حضارة جرزة لا تتمثل بوضوح فى الصعيد الجنوبى إلا ابتداء من الفترة الوسطى من عصر ما قبل الأسرات فى حين أنها وجدت فى مصر الشمالية قبل هذه الفترة ، فبينما كان الشمال فى دور حضارة جرزة كان الجنوب مازال فى دور حضارة العمرة .

ونستطيع أن نستخلص من هذا كله أن جدول الحضارات كما رتبه بترى لا ينطبق إلا على الصعيد الجنوبى .

غير أن أخطر نقد وجه الى نظام التأريخ التتابعى ما قالت به باوم جارتل إذ لو صح نقدها لوجبت إعادة النظر فى هذا النظام وفى ترتيب الحضارات الذى قام عليه . فالدكتورة باوم جارتل تقول إن بعض أوانى المجموعة ١٧ — وهى المجموعة ذات المقابض المموجة — مشكوك فى تاريخها وضربت مثلا لذلك بالآنية رقم ١ فى هذه المجموعة فقالت أنها مشتراه ولا تعرف المقبرة التى أخرجت منها . ولما كان تأريخ بترى التتابعى يقوم على تطور هذه المجموعة فان أى شك يحوم حول أحداها يقوض أساس التأريخ كله . ونحن مضطرون الى أن ننظر الى كلام باوم جارتل بعين الاعتبار فهى من أكثر الناس دراية بمجموعة بترى الأثرية لأنها كانت مكلفة من قبل جامعة لندن بعمل كتالوج لهذه المجموعة .

على أن باوم جارتل لا تنكر على بترى عبقريته فى استنباط فكرة التأريخ التتابعى ووضع نظام له مهما بلغ من عيوبه ، فانه يساعد على تقسيم عصر ما قبل الأسرات الى مرحلتيه الرئيسيتين ولكنها تشك فى التواريخ النسبية المعطاة للاثار

في داخل كل مرحلة ، وهى من أجل هذا ترى أن التأريخ التتابعى فى حاجة إلى مراجعة دقيقة وإلى تجديد كبير بحيث يدخل الأثريون فى حسابهم نتائج الحفائر التى عملت بعد عهد بترى .

الربط بين الحضارات المصرية وبين حضارات بلاد النهرين

لما كانت حضارات بلاد النهرين تعتبر منافسة للحضارات المصرية فى عصر ماقبل الأسرات فقد حاول الأثريون الربط بينهما ربطا ثقافيا وزمنيا .

ففى العراق أمكن التمييز بين ثلاث مراحل حضارية تعتبر مراحل زمنية فى نفس الوقت هى العبيد والوركاء وجمدة نصر ، ويأتى بعد الحضارة الأخيرة عصر الأسرات . ويرى شارف أن حضارة العبيد تقابل النصف الأول من المرحلة الأولى لعصر ماقبل الأسرات المصرى ، وأن حضارة الوركاء تقابل النصف الثانى من هذه المرحلة الأولى ثم النصف الاول من المرحلة الثانية . وأما حضارة جمدة نصر فتقابل النصف الثاني من المرحلة الثانية لعصر ماقبل الأسرات المصرى ثم المرحلة الثالثة كلها، ثم مرحلة ماقبل طينة ، أى المرحلة التمهيدية لقيام الاسرة الفرعونية الاولى ، أى أن الاسرتين المصريتين الاولى والثانية — وهما الأسرتان الطينيتان — تقابلان الأسرات العراقية الأولى . ولكن ديلابورت يرى رأيا مخالفا لهذا فهو يقول إن حضارة العبيد تقابل كل عصر ما قبل الاسرات المصرى بمراحله المختلفة . ثم تأتى حضارة الوركاء فتقابل مرحلة ما قبل طينة ثم تأتى جمدة نصر فتقابل المرحلة الطينية نفسها أى الاسرتان الفرعونيتان الاولى والثانية .

وأما فى إيران فيبنى التقسيم التأريخى على الترتيب الطبقى بمنطقة صوصة ويتفق كل من شارف وديلابورت على أن حضارة صوصه الاولى معاصرة لحضارة العبيد ، ومرحلة الانتقال معاصرة لحضارة الوركاء ، وصوصة الثانية معاصرة لحضارة جمدة نصر والاسرات الاولى فى العراق ، وأما فى مصر فتعاصر أواخر عصر ما قبل الاسرات وأوائل عصر الاسرات .

ونستطيع أن نلخص ترتيب الحضارات فى عصر ما قبل الاسرات فى كل من مصر والعراق وإيران ووضع كل منهما بالنسبة للأخرى فى الجدول الآتى :

مصر	العراق	ايران
الأسرة الأولى (طينة) ما قبل طينة جرزة	الأسرة الأولى جدة نصر	سوسة الثانية
المادى هليوبوليس	اوركاء	مرحلة انتقال
حلوان العمرة	العبيد	سوسة الأولى
البدارى		

بعض المراجع

1. Burkitt (M.C.) The Old Stone Age, Cambridge 1949.

2. Goury (G.) Origine et Evolution de L'Homme. Paris 1948.

3. Lips (J.E.) The Origin of Things. London 1949.

4. Massoulard(E.) Prehistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris 1949.

5. Petrie (F.) Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes, London 1921.

6. Caton Thompson (G.) & Gardner (E.W.). The Desert Fayum Gloucester, Britain 1934.

7. Caton Thompson (G.) The Prehistoric Geography of Kharga Oasis, The Geographical Journal. Vol. 80, 1932.

8. Dé Pradenne (A.V.) Prehistory. London 1940.

9. Baumgartel (E.J.) The Cultures of Prehistoric Egypt, London 1947.

10. Zeuner (F.E.) Dating The Past, London 1950.

سكان مديرية البحيرة فى خمسين عاما

(١٨٩٧ — ١٩٤٧)

القسم الثانى

بقلم

الدكتور محمد محمود الصياد

(٣)

توزيع كثافة السكان

النيل وكثافة السكان

تختلف درجة تكاثف السكان من منطقة الى أخرى ويرجع السبب الأول فى هذا إلى اختلاف الظاهرات الطبيعية كالسطح والتربة والمناخ [١]. ولكن بجانب هذه الظاهرات توجد عوامل بشرية يجب ألا نغفلها، وإلا استعصى علينا تعليل اختلاف درجة تزاحم السكان فى البيئة الواحدة فى أوقات مختلفة.

ويبين الجدول الثانى عشر الخاص بكثافة السكان فى مديريات الوجه البحرى أن هناك علاقة وثيقة بين كثافة السكان وموقع المديرية بالنسبة للنيل فالمنوفية التى تقع عند انفراج الدلتا مباشرة، وبهذا تفوق المديريات الأخرى تمتعاً بالنيل طميا وماء، كانت دائماً أولى مديريات الوجه البحرى كثافة سكان ثم تليها مديرية القليوبية التى لا تتشعب بعيداً عن النيل، فالدقهلية التى وإن تكن حدودها تسير شوطا طويلا مع فرع دمياط إلا أنها تتسع نحو الشرق كلما اتجهنا نحو الشمال فتصبح بها مراكز لا تشرف على النيل ولا تصل اليها المياه

(١) راجع الفصل الذى كتبه هوش (٣٦ ... من الانسان والبيئة ص ص ٧٥ — ١٠٥

الجدول الثانى عشر

كثافة السكان فى مديريات الوجه البحرى فى الستة تعدادات

(١٨٨٢ — ١٩٣٧)

المديرية	عدد السكان لكل كيلو متر مربع					
	١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧
البحيرة	٨٨	١٤٠	١٧٠	١٩٨	٢١٧	٢٣٦
الدقهلية	٢٢٥	٢٨٢	٣٣٢	٣٧٥	٤١٠	٤٦٣
الشرقية	٨٨	١٤٤	١٦٩	١٨٩	٢٠١	٢٢٢
الغربية	١٢١	١٨٤	٢١١	٢٣٦	٢٥٥	٢٨٠
القليوبية	٢٨٩	٤٢٣	٤٩٥	٥٦٤	٥٩٦	٦٥٠
المنوفية	٤١١	٥٤١	٦٠٩	٦٧٣	٦٩٣	٧٢٨

إلا بعد أن تكون قد مرت على مساحات واسعة استنفدت الجزء الأكبر من مياهها ، ويشبه الدقهلية فى تشعبها بعيداً عن النيل مديرية الشرقية، وإن تكن تختلف عنها بل عن مديريات الوجه البحرى جميعاً فى أنها المديرية الوحيدة التى لايكون نهر النيل أى جزء من حدودها . ومن ثم أدت طبيعتها شبه الصحراوية الى انخفاض كثافة السكان فيها فأصبحت أقل منها فى أى مديرية أخرى .

أما الغربية فهى وإن تكن واقعة بين فرعي النيل إلا أن الفرعين يبتعدان كلما اتجهنا شمالا ثم إن الترع تصل الى المديرية بعد أن تسير فى مديرية المنوفية غالبا لمسافة طويلة تفقد فيها قدراً كبيراً من مياهها . ولهذا كانت كثافة السكان فى الغربية أقل دائما من نصف كثافتهم فى المنوفية .

والى الغرب من فرع رشيد تمتد مديرية البحيرة فتشمل كل أراضى الدلتا الواقعة على الضفة اليسرى للنهر وتمتد متوغلة نحو الشمال الغربي فى صحراء ليبيا ، فيشرف بعض مراكزها على النيل ويشرف البعض الآخر على الصحراء ، وقد يشرف المركز الواحد على النيل والصحراء معا أو يشرف على النيل

والبحر والبحيرات . ويضاف إلى هذا أن المديرية كما يقول السير وليام ويلكوكس : « اكثر المديريات صعوبة فيما يختص بالرى[1] » . ومن ثم كانت غير متكاثفة السكان بالنسبة للمديريات باستثناء مديرية الشرقية التى تقل عنها ازدحاما .

من هذا العرض السريع لمديريات الوجه البحرى نخرج بالحقيقة التالية وهى « أن اكثر المديريات ازدحاما بالسكان هى أقربها إلى النيل ، ذلك لأن عوامل العمران الزراعى اكثر توافرا فيها ، فهي أخصب المديريات أرضا ، وأوفرها ماء وأسهلها مواصلات ، وأن أقل المديريات ازدحاما بالسكان هى أبعدها عن فرعي النيل لأنها أضعفها أرضا وأكثرها بوراً وأشدها حاجة إلى ماء الرى وإلى طرق المواصلات » .

كثافة السكان فى مديرية البحيرة

هذه العلاقة بين النيل وكثافة السكان تظهر واضحة فى مديرية البحيرة التى يقع بعض مراكزها على النيل ويتشعب البعض الآخر بعيداً عنه ولذا كانت الأولى فى مجموعها أكثف سكانا من الأخرى وكانت نسبة الأراضى البور الى مجموع زمامها أقل منها فى المراكز المتشعبة بعيداً عن النيل ، كما يوضح ذلك الجدول الثالث عشر ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نقسم مراكز البحيرة الى مجموعتين :

١ — مراكز تشرف على النيل ، وهذه تزيد نسبة الكثافة فيها عن متوسط كثافة المديرية (٢٣٦) وتشمل المحموديه (٥٢٠) وكوم حماده (٤٣٨) وإيتاى البارود (٤٠٣) وشبراخيت (٣٨٨) . ثم مركز رشيد ويشذ عن المراكز السابقة فى أن كثافة سكانه أقل من متوسط الكثافة فى المديرية (١٦٥) ولكن السبب في ذلك هو أن مساحته الجغرافية تزيد كثيراً عن زمامه الزراعى إذ تشمل مسطحات « بحيرة ادكو » ومنطقة الكثبان الرملية المحصورة بينها وبين ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(١) ولكوكس (١٨٩٩) ص ٩٨ Egyptian Irrégation. 2nd. Ed.

الجدول الثالث عشر

كثافة السكان ومساحة البور في مراكز مديرية البحيرة

المركز	١٩٣٦ — ١٩٣٧			١٩٤٤ — ١٩٤٥			كثافة السكان فى ك . م٢ ١٩٣٧
	١ الاراضى الزراعية	٢ مساحة البور	نسبة ٢ الى ١ ٪	١ الاراضى الزراعية	٢ مساحة البور	نسبة ٢ الى ١ ٪	
أبو المطامير .	٢١٣٣٦٦	١٢٤٢٥٥	٥٨ر٢	٢٤٤٨٣٤	١٧٢٤٧٠	٧٠ر٠	٧٧
أبو حمص . .	١٣٩١٢٦	٦١٤٩٤	٤٤ر٢	١٣٩٠٣٣	٤٩٠٣٤	٣٥ر٢	١٨٩
الدلنجات . .	٩٣٤٢٥	٣٩٧٨٩	٤٢ر٦	٩٣٦٣١	٣٠٤١٩	٣٢ر٤	١٩١
كفر الدوار	١٧٢٢٨٠	٦٧١٨٩	٣٩ر٠	(١) ٢٠٢٨٨٠	٨٧٩٣٧	٣٨ر٨	٩٤
مركز دمنهور	١١١٢٠١	١٨٩٩٦	١٧ر٠	١١١٣٣٧	١٣٨٢٢	١٢ر٤	٢٣٢
رشيد . . .	١١٠٦٧٩	٣٧٧٧٩	٣٤ر١	١٠٢١٠١	(٢) ٧٨٤٣٣	٧٦ر٩	١٦٥
كوم حماده .	٦٨٥٩٥	٦٢٠٥	٨ر٩	٨٩٢٠٩	(٣) ٢٩٧٣٣	٣٣ر٣	٤٣٨
المحمودية . .	١٩٨٧١	١٨٦٨	٩ر٤	٢٤٩٨٩	٤٨٨٤	١٥ر٥	٥٢٠
شبراخيت . .	٦٣٢٠٤	٦٦٣٧	١٠ر٥	٦٠٤٤٢	٣٨٠٥	٦ر٢	٣٨٨
إيتاى البارود	٧٧٥٦٠	٧٣٥٦	١١ر٤	٧٣٦٣٢	٥٣١٨	٧ر٣	٤٠٣

٣ — مراكز تتشعب بعيداً عن النيل وهذه تقل نسبة الكثافة فيها عن متوسط كثافة المديرية وتشمل دمنهور (٢٣٢) وكفر الدوار (١٩٤) والدلنجات (١٩١) وأبو حمص (١٨٩) وأبو المطامير (٧٧) .

هذا التقسيم العام لا يعطى فكرة صادقة عن كثافة السكان فى جهات المديرية المختلفة ، إذ أن أساسه المركز ، وقد يكون المركز من الاتساع واختلاف الظروف المحلية بحيث يختلف شماله عن جنوبه وشرقه عن غربه ولهذا كان لابد من دراسة الكثافة فى أصغر الوحدات الادارية وهى القرية

(١) تشمل عشور الاسكندرية ومريوط والبدرانة .

(٢) تشمل أراضى بحيرة ادكو .

(٣) تشمل الاراضى الصحراوية فى المركز .

الجدول الرابع عشر

المساحة الحالية لمراكز مديرية البحيرة وكثافة السكان فى كل منها فى الستة تعدادات (١٨٨٢ — ١٩٣٧) [١]

المركز	المساحة الحالية ك . م٢	عدد السكان بكل كيلو متر مربع					
		١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧
أبو حمص . .	٥٨٤ر١	٤٣	٩٣	١٢٠	١٤٤	١٦٥	١٨٩
أبو المطامير .	٨٩٧ر٠	٦	٢٣	٤٣	٤٩	٦٧	٧٧
إيتاى البارود	٣٠٩ر١	٢٠٤	٣١١	٣٣٣	٣٨٢	٤٠١	٤٠٣
الدلنجات . .	٣٩٢ر٧	٧٨	١٥٨	١٧٦	١٩٥	١٨٧	١٩١
بندر دمنهور .	٦ر٠	٣٧٨٤	٥١٦٣	٥٦٩٠	٦٧٧٧	٨٦١٨	١٠٣٢٧
مركز دمنهور	٤٥٦ر٨	٧٧	١٣٥	١٦٤	١٩٣	٣٢٠	٢٣٢
رشيد . . .	٤٥٠ر٥	٧٢	٨٢	٩٤	١١٥	١٣٧	١٦٥
شبراخيت . .	٢٥٤ر١	٢٣٥	٢٧٨	٣١٩	٣٤٨	٣٦٢	٣٨٨
كفر الدوار .	٦٨٢ر٠	٢٤	٦٣	١١٢	١٥٤	١٧٦	١٥٤
كوم حمادة .	٣٧٨ر٠	٢١٩	٣٣٣	٣٨١	٤٢٠	٤٢٧	٤٣٨
المحمودية . .	٨٥ر٩	٢٣٧	٣٠٧	٣٨١	٤٢٣	٤٢٢	٥٢٠
البحيرة . .	٤٤٩٦ر٢	٨٨	١٤٠	١٧٠	١٩٨	٢١٧	٢٣٦
القطر المصرى	٣٤١٨٣ر٨	١٩٥	٢٨١	٣٢٦	٣٧١	٤١٢	٤٦٣

ولقد وضعت لهذا الغرض خريطة كثافة السكان المرفقة بهذا البحث وكان أساسها الأرقام الواردة فى تعداد سنة ١٩٣٧ [٢] .

بناء على هذه الخريطة نستطيع أن نقسم مديرية البحيرة من حيث كثافة السكان فيها إلى المناطق الآتية :

١ — مناطق أقل من ١٠٠ نفس فى الكيلو متر المربع وتشمل كل الأراضى الواقعة إلى جنوب ترعة الخاجر فى مركز أبو المطامير وبعض

(١) راجع كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول السابع .
(٢) تعداد السكان لسنة ١٩٣٧ الكراسة رقم ١٢ الخاصة بمديرية البحيرة .

أراضى المركز الواقعة فى شمال تلك الترعة فى الجهات الشرقية من المركز نفسه (منطقة حرارة) حيث توجد التربة الرملية . وفى جنوب مركز دمنهور (منطقة البرنوجي) حيث التربة الملحية . كما تشمل مناطق واسعة تحيط ببحيرة إدكو من الشرق والجنوب ، وهى فى الشرق أضيق منها فى الجنوب إذ يبدأ أثر الاقتراب من النيل يظهر واضحاً فى تزاحم السكان .

٢ — مناطق من ١٠٠ إلى ١٩٩ نفساً في ك . م٢ وتشمل بقية مركز أبو المطامير . وكل مركز كفر الدوار ماعدا الجهات الشمالية الشرقية منه . والمنطقة المحصورة بين مصرف العموم ومصرف شريشرة في مركز أبو حمص . وأقصى الشمال الغربى من مركز الدلنجات (منطقة أبو الشقاف والحجر المحروق) . والمناطق الساحلية الممتدة بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة إدكو . ثم نقطاً متفرقة فى مركز كوم حمادة فى الشريط الضيق من الأراضى الزراعية الممتد على طول رياح البحيرة وكذلك بعض جهات مراكز دمنهور وشبراخيت وايتاى البارود التى تسود فيها الملكيات الكبيرة وأملاك الاوقاف بصفة خاصة .

٣ — مناطق من ٢٠٠ الى ٣٩٩ نفساً فى ك . م٢ وتشمل أكثر من نصف المديرية فتضم معظم مراكز ايتاى البارود وشبراخيت ودمنهور والمحمودية وتمتد فى شريط ضيق على طول نهر النيل حتى مدينة رشيد .

٤ — مناطق من ٤٠٠ إلى ٥٩٩ نفسا في ك . م٢ وتتمثل فى معظم مركز كوم حمادة وفى مناطق متفرقة على طول فرع رشيد وعلى ضفاف ترعة المحمودية .

٥ — مناطق من ٦٠٠ إلى ٧٩٩ نفسا فى ك .م٢ : فى مركز كوم حمادة (منطقة زاوية البحر وكفر بولين) حيث يبدأ تفرع الترع الرئيسية فى المديرية (النوبارية وأبو دياب وامتداد رياح البحيرة) وفى المناطق الزراعية حول البنادر الكبرى كدمنهور وكفر الدوار وكوم حماده .

٦ — مناطق من ٨٠٠ الى ٩٩٩ نفساً في ك. م² وتتمثل في بعض القرى القديمة في مركزى شبراخيت وكوم حمادة .

٧ — مناطق أكثر من الف نفس فى الكيلو متر المربع وتتمثل في البنادر الكبرى (دمنهور — كفر الدوار — رشيد — المحمودية — أبو حمص) ولكن من الأصوب أن نعتبر هذه البنادر منفصلة عن تقسيمنا وأن نفهم كثافة السكان فيها على ضوء العوامل العامة التى تحدد نمو المراكز الحضرية .

وأهم ما يلاحظ على هذا التقسيم (راجع خريطة الكثافة) هو التدرج من المناطق الكثيفة السكان فى الشرق والجنوب الشرقى الى المناطق المخلخلة الكثافة فى الغرب والشمال الغربى . هذا التدرج يرتبط بتدرج العوامل الطبيعية والاقتصادية فى المديرية . أى يرتبط بالسطح والتربة من جهة ، وبتوفر ماء الرى وسهولة الصرف من جهة أخرى . فاذا ألقينا نظرة على الخريطة الكنتورية لمديرية البحيرة نجد أن الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية ترتفع الى (٨—٤ متر) ثم يأخذ السطح فى الانخفاض التدريجى كلما اتجهنا شمالا أو غربا حتى يصبح الجزء الأكبر من مركزى أبو المطامير وكفر الدوار واقعا تحت مستوى سطح البحر . وهذا يساعد على سهولة صرف الجهات الجنوبية الشرقية من المديرية بينما يجعل الأجزاء الشمالية والغربية رديئة الصرف كثيرة الاملاح . ولهذا كان إقليم البرارى قليل الخصب محدود الانتاج منتشر السكان على حين كانت جهات الجنوب والشرق وفيرة الخصب موفورة الانتاج مزدحمة بالسكان .

ولكن التربة ومبلغ خصوبتها وان كانت قد أثرت كثيراً فى توزيع سكان المديرية إلا أن هناك عاملا آخر بجانبها يجب ألا نغفله وهو مياه الرى وكيفية الحصول عليها . فالمديرية كلها خاضعة لنظام الرى الدائم ولكن معظم ترعها سيىء التخطيط ولذا كانت الاجزاء الواقعة عند نهايات الترع وخاصة فى الغرب لا تحصل دائماً على كفايتها من الماء خصوصاً وأنه كثيراً ما يساء استعمال المياه فى الأحباس الأولى من تلك الترع . ولما كان ايراد مياه النيل فى الصيف

لا يفي في معظم السنين لسد حاجة الأراضي المزرعة في الوقت الحاضر [1] فقد أصبح العمل على جعل موارد الماء كافية لحاجات الزراعة المتزايدة هو المشكلة الأولى التي تواجه المشرفين على شئون الري . والواقع أن عدم توفر مياه الري في الصيف هو أكبر عقبة تقف في سبيل إصلاح الاراضي البور الواسعة في غرب المديرية وشمالها إذ أن هذه الاراضي المالحة تتطلب غسيلا مستمرا وغمرا متكررا بالماء . ويفوق الارز في أغراض الاستصلاح أي محصول آخر ، ولكن مساحة الاراضي التي يصرح بزراعتها أرزا تختلف من عام الى آخر وبحددها كمية المياه الصيفية الواردة الى المديرية . ويبين الجدول الثالث عشر مساحة الاراضي المزروعة وغير المزروعة في مراكز المديرية المختلفة . وتلقي دراسة هذا الجدول ضوءا على التوزيع الحالي للكثافة ومدى التغيير الذي يمكن أن يطرأ عليها إذا ما أمكن التوسع في زراعة الاراضي البور في المديرية .

مستقبل توزيع الكثافة في المديرية

على ضوء الدراسة السابقة يتضح أن مستقبل توزيع كثافة السكان في مديرية البحيرة إنما يتوقف بصفة خاصة : على مدى توفر المياه اللازمة لاصلاح الأراضي البور والتوسع الزراعي المترتب على إصلاحها . ولعل أهم المناطق التي ينتظر نمو السكان فيها فترتفع تبعاً لذلك درجة تزاحمها المناطق التالية ، نذكرها بحسب أهميتها من حيث كثافة السكان في المستقبل :

١ — منطقة تفتيش الخاصة الملكية بادفينا :

وتبلغ مساحة التفتيش نحو ١٦,٦٠٠ فدانا اقتطع معظمها من بطائح بحيرة ادكو ومناقعها واستخدام الجبس الزراعي في إصلاحها وتخليصها من الاملاح . وتروى هذه الأراضي بالراحة في مدة الفيضان من النيل مباشرة أو من ترعة الرشيدية ، أما في بقية السنة فالري بالآلات التي يبلغ متوسط ادارتها نحو ١٥٠ يوما في السنة . وتصرف أراضي التفتيش بالراحة في مصرفين

(١) هردوخ ماكدونالد (١٩٢٠) « ضبط النيل » ص ١

عموميين هما مصرف الشامسة ومصرف المحيط اللذين ينتهيان إلى مصرف البوصيلى حيث تقوم محطة طلمبات صرف البوصيلى .

من هذا يتبين أن حالة الرى والصرف فى التفتيش جيدة . هذا فضلا عن العناية التامة المبذولة فى إصلاح الأراضى وإنشاء العزب الجديدة الأمر التى يبشر بان هذه المنطقة ستتكاثف بها السكان فى القريب العاجل .

٢ — منطقة شمال مركز أبو حمص :

وتربة هذه المنطقة كثيرة الأملاح يتطلب اصلاحها مشروعات كثيرة للرى والصرف معاً . ولما كانت المنطقة منخفضة السطح كان لابد من إنشاء الطلمبات لصرفها . وقد أنشئت فعلا لهذا الغرض محطتا « حلق الجمل » « وزرقون » ولكن مازالت مياه الرى غير متوفرة خصوصاً وأن ترعة المحمودية يعمل دائماً على حفظ منسوبها عاليا لتغذية الاسكندرية بمياه الشرب والتسهيل الملاحة فيها .

٣ — منطقة غرب كفر الدوار وأبو المطامير :

والتربة فى هذه المنطقة بصفة عامة ميسورة الاصلاح ، ولكن وقوعها فى نهايات الترع يجعل من الصعب مدها بالماء اللازم . ويتوقف تقدم هذه المنطقة من المديرية على توفير الماء اللازم لأراضيها ، وخاصة فى فصل الصيف . وحتى يتوفر هذا الماء يمكن البدء فى علاجات دقيقة منها حفر الآبار الارتوازية والمحافظة على مياه الترع فى أحباسها الدنيا والوسطى بمنع الفلاحين من التبذير فى استخدام الماء ، إذ أن الفلاح المصرى ميال دائماً إلى إعطاء أرضه أكبر كمية من المياه — دون الاهتمام بمصالح جيرانه — حتى ولو كانت حاجة النبات فى أرضه لا تتطلب هذه المياه .

٤ — منطقة البحيرات الشمالية :

تبلغ مساحة الأراضى التى تشغلها بحيرتا ادكو ومريوط نحو ١٠٥ ألف فدان غير أن هذه المساحة تتغير كثيراً تبعاً لتغيير مستوى الماء ارتفاعاً وانخفاضاً ويمكن تحويل هذه المساحة الواسعة إلي اراضى زراعية تصرف

مياهها إلى البحر بواسطة الطلمبات ، خصوصاً وقد نجحت تجربة صرف مياه ثالثة هذه البحيرات الشمالية ونعني بها بحيرة أبو قير التي تخلف عنها نحو ٣٠ الف فداناً من الأراضي الزراعية .

من هذا العرض يتضح لنا أن مستقبل توزيع الكثافة إنما يتوقف أولا على السياسة المائية للبلاد . وقد عنيت الحكومة بهذه الناحية منذ سنة ١٩٢٠ فدرست مشاكل الري والصرف . ووضعت الخطط وبنيت عليها الآمال (١) ولكن هذه الآمال كانت أوسع مما تتحمل موارد الخزينة العامة . ومع هذا فقد سارت الحكومة شوطاً بعيداً في تحقيق خطتها .

غير أنه يلاحظ أن توفير ماء الري وحده لن يستطع أن يحل مشكلة السكان في مصر حلا تاما بل إن هناك عوامل أخرى يجب أن ندخلها في حسابنا . . . هناك النواحي الاجتماعية والتقليديه لتلك المشكلة ، ثم هناك الجانب العلمي لاستغلال موارد البيئة الزراعية المصرية التي لم تستغل الاستغلال الكافي الى الآن . وحتى في المناطق التي تم إصلاحها لابد أن تستغرق هجرة السكان من جهات المديرية المزدحمة الى المناطق المستجدة وقتا غير قصير . وتمثل قلة الأيدي العاملة إحدى المشاكل الرئيسية في مناطق الاصلاح ، وتجد الشركات الزراعية صعوبة في الحصول على ما تتطلبه أعمال الاصلاح من عمال ، كما نجد انصرافا من الفلاحين عن الهجرة الى الاراضي المستصلحة ، الأمر الذي وإن كان تماسك الأسرة المصرية وترابطها مسئولا عنه إلى حدما إلا أن هناك بجانبه عوامل أخرى يجب ألا نغفلها . فالفلاح ليس مستعداً لتغيير محل إقامته لمجرد الرغبة في التغيير بل لابد وان تكون البيئة الجديدة أكثر جاذبية ، وهذه ناحية تغفلها الشركات وأصحاب الأملاك في حين أن المصلحة تدعو الى توفير كل وسائل الراحة للمهاجرين الجدد . والعمل على مساعدتهم في بيئتهم الجديدة حتى يطمئنوا إليها ويقبلوا على استغلال مواردها .

يجب على المالك أن يهيء لهم المسكن الملائم وأن يوفر ماء الشرب الصالح وأن يمدهم بالماشية والتقاوي . وفي حالة الايجار بالمشاركة يجب أن يعطي

(١) راجع ماكدونالد (١٩٢٠) .

الفلاح نصيبه كاملا وأن يراعى عند قلة المحصول أن يعطى المستأجر نصيبا يكفيه وعائلته، حتى ولو كان فى ذلك الغبن على المالك حتى لا يضطر المستأجر الى الهرب تحت ضغط الحاجة الملحة . كذلك يحسن أن يعمل المالك على إيجاد عمل للأولاد الصغار حتى لا يضطروا الى العمل فى جهة أخرى تخلق فيهم الرغبة فى النزوح إليها وأن يشجع المصاهرة بين المستأجرين الجدد والقدماء وأن يختلط بالمستأجرين ويشعرهم بعطفه، فان ذلك مما يترك أطيب الأثر فى نفس الفلاح المصرى ويدفعه الى التوطن فى مهجره والاستقرار فيه .

أنسب السكان ومديرية البحيرة

لا تعطى درجة كثافة السكان المطلقة فكرة حقيقية عن وجود مشكلة سكانية أو عدم وجودها ، ذلك لأن درجة تحمل الأرض للسكان تختلف باختلاف الظروف المحيطة بها، ولهذا كان من الضرورى تطبيق نظرية أنسب السكان[1] (Optimum Population) ، ويقصد بهذا الاصطلاح « الحال التى يكون فيها السكان بقدر ما تحتاجه وتتسع له البلاد فيصبحوا على أحسن مايكون من رغد العيش فى الظروف الطبيعية التى يعيشون فيها والموارد التى فى متناول أيديهم »[2] . ولسنا محتاجين فى هذا البحث الى تناول الآراء المختلفة حول هذه النظرية التى مازالت مثار نقاش بين أصحاب العلوم الاجتماعية[3]، ولكن ما نريد أن نشير إليه هو الاجماع على صعوبة وضع

---

(١) راجع فى هذا الموضوع : عوض (١٩٣٦) الفصل الثامن « السكان فى حالة كمال » ص ص ١٤٠ — ١٦٧

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨

(٣) يربط بعض الكتاب أنسب السكان بظاهرات اجتماعية خاصة فيتخذون مثلا انتشار الفقر وانحطاط مستوى المعيشة وكثرة العاطلين دليل على ازدحام البلاد بسكانها ، ويرى الآخرون أن هذه الظاهرات كما ترجع إلى ازدحام السكان قد ترجع إلى عوامل أخرى معقدة كسوء نظام الحكومة أو سوء النظام الاقتصادى ... الخ ، راجع محمود الدرويش (١٩٤٠ ص ص ٩٣ — ٩٤) . كذلك لا يقبل بعض الكتاب ربط أنسب السكان بالرفاهية الاقتصادية وحدها ، بل يدلى أيضاً بالناحية الروحية وينتقل بالموضوع إلى ناحية فلسفية واسعة الحدود . وهناك فريق آخر لا يقيس أنسب السكان بالمقياس الفردى وإنما يتناول مجموع الأمة كوحدة .

مقياس دقيق نهتدى به الى حالة السكان وتحديد الخط الفاصل بين حالة فقر الاقليم فى السكان (Under population) واكتظاظه بهم (Over population) الأمر الذى يجعل تطبيق النظرية صعبا من الناحية العملية . ويزيد فى هذه الصعوبة أن العوامل [1] التى يقوم عليها هذا المقياس ليست ثابتة، ومن ثم أصبح أنسب السكان ليس بالأمر الثابت ولا تختلف فى ذلك المجتمعات الزراعية عن الصناعية . .

وربما كان من أحسن المقاييس لمعرفة أن السكان قد وصلوا إلى درجة الكمال أو تجاوزوها المقياس الذى يقترحه الأستاذ كار سوندرس (Carr Saunders) لتطبيقه على المجتمعات الصناعية ويتلخص فى مراقبة دخل الفرد ، فاذا كان هذا المتوسط آخذاً فى الزيادة عد هذا دليلا على أن البلاد فى حالة حسنة من حيث عدد السكان وأن هناك محلا للزيادة فى عددهم . فاذا وصل المتوسط إلى حالة استقرار ثم أخذ بعد ذلك فى الهبوط التدريجى كان هذا دليلا على أن البلاد قد بلغت أقصى ما تستطيع تحمله من السكان وأن ليس فى مصلحتها أن تتجاوزه ، فاذا نقص بعد ذلك متوسط دخل الفرد نقصاً فاحشاً كان هذا دليلا على أن البلاد قد غصت بالسكان ولا بد من التنفيس عنها بطريقة من الطرق [2] .

وقد كان من الممكن تطبيق هذا المقياس — مع التجاوز — على مجتمع زراعى كمديرية البحيرة ، غير أنه مع الأسف لا توجد لدينا إحصائيات عن متوسط دخل الفرد فى المديرية . ومن ثم كان من غير الميسور دراسة أنسب السكان فى البحيرة ولو بصورة عامة على أساس هذا المقياس . وإذن لم يعد لدينا إلا دراسة المظاهر العامة لمشكلة السكان لعل فيها ما ينير السبيل .

---

(١) هذه العوامل أهمها : (ا) الموارد الطبيعية . (ب) النظم القانونية ، واستعداد السكان الفطرى والمكتسب ، ومهارتهم وخبرتهم . . . الخ . (ج) الظروف الخارجية والداخلية اللازمة لنشاط الاقتصادى . [راجع عمار : (١٩٤٢) ص ٦٢]

(٢) راجع كار سوندرس (١٩٣٦) ص ٢٣٠ ، عوض (١٩٣٦) ص ١٠٤

يشير تقرير « روبرتسن » عن « السكان والزراعة » [1] . الذى قدم إلى مؤتمر الحياة الريفية فى أوربا ، إلى أن أهم مظاهر اكتظاظ السكان فى المناطق الزراعية هى : صغر الملكية الزراعية ؛ وزيادة نسبة الأراضى المزروعة بالحبوب والغلات الغذائية الأخرى ؛ وسوء التغذية ؛ والجمود الزراعى. غير أن هذه المظاهر لابد من استبعاد بعضها عند تطبيقها على مديرية البحيرة ، فالظروف المحلية فى أجزاء المديرية المختلفة ، ثم السياسة الاقتصادية عامة فى مصر قد حتمت أنواعاً خاصة من الدورة الزراعية وبالتالى حددت مساحة الغلات المختلفة ، ثم إن اختلاف التربة واختلاف وفرة المياه الصيفية بصفة خاصة وهما أمران لهما أهميتهما فى مديرية البحيرة، ثم موقع بعض المناطق من المراكز الحضرية أو من السوق الرئيسية ... كل هذه أمور يجب أن يحسب حسابها فى دراسة نسبة الأراضى المزروعة بالمواد الغذائية . وبذلك يصبح من العسير الاعتماد على هذه الظاهرة فى معالجة موضوع أنسب السكان .

ولعل أهم المظاهر التى تبين حاجة السكان والتى يمكن تطبيقها على مديرية البحيرة هى « توزيع الملكية » إذ أنها المظهر الوحيد الذى توجد لدينا الاحصائيات الكافية إلى حد ما . ويزيد فى أهمية هذا المظهر أن معظم السكان يعتمدون بطريق مباشر أو غير مباشر على الزراعة . ففى تعداد سنة ١٩٣٧ كانت جملة المشتغلين [2]، ٥٢١,٣١٩ نفساً يشتغل بالزراعة منهم ٣٢٣,٩٧١ نفساً موزعين على النحو الآتى :

صاحب أطيان ومزارع فى أرض يملكها	٧١١٤٠
مزارع يشتغل فى أرض يستأجرها .	١٦٢٠٧
قريب مزارع يساعده فى الزراعة . .	١٢٤١٤٩
مزارع أجير	١١٢١٩٨
جنايني وحطاب	٢٧٧
المجموع	٣٢٣٩٧١

(1) روبرتسن (١٩٣٩) ص ٥٢ — ٦١

(2) يذكر تعداد سنة ١٩٣٧ أن عدد المشتغلين بالزراعة من الاناث هو ٥٢و٣١٤ ومن الذكور ٢٧٠و٦٥٧ نفسا . ولما كان عدد الاناث اكثر من عدد الذكور فمن المرجح أن يكون عدد المشتغلين بالزراعة منهن لا يقل كثيرا عن عدد الذكور ان لم يكن أكثر منه .

أى أن نسبة المشتغلين بالزراعة إلى مجموع المشتغلين هى ٦٤١ فى الألف وهذه النسبة قليلة فى الواقع فى منطقة زراعية كمديرية البحيرة، ولكن السبب فى ذلك يرجع إلى عدم احتساب نساء الفلاحين من المشتغلين مع العلم بأنهن يساعدن أزواجهن فى كثير من أعمال الحقل [1]. ولذلك فلو أضفنا عدد النساء المشتغلات بالزراعة واللاتى يعدهن التعداد من «غير المشتغلين» [2] ونقدر هذا العدد بنحو ٢١٧ ألفا فان النسبة ترتفع إلى ٧١٣ فى الألف. وحتى هذه النسبة الأخيرة لا تزال بعيدة عن الحقيقة، اللهم إلا إذا ذكرنا إلى جانبها أن المشتغلين بغير الزراعة إنما يخدمون بأعمالهم النشاط الزراعي ويعتمدون عليه كل الاعتماد. فالتجار يشتغل أغلبهم بالاتجار فى غلات الأراضى. والمشتغلون بالصناعات التحويلية يقوم أكثرهم بصناعات متصلة بالغلات الزراعية اتصالا وثيقا، وكذلك أصحاب النقل وغير ذلك من الصناعات. ولهذا كان من الممكن أن نعتمد فى دراسة حالة السكان على نسبة ما يخص هؤلاء السكان من المساحة المزرعة كخطوة أولى لمعرفة مستواهم الاقتصادى.

يبين الجدول الخامس عشر توزيع ملكية الاراضى فى المديرية فى سنة ١٩٤٥؛ ولكن يقلل من أهمية هذا الجدول أن الاحصائيات التى بنى عليها بها كثير من نواحى الضعف، فهى مثلا تعطى توزيع فئات الملكية في المديرية بصفة عامة؛ ومن ثم فليس من الممكن معرفة الاختلافات الاقليمية وهي ناحية هامة في البحيرة التى تختلف جنوبها وشرقها عن شمالها وغربها اختلافا بينا. ثم هى تجعل من الذين يملكون أقل من نصف فدان فئة واحدة وهذا يحول دون معرفة مدى تجزؤ الملكية فى الجهات الزراعية القديمة. وهى ظاهرة لمستها ولكن لم استطع دراستها عن طريق الارقام.

---

(١) هذه الظاهرة أقل ظهوراً عند المشتغلين بالحرف الاخرى لأن نساءهم فى الغالب من غير المشتغلين. والمشتغلات منهن يذكرن فى التعداد.

(٢) راجع تعداد ١٩٢٧: ص٩٤، ويلاحظ أن جملة المشتغلين لا تشمل الاطفال دون سن الخامسة.

الجدول الخامس عشر

توزيع ملكية الأطيان فى مديرية البحيرة سنة ١٩٤٥ (١)

فئة الملكية	عدد الملاك	المساحة المملوكة	متوسط ما يملكه الفرد	الملاك (٪) إلى مجموعهم	المساحة (٪) إلى جملة المساحة
		فدان	فدان		
أقل من ½ فدان	٧٠ر٤٩١	٢٣ر٦٠٥	٠ر٣٣	٤٣ر٦ } ٦٢ر٢	٣ر١ } ٦ر٢
من ½ إلى ١ فدان	٢٩ر٧٠٠	٢٣ر٦٧٧	٠ر٧٩	١٨ر٦	٣ر١
١ — ٢	٢٤ر٤٦٨	٣٧ر٤٨٨	١ر٠٨	١٥ر١ } ٢٧ر٢ } ٨٩ر٤	٤ر٨ } ١٢ر٥ } ١٨ر٧
٢ — ٥	٢٠ر٤٧٣	٥٩ر٢٢١	٣ر٣٨	١٢ر١	٧ر٧
٥ — ١٠	٨ر١٥٨	٥٧ر٨٧٩	٧ر٠٩	٥ر١	٧ر٦
١٠ — ١٥	٢ر٧٧٢	٣٤ر٧٨٠	١٢ر٥٤	١ر٨	٤ر٦
١٥ — ٢٠	١ر٤٦٤	٢٦ر٣١٩	١٧ر٩٧	٠ر٩	٣ر٤
٢٠ — ٣٠	١ر٢٣١	٣١ر٤٢٠	٢٥ر٥٢	٠ر٨	٨ر١
٣٠ — ٥٠	١ر٠٦٣	٤٢ر٨١٢	٤٠ر٢٧	٠ر٧	٥ر٥
٥٠ — ١٠٠	٩١٦	٦٦ر٦٨٠	١٣ر٠١	٠ر٦	٨ر٦
١٠٠ — ٢٠٠	٤٨٠	٧١ر٨١٢	١٤٩ر٦	٠ر٦	٤٣ر٥
٢٠٠ — ٤٠٠	٧٣	٢٢ر٧٠٣	٣١١ر٠		
٤٠٠ — ٦٠٠	٢٠٢	١٠٧ر٦٣٦	٥٣٢ر٨٥		
٦٠٠ — ٨٠٠	٧٣	٤٥ر٥٥٧	٦٢٤ر٠٦		
٨٠٠ — ١٠٠٠	٢٠	١٦ر٨٨٥	(٢) ٨٤٤ر٢٥		
١٠٠٠ — ١٥٠٠	٨٠	٩٢ر٠٥٥	١١٥٠ر٦٨		
١٥٠٠ — ٢٠٠٠	—	—	—		
٢٠٠٠ فما فوق	٢	٥ر٧١٦	(٣) ٢٧٢٠ر٩٥		
جملة البحيرة	١٦١ر٦٦٦	٧٦٦ر٢٤٣	٤ر٧٣	١٠٠	١٠٠

(١) الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٤٥ (تحت الطبع) .

(٢) أوقاف فقط .

(٣) أجانب فقط .

يتبين من الجدول أن نسبة ما يخص المالك الواحد بصفة عامة هو ٧٣ر٤ ف وهى نسبة عالية دون شك ولكنها لا تعطى الفكرة الصحيحة عن توزيع الملكية نظرا لما تمتاز به مديرية البحيرة من انتشار الملكيات الكبيرة حتى أن ٦ر٠ ٪ من مجموع الملاك يمتلكون نحو ٥ر٤٣ ٪ من مساحة الملكيات . ومن يطالع التعداد الزراعى لسنة ١٩٣٩ يرى هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح ، إذ يجد أن قرى كثيرة زمامها يصل إلى آلاف الافدنة يملكها عدد قليل جداً من الملاك . مثال ذلك صفط خالد مركز ايتاى البارود مساحة زمامها ٢٤٨٧ فدانا يملكه شخصان ومنشاة رزافة مركز شبراخيت يمتلك شخص واحد زمامها البالغ ١٦٢٥ فدانا . والأمثلة الأخرى كثيرة وخاصة فى الجهات الشمالية والغربية من المديرية . غير أن تفاصيل الجدول تفيد كثيرا فى دراسة مشكلة السكان . ولعل أهم ما يستدعى النظر فيها انتشار الملكية القزمية إذ نجد أن ٢ر٦٢ ٪ من الملاك يمتلكون ٢ر٦ ٪ من الأراضى المنزرعة من بينهم ٦ر٤٣ ٪ يقل ما يمتلكه الفرد الواحد منهم عن نصف فدان ، ثم الملكية الصغيرة إذ نجد ٢ر٢٧ ٪ من الملاك يمتلكون ٥ر١٢ ٪ من جملة الاراضى المنزرعة ، أى أن ٤ر٨٩ ٪ يمتلكون ٧ر١٨ ٪ من الأراضى والباقى وقدره ٦ر١٠ ٪ يمتلك ٣ر٨١ ٪ من الاراضى . وهذا يوضح سوء حالة غالبية السكان خصوصا إذا تذكرنا أن الاراضى ليست مورد رزق للملاك وحدهم بل لهم ولنسائهم وأطفالهم ومن يعولون من غير هؤلاء . وطبيعى أن يترتب على ذلك سوء حالة الفلاح فى مديرية البحيرة فهو بالرغم من عمله المنهك لا يحصل على عيشه الضرورى إلا بشق الأنفس .

ولقد يقال إن مديرية البحيرة مازالت بها مساحات واسعة فى حاجة الى الاصلاح فلم لا يهاجر إليها هؤلاء السكان المزدحمون ؟ ولقد يقال إن إنتاج أراضى المديرية مازال أضعف منه فى المديريات الأخرى فلم لا يعمل الفلاح على تحسين إنتاج أرضه ليزيد فى ربحه ويحسن من مستوى معيشته ؟ وفوق ذلك كله مازالت المديرية تعنى بانتاج الغلات التقليدية من الحبوب والقطن فلم لا تعمل على تنويع إنتاجها وفى هذا ربح لها عظيم ؟

هذا كله صحيح . ولكن من التعسف أن نعد الفلاح هو المسئول عن كل نواحيه . فالاراضى البور يحتاج إصلاحها الى مشروعات الرى والصرف وهى أمور لا دخل لمقدرة الفلاح فيها . وما زالت الحكومة تعمل على إتمامها ، كما يحتاج الاصلاح أيضا إلى رأس المال الذى لايستطيع الفلاح بدخله المحدود أن يوفره ، ومن ثم كان إصلاح الاراضى مما يقوم به كبار الملاك لا صغارهم وهذا يزيد فى تعقيد المشكلة . ولكن الحكومة قد عمدت أخيرا الى تشجيع الملكيات الصغيرة .

أما العمل على زيادة الانتاج فلا يمكن الجزم بأنه ممكن فى كل أراضى المديرية الزراعية مع زيادة مناسبة فى المصروفات بحسب ما يقرره قانون « الغلة المتناقصة » Law of Diminishing returns فهناك مناطق كثيرة لا يمكن أن يزيد الفلاح من ربحه فيها بزيادة الانفاق على الزراعة . وكل ما يمكن عمله فى هذه المناطق التى بلغ فيها الانتاج أقصاه المربح هو العمل على الاقتصاد فى المصروفات .

أما مطالبة الفلاح بتنويع إنتاجه ، أو استخدام الطرق العملية الحديثة فى زيادة محصوله ، أو استبدال المحصولات التى ألفها بأخرى جديدة يجهل طريقة زراعتها فذلك أمر فوق طاقته ، خصوصا وأن مستواه المادى يحتم عليه أن يتحاشى المجازفة بماله المحدود فى مثل هذه المشروعات .

واذا كان لنا أن نلوم الفلاح على شىء ، فهو حبه للاستقرار فى قريته وكراهيته للهجرة إلى أراضى الاستصلاح وما أوفرها فى المديرية ، وإن يكن له شىء غير قليل من العذر فى ذلك نظراً لما تتطلبه الهجرة من رأس مال ونظراً لعدم تهيئة كبار الملاك — فى معظم الظروف — وسائل الحياة المريحة فى تلك البيئات الجديدة .

(٤)

بعض المظاهر الديموجرافية لمديرية البحيرة

الذكور والاناث

فى تعداد سنة ١٩٤٧ بلغ عدد الذكور فى مديرية البحيرة ٥٩٨,٥٢٧ نفساً يقابلهم ٦٤٧,١١٦ نفساً من الإناث . فتكون زيادة الاناث عن الذكور ٤٨,٥٨٩ نفساً أى بنسبة ١٠٨١ من الاناث لكل ألف من الذكور . وإذا رجعنا إلى الجدول السادس عشر نجد أن هذه الظاهرة — ظاهرة زيادة الاناث على الذكور واضحة فى كل التعدادات باستثناء تعداد سنة ١٨٩٧ يوم كان التكتم شديداً فى ذكر عدد الاناث عند الفقراء وخاصة فى الأرياف[1] كذلك نلاحظ أن هناك زيادة مضطردة فى نسبة عدد الاناث إلى الذكور إلا فى تعداد سنة ١٩٣٧ حيث انخفضت النسبة من ١٠٦٤ فى سنة ١٩٢٧ إلى ١٠٥٨ فى سنة ١٩٣٧ ، ثم عادت إلى الارتفاع مرة أخرى فى سنة ١٩٤٧

وليس من السهل أن نعرف بالتأكيد السبب فى هذه الزيادة النسبية لعدد الاناث عن عدد الذكور . ولقد يذهب البعض إلى أن هذه الزيادة ربما ترجع إلى زيادة فى نسبة المواليد من الاناث . ونحن — وإن كانت لا توجد لدينا لسوء الحظ إحصائيات للمواليد فى هذه الفترة كلها — إلا أن الموجود منها يثبت دائماً زيادة مواليد الذكور .

وإذن فما هو السبب فى زيادة عدد الاناث التى تسجلها التعدادات ؟

شوهدت ظاهرة زيادة الاناث عن الذكور فى أغلب الدول الغربية منذ القدم[2] . ويرجع بها فى العادة إلى زيادة عدد وفيات الذكور ، إما لأن الاناث أكثر مناعة من الرجال وإما لأن الرجال أكثر تعرضاً

---

(١) راجع ما كتبه عنه لويس فى تعداد ١٩٠٧ ص ٩١ (انجليزى) ص ١١٥ (عربى) .

(٢) صبرى (١٩٣٥) ص ٩٢ ، عمار (١٩٤٢) ص ٢١

الجدول السادس عشر

توزيع الذكور والاناث فى مديرية البحيرة فى الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)[1]

تاريخ التعداد	عدد الذكور	عدد الاناث	زيادة أو نقص الذكور عن الاناث	نسبة الاناث لكل ألف من الذكور
١٨٩٧	٣١٧٧٠٣	٣١١١٨١	٦٥٢٢ +	٩٧٩
١٩٠٧	٣٨٠٦٠٠	٣٨٤٤٨٧	٣٨٨٧ —	١٠١٠
١٩١٧	٤٤٣٠١٤	٤٤٩٢٣٢	٦٢١٨ —	١٠١٤
١٩٢٧	٤٧٣٢٠٨	٥٠٣٧٥٧	٣٠٥٤٩ —	١٠٦٤
١٩٣٧	٥١٥٧٤٨	٥٤٥٨٤٨	٣٠١٠٠ —	١٠٥٨
١٩٤٧	٥٩٨٥٢٧	٦٤٧١١٦	٤٨٥٨٩ —	١٠٨١

للحوداث والأخطار بسبب طبيعة عملهم . وقد وضع الجدول السابع عشر للمقارنة بين مديرية البحيرة والمحافظات من جهة ، وبينها وبين القطر عامة من جهة أخرى . ومنه يتبين أن نسبة الاناث فى المحافظات وإن تكن فى زيادة مستمرة إلا أنها ما زالت أقل من نسبة الذكور . وهذا يرجع دون شك إلى أن المحافظات يقيم فيها مؤقتا جماعات من الجند والطلبة . ثم إنها فى العادة قبلة المهاجرين من الريف أو الخارج وهؤلاء معظمهم من الذكور .

ويبين الجدول الثامن عشر والرسم البيانى رقم ٥ نسبة الاناث إلى الذكور فى مراكز المديرية المختلفة . ومنه يتضح أن هناك اختلافات فى النسب فى المراكز المختلفة ترجع إلى العوامل الاقتصادية والبشرية فى كل منها . فمثلا أقل النسب تظهر فى مراكز أبو المطامير ورشيد وكفر الدوار وهذا راجع إلى أن أراضى هذه المراكز من الأراضى المستصلحة حديثا . وما زالت

(١) الارقام مأخوذة من تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع . أما الفرق والنسب فمن حساب الباحث .

الجدول السابع عشر

نسبة الجنسين فى البحيرة والمحافظات والقطر المصرى فى الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧—١٩٤٧)

السكان	عدد الاناث لكل ١٠٠٠ من الذكور					
	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
البحيرة	٩٧٩	١٠١٠	١٠١٤	١٠٦٤	١٠٥٨	١٠٨١
المحافظات . . .	٨٨٣	٨٨٩	٩٣٨	٩٠٦	٩٥٦	٩٦٥
القطر المصرى . .	٩٦٩	٩٩٢	٩٩٧	١٠٠٩	١٠٠١	١٠٢١

تجتذب الفلاحين الذين يهاجرون إليها دون نسائهم فى كثير من الأحيان وهذا يؤدى إلى زيادة عدد الذكور وبالتالى انخفاض نسبة الاناث . ويساعد على زيادة نسبة الذكور فى مركز أبو المطامير بالذات استقرار كثير من البدو وتحولهم إلى زراع وهؤلاء معروف عنهم أن عدد الاناث فيهم أقل من عدد الذكور(١) . ولكن أخذت أرقام هذا المركز تتمشى مع الاتجاه العام لأرقام مراكز المديرية الأخرى فى تعداد سنة ١٩٤٧ (الرسم البيانى رقم ٦) .

ولقد كان من المنتظر أن يكون عدد الذكور فى مدينة دمنهور أكثر من عدد الاناث ، ولكن الواقع عكس ذلك . وربما كان هذا راجعا إلى أن هذه المدينة وإن تكن عاصمة المديرية إلا أن النزعة الريفية هى الغالبة عليها . حتى لا يمكن أن تميز حى « شبرا الدمنهورية » وهو من أكبر أحياء المدينة عن أى قرية أخرى مجاورة .

وهناك حقيقة أخرى يوضحها الجدول الثامن عشر . وهى أن نسبة الاناث إلى الذكور فى معظم مراكز المديرية انخفضت فى سنة ١٩٣٧ عنها

---

(١) لاحظ هذه الظاهرة نفسها الدكتور عمار فى دراسته لمديرية الشرقية : عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

الجدول الثامن عشر

نسبة الجنسين فى مراكز المديرية فى الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)[1]

المركز	الاناث لكل ألف من الذكور					
	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
أبو حمص . . .	٩٥٢	١٠٠٦	١٠٣٩	١٠٧٨	١٠٥٩	١٠٨٧
أبو المطامير . .	٩٠٠	٩٢٩	٩٥١	٩٩٥	٩٩٥	١٠٧٣
إيتاى البارود .	٩٧٥	١٠١٠	١٠٠٧	١٠٦٥	١٠٧٤	١٠٩٨
الدلنجات . . .	٩٨٢	١٠٠٥	١٠٠٦	١١٠٣	١٠٨٥	١١١٢
بندر دمنهور . .	١٠٢٢	١٠٥٢	١٠١١	١٠١٥	١٠٨٥	١٠٤٩
مركز دمنهور .	٩٦٠	١٠٣٩	١٠٥٠	١١١٢	١٠٩٨	١١٠٦
رشيد	٩٥٩	١٠١٥	١٠١٩	١٠٠١	٩٨٤	١٠٣١
شبراخيت . . .	١٠٣٤	١٠٤٦	١٠٥٤	١١٣٥	١١٠٩	١١١١
كفر الدوار . .	٩٥٠	٩٧٥	٩٩١	١٠٤٣	١٠٤٥	١٠٤٦
كوم حمادة . .	٩٨٥	١٠٠٩	٩٩١	١٠٤٥	١٠٥٨	١٠٩٠
المحمودية . . .	١٠٤٩	١٠٤٠	١٠٨٤	١١١٢	١١٠٧	١٠٨١
البحيرة	٩٧٩	١٠١٠	١٠١٤	١٠٦٤	١٠٥٨	١٠٨١

فى سنة ١٩٢٧ وقد لاحظ نفس هذه الظاهرة الدكتور عمار فى مديرية الشرقية [2] . وأرجعها — شاكا — إلى نقص وفيات الأطفال فى السنوات الأخيرة، إذ أنه لما كانت زيادة نسبة الاناث ترجع إلي ارتفاع نسبة الوفيات فى الذكور فان من المحتمل أن يكون الذكور أكثر ربحاً من كل انخفاض يحدث فى نسبة الوفيات .

وفى سنة ١٩٤٧ عادت النسبة الي الارتفاع فى كل مراكز المديرية باستثناء بندر دمنهور الذى انخفضت فيه نسبة الاناث من ١٠٨٥ الى ١٠٤٩ لكل ألف

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث اعتماداً على الارقام الواردة فى التعدادات الستة

(٢) عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

من الذكور . وربما كان هذا راجعا إلى ظروف الحرب التي اجتذبت كثيراً من الايدي العاملة ومعظمها من الذكور إلى مدينة دمنهور عاصمة المديرية والمركز الرئيسي للحركة التجارية فيها .

السن

لبيانات السن في الدراسة الديموجرافية أهمية خاصة لما لها من أثر كبير في دراسة الناحية الانتاجية ، وهذا ما دعانا إلى الاهتمام بها . غير أن بيانات السن في التعددات التي بين أيدينا أقل البيانات تمثيلا للحقيقة ، ذلك لأن الكثيرين من السكان وخاصة سكان الريف يجهلون تاريخ ميلادهم . ولا شك أن رب الأسرة الذي يجهل تاريخ ميلاده يكون اكثر جهلا بتاريخ ميلاد من يعطى عنهم بيانات السن من أفراد منزله . ثم إن هناك سبب آخر لايقتصر على مصر بل يوجد في كل بلاد العالم وهو سبب نفساني يتلخص في أن الذين تخطوا دور الكهولة يميلون إلى اعطاء انفسهم سنا أكبر ليظهروا بمظهر الشيوخ المحنكين ، وعلى العكس من ذلك متوسطو السن الذين يميلون دائما الى اعطاء سن أقل من سنهم ليبدوا في فتوة الشباب ويظهر هذا بصفة خاصة في الاناث . ولذلك ليس غريبا أن نجد في بعض الحالات فرقا يصل إلى عشرين سنة بين العمر الحقيقي والعمر الذي يسجله التعداد لبعض الافراد [١] .

ومما يدل على اضطراب بيانات السن ما لاحظه الدكتور كليلاند [٢] من أن عدد إناث القطر المصري البالغ سنهن من ٢٠ إلى ٢٩ سنة في تعداد سنة ١٩٢٧ أكثر من عدد الأناث البالغ سنهن من ١٠ الى ١٩ سنة في تعداد سنة ١٩١٧ ، وكذلك لاحظ أن عدد الذكور من ٣٠ الى ٣٩ سنة في تعداد ١٩٢٧ يزيد ٤٩٠٥٣ نفساً عن عدد الذكور من ٢٠ الى ٢٩ سنة في تعداد ١٩١٧ ، غير أن هذه الملاحظة لا تنطبق على مديرية البحيرة ، كما تدل على ذلك الأرقام التالية :

(١) أشار إلى هذا تعداد سنة ١٩٠٧ ص ١١٥

(٢) كليلاند (١٩٣٦) ص ص ١٦ — ١٧

المنطقة	التعداد	فئة السن	العدد	المنطقة	التعداد	فئة السن	العدد	النقص أو الزيادة
البحيرة . .	١٩١٧	١٠—١٩	٩١١٣٠	البحيرة . .	١٩٢٧	٢٠—٢٩	٨٥٥٢٧	— ٥٦٠٣
القطر المصرى	١٩١٧	١٠—١٩	١١٧٨٧٩	القطر المصرى	١٩٢٧	٢٠—٢٩	٢٠٩٨٩١	+ ٢١١٠١
البحيرة . .	١٩١٧	٢٠—٢٩	٦٥٨٣٨	البحيرة . .	١٩٢٧	٣٠—٣٩	٦٢٥٧٢	— ٣٢٦٦
القطر المصرى	١٩١٧	٢٠—٢٩	٩٣٨٦٤٨	القطر المصرى	١٩٢٧	٣٠—٣٩	٩٨٧٧٠١	+ ٤٩٠٥٣

ولعل أكبر دليل على عدم معرفة السن معرفة تامة تركز الأعمار حول الرقم خمسة ومضاعفاته حتى لقد بلغت نسبة الذكور الذين تنتهى سنهم بالصفر ٢٨٠ فى الألف فى تعداد ١٩٢٧ والذين تنتهي سنهم بالخمسة ٢٢٨ فى الألف وكذلك الحال فى الاناث كانت نسبة اللائى تنتهى أعمارهن بالصفر ٣٣٥ فى الألف وبالخمسة ٢٣٠ فى الألف [1] وكل هذه نسب لا يمكن قبولها إطلاقا .

وإزاء هذه العوامل يجب أن تعادل أرقام السن فى التعدادات المختلفة بشىء كثير من الحذر وإن كان ذلك لايحول دون تحليلنا لتلك البيانات فهى مع عيوبها تحتوى على حقائق يمكن استخلاصها إذا جعلنا أساس دراستنا المقارنة بين فئات واسعة من السن فتناول فئات السن بالخمس السنوات أقرب إلي الحقيقة من تناولها سنة بسنة ، وتناولها بالعشر سنوات أكثر بعداً عن الخطأ من تناولها بالخمس سنين . ولذلك جعلنا أساس المقارنة فى هذه الدراسة تقسيم السكان إلى ثلاث مجموعات : الصغار أقل من ١٥ سنة ؛ ومتوسطى السن وتتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٤٩ سنة ثم الكبار وتزيد سنهم على الخمسين . ويميل البعض ومنهم الدكتور عمار [2] إلى اعتبار الأفراد الأقل من ٢٠ سنة صغار السن ولكننا نرى أن هذا الرأى لايتفق مع البيئة الريفية المصرية التى يبدأ الفرد فيها يزاول الأعمال الزراعية بعد سن الخامسة عشرة .

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٧٩

(٢) عمار (١٩٤٢) ص ٢٦

الجدول التاسع عشر

توزيع فئات السن الرئيسية فى تعدادى ١٩٢٧ و١٩٣٧
(لكل ألف من السكان)

السنين	أقل من ١٥ سنة			١٥ — ٤٩			فوق ٥٠ سنة		
	ذكور	إناث	جملة	ذكور	إناث	جملة	ذكور	إناث	جملة
١٩٢٧	٤٣٥	٤٠٠	٤٦٠	٤٧٢	٤٨٢	[illegible]	٩٣	١١٨	٧٢
١٩٣٧	٤٢٠	٢٩٣	٤١٣	٤٨٦	٤٨٣	٤٧٥	٩٤	١٢٣	١١٢

ويبين الجدول التاسع عشر توزيع السكان على أساس المجموعات التى أخذناها وقد اكتفينا بتعدادى ١٩٢٧ و ١٩٣٧ إذ أن أرقام تعدادى ١٩١٧ و ١٩٠٧ لا يمكن أن يستخرج منها بيان مماثل لاختلاف تقسيم فئات السن ثم إن نتائج تعداد سنة ١٩٤٧ لم تظهر حتى الآن .

وأهم ما يستلفت النظر فى هذا الجدول :

١ — زيادة نسبة الكبار بصفة خاصة ومتوسطى السن على حساب الصغار وسبب هذه الظاهرة فى مصر يرجع إلى زيادة نسبة الوفيات فى الأطفال وخاصة الرضع [١] . ويؤكد هذه الحقيقة مقارنة نسب الأطفال الأقل من ٤ سنوات فى التعدادين فبينما تصل نسبتهم فى تعداد سنة ١٩٢٧ إلى ١٤٦ فى الألف إذا بها تنخفض إلى ١٢٤ فى الألف فى تعداد سنة ١٩٣٧ غير أن هذه الزيادة فى نسبة الوفيات لا ترجع إلى كثرة حقيقية فى الوفيات ، بل ترجع إلى التحسن الظاهر فى تسجيل الوفيات . الأمر الذى لم يكن يهتم به الأهالى وخاصة فيما يتصل بالأطفال ، ولكن موضوع التسجيل أخذ يتحسن فى السنوات الأخيرة كما تدل على ذلك تقارير وزارة الصحة .

---

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ص ٩١ — ٩٤

٢ — يتفوق الذكور على الاناث حتى سن الخامسة عشرة ، ثم يتفوق الاناث بعد ذلك باستمرار . وهذه ظاهرة طبيعية تتفق فيها مديرية البحيرة مع ماهو مسلم به فى جهات العالم الأخرى من تفوق الاناث على الذكور بعد سن معين [١]. وسبب هذه الظاهرة هو ما سبقت الاشارة إليه مما هو معروف عن زيادة المواليد الذكور عن المواليد الاناث . ولكن لما كانت وفيات الذكور تزيد على وفيات الاناث فى الصغار وتزيد بنسبة أعلى عند متوسطى الأعمار ، فان من الطبيعى أن يتعادل النوعان عند سن معينة يتفوق بعدها الاناث باستمرار .

٣ — إذا طبقنا طريقة صنبرج [٢] (Sunburg's Age Categories) على مديرية البحيرة فانه يمكن القول بأن حالة السن فيها على درجة عظيمة من التقدم .

الحالة المدنية (الزوجية) .

فى دراسة الارقام الخاصة بالحالة المدنية يجب أن نخرج من حسابنا من هم دون السادسة عشرة حيث لا يفترض الزواج قبل هذه السن . ولقد كانت التعدادات كلها تغفل هذه الناحية ولم يهتم بها إلا فى تعداد سنة ١٩٣٧

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٩١

(٢) يرى صنبرج أن نصف السكان يكون دائما فى السن مابين ١٥ ، ٤٩ بينما تطرأ التغيرات على فئات السن الأخرى . وهذه التغيرات هى التى تدل على تقدم السكان أو تأخرهم ويضم لذلك الجدول الآتى :

الحالة	نسبة ألف من السكان فى فئات السن المختلفة		
	٠ — ١٤	١٥ — ٤٩	٥٠ +
تقدم	٤٠٠	٥٠٠	١٠٠
ثبات	٣٣٠	٥٠٠	١٧٠
تأخر	٢٠٠	٥٠٠	٣٠٠

الجدول العشرون

الحالة المدنية فى مديرية البحيرة فى سنة ١٩٣٧ (١)

السنين	جملة الذكور والاناث	جملة النسبة	لم يتزوجوا أبداً	متزوجون ومتزوجات	مطلقون ومطلقات	أرامل	غير مبين
١٩٢٧	٥٤٢٥١٠	١٠٠٠	٢٠١	٦٥٢	١٧	١٢٧	٣
١٩٣٧	٦٠٠٣٩٣	١٠٠٠	٢٣٦	٦٢١	١١	١٣١	١

وقد وضع على هذا الاساس الجدول العشرون لبيان الحالة المدنية فى مديرية البحيرة بصفة عامة .

ونظراً لاختلاف تقسيم فئات السن في التعدادات السابقة اكتفى بتعدادى ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ ، ومن هذا الجدول يتبين زيادة فى نسبة عدد الذين لم يتزوجوا أبدا بنحو ٣٥ فى الألف يقابله انخفاض في نسبة عدد المتزوجين بنحو ٣١ فى الالف . ولعل السبب في هذا يرجع الى الأزمة المالية التى اجتازتها البلاد فى بداية الثلاثينات من هذا القرن . كما أن هذه الأزمة نفسها هى المسئولة عن انخفاض عدد المطلقين من ١٧ فى الالف الى ١١ فى الالف .

وبالرجوع الى التفاصيل الخاصة بالذكور والاناث كل على حدة فى تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن الحياة الزوجية لكل منهما فى الالف كما فى الجدول الحادى والأربعين .

ويتبين من هذا الجدول أن عدد الذكور الذين لم يسبق لهم زواج إطلاقا يزيد جداً عن عدد الاناث اللائى لم يتزوجن (٣٢٠ فى الألف للذكور و ١٦٢ فى الألف للاناث) . ومعنى هذا أن عدد النساء اللائى تزوجن (سواء بقين زوجات أم لا) يزيد كثيراً على عدد الرجال الذين سبق لهم أن تزوجوا

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ السكراسة ١٢ ص ٣

الجدول الحادي والعشرون

الحالة المدنية في المديرية عامة حسب النوع

لكل ألف من السكان[1] سنة ١٩٣٧

النوع	جملة الذكور والاناث	لم يتزوجوا أبدا	متزوجون ومتزوجات	مطلقون ومطلقات	أرامل	غير مبين
ذكور .	٢٨٢٠٢٠	٣٢٠	٦٤٥	٧	٢٥	٢
إناث . .	٣١٨٣٧٢	١٦٢	٥٩٩	١٣	٢٢٥	١

وتبلغ هذه الزيادة ٣٨٩٢٣ أي نحو ٦ ٪ من عدد السكان الذين تزيد سنهم على السادسة عشرة . وتعلل هذه الزيادة بعدة أسباب مجتمعة منها :

١ — تعدد الزوجات ففي تعداد سنة ١٩٣٧ كان هناك من المتزوجين في مديرية البحيرة ٩٢٦٨ لهم زوجتان ، ٦٤٠ لهم ثلاث زوجات ، ٦٢ لهم أربع زوجات ، وينشأ عن هذه الحالة زيادة في عدد الزوجات مقدارها ١٠٧٣٤

٢ — قد يطلق الرجل المرأة وتكون في عصمته أخرى وفي هذه الحالة لا يعتبر في كشوف التعداد من المطلقين ، وهذا لاينطبق على المرأة .

٣ — ميل المطلقين والأرامل من الرجال الى تكرار الزواج من الأبكار ويؤيد ذلك نسب حالتي الطلاق والترمل في مجموع من سبق لهم الزواج إذ تبلغ هذه النسبة في الاناث ٢٥٠ في الألف بينما لا تتعدى ٦٠ في الألف في حالة الذكور .

وقد وضع الجدول الثاني والعشرون لبيان الحالة المدنية للاناث بالنسبة للذكور في كل الحالات .

وأهم ما يستلفت النظر في هذا الجدول أمران : أولهما النسبة العالية للأرامل من النساء وهذه ترجع الى عدم الاقبال على الزواج منهن وتفضيل

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الرجال للأبكار ؛ والأمر الآخر هو نسبة المتزوجات إلى المتزوجين حيث أن لكل ١٠٠٠ زوج ١٠٤٠ زوجة والسبب في هذا هو تعدد الزوجات دون شك . غير أننا لو أخرجنا الزيادة الناشئة عن هذه الحالة والتى سبق أن ذكرنا أنها تؤدى إلى زيادة ١٠٧٣٤ من الزوجات على عدد الأزواج فان نسبة المتزوجات تنخفض إلى ٩٩٠ لكل ألف من المتزوجين . وبالرغم من أن الفرق يصبح أقل كثيراً منه فى الحالة الأولى إلا أن وجوده على العموم يدعو إلى الاستغراب . ولعل السبب فى وجوده هو عدم الدقة فى الادلاء بالبيانات الخاصة بالحالة الزوجية من جهة وإلى وجود أنفار « التراحيل » الذين يشتغلون فى أراضى الاصلاح دون زوجاتهم من جهة أخرى .

ولقد كان من المفيد أن ندرس توزيع الحالة الزوجية فى فئات السن المختلفة ولكن الاحصائيات لا تساعد على مثل هذه الدراسة . لذلك فليس فى الامكان أن نحدد اتجاهات الزواج حتى فى السنين الاخيرة، إذ أن هذا يتطلب دراسة العلاقة بين فئات السن المختلفة ومعدل الزواج كذلك ليس من الممكن دراسة اتجاهات سن الزواج . وكل ما يمكن أن يقال فى هذه الناحية إنما هو من باب الملاحظات فقط . فمثلا نلاحظ أن سكان الريف أكثر تبكيراً بالزواج من سكان المدن لرخص المهور ولمساعدة المرأة ومن تنجب من الأطفال للرجل فى أعمال الزراعة ، وأن المسلمين أكثر تبكيرا بالزواج من المسيحيين إذ يعتبر الزواج عندهم نصف الدين كما أن الأسرة تتدخل فيه وتدفع إلى التبكير به . ولقد حدد القانون منذ سنة ١٩٢٣ سن الزواج فجعله ١٦ سنة للاناث و١٨ سنة للذكور ، ولكن هذا القانون غير منفذ في الريف حيث شهادات الميلاد غير معتنى بها .

ولكن مع هذا النقص المشار إليه آنفاً وضع الجدول الثالث والعشرون والرسم البيانى رقم ٧ لبيان الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة فى المديرية بصفة عامة .

ومن هذا الجدول يتضح :

١ — أن أهم فترات الزواج عند الجنسين بصفة عامة هى الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ سنة .

الجدول الثاني والعشرون

الحالة المدنية (نسبة الإناث لكل ألف من الذكور) (١)

الحالة المدنية	جملة	ذكور	إناث	نسبة الاناث لكل ألف من الذكور
لم يتزوجوا أبدا	١٤١٧٩٧	٩٠٣٦٠	٥١٤٣٧	٥٦٩
متزوجون . .	٣٧٢٥٥٦	١٨١٨١٣	١٩٠٧٤٣	١٠٤٠
مطلقون . . .	٦٤٢٤	٢١٨٨	٤٢٣٦	١٩٣٥
أرامل	٧٨٨٣٦	٧١٧٢	٧١٦٦٤	٩٩٩٢
حالات غير مبينة	٧٧٩	٤٨٧	٢٩٢	٥٩٩
جملة	٦٠٠٣٩٢	٢٨٢٠٢٠	٣١٨٣٧٢	١١٠٧

٢ — أن سن الزواج الشائع للاناث هو الفترة من ١٥ إلى ٢٤ سنة حيث تبلغ نسبة المتزوجات فيها ٧١٠ فى الالف من المجموع الكلى . وأن الشائع للذكور هو الفترة من ٢٠ إلى ٢٩ سنة حيث تبلغ نسبة المتزوجين ٦٤٢ فى الألف .

٣ — بالرغم من أن نسبة الزواج عند الذكور تقل كثيراً جداً عنها عند الاناث قبل سن العشرين إلا أنها بعد سن ٢٤ تزداد وتستمر زيادتها فى كل فئات السن .

أما الطلاق فأكثر شيوعا فى القرى عنه فى المدن . وقد وضع الجدول الرابع والعشرون لتوضيح حالات الطلاق فى مديرية البحيرة وفى مدينة الاسكندرية التى تجاورها ومنه يتضح :

١ — أن عدد حالات الطلاق فى الاسكندرية أكثر منها فى البحيرة على أن عدد سكان الأولى يقل عن نصف عدد سكان الأخرى .

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الجدول الثالث والعشرون

حالة الزواج حسب فئات السن المختلفة فى المديرية بصفة عامة
لكل ألف من السكان.(١)

السن	– ٢٠	٢٠ – ٢٤	٢٥ – ٢٩	٣٠ – ٣٤	٣٥ – ٣٩	٤٠ – ٤٩	٥٠ – ٥٩	٦٠ – ٦٩	٧٠ +
ذكور . .	٢٣	٣٤٢	٣٠٠	١٣١	٨٩	٧٧	٣٩	٧	٢
إناث . .	٢٢٨	٤٢٢	١٤٨	٧٤	٣٨	٢٤	٤	١	—

الجدول الرابع والعشرون

حالات الطلاق فى البحيرة والاسكندرية بحسب مصدرها (٢)

سبب الطلاق	البحيرة	الاسكندرية
من الزوج . .	١٥٩٣	٣٠٥
من الزوجة . .	٤٧٢	٨٠٢
من الزوجين . .	٢٩١	٢١٠٧
الجملة . . .	٢٣٥٩	٣٢١٤

٢ – معظم الطلاق فى البحيرة من الزوج فى حين أن الزوجة فى الاسكندرية هى المسئولة عن جزء كبير من حالاته . وهذا يرجع إلى ما تمتاز به الريفية من الطاعة لزوجها وتحمل سراء الحياة وضرائها معه .

(١) هذا الجدول من وضع الباحث اعتمادا على الارقام الواردة فى التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ ص ص ١٦ ، ١٧

(٢) عن تقرير وزارة الصحة لسنة ١٩٣٥ ص ص ١٦ — ١٧

الجدول الخامس والعشرون

عدد وأسباب حالات الطلاق فى مديرية البحيرة وفى الاسكندرية سنة ١٩٣٥[١]

الحالة	من الزوج: المرض	المخدرات	الإعسار	كبر السن	الزواج بأخرى	سوء المعاملة	السكر	الناشزة	إهمال مصالح الزوجة	الكراهية	أسباب أخرى	من الزوجة: المرض	كبر السن	عدم النسل	سوء الخلق	الخيانة	عدم الدخول فى الطاعة	إهمال مصالح الزوج	الكراهية	أسباب أخرى	من الزوجين: إهمال مصالح الزوجية	الكراهية	الإخلال بالشروط	عدم الموافقة	النزاع والشجار	سوء المعاشرة	أسباب أخرى
البحيرة .	٨	—	١٤٧	٨	٣٠٨	٦	—	١٦	٢	١٠٣٣	٦٥	٢	٣	١٣٩	٨	٦	١	٤	٢٩٠	١٩	—	١٠٧	—	١٠٩	٣٣	٣٤	٨
الاسكندرية	٢٣	٢٥	٦٣١	٣٦	٢٩٣	٤٥	٤٥	٣٦	١٧	٤١٠	٢٢٣	٢٢	١٧	١٠٤	١١٢	٨٠	٣٤	٢٩	٢٤٠	٢٠٠	٤	٩٥	١٦	٣٠٠	١٩٧	٤	٣٠

(١) عن التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ ص ص ٢٠ — ٢١

وإلى اعتبار الطلاق فى الريف عيباً إذا ما جاء من طريق المرأة . كما يرجع إلى أن الزواج فى المدن لا يكون عن المعرفة الحقيقية . وقد يتدخل فيه عامل الحب الذى لا يقوم على أساس متين .

وأهم أسباب الطلاق ، كما يتضح من الجدول الخامس والعشرين ، هى الكراهية وترجع إلى أن الزواج يتم بمعرفة الآباء فى كثير من الحالات وخاصة فى الريف ، ويلاحظ أن الأسباب فى المدن تتعدد وتبدأ آثار النواحى الاقتصادية والاجتماعية التى تمتاز بها المدن فى الظهور ويؤيد هذا مقارنة الحالة فى مديرية البحيرة بالحالة فى مدينة الاسكندرية .

ويبين الجدول السادس والعشرون حالات الطلاق عند مسلمى البحيرة والاسكندرية حسب مدة الزوجية وعدد الأولاد . ومنه يتضح أن الطلاق أكثر فى السنوات الأولى من الحياة الزوجية وأنه يقل كلما إزداد عدد الأولاد الذين يربطون عادة بين الزوجين . كذلك يلاحظ أن نسبة الطلاق فى الستة شهور الأولى فى الاسكندرية أعلى منها فى مديرية البحيرة فبينما تصل فى الأولى ٢٣٣ فى الألف تنخفض عن الأخرى إلى ١١١ فى الألف . ويرجع هذا إلى أن الزواج العاطفى فى المدن أكثر منه فى الأرياف .

الجدول السادس والعشرون

حالات الطلاق فى البحيرة والاسكندرية حسب مدة الحياة الزوجية وعدد الأولاد

(ا) مدة الحياة الزوجية

الجهة	أقل من ٦ شهور	من ٦ شهور إلى سنة	من سنة إلى ٤ سنة	٥-٩	١٠-١٤	١٥-١٩	٢٠ +	جملة حالات الطلاق	نسبة المطلقين
البحيرة	٢٦٢	٢٥٤	١٠٣٥	٤٣٣	٢٣٢	٧٥	٦٠	٢٣٥٦	٣و٤
الاسكندرية	٧٤٩	٥٨٥	١٢٠٦	٤٨٥	١٩١	٨٥	١١٣	٢٣٣٤	١٢و٥

(ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج

الجهة	الأولاد	ولد واحد	ولدان	٣ أولاد	٤ أولاد	٥ أولاد	٦ أولاد فأكثر
البحيرة .	١٦٧٠	٤٤	١٣٨	٦٣	٢٢	٨	١٣
الاسكندرية	٢٢١١	٥١٥	٢٢٣	١٢٧	٧٥	٣١	٧٧

التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ ص ص ١٨ — ١٩

مراجع البحث

١ — وزارة الزراعة : « قسم الإحصاء » .
« التعداد الزراعى العام لسنتى ١٩٢٩ ، ١٩٣٩ » .

٢ — وزارة الصحة :
« التقرير السنوى العام » .

٣ — وزارة المالية : « مصلحة عموم الإحصاء والتعداد » .
« تعداد سكان القطر المصرى » يصدر كل عشر سنوات منذ ١٨٩٧
« الاحصاء السنوى العام » يصدر سنويا منذ ١٩٠٩ .
« الاحصائيات الصحية » تصدر سنويا .

٤ — السيد صبرى : (١٩٣٥) .
« تحليل نتائج التعداد فى مصر » .

٥ — محمد عوض محمد : (١٩٣٦) .
« سكان هذا الكوكب » .

٦ — محمود الدرويش : (١٩٤٠) .
« سكان القطر المصرى » المجمع المصرى للثقافة العلمية .
الكتاب السنوى الحادى عشر عام ١٩٤٠

7. Amici, F.: (1879)
"Essai de Statistique generle de l'Egypte." Années 1873-77.

8. Amici, F.: (1884)
"L'Egypte Ancienne et moderne et son dernier recencement."

9. Ammar, A. M.: (1942)
"A demographic Study of an Egyptian Province. (Sharqiya).

10. Carr-Saunders, A. N.: (1936)
"World Population".

11. Caleland, William: (1936)
"The Population Problem in Egypt".

12. Kamal. A. M.: (1930)
"A Staitistical Review of Births and Deaths of child in the 19 Princial towns of Egypt Since 1886".

13. Newsholme, Sir Arthur: (1923)
"The Elements of vital Statistics".

41. Robertson, C. J.: (1939)
"Population and Agriculture. with Special Reference to Agricultural over-population". Ineter. Inst. of Agric., Rome, 1939.

فهرس الجداول

الجدول السادس عشر	:	توزيع الذكور والأناث في مديرية البحيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
« السابع عشر	:	نسبة الجنسين في البحيرة والمحافظات والقطر المصرى (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
« الثامن عشر	:	نسبة الجنسين في مراكز المديرية في الستة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
« التاسع عشر	:	توزيع فئات السن الرئيسية في تعدادى ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ لكل ألف من السكان .
« العشرون	:	الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٣٧ .
« الحادى والعشرون	:	الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٣٧ لكل الف من السكان .
« الثانى والعشرون	:	الحالة المدنية (نسبة الأناث لكل ألف من الذكور) .
« الثالث والعشرون	:	حالة الزواج حسب فئات السن في المديرية لكل ألف من السكان .
« الرابع والعشرون	:	حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية بحسب مصدرها .
« الخامس والعشرون	:	عدد وأسباب حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفى مدينة الاسكندرية .
« السادس والعشرون	:	حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية حسب : (أ) مدة الحياة الزوجية . (ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج .

الرسوم البيانية (١)

١ — جملة عدد السكان لكل مركز فى كل تعداد من السبعة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) .

٢ — نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان (١٩١٧ — ١٩٤٥) .

٣ — المعدل السنوى لزيادة السكان أو نقصهم لكل مركز (٪) فى المدة بين (١٨٨٢ — ١٩٤٧) .

٤ — كثافة السكان فى مراكز مديرية البحيرة فى تعدادات (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .

٥ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور فى مراكز المديرية المختلفة فى التعدادات الستة الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .

٦ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور فى مراكز المديرية المختلفة فى سنة ١٩٤٧

خريطة كثافة السكان فى مديرية البحيرة (تعداد ١٩٣٧) .

(١) راجع مجلة كلية الآداب المجلد الثالث عشر ، الجزء الأول مايو ١٩٥١ ص ص ٨٧ — ١٢١

وحدة وادى النيـــــل

عظة التـــاريخ القديم

للدكتور سامى جبره بك

التاريخ يشهد بحب المصريين فى عهد الفراعنة لوادى النيل وقد أسرفوا فى حبهم لهذا الوادى كما يحب الشباب ويسرف فى التدليل عن مشاعر حبه وآماله . وكثيرا ماغنى المصريون ورتلوا أناشيد هذا الحب العميق على ضفتى النيل فى أعيادهم ، وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير بين عمد معابدهم الخالدة وكلما شادوا بحسنات النيل وولائه لمصر ذكروا الصحراء ورمالها المحرقة وشكروا السماء والنيل على أرض مصر كيمى (Kemit) وهى التربة السوداء الغنية بالماء والخيرات .

مصر عروس النيل يغمرها بحبه ويفيض على جنباتها بمائه « ماء الحياة » كلمة عميقة المعنى وردت فى أقدم أناشيد النيل فليس بعجيب ولا إسراف أن يركع المصرى خاشعاً ووجهته جنوب الوادى نحو مصب النيل .

ماء الحيـــاة يأتى من السماء ماء الحياة يفيض على الأرض
السماء يلتهب بوميض البـــرق والصخور تتفجر فى أعماقها المياه
يستولى النيل على الأرض .

سلام عليك أيها النيل الذى يحيى بمائه أرض مصر وما عليها من مخلوق ونبات .

سلام عليك يارب الخيرات ويامن يروى الصحراء بنداه .

إن تباطئت فى الجرى اضطربت القلوب وهلكت الأرواح وإن أسرعت طابت النفوس وتفتحت الزهور أن ماءك يشبه خمر الكروم .

أجمع علماء فقه اللغة المصرية على أن كلمة النيل مأخوذة من كلمتين مصريتين مع بعض التحريف (نا) أداة تعريف للجمع (les) وبالو نهر أنهر وقد استعملت أداة الجمع هنا للتكبير ولتفرقة نهر النيل عن الأنهر الصغيرة وما زال فلاح مصر يستعمل كلمة البحر الكبير تفخيماً لنهر النيل .

فنجد من ضمن مرادفات النيل كلمة أخرى لها مدلول طريف وهى كلمة حابى مشتقة من الفعل حب (Hep) يركض ويجرى من الجنوب الى الشمال أما الأماكن التى تجاور ضفاف النيل جنوبا فقد اعتبرها كهنة الفراعنة موطن الآلهة وهم الذين حكموا مصر فى القصص المصرى القديم ، وأغدقوا عليها من فائض نعمهم وبركاتهم فى العصور الأولى التى سبقت الملوك خلفائهم على الأرض فلدينا هنا الدليل لحب برىء راسخ لوادى النيل عبر عنه المصرى بأسمى المعانى وأحسنها وهو فى فجر حياته السياسية .

حب يعبر عن علاقة الروح بالجسد وعلاقة خلقتها الطبيعة ووجهتها بسلطانها الظافر نحو وحدة الوادى ، وتضامن شعوب من يرتوى لماء النيل ماء الحياة يسير فى شرايين الوديان والمناطق التى ينساب اليها .

مبدأ وحدة الوادى أوجدته الطبيعة وخلقته ولم يؤخذ به ويعمل بمقتضاه فى بدء هذه العصور البعيدة لأن عناصر التفرقة والجهل بين القبائل العديدة حالت دون الخضوع لهذا المبدأ الكريم والتاريخ يسجل ماقدمته الشعوب من التضحية الغالية كلما حادت عن رسالة الوحدة والتضامن فكلنا نعلم مدى الحروب الطاحنة التى استمرت أكثر من خمسة قرون فى أرض مصر بذاتها قبل أن توحد أقاليم الصعيد والدلتا تحت ادارة سلطة مركزية ولكن هذه المتاعب لم تمنع المصرى الذى عاش فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد أن يجوب مناطق الوادى فى بلاد النوبة المنخفضة والمرتفعة إلى حدود بلاد كوش أو الحبشة وأن يتعرف على هذه القبائل ويتعلم لغاتها ويقبل أن يعيش هناك لخدمتهم وخدمة بلاده قبائل يام ، وارتيت ، والكنوز ، والنحسيين (Irtet-iam-Nehai) قبائل ذكرها القواد المصريين للاسرة الخامسة فى رحلاتهم الاستكشافية .

ثم وصلت مصر بعد هذه الرحلات الاستكشافية والتأديبية أحيانا الى فتح أبواب هذه المناطق لقوافل التجارة على ظهور الحمير أو بالسفن النيلية وللهجرة أيضاً ، فكان سكان المناطق فى الأسرة الخامسة من جنوب أصوان إلى مدينة حلفا خليط من المصريين والليبيين أما جنوبا الى دنقلة فكانت توجد قبائل سوداء البشرة ، وكان حاكم أصوان يشرف على هذه المناطق وعلى البعثات التى ترسلها مصر لهذه البلاد ، وهنا يأخذ مبدأ الوحدة لوادى النيل مجراه الطبيعى رغم بعض الحوادث المقلقة فكانت مصر تعمل لهذه البلاد نسيج الكتان والعطور وأسلحة من النحاس والزيوت والتمائم وترجع بقوافلها وسفنها محملة بخشب الأبنوس والجلود والصمغ وريش النعام والبخور .

وكان فى بلدة أصوان وحلفا أسواق عامة عدة ترسو فيها القوافل ، ويتبادل رئيس القافلة المصرية ، وهو عادة مندوب من حكومة فرعون ، أطيب التحيات مع رؤساء القبائل ، ثم تتبادل السلع بينهم ، وكان نتيجة هذا الاختلاط وتبادل السلع أن انتشرت المدنية المصرية فى أرجاء بلاد النوبة وأصبحت المناطق الواقعة ما بين الشلال الأول والثالث جزءاً لا يتجزأ من الأراضى المصرية لها أنظمة إدارية لا تختلف عن الادارة المصرية وفن يتمشى مع الفن المصرى فى خطواته . وأرسلت مصر هناك أعز ابنائها للاشراف على مصالح البلاد المشتركة وتسجيل مقياس النيل كل عام على صخور عند الشلال الثالث . وقد بلغ هذا الاختلاط حداً بعيداً إذ تطلعت مصر فى هذا العهد إلى بلاد السودان عند ما وقعت فى أول محنة قاستها من جراء موجة خطيرة من أمواج الهجرات الآسيوية والسامية اقتحمت أقاليم الدلتا الشرقية ، ومثل هذه الهجرات الطاغية تكتسح مدنيات بأكلها اذا حلت بأرض تكاسل أهلها وانقسموا على بعضهم بعض ، وفى هذا الوقت العصيب أرسل الملك بيبى الثانى سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد كبير [illegible] قواده لتهدئة الأقاليم الجنوبية ، وليجمع جيشاً من المصريين ومن سكان [illegible]ب وقبائل النوبة والسودان لمحاربة العدو ،

فحاربت الفيالق المصرية جنباً إلى جنب مع فيالق السودان وردت عدو مصر والوادى على أعقابه حتى وصلت به إلى حدود جبال الكرمل .

فعقيدة وحدة الوادى التى كان ينادى بها المصرى القديم ويرتل ألحانها فى معابده وأعياده هى وليدة الطبيعة ، وللطبيعة سلطان لا يخذل مهما عصفت الرياح وانقلبت الأوضاع ، وحب المصرى القديم لوحدة الوادى هو وحى سماوى تمثل فى الطبيعة وسكن فى قلوب المصريين فى كل عهد وفى كل زمان .

(مطبعة ... ٢٣٠-١٩٥١-٥٦٠)

تم طبع هذه المجلة فى عهد حضرة صاحب الجلالة
"فاروق الأول" ملك مصر والسودان بمطبعة
جامعة فؤاد الأول فى ٢٦ من ربيع الثانى
سنة ١٣٧١ ﻫ

محمد زكى خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

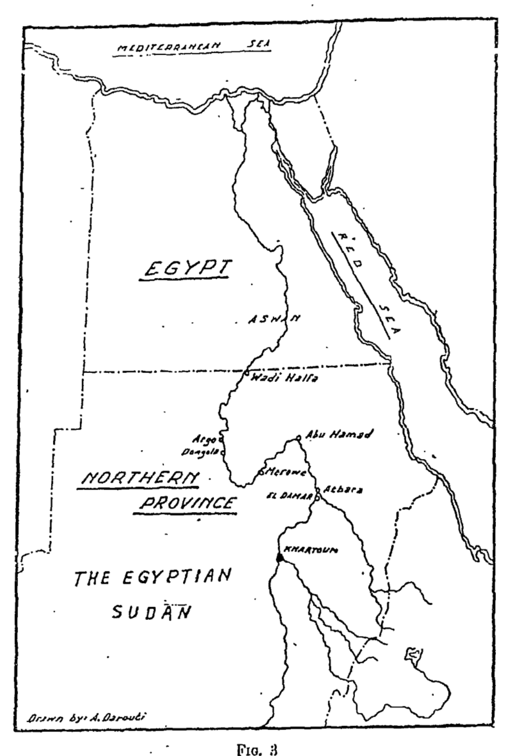


Fig. 3

Shows the Northern Province of the Egyptian Sudan.

In general the crop of a Salluka is divided into three equal shares :—

The first is for the owner of seeds.

The second is for the owner of land.

The third is for the labourer.

Each of the above three pays $^1/_3$ of the tax.

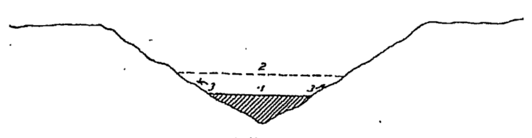


Fig. 1

Shows a cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.

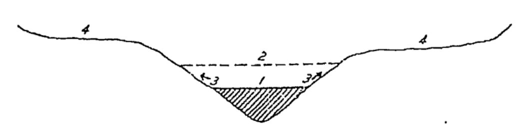


Fig. 2

Shows another cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water.
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.
4. The Sakia,

B.—*The Date Trees:*

If date trees are planted on a Sakia in which there are several partners, it is the general custom to set aside a special part of the Sakia for date trees planting. This date tree plot is divided up amongst the partners according to their share in the Sakia and each one plants as he pleases in his own division or may allow outsiders, who have no share in the Sakia, to plant in it. But when an outsider who has no share in a Sakia plants a date tree on it, the owner of the land takes $^1/_3$ of it—this is called "Ardeya".

The person who waters the trees for the first three or four years after they have been planted, *i.e.* until they have been sufficiently robust to do without watering, takes $^1/_3$ of it—this is called "Haq el-Moyya".

The person who plants the tree, *i.e.* the owner of the shoot, takes the remaining $^1/_3$. This is known as "Haq el-Shatl".

In a Sakia where there is a very large number of date trees and new trees are planted promiscuously all over the Sakia, it is the usual custom to deduct $^1/_3$ of the crop from every tree planted as Ardeya. All this Ardeya is then collected together and divided up among the shareholders according to their share in the Sakia. An outsider is not allowed to plant on such a Sakia without the consent of all shareholders.

Date trees, which spring up on a Sakia of their accord, called in Dongolawi "Fosski", are the property of all the partners according to their shares.

C.—*The Salluka:*

The Salluka is generally cultivated by the owner himself. If he cannot do so he hires it out to any cultivator and the general arrangement is as follows:—

The owner supplies half the seed, pays half the tax, and takes half the crop.

2. Frightening off the birds from the crop.

3. Clearing the "Gadwal" or the water conduit, of weeds or grass, in which work the Samad does his share with the Tarabla.

The Tarabla pay half the tax on the cultivated portion of the Sakia and in return of this, their labour and their oxen receive half the crop. The Samad pays the other half of the tax and pays as well the remainder of the tax, *i.e.* half the tax on the cultivated portion and all the tax on the uncultivated portion.

When any big work has to be undertaken such as making a new Gadwal or when a crop has to be put-down quickly, a crowd of neighbours is summoned in to help, this crowd is called a "Feza". The Feza does not receive any pay or wages but it is supplied with food and drink by the Samad and the Tarabla, each supplying half.

The arrangement as to the payment of land tax mentioned above does not always apply. When a Sakia is cultivated all the year round, or when the area cultivated is greater than the area taxed, the Tarabla share all the tax with the Samad, *i.e.* pay half the total payable annually in respect of the whole Sakia, cultivated or uncultivated.

If the wheel, the cows and the land belong to different people and the Samad has no share in the land, the following is the customary arrangement:—

The owner of the wheel takes 2 Kerats ($^1/_{12}$) of the crop.

The Auretti who turns the wheel all day takes 2 Kerats ($^1/_{12}$) of the crop.

The owner of the cows takes 6 Kerats ($^1/_4$) of the crop.

The labourers or Tarabla take 6 " ($^1/_4$) " "

The owners of the land take 6 " ($^1/_4$) " "

The Samad, who oversees work of the Sakia, sows seeds and looks after the Dolab from midnight to sunrise, gets 2 Kerats ($^1/_{12}$) of the crop.

Each one of the above supplies a share of the seeds and pays a share of the tax according to the share which he takes of the crop as mentioned above.

A Sakia in this sense is the cultivated land, not the water lifting-machine known to the Egyptian farmers.

Any land of less width is generally sloping as it forms a part of the river channel. At the time of flood it lies beneath the flood water, but when the Nile is low it is uncovered and is accordingly ready for cultivation. Such land is known to the Sudanese as Salluka and it can never be cultivated more than once per year.

The following is a description of the ways followed by the Sudanese, whether farm labourers or land owners, in working both the Sakia and the Salluka.

A.—*The Sakia:*

In every Sakia there are 3 or 4 "Tarabla" or farm labourers, and in very rare cases 2, according to the area to be cultivated but never more than 4, the general number employed is three. There is also a "Samad" or overseer who represents the landlord. Sometimes the Samad is the landlord himself.

Each "Terbal", or farm labourer, must supply an ox and the Samad must supply one ox for each Terbal, *e.g.* when there are three Tarabla, the Samad must supply three oxen. Each Terbal supplies his share of the seed (Teirab) as also does the Samad, *e.g.* when there are three Tarabla each supplies 1/6th. of the seeds and the Samad supplies ½ of the seed.

Each Terbal also supplies his own "Toria" or spade. The Samad supplies the water-wheel, the "Auretti" or the boy who drives the oxen which work the "Dolab" or wheel and the "Wasug" or wooden implement for levelling the ground. The Samad is responsible for the working of the "Dolab", the making of the "Hods" or basins, and the sowing of the seeds All the other work of the Sakia is performed by the Tarabla alone except the following:—

1. The clearing of the "Kodeik" or excavation in the River bank beneath the Dolab, from which the water is drawn. This work is generally performed at "Tetig", *i.e.* midday.

NATIVE METHODS OF WORKING A SAKIA IN THE NORTHERN PROVINCE OF THE EGYPTIAN SUDAN

BY

M. MITWALLY

The cultivated land of the Nile valley is divided in Egypt into plots of varying sizes, each of which is known to the land farmers as "Gheit" or field.

The Nile water, which is most essential for cultivation, is carried to the fields through canals, but it has to be raised to the level of the cultivated land by raising machines such as the "Sakia" or water-wheel. It is customary in Egypt that a Sakia raises enough water to irrigate an area of about 10 acres, and that it is owned by one person if the whole area, which it irrigates, is owned by him.

If, on the other hand, the land is owned by more than one man, it follows that the owners of the land own the Sakia collectively and each is entitled to use it for a period proportional to his share.

This applies to all parts of Egypt, but in the Sudan as a whole and the Northern Province in particular the case is wholly different. The cultivated land on both sides of the Nile is limited in area, its width being generally about 100 metres. Methods of irrigation in these localities are different from those applied in Egypt. They vary a great deal according to the width of the land and the inclination of its surface.

When a piece of land attains a width of about 50 to 100 metres it is considered big and is generally flat. Such area is known to the Sudanese as "Sakia" and is irrigated with lifting machines.

well as in Exodus-Numbers texts. Of the six major points there for the making (mantle, girdle, meat, cake, oil, honey) he has now five as against four out of four before. Matthew has now two out of six as against one out of four before. Decidedly Epiphanius' position has not benefited.

As for the truth about mantle and camel in the Ebionite version—it is not likely that we shall hesitate between the two. Considering that the Ebionite writer follows only too faithfully his texts we shall not care to set up the hypothesis of his accepting those texts when they offer him identifying meat, cake, oil, honey, girdle and when they offer him identifying sheep rejecting their offering in favour of disidentifying camel two-thirds sheep.

Camel and locusts (or whatever else ἀκρίς may be tortured into meaning) disappear, then. We have a solution of their puzzling presence. They are corruptions of mantle and magical cake. How they came, we do not know. But they are both disidentifying, and thus are apparently purposive corruptions. Their effect is most obviously to reduce the stature of John the Baptist claimed for him by the original (our Ebionite ?) hagiographer. They may well be the tools with which rival sectarians sought to undermine the cult of the Baptist John. And the choice of appropriate sectarians is, in the circumstances, not unlimited.

As for the value of the puzzle's solution, no discussion of it can here be quite in order.

For the Ebionite this food is an affair of oil, honey, cake; for Kings, of oil, meal, cake; for Exodus-Numbers, of oil, meal, honey, cake. For Matthew it is an affair of locust and honey. The Ebionite, it is clear, came to honey by following Elijah's Kings oil and cakes on their desert-way to reappear in Exodus-Numbers along with added honey. How Matthew came to honey is a hagiographical mystery, unless he had it from the Ebionite writer or equivalent. For in the listed texts this honey has no existence apart from cakes. And Matthew has not cakes, but locusts. Are our Exodus-Numbers texts to be emended from ἐνκρίδες (= ἐνκρυφίας) to ἀκρίδας, and put in conflict with I Kings texts having ἐνκρυφίας in order that Matthew may have a now badly wanted bridge to his honey—and incidentally in their emended state oblige us to defend honey-locusts as a Mosaic plat du jour? We must prefer to conclude once more that Matthew is condensing editor of an Ebionite writer who gave a straightforward identification of John and Elijah without dis-identifying. The alternative course is to walk with Epiphanius and a fantastic series of such assumptions as, e.g., that the Ebionite writer craftily arranged to quote Matthew's sources more copiously and more accurately than Matthew, or that he had the good luck to find cakes ready to oust locusts and would no doubt have falsified Matthew's καμήλου by substituting μήλου, had he not overlooked the texts mentioning Elijah's mantle, and so on. Epiphanius' position is untenable. Nor is it less so if we assume that Epiphanius has, in spite of all, given the Ebionite version of John's clothing as being verbatim Matthew's version. Matthew then still reproduces only where and as the Ebionite reproduces, while the Ebionite still reproduces where Matthew does not. Matthew's honey-mystery persists. In addition, he can no longer take advantage of Epiphanius' omitting the Ebionite's clothing-description to set up through the girdle-quotation a tenuous claim to use I Kings at first hand. On the other hand, the Ebionite writer once he is presented with the girdle-text, negatives that claim by a counter-claim, and at the same time becomes substantially represented in I Kings texts as

Is then Matthew the victim of a double copyist's error in respect of camel and locust? We make two slight emendations in Matthew, and he is established original hagiographer with correct text restored to him? By no means, indeed. Just as no-one will disbelieve that his story here, with correct desert, girdle, honey, and nearly correct camel and locust, springs from the listed texts, so everyone will doubt that Matthew's text was twice misspelt within a line's space so neatly that the accident left no visible trace of its occurrence.

The logical inference is, instead, that Matthew is not here an original hagiographer; that he edits and falsifies a story of John written by an unknown original hagiographer; and that his own story is the grandchild, not the child, of the parent texts from which sprang that unknown hagiographer's story.

But, perhaps, deduction from hagiographical practice is to be deprecated on principle, however slightly it enters into hagiographical argument?

If so, Epiphanius' despised Ebionite writer must at once assert his claim to be anyhow Matthew's predecessor, if not also the missing arch-hagiographer. Since, on the score of Epiphanius' Φησί and other more tangible evidence, it has been so far assumed that Epiphanius does not quote this Ebionite writer's version of John's clothing, the Ebionite has to rely on the testimony of his version of John's food only. But, as it happens, that little is enough. When Matthew and the Ebionite are compared, it is seen that both have contacts with the listed texts, and further have common features (compositional parallelism and use of the word ἄγριον) not given them by those texts. One of the two must follow and use the other. Matthew reproduces the texts only where and as the Ebionite reproduces (μέλι, ἐν μέλιτι). The Ebionite reproduces where Matthew does not reproduce (βρῶμα = I Kings βρώσεως against Matthew's τροφή, *plus* ἐλαίῳ = I Kings ἔλαιον and Numbers ἐλαίου and ἡ γεῦσις ὡς ἐνκρίς = Exodus τὸ γεῦμα ὡς ἐνκρίς and Numbers ὡσεὶ γεῦμα ἐνκρίς and ἐνκρίδας = Exodus-Numbers ἐνκρίδες, ἐνκρυφίας = I Kings ἐνκρυφίας against Nil in Matthew).

chosen men John historically eats without miracle. And John is, for Matthew 18.10–18, Elijah returned to earth, by fusion of Isaiah and Malachi herald to the divine Messenger of the New Covenant, Jesus, and by Jesus acknowledged as Elijah returned.

To this Elijah-John Matthew gives, quoting verbatim I Kings, Elijah's girdle for clothing and honey for food, thus making John half Elijah by clothing and half Moses by food—half, that is, the one other man who is given Elijah's miraculous desert-cake. And then Matthew denies John the cake and the mantle which were Elijah's, and turns him into a common camel's-hair-clad grasshopper-gatherer dubiously licensed by Leviticus 11.20–22.

What a fall for the magician-master-baker of oil-cake and striker of the waters. And what a moment to select for his glory's departure—precisely that of the climax of his predicted destiny when he has been brought to the desert-place of miracles and is to baptize the divine Messenger and hear the Lord God's voice.

Here, if anywhere, is chaos—self-contradiction, self-stultification, confusion of literary worlds, want of good taste—where the most brilliant of Christian hagiographers twice denies and at once thereafter affirms an Elijah-John, denying through camel's hair and locust, affirming through girdle and honey.

It is a chaos produced by two Greek syllables, however. Write into Matthew μήλου for καμήλου and ἐνκρίδες for ἀκρίδες, and John at once has his mantle and cake again. Chaos then becomes order, and Matthew writes faultlessly the story which must have been the story of any original hagiographer basing his account on the identifying desert-food-clothing texts of Kings and their companion desert-food texts of Exodus-Numbers.

An original hagiographer using O.T. texts to tell a Christian story does not misquote his texts in order to suit his story. If he did so, either he would be at once found out or he would not be recognised as quoting. In either case he would not gain his object in quoting. He has no temptation to alter scriptures; his temptation, if any, is to invent stories to fit scriptures.

I Kings 19.4–8: Elijah in the desert (τῇ ἐρήμῳ) prayed for death. He slept, and one touched him and said, Arise and eat. And he looked; and, behold, at his head a cake (ἐνκρυφίας ὀλυρείτης) and a cruse of water. And he journeyed in the strength of that meat (βρώσεως) forty days and forty nights to mount Horeb.

(c) Exodus 16.13–35: And behold on the face of the desert a small round thing (LXX λεπτὸν ὡσεὶ κόριον λευκόν). And the house of Israel called the name thereof manna (μάν): and it was like coriander seed, white; and the taste of it was like honeycake (LXX τὸ γεῦμα αὐτοῦ ὡς ἐνκρὶς ἐν μέλιτι)... And the children of Israel did eat the manna forty years, until they came to a land inhabited.

Numbers 11.7–8: And the manna was like coriander seed. They made of it cakes (ἐνκρυφίας). And the taste of it was as the taste of fresh oil (LXX καὶ ἡ ἡδονὴ αὐτοῦ ὡσεὶ γεῦμα ἐνκρὶς ἐν ἐλαίῳ).

Examining the relevant Old and New Testament texts one comes quickly to realise that the desert of Elijah's miraculous cake (ἐνκρυφίας), the desert of Moses' oil—and honeycake (ἐνκρυφίας, ἐνκρίς), the desert of Jesus' hungering and temptation, and the desert of John's locusts and wild honey are the one 'Judaean' desert. It is Matthew himself that does most to establish this interesting fact by his deliberate repetition of "these stones" (Matt. 3.9 and 4.3): thus telling us that Jesus' desert (Matt. 4.1) is John's, which, as he says, is the Judaean desert, which, as I Kings says, is the desert of Elijah's desert-cake, which is also the desert of Moses' manna—unless there are two deserts through which the chosen of the chosen breed eat miraculous cake on their way to Horeb.

In this desert, the place of "these stones" of which God could make Abraham's seed and a son of God could, if he would, make bread, a man hagiographically eats nothing or eats by miracle. But in this desert, says Matthew, alone of the four

(*Note :* The reader must be left to decide whether Epiphanius, in writing the words "And John had clothing ... loins", quotes the Ebionite gospel or merely quotes Matthew 3.4a in order to place the alleged falsification of Matthew 3.4b in its familiar Matthew-context for the convenience of a public not familiar with the Ebionite gospel. Epiphanius' text immediately preceding these words looks to be a free condensation of Matthew 3.5, 7. And the word φησί, not idle and yet not indispensable if the quoting of Ebionite gospel began before "And his meat", is indispensable if the quoting of Ebionite gospel begins only with "his meat". Further, acceptance of the earlier quoting involves our holding that in this half of a verse and nowhere else Ebionite gospel will have had verbatim agreement with Matthew's text and simultaneously abandoned the Old Testament texts which (as will be shown) it followed everywhere else with great fidelity. Since (as will be shown) Matthew is a condensing editor here of Ebionite gospel or some lost document followed closely by Ebionite gospel, the balance of probability is heavily against Epiphanius' having here quoted Ebionite gospel and heavily in favour of his having quoted Matthew 3·4a. However, for the solution of the puzzle this matter is merely an unimportant annoyance.)

(*b*) I Kings 19.19 ; 2.8 : mantle (μηλωτή).

II Kings 1.8 : A man with a shaggy coat and with a leathern girdle round his loins.

(*Note :* The mantle, or μηλωτή, worn by Elijah and passed on to Elisha is accurately described as ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν μήλου.)

I Kings 17.12-16 : And the woman said, I have not a cake (ἐνκρυφίας), only a handful of meal in the jar and a little oil (ἔλαιον). And Elijah said, Make me thereof a cake first...... And the jar of meal did not waste nor the cruse of oil was diminished.

Whatever turn the thing took, it should be remembered that Apion's geese and ducks would be onomatopoeic and more effective on tongue than on paper. And Josephus alleges buffoonery against Apion along with professional quackery.

II. John the Baptist's desert-food and clothing in Matthew 3.1-4

It is convenient for the reader to have at once before him the following texts: (*a*) Matthew's story of John's desert, clothing, food and the Ebionite gospel's story of John's food in Epiphanius, (*b*) Kings' story of Elijah's desert, clothing, food, and (*c*) Exodus-Numbers' story of Moses' desert, food (manna).

These four stories are interdependent. It is taken for granted that the texts of (*a*) were composed after those of (*b*) and (*c*), but not taken for granted that Kings was composed before Exodus-Numbers or Matthew before Ebionite gospel in respect of the texts listed.

(*a*) Matthew 3.1-4: John the Baptist preaching in the desert of Judaea had his clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins. And his food was locusts and wild honey. Ἰωάννης ὁ βαπτιστὴς κηρύσσων ἐν τῇ ἐρήμῳ τῆς Ἰουδαίας ..... εἶχε τὸ ἔνδυμα αὐτοῦ ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώνην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφὺν αὐτοῦ· ἡ δὲ τροφὴ αὐτοῦ ἦν ἀκρίδες καὶ μέλι ἄγριον.

Ebionite gospel in Epiphanius, *Heres.* XXX: (And John had clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins). And his meat it says wild honey whereof the taste was of manna as oil-cake. That they may turn the word of truth to falsehood and for locusts put honey-cakes.

καὶ εἶχεν ὁ Ἰωάννης ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώνην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφὺν αὐτοῦ. καὶ τὸ βρῶμα φησὶ μέλι ἄγριον οὗ ἡ γεῦσις ἦν τοῦ μάννα ὡς ἐνκρὶς ἐν ἐλαίῳ. Ἵνα δῆθεν μεταστρέψωσι τὸν τῆς ἀληθείας λόγον εἰς ψεῦδος καὶ ἀντὶ ἀκρίδων ποιήσωσιν ἐνκρίδας ἐν μέλιτι.

TWO LITERARY PUZZLES FROM PALESTINE

BY

D. L. DREW

I. Jewish protest in c. Apionem 2.49

Josephus says that Apion had ridiculed the names borne by Ptolemy VI Philometor's two Jewish field-marshals Onias and Dositheus (Greek: 'Ονίας or 'Ιονίας, and Δοσίθεος). Where was the wit? From Greek name-forms nothing is to be had except the suggestion of Ass in 'Ονίας. However, it is anyhow likelier that the name-forms selected for ridicule would be Jewish. Onias thus reverts to Iochanas or Ionathas or Ionnas; while Dositheus reverts to Ionathas or Ionnas or Nathanael. Apion, then, had only to make a good choice, and he could present to his Græco-Roman public Doric Duck (natha-) and Latin Duck (anat-) coupled with Jehovah. Or he might string together various alternative forms to produce one Doric-Latin Superduck.

On the other hand, he may have decided to transcend mere market-place levels through a trilingual elaborosis commensurate with his own academic status. If he had Iochanas, he had Doric Goose (chan) as well as Doric and Latin Duck, with Latin Goose (anser) not far away. Using both Duck and Goose, then, he will have detected the Græco-Roman farmyard's natural pair present in the Jewish names, and paraded his field-marshal pair as (we might say) Clack and Quack Higncockalorum; thus caricaturing well enough the Jewish weakness of excessive self-seriousness doubtless familiar to all neighbours of the Therapeutae.

There are hardly any diggings near the site itself and it seems certain that the roughly broken quartz extracted from a large number of workings in the surrounding hills was brought here to be crushed into the finer powder from which the washing process separated out the gold. It is unlikely that the place ever degenerated into a mere road-station on the road from the Semna quarries to Qena. It may have been the permanent garrison headquarters of the military units doing guard duty in the Semna district.

There is other evidence that Roman activities in this part of the desert may have continued as late as the 4th century A.D. The ancient road to Qena from both the Semna district and the gold-workings in the Gidami hills passed the road-station in the middle reaches of Wadi Gidami. Last February I unearthed some large and well-preserved fragments of Roman amphorae there and I am grateful to M. Guéraud for reading the names found on several smaller sherds of the same period.

1. ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ
2. ΑΛΚΙΜΟ [Υ]
3. Σερα [πιωνος ?]
   ανει ( )

He considers the period of the writing to be uncertain, but probably from 4th to 5th century A.D. In this W. Gidami road-station also was one of those little rectangular slabs of slate earlier described. It is the only one I have found with any writing scratched on the surface. M. Guéraud's reading is :—

ΚΟΜΗΤΑ
ΛΙΚΤΑ
την γυναικα
ν μου

He adds: "The date is uncertain, but probably not late enough for it to be a reference to a *Comes*" Κόμης was also a Greek name.

Would it be too wild a guess to suppose that the abbreviated word in line 2 might have been *Voc*—, standing for Vocontiorum ? Certainly the *ala Vocontiorum* was in Egypt at this time, and in AD 113 M. Papirius Celer, one of its decurions, dedicated a temple to Isis in the Mons Porphyrites settlement (¹).

Fragment 4.—This was about 30 yards downstream from the place where fragments 2 and 3 were found. I think it was part of a different inscription. The chiselling is thinner, there is a slight difference of colour in the stone, and its surface has been untouched, whereas that of both 2 and 3 has faint cross-lines caused by some smoothing instrument.

It seems almost certain that the two words in line 2 stand for *Augusta praetoria* and that the reference is, therefore, to *Cohors I Augusta praetoria Lusitanorum equitata*. This cohort's first record in Egypt is A.D. 111. From A.D. 131 to 156, it was stationed at Contrapollinis (east bank, opposite Edfu), and it was still in Egypt towards the end of the 3rd century.

The letters of the first line seem to be abbreviations, the last one probably being a P or an F. The letters RACP, more often RACLP, and one or two similar combinations, occur repeatedly also in the quarries of Mons Claudianus. I have not been able to discover their meaning (²).

This site that we have been calling a 'gold-crushing station' is an unusual one, not least in having so many Latin inscriptions and not a word of Greek. The type of stone, so close at hand, was an ideal one for the engraver, but it is so easily broken that most of the fragments are tantalisingly incomplete. It is still impossible to say whether the gold-crushing had wholly or largely ceased by the time of Antoninus, but the fact that many of the crushing stones are built into the remaining walls suggest that the period of greatest activity may by that time have passed.

(¹) Lesquier: L'Armée romaine, Appendix 1, 16, and Prof. Scaife's article in the Bulletin 1934, p. 106.

(²) In the Mons Claudianus quarries RACLP is usually written with the C and L close together, the latter sometimes as a small letter. CL therefore seems to mean Claudianus

W. Semna states, there was no quarry that cut at all deeply into the hillside, so that the larger, thicker slabs of stone used for the inscriptions may have come from another place not far away.

Fragment 2.—Unfortunately the year-number that was under the first horizontal stroke is missing. In the second line the tops of the letters that are still showing, to judge by the direction of their slopings, were part of the word AVGVSTI. The height of the A is rather surprising but it is paralleled by the height of the I in IMPERATOR at the beginning. One can probably, therefore, reconstruct as follows:— Anno ?? Imperatoris T. Aeli Hadriani Antonini Augusti Pii. The period is thus the same as that of the inscription found here last year.

Fragment 3.—This consists of two pieces, a smaller one fitting, along a small but certain line of contact, on to the top of a larger one. They were found very near each other in the fallen sand-bedded stones at the base of the tower-like building that may have flanked the entrance to the enclosure, near that part of the trough or aqueduct that is still visible. Fragment 2 just described above came from the same spot and might easily have been the top of the same inscription.

In line 1. there is an empty space before the first letter. For line 2, with its abbreviation, Prof. Jones has suggested Proc(urator) me(tallorum) as a possible reconstruction. By the time of Trajan, a civil procurator is found side by side with a centurion at Mons Claudianus, the former being the administrator of the quarries and the latter the police guard in charge of the workmen. There may have been a similar arrangement here in the Antoninus period, although this site is not itself a quarrying area. The Semna quarries, less than 10 miles away, together with those at Barûd, perhaps came under the administration of the more important Mons Claudianus to which in Roman times they were joined by an easy road.

The word in the third line is obviously some case of *decurio* which suggests the presence of a *cohors equitata* or an *ala*;

Fragments 2, 3, and 4:

In the Bulletin of Dec. 1950 I described the fragments of a Latin inscription found in the gold-crushing site in W. Semna([1]). I revisited the place last February and found fragments of three more Latin inscriptions together with single letters of two others. They are all on the same green mudstone type of rock as the one found last year, but none of them have the fine cross-striations left by the chisel in the letter-grooves, and this characteristic of the two fragments found last year reinforces the belief that they were parts of one and the same inscription, especially as one of the new inscriptions is definitely of the same Antoninus period.

About 500 yards below the gold-crushing site the wadi swerves round in a hairpin bend and the whole of the narrow ridge or headland it thus encloses, consists of green and purple mudstones. The former had been quarried extensively on the surface by pre-historic man and many 'points' or knives of the Monsterian type were found along the top of the ridge. Much of the surface quarrying, however, was of a more recent date and this hill was obviously the source of the hundreds of little rectangular slate palettes or slabs that were to be found almost everywhere in the gold-crushing site. What their purpose was is not at all clear. Of the very large numbers examined none had any writing on them. A few had been chiselled into plates, and one or two had drawings scratched upon them. One would have thought they would have been ideal for writing purposes but quite a number had the little inequalities of their surface chiselled flat by a very narrow tool so that the levelled surface thus produced could not possibly be written on. Quantities of slate debris are found at other Roman stations in the Eastern desert, especially at the main Mons Porphyrites settlement. In the hill described above that was the source of all these

---

([1]) In that article, page 1, paragraph 2, line 2, read Site 6 instead of Site 5.

2. Τὸ προσκύνημα (perhaps understood) and a name in the genitive preceding; and then: παρ] α Πα [νὶ θεῷ μεγίστῳ recalling line 12 in the Curator inscription.

3. A wilder guess would be to reconstruct 'Απα [μενῶν]. If this is a dedicatory inscription like the Curator stone, one would expect the names of an officer and unit of the Roman Army to follow that of the emperor. But the space available seems to be too small, and although the Cohors I Apamenorum had a long association with Egypt, the earliest known mention of it is nearly 100 years later than the reign of Tiberius.

The main station or castellum connected with the quarries is about I km. below, at the junction of the branch-wadi with W. Semna itself. In the debris filling the round tower or bastion at the N.E. corner of this castellum (Site I in the Sketch map of my article in the Bulletin of Dec. 1950), I found a small slate fragment, triangular in form, each edge being about 1½ inches long, with writing in black ink on both surfaces. I am much indebted to M. Guéraud, of the Institut Français d'Archéologie Orientale, for the following reading :—

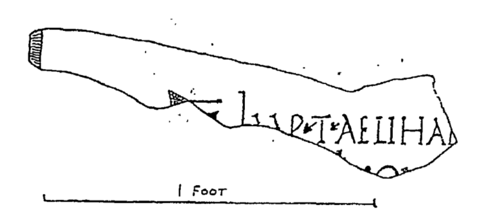
Front	*Back*
] .	] . ρ . . .
] ουτως [	σ] τρονγυλ [
] . αι γαρ κα [	] υλο [
] ιν περι του [	
] . α Ισιδω [	

Both M. Guéraud and my colleague Mr. David Crawford are of the opinion that the period of the writing is either the end of the second or the beginning of the third century A.D. Thus this fragment, insignificant in itself, is evidence that the work in the Semna quarries, which in view of the date of the Curator inscription may have started in the Ptolemaic period and which continued into the reign of Tiberius, may also have run on well into the second century and perhaps into the third.

1.



2.



3.

6 INCHES

4.



Valley by Mr. G. W. Murray of the Desert Survey. It is at present in the Antiquities Department building in Luxor and will no doubt be eventually sent to the Græco-Roman museum in Alexandria.

Fragments 1–4:

Fragment 1.—This also is from the little branch-wadi where the village, temple, and the quarries were and is the typical metagabbro of the district. It was found in the wadi-flow only 2 or 3 yards from the Curator stone. Both the day and the month are the same as in the Curator inscription. Mr. Drescher has suggested that the first day of Pauni may have been specially connected with the worship of Pan. ΠΑΥΝΙ Α looks almost as if it may have headed the inscription by itself, but as for dating purposes the year regularly precedes the month, one should probably reconstruct in some such way as follows:—

Either [ἔτους ?] παῦνι Α | [Αὐτοκράτορος] Τιβερίου Καί | [σαρος Νέου Σεβασ] τοῦ ἀγαθῇ | [τύχῃ], etc.

or [L ? Τιβερίου] Παῦνι Α | [ὑπὲρ Αὐτοκράτορος] Τιβερίου, etc.

Is this fragment part of a simple proscynema or of a longer inscription dedicating the second little 'temple' in the quarrymen's village? For there are two there, built just alongside each other, well-constructed and so similar in type that it is now difficult to say in which of the two the Curator inscription originally stood. Were the same day and month chosen because this stone too was set up to the god Pan? Two dedications to the same deity would not be very unusual. There are two small Isis temples in the same settlement in Mons Porphyrites.

The last letters ΑΠΑ admit of various possible reconstructions, such as:—

1. Τὸ προσκύνημ] α, followed by the genitive of a name beginning Πα.... Such names were extremely common (see Preisigke: Namenbuch).

(Inscr. gr. rom. 1236 and C.I.G. III 4716, d 2). The difficulty in this Curator inscription, draughted obviously by a man who was more or less illiterate, has always been to decide whether Publius Juventius Rufus or his freedman, Publius Juventius Agathopus, was the dedicator. The verb ἀνέθηκε has no grammatical subject and is followed in line 13 by a number of puzzling datives. The idea that ΚΑΙ ΑΥΤΩΙ (beginning line 13) means that the temple was dedicated to a god *and* to a man is obviously to be rejected. On this aspect of the inscription Prof. A. H. M. Jones writes as follows:— "I do not think it likely that Publius Juventius Rufus is the dedicator or author. Ἐπεὶ (= ἐπὶ) is strictly a mark of date, or at the most indicates the authority who controlled the area and under whose auspices, therefore, the work was done. The dedicator must, I think, be P. J. Agathopus: it is natural that a freedman should make honorific mention of his patron, unlikely that a patron should mention his freedman (unless merely as his agent).

"I feel that what Agathopus must have meant was, 'Under the authority of (or in the time of) Rufus, Agathopus dedicated a temple to Pan on behalf of Rufus and himself Agathopus' but his Greek syntax was unequal to the strain of expressing this. Having written ἐπεὶ... Αἰγύπτου he felt that it was obvious that Rufus was being commemorated. Wanting to add that the dedication was for his own benefit too, he added Καὶ αὐτῷ (he should, of course, have written ὑπὲρ αὐτοῦ), and having mentioned himself in the dative he put his name and titles into the dative (except when he lapsed into the genitive), leaving ἀνέθηκε without a subject...

"The inscription is interesting as showing the very personal and family character of the nascent imperial civil service. Rufus employs a personal dependant as his official subordinate; after all, the emperor used his private agents (procurators), even slaves and freedmen, to collect taxes and even govern provinces." The date on the inscription is quite clear, ἔτους Μ Καίσαρος, i.e. AD 11. The stone itself has since been brought into the Nile

My suggested reconstruction is as follows :—

TO· [προσ]
KYN [ημ]
A M[ερσι].
KAI· [Cω]
TH [ρὸς]·
AM [φο]
TEP [ων]·
APXI [τε]
KTON [ων]·
OI·KAI· [επι]
CTHC [αν]
TEC·TO·
EPΓON.

Τὸ προσκύνημα Μερσι καὶ Cωτῆρος ἀμφοτέρων ἀρχιτεκτόνων οἱ καὶ ἐπιστήσαντες τὸ ἔργον.

The W. Hammamat inscription mentioned above (CIG III 4716, d2), in addition to the already familiar names of Publius Juventius Rufus and his freedman Agathopus, twice has the name of Mersis, each time proudly followed by the word ἀρχιτέκτων. The date of this inscription is the 5[th] year of Tiberius, *i.e.* soon after that of the Curator inscription itself. My colleague, Mr. James Drescher, therefore at first suggested that Μερσεως or Μερσιος might be the missing name in line 3. But it seemed to be too long for the space available. There are scores of these proscynemata to Pan, the quarrymen's god, in W. Hammamat, and Preisigke in Sammelbuch 4388 has the following, which is Reinach's full reading of the incomplete CIG III, 4716, d 42 :—

Τὸ προσκύνημα Cωτῆρος καὶ Μερσὶ καὶ Cιέφμουις καὶ Πάχνουμις παρὰ τοῖς ἐνθάδε θεοῖς. Keeping the indeclinable form Μερσί and reversing his order with Soter (with whom he is obviously paired) one gets :— Τὸ προσκύνημα Μερσὶ καὶ Cωτῆρος, which seems to be exactly what we are looking for. "The adoration of Mersis and Soter, both architects, the men who set up the work",

Lines 13-16:

Line 15 of the main inscription begins TOY ..., and not POY ..., so that instead of reading (with line 14) ἀπελευθέρου, as both Green and Couyat-Barthoux read, one should no doubt reconstruct ἀπελευθέ [ρῳ αὐ] τοῦ, and this is exactly what Agathopus calls himself in the inscription in W. Hammamat:

μαργαρίτου. Cagnat, in his above-mentioned article, either did not know of the Red Sea pearl industry of antiquity or rejected the idea that it was referred to here on the ground that the inscription is a record of Roman mining and quarrying in Egypt. But if Mr. Murray's suggestion for βαζίου is correct, it becomes clear that lines 7 and 8 are an enumeration of the three different gems or precious stones known to have been worked by the Romans, followed in line 9 by the non-precious rocks of the quarries, grouped together in the single expression καὶ πάντων τῶν μετάλλων τῆς Αἰγύπτου. For μαργαρίτου to depend on the word ἀρχιμεταλλάρχης is perhaps slightly unusual, but there is no reason to doubt that the man in charge of the mining and quarrying also directed the pearl industry. We can, therefore, translate lines 6—10 :— "and the chief overseer of the emerald mines, of the 'topaz' mines, of the pearl industry, and of all the quarries of Egypt". Agathopus, the freedman, being a more local representative of the governor of the whole area, naturally makes the more limited claim of being the overseer of the stone quarries only.

One surprising thing about this inscription is that in a summary of the Roman desert activities it makes no mention of gold-mining, whereas the Semna stone quarries were surrounded by very extensive gold-workings that had been going on for a long time. Must we suppose that the absence of any such reference means that this activity was largely Ptolemaic and was neglected in the Roman period proper? An expert examination of the pottery brought back from the various sites of the district (gold-working and others) will no doubt throw a lot of light on the problem.

The lines to the right of the god:

Couyat-Barthoux's copy is correct. In addition, in line 6 the beginning of a third letter after AM is clearly circular in form. It is obviously a proscynema by two people, architects anxious to claim an equal share with the soldier Ptolemaios in the building of the temple, and in so doing imitating the solecism of his final phrase.

had one or more errors in their reading of the text and because an almost certain reconstruction of the lines to the right of the god is now possible. Moreover, the correct explanation of lines 7 and 8 can be given and an attempt should be made to solve the grammatical difficulties of lines 13–16.

Lines 7 and 8:

τῆς ζμαράγδου (λίθου).—The reference is to the well-known emerald mines in the Sikait and Zabara districts, south of Qosseir.

βαζίου.—I am much indebted to Mr. G. W. Murray for the suggestion that this is in all probability the same as τοπαζίου and that the stone referred to is what the Ancients called topaz but is now known as peridot, a variety of chrysolite. [Dana in his Textbook of Mineralogy, p. 599, says that the chrysolithus of Pliny was probably our topaz and that his topaz was our chrysolite, and this is the accepted modern view.] St. John's Island, just off the coast from Berenice, was called Topaz Island by the Ancients, and it is well-known (from Pliny and other writers) that the gem was quarried there.

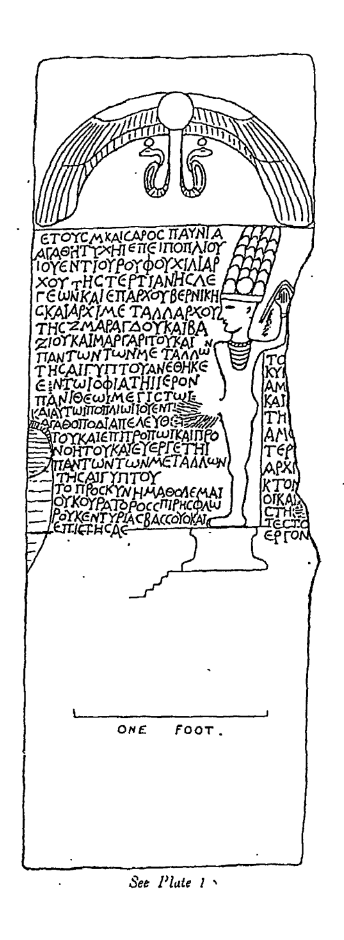
The form βάζιον, except in this and a W. Hammamat inscription (CIG III, 4716, d 2), is apparently only known in the expression βάζιον ἄκρον, a name which Ptolemy (Book IV, Ch. 5) gives to a headland 50′ south of Berenice. Du Cange, however, in his *Glossarium Mediae et Infimae Graecitatis* has the word πάζιον meaning 'topaz'. He quotes Hesychius:— πάζιον, ὃ καὶ τοπάζιον, λίθος πολύτιμος (1). π and β are not infrequently confused and it seems reasonably certain that βάζιον is the same as πάζιον. The initial syllable το- may have been dropped on the erroneous supposition that it was the definite article.

(1) I am grateful to Mr. Drescher for this reference and for pointing out that there is a Coptic mention of BACION, obviously meaning 'topaz' in W. Till, Koptische Heiligen-und Martyrerlegenden (Erster teil) Roma, 1935, p. 192.

The surface is apparently just a straight fracture, not smoothed, and just below the wedge mark on the left side there is a slightly rougher area which the engraver avoided. The god is the ithyphallic Min, identified by the Greeks with Pan, and the subsequent rubbing out of the phallus by means of a stone has erased a few letters from lines 13 and 14.

This inscription was first found by Green in the winter of 1897–98 and he published his copy of the text in the Proceedings of the Society of Biblical Archæology, No. XXXI, year 1909. Some years later it was visited by Couyat-Barthoux, whose copy was published more fully by Cagnat in Academie des Inscriptions C.R. 1910, pp. 580-585. It appears also in L'Année Epigraphique 1910, No. 207, based on Green's text, and Lesquier made full use of it in his "Armée romaine d'Égypte". When seen by Green and Couyat-Barthoux the stone was still in a little one-roomed 'temple' or chapel by the quarrymen's village at the base of the quarries. Since 1910, however, it had disappeared and several attempts to locate it failed. Last February I found it lying face downwards in the wadi-flow nearly 100 yards below the temple. The story which the Arabs tell about it is as follows:— About 30 years ago a man in Qena offered a sum of money to anyone who brought the stone down into the Nile Valley. An Ababda accordingly arrived at the quarries with a camel harnessed to a cart, and he succeeded in getting the inscription out on to the terrace of the temple and in lowering it straight on to the cart that he had drawn up in the floor of the wadi just below. The stone, however, was very heavy (it must be 4 or 5 cwt.), and man and camel had not done 100 yards of that journey of over 100 kms. that the Roman waggons used to travel to Qena when the cart collapsed under the strain and the stone fell face downwards on to the wadi-floor where it has lain unrecognised ever since.

Although the inscription has been dealt with from the historical point of view by Cagnat and Lesquier, it seems worthwhile to republish it both because Green and Couyat-Barthoux


ΕΤΟΥϹ Μ ΚΑΙϹΑΡΟϹ ΠΑΥΝΙ Α
ΑΓΑΘΗΤΥΧΗΙ ΕΠΕΙ ΠΟΠΛΙΟΥ
ΙΟΥΕΝΤΙΟΥ ΡΟΥΦΟΥ ΧΙΛΙΑΡ
ΧΟΥ ΤΗϹ ΤΕΡΤΙΑΝΗϹ ΛΕ
ΓΕΩΝ ΚΑΙ ΕΠΑΡΧΟΥ ΒΕΡΝΙΚΗ
Ϲ ΚΑΙ ΑΡΧΙΜΕΤΑΛΛΑΡΧΟΥ
ΤΗϹ ΖΜΑΡΑΓΔΟΥ ΚΑΙ ΒΑ
ΖΙΟΥ ΚΑΙ ΜΑΡΓΑΡΙΤΟΥ ΚΑΙ
ΠΑΝΤΩΝ ΤΩΝ ΜΕΤΑΛΛΩΝ
ΤΗϹ ΑΙΓΥΠΤΟΥ ΑΝΕΘΗΚΕ
ΕΝ ΤΩΙ ΟΦΙΑΤΗΙ ΙΕΡΟΝ
ΠΑΝΙ ΘΕΩΙ ΜΕΓΙϹΤΩΙ
ΚΑΙ ΑΥΤΩΙ ΠΟΠΛΙΩΙ ΙΟΥΕΝΤ
ΑΓΑΘΟΠΟΔΙ ΑΠΕΛΕΥΘΕ
ΤΟΥ ΚΑΙ ΕΠΙΤΡΟΠΩΙ ΚΑΙ ΠΡΟ
ΝΟΗΤΟΥ ΚΑΙ ΕΥΕΡΓΕΤΗΙ
ΠΑΝΤΩΝ ΤΩΝ ΜΕΤΑΛΛΩΝ
ΤΗϹ ΑΙΓΥΠΤΟΥ
ΤΟ ΠΡΟϹΚΥΝΗΜΑ ΘΘΟΛΕΜΑΙ
ΟΥ ΚΟΥΡΑΤΟΡΟϹ ϹΠΙΡΗϹ ΦΛΩ
ΡΟΥ ΚΕΝΤΥΡΙΑϹ ΒΑϹϹΟΥ ΟΚΑΙ
ΕΠΙϹΤΗϹΑϹ
ΤΟ
ΚΥ
ΑΜ
ΚΑΙ
ΤΗ
ΑΜ
ΤΕΡ
ΑΡΧΙ
ΚΤΟΝ
ΟΙΚΑΙ
ϹΤΗ
ΤΕϹΤΟ
ΕΡΓΟΝ
ONE FOOT.

See Plate 1

THE CURATOR INSCRIPTION AND OTHER RECENTLY FOUND FRAGMENTS FROM WADI SEMNA

BY

L. A. TREGENZA

For the locality see the rough Sketch map in "A Latin inscription from Wadi Semna", published in the Bulletin of Dec. 1950. The Curator stone and the fragment No. 1 (in Greek) are from the quarry branch-wadi (Site 2 in the Sketch map), and the other fragments (all in Latin) are from the gold-crushing station in the main Wadi Semna (Site 6 in the Sketch map).

THE CURATOR INSCRIPTION

The stone is a roughly squared rectangular block just over 4 feet long, about 18 inches wide, and 1 foot thick, and is a typical specimen of the metagabbro quarried by the Romans at Semna (1).

The letters of the inscription are mostly about $1\frac{1}{2}$ cms. high, the smallest being not much more than 1 cm. and the tallest occasionally nearly 2 cms. The space between the lines is about 1 cm., in some places a little more and in others rather less.

---

(1) I am much indebted to Mr. G. Andrew, geologist to the Sudan Government, for his examination of specimens of the rock quarried both at Semna and Barûd. He has now sent to the British Museum (Natural History) specimens and slides of the Semna metagabbro and the Barûd "diorite", together with some slides and specimens of the Mons Claudianus grano-diorite, with two slides of the same rock from Trajan's Forum in Rome.

1778-83 edition copied the early 18th century classification of five groups, *i.e.* Bedouins, Arabs, Copts, Turks and foreign Christians (Franks), the later edition classified them into four main strata; the Arabs (Bedouins, Magrebis, Peasants), the Copts, the Turks and the Memeluks, thereby including the Bedouins in the class of Arabs, adding the Mameluks as a separate class and considering the Franks as a foreign element.

The 1773 edition devotes a half-page to Egypt, almost, entirely confined to its geographical position, including a rather inaccurate statement on the frontier of the country bounded by Nubia on the East. In contrast the article of the next edition (1778-1782) is of twenty-five pages. It deals with the history of Egypt, ancient and mediaeval, followed by an account of the Pyramids, the Nile, the Nilometer and the inhabitants. Norden and Pococke have been acknowledged as sources of information. One might point out the inaccuracies and inadequacies in the part concerning the political and social conditions. 'The Constitution and Government of this country' the article runs, 'seem to be but little known ta modern times. A viceroy is sent to Egypt, under the title of pasha or bashaw of Cairo, and is one of the greatest officers of the Ottoman Empire, but as the interior parts of Egypt are almost inaccessible to strangers, we know little of their government and laws' (1). The article obviously confuses the Beys with the heads of the Arab tribes. It does not refer to what was the most influential figure in the 18th century Egypt, the Sheikh El Balad, and it is certainly mistaken in stating that the Pasha had under him 'a large regular army'.

Referring to the Copts, the writer states that it would be 'hard to say what species of Christianity is professed by the Christian Copts ... but they profess themselves to be of the Greek Church, and enemies of that of Rome' (2).

The writer of the article in 1797 edition drew from Savary, Volney and Bruce. Comparing this edition with the immediately previous one, the striking addition in the latter is the study of the natural and physical geography of the country and the detailed account of the Mameluk system and the revolt of Ali Bey, both obviously taken from Savary and Volney. Moreover, the classification of the population is different, for whereas the

---

(1) Egypt, Vol. I.
(2) Ibid.

In spite of the hard criticism of the reading public to Browne's attempt, there was a section of the public less unsympathetic to Arabian life and thought. Defending Browne in 1799, the editor of the Critical Review said 'We are not inclined, with Pope Gregory the Great, to burn the works of the ancient classic authors because they were pagans' (1).

In trying to estimate the influence of these travel books during our period on English contemporary knowledge of Egypt, and on English literature, one should bear in mind that this tentative study is by no means exhaustive. The subject itself demands a separate dissertation and here we need be only concerned first in pointing out that the influence was there and secondly to trace it in some contemporary English literary works. Two reservations are necessary. First, we should not disregard the fact that some works (like Parsons) were published in the early 19th century with the result that they were almost lost among the abundant early 19th century travel books. Secondly, that up to the turn of the century, the standard works on Egypt that enjoyed the great popularity were those of Pococke and Norden and still greater those of the French travellers particularly Volney and Savary. Therefore, however, insignificant the influence of our travellers might have even on the public of their time, it can be roughly specified between 1780 with Irwin's travels up to 1801 with Baldwin's political recollections. One of the best illustrations of the influence of the travel books on the general knowledge of the educated public is the article on Egypt in consecutive editions of the Encyclopedia Britannica throughout the 18th century. It showed first that the scope and technique in any one article is coloured by the scope and technique found in a certain travel book. Secondly that it incorporates the very same inaccuracies of one traveller or the other. Thirdly while academic assessment is not pronounced, a growing zeal and enthusiasm for Egyptian studies is apparent.

---

(1) Vol. 27, August 1799. p. 286 et seq.

society, or rather the Moslem Arab society. It would be pointless, perhaps, to criticize his study as being inadequate, since he himself declared that 'the subject is very far from having been exhausted'(1). As we cannot follow him here in every topic in his comparative study, it might suffice as an example to refer to his conception of education.

Browne defined his conception of education as the 'art of forming man on the principles of nature... By the principles of nature are meant, the preservation of the body in all its functions, and the mind with all its faculties and powers in the most perfect manner possible...'(2). The best method is 'the indirect encouragement to puerile variety and arrogance—prolonging the period of childish ineptitude, and leaving to chance the instruction to be received in the great art of life...'(3). In trying to prove how this kind of education was more applied in the East than the West, he says 'The dress of children (in the East) is free from ligatures, their diet simple, and they are accustomed to variations of season and inured to fatigue. They are generally taught to serve in the family of their parents. They hence learn what to expect from those whom they may afterwards command. Among the middle class there are few who do not know how to cook their victuals and to work their own linen. These habits are of inestimable utility in the army and in travelling, and render them much less helpless than ourselves. Our children are certainly taught many useful things which they do not learn: but they also learn some usefulness to which we pay no attention. These are a part of the advantages of Oriental education. Among the serious inconveniences may be enumerated, an excessive credulity, the offspring of profound ignorance: and in places of commercial resort, a keenness bordering on dishonesty and falsehood'(4).

(1) *Op. cit.* p. 535.
(2) *Op. cit.* p. 513.
(3) Ibid. p. 514.
(4) Ibid.

of elegance of naration or grandeur of description ...'. 'The mortal disgust in the several parts of the work, are obnoxious to the feelings and opinions of the generality of readers' (1). This brings us to the second factor of Browne's unpopularity; his defensive attitude of the Arab people. The comparison which Browne set between the manners and customs of the Orientals and those of the Europeans, out of which he showed inclination towards the first (2), was hardly acceptable to the contemporary reading public in England. Beloe accused Brown of being 'an avowed disciple of the school of Volney, and the other miscreant writers of that stamp' (3). As far as Browne's travels are concerned, Beloe's judgement is grossly unfair. Browne himself states very clearly in his preface that he deals with Egypt in different terms from Volney (4). The British critic considered it as 'exceedingly nonsensical' (5). The Eclectic Review accused Browne of being 'prejudiced against Christianity' and even of 'infidelity' (6).

Browne neither appears to be prejudiced against Christianity as his contemporaries thought, nor does his work suffer from 'an eccentric encomium of Eastern manners and customs at the expense of the civilization of Europe' as a biographer states (7). He was undoubtedly influenced by the French Revolution, in politics he was a Republican, in religion a Liberal. But the most influential philosophy of the French Revolution on Brown was the 'paradox of Rousseanism'; the belief in the superiority of the 'noble savage' to civilized man. The essence of this paradox is based on preference of 'nature' to the complexity, variety and artificiality of the social and economic patterns of the Western civilization. Browne armed with that 'Rousseauism', philosophized the Oriental

---

(1) Ibid.
(2) *Op. cit.* p. 513 *et siq.*
(3) *Op. cit.* II, p. 59.
(4) Brown, Preface, p. VI.
(5)
(6) Vol. III, Part. I, May 1807, p. 385.
(7) D.N.B. under W. G. Browne (African traveller).

pace as popular literature. I have not been able to examine W. C. Brown's dissertation 'English Interest in the Near East with special reference to travel literature, 1775-1825'. But in his article on 'Byron and English interest in the Near East' (1), he defined the requirements of a popular travel book, in a study of contemporary periodicals, as 'accuracy and extension of knowledge' on one hand and 'liveliness in style' on the other. The overstress of 'liveliness in style' at the expense of knowledge caused the shrewd Analytical Review in 1790 to complain that 'every one thinks he can write' 'Reflective Tours', or 'Sentimental journeys' (2). How far did Browne succeed in fulfilling these two requirements? He was better known as an African discoverer. Indeed, his Ammonian Expedition in Siwa, although involving, according to Rennal, much more personal risk than Alexander's, was fruitless from an academic point of view. Browne was closely connected with Darfur, as he was the first European to describe the country. As far as Egypt is concerned, his account of the political, financial and social conditions, though in many cases misinforming, is by far the most detailed of all the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century.

As for the second requirement, Browne seems to have failed abjectly. Whether it is because of his lack of descriptive power, or that his enthusiasm was unaccompanied by any literary liveliness, the fact remains that he is intolerably pedantic and affected. Concerning his form, on the evidence of contemporary British magazines, the first criticism was want of 'narrower compass' and 'arrangement'. The Annual Register, in a remarkable article, 1799 (3), accused Browne of not succeeding in giving 'mental entertainment' and not avoiding 'mental disgust'. 'Mental entertainment' mantained the Register 'is an object, we hesitate to say a subordinate one, at which books of travels aim; and we are not able, perhaps, to exhibit passages which claim the praise

(1) Studies in Philology, Vol. XXXIV, January 1937, pp. 55-64.
(2) Vol. 8, 1790, pp. 154-155.
(3) p. 499 et seq.

residence in the country, traversed every part of it at leisure, conversed familiarly with every class of people, shared in their meals, partaken of their labours and amusements, in short, become as if were one of themselvss, and being accustomed to speak, and act, and think as they do. He must, moreover, be formed by nature for minute and incircumstantial observation, deem nothing immaterial in his enquiries, and note even the smallest peculiarity with justness and precision' (1). The Review went on to state finally that 'such a man has not yet been found'. "The greatest part of the relations we have from these regions are either too romantic to be credited, or too incomplete to be satisfactory" (2). When one field of scientific investigation becomes ancillary to another different in nature and method, little profit is expected.

Browne alone, among the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century, sustained the trend of reassessment or revaluation. As a traveller, he possessed 'exactness and veracity'. But one of the factors that added to the unpopularity of his book was the failure of his style and form to satisfy the taste of his age. We cannot here make any literary study of travel literature of the period, but it is essential to trace the general taste of the reading public in England for travel books, depending in this on contemporary comments of different magazines and reviews.

At the end of the 18th century and in the early 19th, travels and travel literature became extremely popular. The period witnessed the growth of British colonial expansion and responsibilities overseas, the improvements of means of transport and the growth of the newly-enriched middle class which began touring abroad. Naturally the travellers were impelled to publish accounts of the people, places and adventures which they experienced with the result that the period saw the publication of an almost uninterrupted stream of travel books which assumed an important

(1) Ibid.
(2) Ibid.

that they might be compared with the English version' (1). Bruce, moreover brought with him from Abyssinia and Egypt many manuscripts in Arabic, Coptic and Ethiopic, the most important of which were the Old and New Testaments in Ethiopic of which Beloe himself thought to be 'of the greatest importance to the elucidation of Scripture' (2). The Evangelical movement in England in the late 18th century showed itself in attempts by some scholars to use the information and knowledge in the books of travels for the elucidation of the Scriptures. In 1764, Thomas Harmer (1714–1788), an independent minister, published his 'Observations on Divers Passages of Scriptures... from Books of Voyages and Travls'. He explains his method in the preface by stating 'learned men have often employed themselves in noting down places of the Greek classics, which they thought explanatory of passages of Scripture..., but modern books of travels and voyages, which, if carefully perused, will afford us many observations, as curious, and as useful...! (3). Such attempts, however, imply, as the shrewd Analytical Review pointed out (4), that the 'manners and customs of the Oriental nations are nearly the same now as they were two thousand years ago...' Secondly the question remains whether these travel books, at least which Harmer made use of, offered accurate and reliable information. In the same article of the Analytical Review, the editor referred to the qualification of such a traveller by saying that he 'must be, himself, not only a man of letters, but an excellent philologist, not only well overread in the general grammar of all the Oriental written dialects, but able also to make an analytical comparison of them with every oral variety that is in use between the Nile and the Euphrates. For that purpose, he must have made a long

(1) *Op. cit.* Vol. II. pp. 46–47.
(2) Ibid.
(3) *Op. cit.* p. III.
(4) Vol. 3. 1789. pp. 578–581.

associations in the Near East for the service of the Bible. The Bishop of Clogher thought of sending someone to Egypt to 'make enquiry' into the scripts of the 'Gebel el Mokatab' in Sina. The Church of England, on the other hand, had shown an interest in the Eastern churches. As early as 1675 Dr. Marshall translated the book of a famous Coptic scholar Abu Dakn under 'Historia Jacubitarum seu Coptorum, in Egypto, in which the author deals with the history of the Coptic Church. In 1693 the book was translated from Latin into English by Sir E. Sadlier. Four years before the publication of Abu Dakn's book, Dr. Marshall was apparently engaged in preparing the 'four Evangelists in Coptic' (1), a work which does not appear to have been published. Around that time a certain F. Brothai was in Upper Egypt on missionary work 'among the Christian Copts of that country, which are in a great number there, and have many monasteries and ancient churches, but poor' (2). One of our travellers; Antes was a Moravian missionary and later the Religious Tract Society took it upon itself to publish episodes of his missionary life in Egypt (3).

But Bruce's travels were surely the most interesting in this respect. W. Beloe relates how Bruce 'on his first return from his...travels, had some questions proposed to him on the subject of the Bible in the language of Abyssinia, by a remarkable and highly distinguished member of our church, which he answered very satisfactorily', and how he 'voluntarily undertook to translate literally, a number of the Abyssinia Bibles, in order

---

(1) Calendar of State Papers. Domestic Series, January-November 1671. Dr. Thomas Hyde to Williamson, Nov. 23 p. 581.

(2) Philosophical transactions, Vol. 1. pp. 591-592, N. 71, p. 2151. Some observations lately made by certain Missionaries in Upper Egypt, in a letter written from Cairo, Jan. 6, 1670, by F. Brothai.

(3) John Antes, Confidence in God, London. 1799 and Anecdotes in the life of John Antes. London, 1799.

the Turkish rule. The English contemporary pictures are vivid illustration of that confusion, where things, Turkish, Arabic and Oriental in the general sense were presented to signify either Arabic life or places or persons. The common and striking feature was their failure to realize that the crescent was purely a Turkish symbol (1).

It is remarkable how these travellers were very Western in their outlook on Egyptian society. In fact, they emphasized in general ideas and conceptions current in the West about Arabs and the Arab World. Tracing their attitude towards a society different in patterns of thought and life, one might generalize and state that there were two different trends, one to assimilate in the background, Christian in values, and classical in taste, and another trend breaking vigorously with the popular outlook and pointing enthusiastically to a revaluation or reassessment of this Eastern society. G. W. Browne alone stands to represent the second trend, while the first is eminent in all the others.

One aspect of this assimilation was the numerous comparison of things Egyptian with others in the West. Antes stated that the differences between the Shia and Sunna were parallel to those between the Whigs and Tories in England (2). We have seen some travellers called the Beys the 'Republic'. The defect of such attempts is that they eventually become extremely misleading. Another aspect of this assimilation was a trend among these travellers to study the Egyptian society in biblical terms and subsequently illustrate the scripts. We have seen how some of them tried to justify what they termed 'degeneracy of the Egyptians'. At the end of the 18th century, there was in England an interest among the scholars to study the biblical

---

(1) See J. Gillray's Caricatures, Vol. 1. 1830. Nos. 679, 688, 689, 690, 691, 662, 697 and others. Also see Mavor (W), Collection of voyages and travels, Vol. XII, p. 122, Vol. XIII, p. 224, XIV, p. 201 and R. Ainslie, Views in Egypt from the original drawings in the possession of Sir R. Ainslie, London, 1805.

(2) *Op. cit.* p. 6.

was in a better condition under Murad and Ibrahim than under the French, and under the latter better than under Mehemet Ali. From an economic point of view the crisis which Egypt witnessed since the French Expedition made the situation much worse than it was in the 18th century. Again culturally the Western and Turkish impact on Egypt was responsible for that confusion in thought which characterizes the first half of the 19th century. Although the second half of the 18th century saw Taj-ul-'Arus and the history of Al-Jabarti, it is almost definite that the first half of the 19th century brought forth no original work in literature or religious studies.

Reverting to our travellers' conception of the inhabitants, we find that besides the theme of 'degeneracy of the people', they looked upon the Egyptian, in manners and customs, as Arabs. A prominent feature of the social impressions of these travellers was that they never penetrated to what would be called the provinces and therefore did not include the 'fellah'. It was either among the Bedouins or in Cairo that these travellers were able to see the native inhabitants, the first living on the fringe of the Egyptian life, the second an Islamic centre of different Moslem countries. Naturally, then, Capper with a shallow view of Cairo would only see 'an heterogeneous mixture of all nations' and nothing like 'an original national character'. There was not a clear-cut distinction in the mind of these travellers between the Arabs, let alone the differences in their national characters—and the Turks. That the Near East was then culturally, religiously and, to a very great extent, politically, a unity seems to have contributed to that confusion. R. Chandler (¹) wrote throughout his book about the Turks without being apparently aware of the fact that he was describing the Arabs of Aleppo. The twelve years of his life in Egypt did not prevent Antes from using the words 'Turk' and 'Arab' or 'Turk' and 'Mameluk' interchangeably. He even used the term 'Turkey' to signify all the countries and nations under

(¹) Travels in Asia Minor and Greece (1764). London, 1817.

which he lived as essentially Islamic. Pan-Arabism, much less its emphasis was not pronounced in him. The decline of the Turkish power in Egypt in the late 17th and throughout the 18th centuries had given rise to different factions mainly military (the Beys and Arab tribes), and to what are called the 'acquired rights', both factors contributing not only to the decentralization of the Government but also to its disintegration. The Government, then, in the eyes of Al-Jabarti, was an organization besides many others in the country. Its work, according to Al-Jabarti, seems to have been restricted to the protection of the 'acquired rights', the collection of taxes, and the recruitment of labour for public works. The three pillars of Al-Jabarti's society, therefore, were a strict adherence to Islamic ordinances and custom, the decentralization of government, and the maintenance of 'acquired rights'. The attempts made by the French or Mehemet Ali at the turn of the 18th and early 19th centuries to wreck one of these pillars, were indignantly resented by Al-Jabarti. On the other hand, he was able to appreciate certain values and standards of Western civilization. His language in describing French cultural achievements—after his visit to the French Academy—is characterised by laudatory figures of speech. He was struck by the trial of the assassin of Kleber, comparing it with the justice of the Turks and the Beys who had no respect for 'human souls' and yet claimed to be Moslems. He was impressed again by the life in England where 'no poverty exists', a picture conveyed to him by his friend, Elfi Bey, who visited London in 1802. But if Al-Jabarti had in general refused Western culture, it ought to be remembered that he experienced the revolutionary type of this culture which a contemporary English clergyman would have equally resented.

A greater resentment by Al-Jabarti is shown towards Mehemet Ali's vigorous action in the abolition of 'acquired rights', the dissolving of these factions and the centralization of the Government. Herein lies the fact that he thought that conditions in Egypt were going from bad to worse. The country, to him,

conveys an entirely different portrait of the man, who according to him 'was inclined to good, loved the learned and the upright... He hated the impious and never committed any act of such a nature as to throw doubt on his religious sentiments or his honour...' (1). It was not in the least his betrayal of Ali Bey that concerned Al-Jabarti but rather his slaughter of the Moslems of Jaffa during his conquest of Palestine. British travellers in Egypt have indeed failed to realize that an 18th century Egyptian was lagging far behind any conception of 'nationalism' and that he regarded himself as a Moslem and little else. That the 18th century patterns of thought and life were not altogether disagreeable to the inhabitants could be shown by their resentment towards their change at the turn of the 18th and early 19th centuries.

Apart from the attempts made by some Western scholars to reassess Islam, and the Romantic travellers or poets who found in the Arab world themes for their Romanticism, the West regarded Islam as having ceased to function as an institution and an ordinance and thought that the only hope for the Islamic Society was to accept Western institutions and standards. As far as Egypt was concerned, some of these travellers brought forward the suggestion that the country should be ruled by a 'Western nation' (2). In fact, if we allow for the temporary political prejudices caused by the struggle between England and Revolutionary France which made the reading public in England resent the French occupation and justify that resentment, we find that there was a certain enthusiasm and satisfaction among the English public for the change that took place in Egypt and resulted in opening the country to Western thought and culture. Herein lies the difference between this Western view in regarding Western impact on Egypt and the Egyptian point of view vividly presented by Al-Jabarti. This man regarded the community in

---

(1) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ... الخ الجزء (الأول) ص ٤٢٣

(2) Antes, *op. cit.* p. 34.

or where an ancient inheritance of greatness and glory, which has been so totally wasted and lost' ([1]). Such a view is essentially biblical. Rooke found the explanation of the alleged degeneracy in what he called 'the languid and effeminate spirit' of the inhabitants and their lack of 'courage to resist tyranny' ([2]). Antes refers to this as 'the bad management of its inhabitants of whom the poorer sort always be content today on a wretched existence, and even sometimes perish for want, in the midst of an earthly paradise' ([3]). No less bibiical was J. White when he referred to this degeneracy by stating that 'God was pleased long since to declare his purpose, and among all the examples that history can show, there is not a more signal object than Egypt, this lying under the Divine interdiction, and left as a fearful witness of his prescience and power' ([4]). By such biblical views, they seem to satisfy themselves in justifying the existence of despotism of the ruling class in Egypt, which, to their mind, precluded the people's self-expression and appreciation of arts, knowledge and better economic conditions. Looking at the whole question with purely Western eyes, one observes that a remarkable feature in these travellers' writings was the waste of time and thinking over the 'independence' of Egypt of the Turkish and Mameluk tyranny, and the lack of the Egyptians of the requirements, moral and material to materialize such an 'independence'. When relating the story of the revolt of Ali Bey, Parsons states that the 'Inhabitants of Egypt wished to be independent of the Porte and therefore they adore the memory of Ali Bey..... who mounted the throne of Egypt...., had he not been treacherously betrayed....by Abu Daheb, his own general, nephew, and son-in-law, (whose) memory is deservedly held in such detestation, that when he is named, they spit on the ground and stamp on it' ([5]). Al-Jabarti, a contemporary Egyptian historian,

([1]) Egyptiaca, London, 1801, p. 241.
([2]) pp. 18-19.
([3]) *Op. cit.* p. 82.
([4]) *Op. cit.* p. 4.
([5]) *Op. cit.* p. 301.

labours of modern travellers in this country". Not less emphatically the Eclectic Review asserts 'The military events which for a while distinguished that country (Egypt), gave occasion to so many descriptions and historians of it, that we are almost as well acquainted with the river Nile as with the Thames; and with the Delta, as with the countries within a day's journey of the metropolis... ([1]). Since we now know how inadequate this knowledge of the age was, such statements are surely evidence of the low standard of erudition of British contemporary studies concerning Egypt.

Our travellers, besides being unable to live among the people of Egypt, were denied correct sources of information. The Janissaries are obviously unreliable. 'The Greeks... inquisitive... were intimate with the people at large and with the government... rarely represent things as they are, but as feel them or would have them to be......' ([2]). The 'Copts' a third source, 'were timid and reserved, they fear to discover even what they know' ([3]).

There were two main themes in the writings of these travellers, one was to regard the Egyptians as 'degenerate' people in trying to connect them with the ancient Egyptians, and the other was to look upon them as 'primitive' or in a stage of 'barbarity' when trying to connect them with the rest of the Arab domains, since the Arabs had no historical civilization in the contemporary popular eyes of the West. Referring to their degenerate state, J. Capper says '...In my opinion they are now...... the most disagreeable and contemptible nation on the earth, bearing no resemblance to the former Egyptians, than the present ruins do to their once insignificant buildings' ([4]). Professor J. White wrote at the turn of the century, 'where shall we find a degeneracy like that of the present race of Egyptians,

---

([1]) 1803.
([2]) Browne, *op. cit.* p. VIII.
([3]) Ibid.
([4]) *Op. cit.* p. 17.

obviously difficult for any British traveller in the circumstances to live intimately among the people and study them. Only under Mohamet Ali did the position of the Europeans become in general secure enough to enable a man like the British Arabist W. Lane to live among the people with 'tolerable ease' and to permit a growing foreign clientèle to found an 'Egyptian Society' in the Capital (1). This opening of Egypt in the early 19th century, together with the fact that since the Napoleonic Expedition the country had become a point of interest and 'curiosity' for the English public at least for some time, contributed to popularizing travels and travel-books on Egypt. That popularization helped considerably to bring Egypt nearer to the English mind much more than the 18th century ever dreamed of. But W. G. Brown's (2) overstressing the influence of the popularization of these travels in the Near East in general on what he called the accuracy of the contemporary English knowledge about that part of the world, is somewhat open to question. He quoted as evidence an extract from the Eclectic Review (1812) in which the editor says about Egypt, Palestine and Greece, 'Of these countries' already so amply described by Shaw, Pococke, Maundell, and Chandler, our information is singularly minute and copious... so copious indeed, as in the opinion of many, to have contracted the duties of a writer of travels in the present day, to little more than the correction of the errors of his predecessors' (3). Brown obviously disregards the fact that the age overestimated its knowledge of the Near East. The Edinburgh Review (4) referring to Thomas Legh's voyage up the Nile in 1816, claims that "If Mr. Legh has not contributed much to our knowledge about Egypt, it must be recollected... that there was comparatively little to add, after the multiplied

(1) B. M. Journal of the Egyptian Society—Under 'Cairo'.

(2) 'Byron and English Interest in the Near East.' Studies in Philology, XXXIV. January, 1937, pp. 55-64.

(3) 1812, p. 1085.

(4) Vol. 27, 1818. p. 423.

travellers. Apart from Browne, Bruce and perhaps Baldwin, none of them evidenced that they possessed any adequate knowledge of the Arabic language. 'Sans la langue' writes a contemporary French traveller (1) in Egypt. 'l'on ne saurait apprécier le génie et le caractère d'une nation: la traduction des interprêtes n'a jamais l'effet d'un entretien direct. Sans le temps l'on ne peut juger sainement; car le premier aspect des objets nouveaux nous étonne, et jette le désordre dans notre esprit, il faut attendre que le premier tumulte soit calmé, et il faut revenir plus d'une fois à l'observation pour s'assurer de sa justesse'. Thirdly the isolation of the non-Moslem community in Egypt from the social and cultural life of the community, left these travellers no other alternative but to join the narrow life of the Frank colony in the Towns or the Catholic convents on the fringe of the towns. Fourthly, these travellers were subject to the continuous oppression and avarice of the Beys. It is difficult to think of any British traveller between 1779-1784 who did not suffer in some way under the Beys. Antes relates how he was arrested and beaten (2). Baldwin, Irwin and Rooke were arrested too. Such treatment was attributed to the desire of the Beys, particularly the lesser ones, to extract money from these travellers who were known to have come from the 'treasury lands'. It was also attributed to religious fanaticism. None of these travellers, however, seems to have realized that this treatment was closely connected with the commercial struggle between the Arab merchants and their formidable rivals in the first place and between these Frank merchants and the growing active Syrian colony late in the century. This fanaticism, however, took different shapes. Except in Rosetta, the Franks were obliged to dress in Turkish garb and only their consuls and high officials were allowed to ride on horseback. In the western part of 'Grand Cairo' they lived in certain quarters which were closed at night. It was

(1) Volney, *op. cit.* Tome I, p. IV.
(2) Confidence in God, London, 1799.

absolutely insignificant' ([1]). Such a transaction did not, in fact, appear to have taken place either with the tenant or with the 'Multazim' and the holding of the land either by one or the other was almost hereditary.

Browne again was the only traveller of our period to deal with the Revenue. He pointed out that the sources of revenue were the legal tax or two 'patachas' per feddan estimated as a whole at 12,900 'purses'. the additional taxes imposed by the Beys which he estimated at L.S. 1,250,000 the custom duties of which he could not give a dfienite estimation, the 'Jizia' (1,500 purses) and the customs levied on certain artisans and professions ([2]). In the first place, Browne left out of account an important item, which contributed to the Miri, the money paid by those holding official posts. Secondly his estimation of the sources of the Miri are grossly inaccurate if compared with those given by Estève ([3]), The Miri for the land, estimated by Browne as 215,000,000 'Midies', are about one hundred million more than the entire Miri according to Estève. Thirdly: Brown seems to have considered the Miri as revenue only and this is probably the reason for his misapprehension in supposing that all the taxes belonged to the 'Miri'.

Sociological study of the inhabitants was the least contribution of these travellers and apart from Browne and Antes, there was, in fact, nothing like a studied observation of the manners and customs of the different classes of people. Most of these travellers suffered two obvious handicaps, inadequacy of time and their ignorance of the language. Irwin, Capper, Rooke, Mrs. Pay and Cleghorn deserve to be called wayfarers rather than

(1) Ibid.

(2) *Op. cit.* p. 95.

(3) Memoire sur les finances de l'Egypte, depuis sa conquete par le Sultan Selym er jusqu'a cella du général en chef Bonaparte, par M. le comte Estève. trésorier general de la Couronne, officier de la Legion d'Honneur. ex-directeur général des revenus de l'Egypte' p. 109. Description de l'Egypte, Paris. 1822. Tome 12, pp. 41-218.

The speculation of some of these travellers on the commerce of Egypt will be left to another essay, and here we shall refer only to their dealings with agriculture. In fact, the country-side was the field least explored by the British travellers and we find Browne the only person informed to any appreciable extent on the conditions of the peasantry. Estimating its potential productivity, Baldwin asserted that Egypt 'can send annually a thousand ships abroad with her superfluous productions' (1). Browne estimated the cultivable land at 2,100,000 feddans (2), two-thirds of which were actually cultivated. Antes, in suggesting means to increase the cultivated land through improvement of irrigation, puts forward the building of 'mills or engines' worked by wind to bring water from the Nile (3). Another 'expensive, and not as soon accomplished' plan was 'fortifying the banks of the river (The Nile) throughout its whole length ... by confining it into a narrower channel by which a considerable piece of valuable ground might be obtained and not a quarter of the water would be required to overflow its banks' (4).

Dealing with the tenure of the land, Browne regarded the majority holding as belonging either to the government or to the religious bodies, and therefore 'the tenants or thr cultivators' 'hold either of the Government, or the procurators of the mosques' (5). Browne thought that this was for the 'personal case of the cultivator' or the 'tenant' because '(once) their lands, becoming unoccupied, are never let but on terms ruinous to the tenant' (6). He went on to explain his point by saying 'For as there is a number of bidders and the managers of them are exorbitant in their demands, the tenant becomes accessory to his own misery, by engaging to pay the owner so large a portion of the product, that his projects are

---

(1) *Op. cit.* p. 6.
(2) *Op. cit.* p. 92.
(3) *Op. cit.* pp. 86-87.
(4) Ibid.
(5) *Op. cit.* p. 94.
(6) Ibid.

own coffers...'(1). 'I might easily, from my own experience' he says 'give some specimens of law-suits, which would prove, that not the laws themselves, but the execution of them, is chiefly in fault; and that it is in this respect that the differences appear more striking between their government and that which prevails in our own country'(2). Whatever might be the failure of some of these travellers to appreciate that difference, they all indignantly found fault with the Beys' abuse of power and the evils of despotism. Cleghorn, while in Egypt, noticed that Europeans in Africa possessed democratic views(3). Mme. Montagu who agreed with him, explained this as a reaction to Oriental despotism which they witnessed during their stay in Africa(4). Bruce, who was undoubtedly more fortunate in visiting Egypt in the time of Ali and Mehmet Beys, writes that'... there is not on earth more brutal, unjust, tyranical, oppressive, avaricious set of infernal miscreants, than are the members of the Government of Cairo'(5). '...The scene of oppression that exists here' writes H. Rooke 'is a disgrace to human nature, both in those who practise and those who suffer it...'(6). But it was certainly a gross misconception among the travellers to confuse the 18th century Beys with the Mameluk Dynasty which existed before the Turkish conquest and to consider the latter as a continuation of the former. Nothing is more significant in the writings of the late 18th century English authors about Egypt than their inadequate knowledge of the history of Egypt. The Encyclopedia Britannica throughout the 18th century called the Mameluk Dynasty the 'Third' but 'wicked' Caliphate. Even the better-informed Browne was extremely inaccurate in recording the events of Egypt for the ten years before his arrival(7).

---

(1) *Op. cit.* p. 116.
(2) Ibid p. 134 footnote.
(3) Cleghorn Papers, p. 24.
(4) Ibid.
(5) Vol. I, p. 26.
(6) *Op. cit.* p. 93.
(7) *Op. cit.* p. 130 et seq.

and that the Sheikh El Balad enjoyed 'more or less the power of the Doge of Venice'. Apart from the fact that the word 'Bey' or 'Seojak' did not always signify the governing province or even any administrative work but often a title carrying finanical and social privileges, the Beys unlike the Republic of Venice, did not represent an economic starta in society but rather a military one. Again the travellers seem to ignore the fact that their 'Ropublic' was not exclusively Mameluks, the Porte having the right to appoint Beys out of twenty-four. The keynote of this misapprehension apparently lies in the fact that the travellers failed to realize that the standing of the Pashas, that of the Ottoman military leaders and the powers of the Beys which the travellers knew in their time, all this was the development of more than a century during which the Ottoman power was declining. Baldwin is a striking example of that misapprehension. He started with the conception that Sultan Selim, who founded the Mameluk organization aimed at a policy of "equilibrium" between the Beys and the Pasha. The Bey's part was to repress any ambitious designs of the Pasha and the latter was to promote a "spirit of dissension and revolt among the Beys". "Hence the perpetual commotions in the Government of Egypt, hence the division among the Beys, hence the alternate prevalence of parties; hence the continual fluctuation in the tide of power; hence the security and affection of the state"(1). Both Browne and Antes tend to differentiate between the theoretical form of the constitution and the abuses of its application. The Bey, for instance, "sits for judgement on case of equity" which offered 'every advantage of publicity' but 'the justice of the ruler is ever open to the omnipotent influence of gold' (2). Antes, on the other hand, referred to the 'money allowed by the Sultan for carrying the rubbish from Cairo to the Sea (Karakjee)' but the Beys find it more for their interest to put the money into their

---

(1) *Op. cit.* pp. 51-52.

(2) Browne, *op. cit.* p. 58.

the ruling class in Egypt through their lavishness. Cleghorn, after a few days' stay in Cairo, wrote that nothing could be done in this country without presents. There is no doubt that these travellers were aware of the domination of the Beys. Eton, who published his survey of the Ottoman Empire in 1798, described the three main features of the Porte's sovereignty in Egypt by saying '...the Pasha is in effect a prisoner during his government which is only nominal; the Porte draws little or no revenue from it... The Janizaries and Arab soldiers in the service of the Porte... are few in number mostly composed of artisans and persons unaccustomed to arms. The actual power resides in the Mameluks...' (1). But the fact that Egypt was virtually independent, being only nominally a Turkish province seems to have been difficult for these travellers to grasp. 'I hardly know how to explain... the form of government here', writes H. Rooke, 'it is of so strange and complicated a nature; on one hand the Pasha or Viceroy sent by the Grand Signor, to whom the country is tributary, claims the sovereignty, on the other the twenty-four Beys maintain their authority' (2). Bruce admits that he 'could never understand it, and there fore cannot explain it' (3). Even the better-informed Baldwin was 'puzzled to define its government: who has ever defined it? It is neither dependent nor independent' (4). In an attempt to assess that political form of government, some of them refer to the 'Beys' as the 'Republic'. Lusignan oversimplified when he divided the administration of Egypt into the 'Republic' and the 'Monarchy': the first represented by the Beys, the second by the Pasha (5). That misconception had led Capper (6) to think that the twenty-four Beys were rulers of provinces, and therefore concluded that Egypt was divided into twenty-four provinces,

(1) W. Eton, A Survey of the Turkish Empire, 1798, p. 293.
(2) *Op. cit.*, p. 94.
(3) *Op. cit.* Vol. I, p. 26.
(4) Political Recollections, p. 47.
(5) *Op. cit.*
(6) *Op. cit.*, 18-19.

practically nothing of significance on Egypt. Even the substance of his well-known work 'Political Recollections relative to Egypt' 1801, does not contain much more than his 'Speculation on the situation and resources of Egypt' presented to the British Government sixteen years earlier (1). His 'Political Recollections' was received with bitter disappointment by the British public. 'Not only from the title page' writes the editor of the British Critic, 'but from the local situations and character of the writer, the public might reasonably expect a great deal more than they will find..., and we cannot help being of the opinion that a great number will partake of the disappointment which we confess to have experienced. So much has the curiosity of the world been directed to Egypt, that every eye, and every ear, anxiously expected to know what an Englishman who had resided almost thirty years upon the spot was able to tell them' (2). The fact is that this book, which was written in the light of the 18th century British interest in Egypt, was published in the 19th century Egyptian Napoleonic upheaval. In the first place Baldwin offered very little 'new' to the public. In the second place he seems to have been determined to boost in strong terms the services he performed at the expense of information on the subjects he professed to discuss (3).

We shall attempt here to give these travellers' conception of the political and social structure of the country in general terms, avoiding their views on the British political interests in Egypt which will be dealt with in a seperate dissertation.

In general, British travellers were able to understand the nature of the Levantine political and administrative set-up, with its favouritism, its bribery and the nature of the Mameluk mentality in particular. By the end of the century, a French traveller had written that the English enjoyed the bona fides of

(1) See Ch. VIII.
(2) Vol. XVIII, p. 89.
(3) Edinburgh Review. Vol. I, p. 59.

John Antes ([1]), American born, was a Moravian missionary, 'invited to serve the mission at Grand Cairo'. When he arrived at the beginning of 1770, the original plan ([2]) was that Antes, with his German Brethren, would follow James Bruce to Abyssinia for missionary work there. But 'the information received from Mr. Bruce, upon his return in 1773, ... destroyed all our hopes of being of any service there ...' ([3]). Antes stayed in Egypt until the end of 1781, absorbed in an apparently unsuccessful mission among the Copts ([4]).

Of all the Englishmen in Egypt in the second half of the 18th century, G. Baldwin enjoyed the longest stay, as an agent of the East India Company (1775–1779) and the British Consul-General in Cairo (1786–1795). Both official positions must have afforded him a unique opportunity of coming into intimate contact with the ruling Beys. Thus he was, most probably, the best-informed Englishman about the contemporary political conditions of the country. Up to 1798, apart from the 'Narrative....to the plunder of the English merchants 1779 ([5]), Baldwin wrote

---

([1]) Observation on the Manners and Customs of the Egyptians..., etc., London 1890.

([2]) J. A., Missionair der Brudergemeinde, (Eine Silbestbiographie). Basel, 1869, p. 1 *et seq.*

([3]) Confidence in God. illustraied in the life of J.A., a missionary in Egypt; extracted from a narrative written by himself. The first series tracts, etc. (Religious Tract Society), London, 1799, p. 2.

([4]) "August 23. I set off on a visit to Belmesse, to renew our connexion and acquaintance with the few Copts in that place, ... there I stayed about six weeks, and spoke to many Copts of the love of Jesus Christ our Saviour: interesting them to devote themselves to him, by whose name they wish to be called, and to such approve themselves as believers in, and followers of his doctrines. They appeared to assent to everything that was said; but it was easily seen that, with most of them, though they had a custom of speaking in scripture phrases, or, out of compliment to me, expressed their approbation, their hearts remained untouched which made me daily call upon the Lord to hasten their conversion." Antes, Confidence in God. p. 6.

([5]) 'Narrative of facts to the plunder of the English merchants by the Arabs and other subsequent outrages of the Government of Cairo in the course of the year 1779.'

Up to the turn of the century, the 'African Association' was able to send over two explorers to Egypt. The first was J. Ledyard (1) who died prematurely in Cairo in 1788, the second was the German explorer Fredrick Hornemann (2), who witnessed the French Expedition to Egypt, and, assisted by Napoleon, made his investigation in Sennar in 1798-1800. Beside these two, Egypt saw W. G. Browne (3), a private explorer who arrived at Alexandria in January 1792 with the intention of penetrating into Abyssinia. Accompanying the great Sudan caravan to Darfur, and encountering great hardships, he reached Darfur in July 1793. There he made his investigations. It was not before 1796 that he arrived back in Cairo.

Apart from the 'chance travellers', there were a few residents either in an official capacity like G. Baldwin or unofficial ones like Antes and Lusignan. S. Lusignan (4), a Levantine merchant, contemporary of Bruce and Wortley Montagu, is specially noted for his account of the history of the revolt of Ali Bey, to which he added, as far as Egypt is concerned, a desrciption of Cairo and an account of the Government of Egypt. The authenticity of his work was impugned by the French traveller, F. Volney (5), who instanced with ridicule the Bey's father's visit to Egypt as an example of how Lusignan was misinformed. The latter seems, however, to have failed to pass an impartial judgement on the revolt. Moreover, he wrote his work ten years after the Bey's death and, depending entirely on his memory for places and names, laid himself open to inaccuracy.

(1) Proceedings of the African Association...etc., p. 26, *et seq.* Parks. Memoirs of the Life of Ledyard. p. 402. *et seq.*

(2) Proceedings...etc., 1802. p. 2 *et seq.* Hornemann, F. The Journal of Fredrick Hornemann's travels in 1797-8. London, 1802.

(3) Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years 1792 to 1798, London, 1799.

(4) A History of the Revolt of Ali Bey against the Ottoman Porte,..., etc., London, 1783.

(5) C. F. De Volney, Voyages, en Syrie et en Egypte, pendant les annees 1783, 1784 et 1785, Paris, 1787.

mistaken in regrading himself as the first European who had reached these springs. Pedro Paez, the Jesuit, had undoubtedly reached them as early as 1615. Bruce's travels, however, together with those of Dr. Sparman, Patterson and Colonel Gordon in South Africa, aroused considerable curiosity coupled with a 'reproach' as to the ignorance of the 'present age' about Africa. 'Sensible of this stigma and desirous of rescuing the age from a charge of ignorance, which in other respects, belongs very little to its character' (1), a group of dilettanti headed by Lord Rawden (later Marquis of Hastings) founded on the 9th of June 1788 an 'Association for promoting the Discovery of the Interior of Africa' (2). The interior of Africa in 18th century terminology did not signify any equatorial region, but was restricted rather to the sources of the Senegal, Niger and Gambia rivers, the western central region of what is now known as French West Africa.

It might be argued, then, that North Africa would offer a more natural entrance to these regions than Egypt. Geographically that appears to be true, but the political unrest of the Islamic countries of North Africa caused by the imminent danger the Arab tribes there, which threatened throughout the century the social and economic life of the towns, made the journey a perilous undertaking.

In Egypt, explorers found it convenient to accompany the trade or pilgrim caravans between Cairo and Darfur and beyond. In Cairo they were likely to obtain information about these 'interiors' from Arab merchants, and assistance from the British Consul or Carlo Rosetti, the Venetian merchant and unofficial head of the Frank colony in Cairo. Furthermore, the districts of exploration were inhabited mostly by Moslems, and explorers found it useful to stop in Cairo for a certain period to acquire the language and study the manners and customs of the people.

---

(1) Proceedings of the Association for promoting the Discovery of the Interior Parts of Africa, London, 1790. p. 7.

(2) Ibid.

By their commercial penetration into the Mediterranean and round the Cape of Good Hope, the British in the 18th century became fairly acquainted with the Northern, Western and, to a less degree, Eastern coasts of Africa. Apart from this, the interior parts of the Continent remained 'terra incognita'. One might safely assume that their acquaintance with Egypt, from a geographical point of view, surpassed their knowledge of any other part of the Continent. It is not, therefore, inexplicable, as the Edinburgh Review held [1], that an African traveller; G.W. Browne, should call his book 'Travels in Africa, Egypt and Syria'. Because of that knowledge of Egypt, and because of its intrinsic geographical position, Egypt became the natural gateway to British discoveries in Africa in the second half of the century. There were two lines pursued, one along the Nile, pointing South-West to the old land of the 'Queen of Sheba', the other South-East to the sources of the Gambia to link with their tentative explorations there from early in the 17th century.

Up to the days of R. Pococke, British travellers in Egypt had proceeded no further than the first cataract. Pococke's book, however, foreshadowed the interest of the English nobility in these explorations. For late in 1758, Lord Halifax, then president of the Board of Trade, discussed with James Bruce the question of the sources of the Nile and proposed that Bruce should interest himself in it. In this connection he secured for Bruce the consulship of Algiers as the proper post to learn Arabic and acquire information concerning the interior of Africa. In the summer of 1768, Bruce was at Alexandria ready to start his travels in Egypt, the Red Sea, Abyssinia, to return along the course of the Nile, an expedition which occupied him for nearly four years (1769–1773). It is not here that one should introduce a discussion on Bruce's discoveries. It should be noted, however, that Bruce was mistaken in thinking that he had reached the source of the true Nile. Again, he was less excusably

(1) Vol. II, p. 115.

him can be distinctly classified into two groups; first the servants of the East India Company, the merchants and ordinary passengers who used this overland route, and secondly the African explorers who made Egypt their starting point for discoveries. Both kinds of undertaking, though carried by what might well be called 'chance travellers', nevertheless appear to have re-established the geographical significance of Egypt, not only in respect to Africa but also to the links of communication between the East and the West.

To the first group belong E. Irwin (1), who was in Egypt 1777, H. Rooke (1777) (2), James Capper (1779 (3), Mrs. E. Fay (1778) (4), A. Parsons (1778) (5) and H. Cleghorn (1795) (6). The chief figures among these passengers who made a detailed description of that route and the Islamic 'echeles' in the Red Sea and were representatives of the British India approach to the Red Sea are Irwin, Rooke and Capper. The route usually taken by them was by sea between Alexandria and Rosetta, by the Nile between Rosetta and Cairo and in the company of trade caravan between Suez and Cairo. Irwin was the only one who was forced to land at Cosseir and travel through the Eastern Desert to Kena and thence by the Nile to Cairo. As such this group of travellers is characterized by being constantly in contact with the Bedouins and life in the Egyptian deserts and their accounts are significant in the study of the 18th century Egyptian caravan routes.

---

(1) A series of adventures in the course of a voyage up the Red Sea, on the coasts of Arabia and Egypt, and of a route through the Deserts of Thebais, hitherto unknown to European Travellers,...etc., London, 1781.

(2) Travels to the Coast of Arabia Felix, and from thence, by the Red Sea and Egypt, to Europe; containing a short account of an expedition undertaken against the Cape of Good Hope; London 1783.

(3) Observations on the passage to India through Egypt,...etc., London, 1783.

(4) Letters from India, London, 1925.

(5) Travels in Asia and Africa....etc., London. 1808.

(6) Cleghorn Papers. London 1925.

BRITISH TRAVELLERS IMPRESSIONS OF EGYPT IN THE LATE 18th CENTURY

BY

M. ANIS (PH.D. B'HAM)

As far as British travellers in Egypt in the first half of the 18th century are concerned, one might assert on the whole that their main interest was antiquity and antiquarian researches carried out in a spirit of dilettantism (1). The latter part of the 18th century, however, gave rise to a very different type of British traveller to Egypt. It would be unwise to concur with some authorities on travel literature and relate British travels in Egypt during this period to different aspects of British travels in general. One searches in vain for any clear and definite connection between British travels in Egypt and British commerical expansion during the century. For while British trade with India increased five-fold and doubled with Africa, trade with Egypt, in fact the whole trade of the Levant Company, was diminishing throughout the century.

Two main factors that came into being with the arrival of James Bruce (2) in Egypt in 1768 were in the main responsible for subsequent British travels, namely the opening of the over-land route between England and India through Egypt and the tentative explorations into what was then known as the 'interior of Africa'. Bruce worked in both fields, but those who followed

(1) M. Anis, The first Egyptian Society in London (Bulletin de l'Institut Français D'Archeologie Orientale. T.L.).

(2) Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768, 69, 70, 71, 72 and 73 containing a Journey through Egypt, the three Arabias and Ethiopia, 5 Vol., Edinburgh 1790.

held responsible for the rent. He had only to return the seed-corn he received from the landlord. Compare the clause frequently found in leases, e.g. *Pap. Oxy.*, CI, ll. 24–26, ἐὰν δέ τις τοῖς ἑξῆς ἔτεσι ἄβροχος γένηται, παραδεχθήσεται τῷ μεμισθωμένῳ 'If in any of the years there should be a failure of water, an allowance shall be made to the lessee'.

EGYPTIAN LAWS OF TENURE AND THE OBLIGATIONS OF LANDLORD AND CULTIVATOR TOWARDS ONE ANOTHER

BY

GIRGIS MATTHA

The opening section of the *Demotic Legal Papyrus of Hermopolis West*, now at the Museum of the Egyptological Institute, Giza, is for the most part missing. It deals exclusively with the laws regulating the tenure of arable land and the obligations of landlord and cultivator towards one another. The remaining part, which is complete and in a good state of preservation, furnishes us with the concluding chapter on such obligations as are referred to above.

A landlord (says the papyrus which dates from the end of the third century B.C.) who, after having provided the cultivator with the seed-corn and had his land cultivated, holds back the land from the cultivator, is compelled to give the cultivator one-quarter of the harvest in compensation for his work.

If the seed-corn necessary for sowing the land belonged to the cultivator, the landlord shall give him a quarter of the produce of the land over and above the said seed-corn.

If, on the other hand, the cultivator, after having watered the land and been provided with the seed-corn, failed to sow the land, he is made to pay the landlord the rent plus the seed-corn he received from him, in accordance with the provisions of the lease drawn up between them.

But if it chanced to be low Nile and the land was not inundated, the year was not to count and the cultivator was not

8. *Theban Ostraca* D 32, p. 58, gives *e-f st a tm 'r-f mte-f 'y e.' r-ḥr p rt* 'if he refuses to make it (sc. the oath) let him come before the steward'. The steward of the priests of the temple of Mônt was the usual representative of the priests in business matters. In Wilcken, *Griech. Ostr* No. 1150, referred to above at the beginning of this article, an oath of 134 B.C. before Chons of Thebes, we have the phrase εἰ δὲ μὴ ἔρχεσθαι ἐπὶ τὸν ἐπιστάτην, i.e. no doubt the ἐπιστάτης τοῦ ἱεροῦ. This officer is named in the Canopus decree (Kom-el-hisn. Greek, l, 62) and is equivalent to the demotic (l. 20) *p rm nt šn*, who is found making oaths (not receiving them as here) on behalf of the priests in Spiegelberg, *Pap. Elephantine* No. 5 (cf *Theb-Ostr.*, *ibid*, n. 2); see also next note.

9. Louvre? (*Mélanges*, p. 174) gives *te-w p 'nḫ n-tr.t* X *p rt* 'the oath was given to X the steward'. The steward, before whom the oath was taken, was presumably the steward of the priests of the temple in which the oath was sworn; see last note.

All the oaths referred to above, except one, Louvre? (*Mélanges*, p. 203) of the 31st year of Augustus, date from the Ptolemaic period.

Chons occurs together with his epithet see *Mélanges* p. 191, Louvre 7988 (*Dict. Démotique*. p. 112), Louvre 7839 (*ibid*, p. 144 G.), *Theban Ostraca* D. 88, p. 57.

(c) *Ammon Nachomneus*. Amūn the principal god of Thebes with the epithet *Na-ḫmn-'w*, a writing of *ny Ḫmny.w* 'the one belonging to the eight gods of Hermopolis' (cf. G. Mattha, *op. cit.* p. 229) appears in two oaths sworn by him at Thebes, the first being *Theban Ostraca* D 104, p. 59, and the second *ibid* D 179, p. 60. The epithet Nachomneus attached to the name of the Theban Amūn occurs as a proper name in five ostraka published by me (*op. cit.*) Nos. 66/1 (= Berlin 9690; Claudius 7), 111/3 (= Vienna 327; early Roman), 129/5 (= Berlin 1112; Augustus 21), 261/2 (= Bodleian 37; possibly Auletes 27 = 55/54 B.C.) and 272/3 (= Berlin 9463; II–I cent. B.C.). They all come from Thebes.

(d) *Hathor* (of Pathyris = Gebelein). The only published oath by Hathōr of Gebelein is that edited by Spiegelberg in *Demotica* I, p. 44.

(e) *The god-kings* (i.e., presumably, the deified Ptolemies). The only oath known to me sworn by the god-kings is recorded on an unnumbered ostrakon in the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 171/2. It belongs to the 53rd year (of Euergetes II) and was sworn by the *ntr.w Pr-'o.w* 'the gods (the) Kings' in the temple of Mōnt at Thebes.

6. Instead of *mte-f wy ar-f* 'and he will have no claim on him', or 'he will be quit of him', an unnumbered ostrakon from the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 203, gives *n'* (sic) *tm rḫ* B (plaintiff) *ḫpr m-s'-f n mt.t nb n p tw* 'B (plaintiff) shall (Να–) not be able to have a claim on him for anything whatsoever (*lit.* in the land)'. Notice the displacement of *n'*.

7. Louvre ?. (*Mélanges*, p. 203) gives (after *e f tm ir-f* 'if he refuses to make it (sc. the oath) the words *mte-f tt ḥt-f* 'he (sc. the defendant) shall be reconciled to him (sc. the plaintiff).

2. The deities by whom the oath was sworn are:

(a) *Mont* the god of Hermonthis and Western Thebes. The majority of oaths were sworn by Mônt. His name is mentioned only in connexion with his temple, i.e. *pr-Mnt* 'the temple of Mônt'; but in the oath his popular epithet *p k* 'the Bull' was used instead of his name. He was frequently described as *Mnt*, or *p K*, *nb T3-dsr* Mônt, or the Bull. lord of the Holy Region (*i.e.* the necropolis west of Thebes). The name of this locality was otherwise read *Manun* by Revillout, (*Melanges*, pp. 171, 176–6, 180–1, etc.), *Mtn* by Spiegelberg (*Demotica* 1, p. 12) and *M:dw* by Sethe (A.Z. 69, p. 120) but all three readings are palaeographically impossible. See Girgis Mattha, *Demotic Ostraka* 143 1, note.

For Oaths sworn by Mônt cf. Louvre 9072 (*Mélanges*, p. 174), 9056 (*ibid*, p. 175), 9090 (*ibid*, p. 176), 7875 (*ibid*, p. 180), 7863 (*ibid*. p. 181), three Louvre ostraka without numbers (*ibid*, p. 190), five other unnumbered Louvre ostraka (*ibid*. pp. 193, 194 and 203), Louvre 8112 (*Dict. Démotique*, p. 113), Louvre 8116 (*ibid*, p. 144 G) and *Theban Ostraca* D32, p. 58.

(b) *Chons* the child-god of Thebes: next in frequency to Mônt in oaths comes Chons. His name is written either alone or with the epithet *nb 'h'* 'lord of time' attached to it. Chons as moon-god was naturally 'lord of time'. His demotic name together with the epithet are transcribed in the Graecised name Χεσεβαιῆον, i.e. the temple of Chons lord of time (cf. *Theban Ostraca*, p. 58, n. 2). The same name and epithet occur also in the proper name Πετεχενσεβάις (*ibid*), of which the demotic parallel *P-te-Hns-nb-'h'* occurs on three demotic ostraka copied by me from the collection of Egyptian inscriptions in the Bodleian Library, Oxford, Nos. 648, 692 and 760. The last-mentioned of these is a receipt for the tax on strangers of the 35th year of Augustus and was published by me as No. 185 of my *Demotic Ostraka*.

For examples where Chons's name occurs alone cf. L. 9051 (*Mélanges*, p. 170), 7956 (*ibid*, p. 182). For others

Compare Greek (Wilcken, *Chrest.* 110 A, ll. 18, 19) οὐθὲν ψεῦδος ἐν τῷ (19) ὅρκῳ ἐστίν.

6. *e-f* (or-*s*,-*w*) *'r p 'nḫ nte-f* (or-*s*,-*w*) *wy ar-j* (or-*s*,-*w*).

'If he (or she, they) make(s) the oath, he (or she, they) will be quit of him (or her, or them), *i.e.* will have no claim upon him (or her or them).

Compare Greek (Tait, *ibid*, 275, ll. 8, 9) ὀμνυόντων αὐτῶν ἀπολ[υέσθαι] (9) αὐτούς.

7. *e-f* (or-*s*,-*w*) *st a tm 'r-f*

'If he (or she or they) refuse to make it (sc. the oath).

Compare Greek (Tait, *ibid*, l.9.) ἐὰν δὲ μήι (sic) ὀμνύωσι.

8. *p nke nt e-f* (or-*s*,-*w*) *wnḫ-f mte-f* (or-*s*,-*w*) *ty-s*

'then the thing, which he (or she or they) (sc. B the plaintiff or plaintiffs) declare(s), he (or she or they) (sc. A the defendant or defendants) shall give it.

9. *te-w p 'nḫ n-tr.t* (or *a rt*) X

'The oath was given to X (a temple official)

Notes

1. *nt e-'r* A *a 'r-f* = Coptic ετερε A εααq 'which A *must* (= Greek δεῖ) make.' (not: *shall make* as is generally translated). The 3rd future here implies compulsion rather than a simple future. The localities named in the published ostraka are: *Dm'* 'Jēme, i.e. Memnonia' (cf. Louvre 9072 in *Mélanges*, p. 171, Louvre 9056, *ibid*, p. 175, Louvre 9090, *ibid*, p. 176, Louvre 7875, *ibid*, p. 180, Louvre 7863, *ibid*, p. 181 and *Theban Ostraca* D 104, p. 59) and *Pr-ḥ.t-ḥr* 'Pathyris, *i.e.* Gebelein' (cf. *Demotica* I. p. 48). The deity in whose temple the oath was sworn is the same as that by whom it was sworn, for which latter see next note.

1. *ḫ p ʿnḫ nt e'r A a 'r-f n p ro* of locality x *n pr* of deity x *n* B *n* date in year, month and day *dd* 'copy of the oath which A has to make at the gate of locality x in the temple of deity x to B in date (y.m.d.), saying:' Then follows the subject of the oath.

Compare Greek (Tait, *Bodl.* I, 274) ὅρκος ὃν δεῖ ὀμόσαι ἐπὶ τοῦ ἐν Κόπ(τῳ) Κρονείου τῆι κα τοῦ Θωὺθ τοῦ ιε L Τιμόδημον Ἑρμίου Δωρίωνι.

For *n p ro* of locality x *n pr* of deity x 'at the gate of locality x in the temple of deity x' the following alternatives are common:

(a) *n pr* of deity x 'in the temple of deity x'.

(b) *n ḥfṯ n* locality x 'in the dromos of locality x'.

(c) *m-bḥ* deity x 'before deity x'.

2. *ʿnḫ* deity x *nt ḥtp ty 'rm ntr nb nt ḥtp 'rm-f* 'By deity x who resteth here and every god who resteth with him'.

Compare Greek (*ibid*, ll. 7, 8) νὴ τὸν Κρόνον καὶ τοὺς συν(8)νάους θεούς.

For *'rm ntr nb* 'together with every god' there is the alternative *'rm n nt* 'together with those (who rest with him)'.

Κρόνος evidently represents an Egyptian god, probably Geb.

3. Subject of the oath: *py* (or *ty*, *ny*) disputed object *nt e-k* (or *-t*, *-tn*, *-f*, *-s*, *-w*) mt 'rm-y (or *-n*) a-th.t-f (or *-s*, *-w*).

'This (or these) disputed object(s) for which thou (or you or he, she, they) disputest (or dispute, disputes, dispute) with me (or us).

4. Declaration concerning the object(s) of dispute.

5. *mn mt.t 'd n p ʿnḫ*

'There is no falsehood in the oath'.

THE DEMOTIC OATH, ITS LEGAL FORMULAE AND THEIR GREEK COUNTERPARTS

BY

GIRGIS MATTHA

While oaths, recorded in Greek on ostraka, are very rare (the only examples known to me being *Gr. Ostr.* (1) II 1150, Wilcken: *Chrestomathie* (2), 110 A, and Tait: *Greek Ostraka in the Bodleian, etc.*, I, 273-75) in demotic, they are common. A large number of these were published by Revillout in his *Mélanges* (3), pp. 170-203. Chardon also gave four further examples in his *Dictionnaire Démotique*, pp. 112, 113, 144 F, and 144 G. Unfortunately all of Revillout's and Chardon's copies of the texts are very faulty. Thompson also published four oaths reproduced by photography in *Theban Ostraca*, pp. 57-59, Pll. VI and XI. These together with one, sworn by Ḥatḥōr at Gebelein, published by Spiegelberg in *Demotica* I (4), p. 44, are the only ones that can be trusted. There is, however, a large number of oaths recorded on the ostraka of the Bodleian and various other collections which I hope to discuss fully in a later work. Here I will only quote the commonest phrases of the formulae, A and B representing the names of the disputing parties:

---

(1) U. Wilcken: *Griechische Ostraka aus Aegypten und Nubien* (1899).

(2) U. Wilcken: *Chrestomathie der Papyruskunde* (1912).

(3) Revillout: *Mélanges sur la métrologie et l'économie politique de l'ancienne Egypte* (1895).

(4) In *Sitzungsberichte d. Bayer. Ak. d. Wiss., Philos.-phil. Kl.* (1925), 6.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART II

DECEMBER 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIVERSITY PRESS,
1951


Bibliotheca Alexandrina
0542796